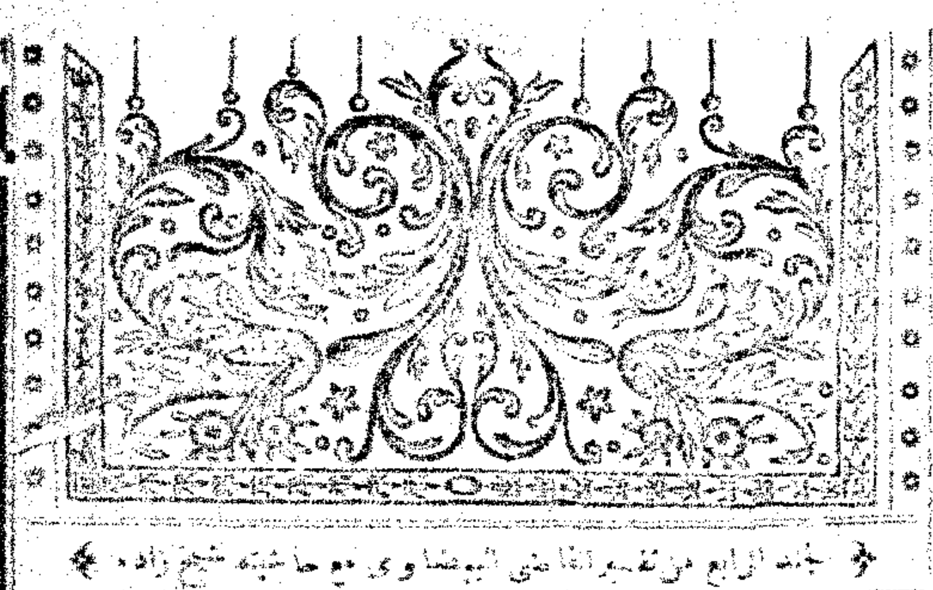


﴿ الجلد الرابع من تفسير القاضي البيضاوي مع حاشيته شيخ زاده ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله الذي خلق السموات والارض)

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها مكية نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك ولهم زجل اي صوت بالتسبيح والتحميد حتى كادت الارض ترتج فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا وروي عنه عليه الصلاة والسلام مرفوعا من قرأ سورة الانعام تصلي عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره ثم دعا بالكتاب وامر بكتابتها وقال سعيد بن جبير لم ينزل من الوحي شيء الا ومع جبريل اربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الا الانعام فانها نزلت ومعها سبعون الف ملك وقال كعب الاحبار فتحت التوراة باول سورة الانعام الى قوله بربهم يعدلون وختمت بآخر سورة بني اسرائيل وهي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الى آخر السورة وقيل ختمت بآخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وروي عنه عليه الصلاة والسلام مرفوعا انه قال من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة ونزل ملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقي في قلبه شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى له يا ابن آدم امش تحت ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدي وانا ربك لا حساب عليك ولا عذاب

كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام كلها بمكة الا قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلاث آيات نزلت فى رد مقالة اليهود وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تعقلون فهذه الست آيات مدنيات (قوله اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد) اى بختص جميع اقسامه وافراده به تعالى وذلك انه تعالى جعل الحمد المحلى بلام الجنس مبتدأ واخبر عنه باختصاصه لله تعالى واختصاص الجنس به يستلزم اختصاص جميع افراده به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ان يثبت له حقيقة الحمد فى ضمن ذلك الفرد فان قيل أليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه الصلاة والسلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله فالجواب ان الحمد والتعظيم المتعلق بالمنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله هو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لو لم يخلق نفس تلك النعمة ولم يحدث داعية الاحسان فى قلب المحسن لما قدر ذلك العبد على الاحسان والانعام وذلك لان صدور الاحسان من العبد يتوقف على داعية الاحسان فى قلب العبد وحصول تلك الداعية فى القلب ليس من العبد والا لافتقر فى حصولها الى داعية اخرى ولزم التسلسل بل حصولها ليس الا من الله تعالى فظهر انه لا محسن فى الحقيقة الا الله ولا مستحق للحمد فى الحقيقة الا هو (قوله ونبه على انه المستحق له) حيث اخبر بان استحقاق حقيقة الحمد مختص بالله تعالى لايعادله فيه احد سواه كيف وانه تعالى هو المتفرد فى تربية عباده بخلق هذه النعم اسبابا لتكونهم وتعيشهم ولايماثله احد فى تربيتهم بخلق شئ منها وبه تم الاحتجاج على من زعم المعادلة بينه وبين الاوثان ولامدخل فى هذا الاحتجاج لاسناد الحمد الى الحامد بأن يقول أحمد الله مثلا فبهذا الوجه فضل الحمد لله على ان يقول احمد الله مع ان اسناد الحمد الى الحامد يشعر بانه قضى حق حمده تعالى ولا تفى بذلك طاقة احد لما روى من انه تعالى اوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يأمره بالشكر فقال كيف اشكرك وشكرى لك لايحصل الا بان توفقنى لشكرك وذلك التوفيق نعمة زائدة وانها توجب الشكر ايضا وذلك يجر الى مالانهاية له ولا طاقة لى بفعل مالانهاية له فاوحى الله تعالى الى داود لما عرفت عجزك عن شكرى فقد شكرتنى فكان الحمد بان يقال الحمد لله لدلالته على انه تعالى هو المستحق للحمد وان عجز الحامدون عن قضاء حق حمده اتم واكمل من ان يقال احمد الله مثلا قال الامام قوله تعالى الحمد لله فيه قولان الاول ان المراد به احمد الله قالوا وانما جاء على صيغة الخبر لفوائد احداها ان قوله يفيد تعلم اللفظ والمعنى ولو قال احمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين

اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمداً ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها

وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم

وثانيتها انه يفيد انه تعالى مستحق للحمد سواء حمده حامد او لم يحمده واثالثة ان المقصود منه ذكر الحجة فذكره بصيغة الخبر اولى والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان المراد منه تعليم العباد استدلالا بانه تعالى قال فى اثناء سورة الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين وهذا الكلام لا يليق ذكره الا بالعباد (قوله وتقدم وجودها) كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو قول قتادة واختاره المصنف ايضا فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء حيث قال وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض لا للتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها (قوله والجعل فيه معنى التضمين) اى جعل شئ فى ضمن شئ بأن يحصل منه او يصير اياه او ينقل منه اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما وفى الخلق معنى الايجاد بقدر وتسوية كذا فى الحواشى السعدية ولما لم يكن فى الخلق اعتبار شيئين وارتباط بينهما عبر عن احداث الاشياء القائمة بانفسها على سبيل الابداع بالخلق اذ ليس فى احداثها ملاحظة ارتباطها بشئ آخر اصلا بخلاف الامور القائمة بغيرها فان احداثها انما يكون بتحصيلها فى موضوعاتها روى عن الضحاك انه قال هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات والمعنى ان الله واحد لا شريك له وهو الذى خلق السموات والارض وهو الذى خلق الظلمات والنور وفى التيسير انها رد على الثنوية فى اضافتهم خلق النور الى يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وبنوا على ذلك خلق كل خير وشر (قوله لكثرة اسبابها) وسببها تخلل الجرم الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يكثر بكثرة الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار والكواكب هذا على تقدير ان يراد بالنور الكيفية المحسوسة التى تدركها الباصرة اولا وبواسطتها تدرك سائر المبصرات وبالظلمة عدم النور فى الجسم الذى من شأنه قبول النور كما اختاره المصنف او الكيفية الوجودية المضادة للنور على ما قيل استدلالا بقوله تعالى وجعل الظلمات والنور زعما ان الاعدام غير مخلوقة وفرق المصنف بين الاعدام الصرفة واعدام الملكة واما على تقدير ان يراد بالنور الحق والهدى وبالظلمات الضلالات وانواع الباطل فالامر واضح فان الحق واحد ووجوه الضلال عن الحق مستكثرة متعددة (قوله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة) الحمد وان لم يكن بمقابلة النعمة خاصة بل قد يكون على الفضائل الكمالية للمحمود الا ان المحمود فى الآية لما وصف بكونه خالقا لما ذكر من النعم نبه على ان الحمد فيها على النعمة دون مجرد

الاوصاف والافعال الكمالية ثم ان المصنف جعل الباء في قوله تعالى بربهم على تقدير كون ثم الذين كفروا معطوفا على الحمد لله متعلقة بكفروا وقال في تصوير المعنى ثم الذين كفروا به يعدلون اى يميلون عنه الى غيره وجعل يعدلون من العدول وعلى تقدير كونه معطوفا على خلق جعلها متعلقة بيعدلون وقال في تصوير المعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان وجعل يعدلون من العدل بمعنى التسوية فيلزم ان يقال قدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد وقيل عليه انه تخصيص من غير مخصص لتأتي التقديرين على كل واحد من الوجهين ووضع المظهر اعنى بربهم موضع المضمر لبيان موقع الاستبعاد وعلى تقدير ان تكون الباء متعلقة بكفروا يكون موقع الاستبعاد والانكار نفس الفعل وهو العدول (قوله فانه المادة الاولى) اى بالنسبة الى كل واحد من آحاد نوع الانسان كما هو المتبادر من قوله خلقكم فان الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما متولدان من دم العروق وذلك الدم يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية فان كانت حيوانية كان الحال في تولد ذلك الحيوان كالحال في كيفية تولد الانسان وان كانت نباتية فهي انما تتولد من الطين فثبت ان الطين هو المادة الاولى للانسان وايضا لما انتهت سلسلة الآباء اليه كان مادة اولى لهم من هذا الوجه ايضا غاية ما في الباب انه لا يكون مبدأ قريبا ومن الابتدائية في قوله تعالى من طين لا تستلزم ذلك وان اريد مبدئية الطين كونه مبدأ قريبا للخلق يقدر المضاف في قوله خلقكم روى انه تعالى بعث جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبريل ولم يأخذ شيأ قال يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الاولى فرجع فبعث اسرافيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالفه فاخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والمر والملح فلذلك اختلفت اخلاقهم فقال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل واسرافيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك (قوله تعالى ثم قضى اجلا) اى قدر مدة فان لفظ القضاء قد يراد به الحكم والامر ومنه يقال للحاكم قاض قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وقد يراد به الاخبار والاعلام قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقد يراد به اتمام الشئ فعلا كما في قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر هو تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها والمراد بالقضاء في قوله عليه الصلاة والسلام لا يرد القضاء

فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه

ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به (هو الذي خلقكم من طين) اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف

الا الدعاء ما يخاف العبد منه من نزول المكروه وبارد تهوينه اى تسهيله عليه بحيث يتحمل ماينزل عليه من المكروه طبعا ويصير راضيابقضاء الله تعالى والمناسب لهذا المقام ان يكون القضاء بمعنى الحكم والتقدير الازلى فتكون كلمة ثم فيه للترتيب فى الذكر ضرورة ان القضاء بالمعنى المذكور ليس متأخرا عن الخلق (قوله اجل الموت) اى آخر مدة الحياة واجل القيامة والبعث آخر مدة الموت كما ان اجل النوم آخر مدة اعمال الحواس وتأثيرها فان الاجل عبارة عن الوقت المضروب لانقضاء المدة واجل الانسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره واجل الدين محله لانقضاء التأخير فيه فقوله تعالى ثم قضى اجلا معناه انه تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته تعالى بايقاع ذلك الموت فى ذلك الوقت (قوله تعالى واجل مسمى) مبتدأ وعنده خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالصفة كقوله ولعبد مؤمن خير صريح هذه الآية يدل على حصول اجلين لكل انسان واختلف المفسرون فى تفسيرهما قال بعضهم الاجل الاول من وقت الولادة الى الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لكل احد اجلان اجل من ابتداء الخلق الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان برا تقيا وصولا لرحمه زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر فى اجل البعث فعلى هذا يكون الاجل بمعنى جميع المدة وقيل الاجل الاول آجال الماضين من الخلق والثانى آجال الباقين منهم وآجال من لم يأت بعد وخص هذا الاجل الثانى بكونه مسمى عنده لانهم لما ماتوا صارت آجالهم معلومة بخلاف آجال من بقى وآجال من لم يأت بعد فان تلك الآجال لا يعلمها الا الله تعالى دون من مضى منهم وقيل هما واحد بمعنى جعل لاعماركم مدة تنتهون اليها وقوله واجل مسمى عنده بمعنى وهو اجل مسمى عنده لا يعلمه غيره وقال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الآجال الطبيعية والثانى الآجال الاخترامية اما الآجال الطبيعية فهى التى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه المختص به ولم تعترضه العوارض الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تحل رطوبته وتنطفئ حرارته الغريزيتان واما الآجال الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى قوله مسمى عنده معلوم عنده ومذكور اسمه فى اللوح المحفوظ (قوله واجل نكرة خصصت بالصفة) جواب عما يقال المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره نحو فى الدار رجل فلم جاز تقديمه فى قوله تعالى واجل مسمى

(ثم قضى اجلا) اجل الموت (واجل مسمى عنده) اجل القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف بمعطيه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة

عنده وتقرير الجواب ان تقديم الظرف فى مثله انما يجب اذالم يوجد مسوغ آخر للابتداء بالنكرة وههنا قد وجد مسوغ آخر وهو التوصيف فجاز الامران وبعدما ذكر مايجوز تقديم المبتدأ اشارالى ان ههنا نكتة مرجحة لتقديمه فقال والاستئناف به لتعظيمه يعنى انه لماقصد التفرقة بين الاجلين وقصد تعظيم الثانى استأنف به الكلام اى ابتدأ به اهتماما بشأنه فان تقديم الشئ والاهتمام به من دلائل تعظيمه وكذا تنكيره ووصفه بانه مسمى والاخبار عنه بانه عند الله كل ذلك من دلائل التعظيم (قوله ولانه المقصود بيانه) نكتة ثانية لترجيح التقديم فان الاصل فى المسند اليه ان يتقدم ذكره اذا انتفى مايقتضى العدول عن هذا الاصل كما فى الجملة الفعلية فان كون المسند هو العامل فى المسند اليه اقتضى العدول عن تقديم المسند اليه لان مرتبة العامل قبل مرتبة المعمول (قوله الضمير لله والله خبره) يرد عليه ان يقال كون الضمير لله يستلزم ان يكون الكلام فى قوة ان يقال الله الله فيلزم ان يكون تركب الكلام من اسمين متحدين لفظا ومعنى ولا يتصور بينهما نسبة اسنادية فكيف يتركب الكلام منهما كما يرد على كون قوله فى السموات وفى الارض متعلقا باسم الله ان اسم الله علم فلا يتعلق به حرف الجر لان حرف الجر موضوع لافضاء معنى الفعل الى الاسم فلابد ان يكون مدخوله اسما ومتعلقه اما فعل اوشبه فعل ولما كان اسم الله علما لم يكن فيه معنى الفعل فكيف يتعلق به حرف الجر وكذا اله فى قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله فانه وان كان بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب الا انه اسم فلا يتعلق به حرف الجر والمصنف اشار الى دفعهما بقوله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما ووجه الدفع ان اسم الله وان كان علما الا انه يتضمن معنى وصفيا فيتعلق به الحرف وهو المعبودية كما يتضمن حاتم معنى الجواد ويتضمن اسد معنى الجرى ونعامة معنى الجبان فيتعلق بها حرف الجر بهذا الاعتبار فيقال هو حاتم فى طى وقيل فى حق الحجاج

اسد على وفى الحروب نعامة ❀ فتخاء تنفر من صفير الصافر

وباعتبار هذا المعنى الوصفى الضمنى صح كل واحد من الحمل وتعلق حرف الجر به (قوله او بقوله يعلم سركم) عطف على قوله باسم الله اى ويجوز ان يتم الكلام عند قوله وهو الله ويتعلق الظرف بقوله يعلم والمعنى انه تعالى يعلم فى السموات اسرار الملائكة وفى الارض يعلم اسرار الانس والجن ولا يجوز كونه متعلقا بمفعول يعلم وهو سركم وجهركم اى يعلم سركم وجهركم فيهما لان معمول المصدر لايتقدم عليه وهو قول المصنف وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه (قوله ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما) جواب عما يقال كيف يصح ان يقال معنى الآية انه تعالى يعلم فيهما اسرار خلقه وانه يستلزم كونه تعالى مستقرا فيهما وهو

ولانه المقصود بيانه (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم بعدما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها مايشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانى دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع (وهو الله) الضمير لله والله خبره (فى السموات وفى الارض) متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله (يعلم سركم وجهركم) والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه

وظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما و يعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه (ويعلم ماتكسبون) من خير اوشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح (وماتأتيهم من آية من آيات ﴿ ٨ ﴾ ربهم) من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات اوآية من آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعنى بالقرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزئون) اى سيظهر لهم ماكانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره (ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن) اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى اوفائق فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم (تدخل) من القوى والآلات ماتمكنوا بها من انواع التصرف فيها (مالم نمكن لكم) مالم نجعل لكم فى السعة وطول المقام يااهل مكة اومالم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب (وارسلنا السماء عليهم) اى المطر او السحاب والمظلة

تعالى منزه عن ان يحيط به الزمان والمكان (قوله او ظرف مستقر) عطف على قوله متعلق باسم الله اى ويجوز ان يكون اسم الله خبرا اوالاله و وفى السموات خبرا ثانيا له كأنه قيل انه الله وانه فى السموات وفى الارض لا على معنى انه تعالى فيهما حقيقة بل على معنى انه تعالى لما كان عالما بما فيهما كان كأنه فيهما فانه تعالى لما كان عالما بما فيهما شبهت حالة علمه بما فيهما بحالة كونه فيهما لان العالم اذا كان فى مكان كان عالما به و بما فيه فعبر عن حالة علمه بما فيهما بحالة كونه فيهما على طريق الاستعارة التمثيلية قيل المراد بالسر افعال القلوب و بالجهر افعال الجوارح فالافعال لاتخرج عن السر والجهر فيكون قوله تعالى ويعلم ماتكسبون تكرار او من عطف الشئ على نفسه فيجب ان يحمل قوله تعالى ماتكسبون على مايستحقه الانسان على فعله من ثواب وعقاب والحاصل انه محمول على المكتسب كما يقال هذا المال كسب فلان اى مكتسبه لان حمله على اصل معناه يستلزم المحذور المذكور فان الكسب فى الاصل هو الفعل المفضى الى اجتلاب نفع اودفع ضر ولهذا السبب لايوصف فعله تعالى بانه كسب لكونه تعالى منزها عن جلب نفع اودفع ضر والمصنف حمل الكسب على معنى الفعل ودفع لزوم التكرار بقوله ولعله الخ ويمكن دفع ذلك بأن الافعال لها جهات مختلفة فهى من جهة سر وجهر ومن جهة اخرى خير وشر فهو تعالى بينها اولا من جهة كونها سرا وجهرا ثم انه بينها من جهة كونها خيرا وشرا تنبيها على انه انما يثيب ويعاقب على حسب الاستحقاق ومقتضى الحكمة واعلم انه تعالى لما ابتدأ هذه السورة الكريمة بمايدل على وحدانيته ثم بين انه قضى اجل الموت واجل البعث والقيامة وثلث بما يقرر هذين المطلوبين ثم ذكر مايتعلق بتقرير النبوة فقال وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الاكانوا عنها معرضين ذم المعرضين عن تأمل الدلائل تنبيها على وجوب التأمل والتفكر فيها و بطلان الاكتفاء بالتقليد واتباع الهوى (قوله ولذلك رتب عليه بالفاء) اى ولكونه كاللازم لما قبله مرتبا عليه ترتب اللازم على ملزومه اولكونه كالدليل رتب عليه بالفاء السببية فانها كما تدخل على ماهو جزاء لازم لما قبله سواء تقدمت كلمة الشرط نحو ان لقيته فاكرمه اولم تتقدم نحو زيد فاضل فاكرمه تدخل ايضا على ماهو سبب لما قبلها فتكون بمعنى اللام السببية كما فى قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وفى نحو قولك اكرم زيدا فانه فاضل فهذه الفاء

فان مبتدأ المطر منها (مدرارا) اى مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار

تدخل على ماهو شرط فى المعنى كما ان الاولى تدخل على ماهو جزاء فى المعنى والمراد بالحق ههنا القرآن وقيل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصف الله تعالى كفار مكة بثلاثة اوصاف اولها كونهم معرضين عن التأمل والتفكر فى الدلائل والآيات وثانيها كونهم مكذبين بها وهذا الوصف اقبح مما قبله لان المعرض عن الشئ قد لا يكذبه بل قد يغفل عنه وثالثها كونهم مستهزئين بها وهو اقبح مما قبله لان المكذب بالشئ قد لا يبلغ تكذيبه الى حد الاستهزاء فاذا بلغ الى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى فى الانكار ثم انه تعالى لما ذكر قبائحهم من الاعراض والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجرى مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية والقرن الجماعة المقترنة من الناس لكونهم اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم وقيل القرن مدة من الزمان قيل هى ثمانون سنة وقيل سبعون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة قيل انه عليه الصلاة والسلام قال لبعض الصحابة تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معنى الآية على هذه الاقاويل من اهل قرن لان نفس الزمان لا يتعلق به الاهلاك وهو مختار المصنف وكم فى الاية يجوز ان تكون استفهامية او خبرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة للرؤية عن العمل لان الخبرية تجرى مجرى الاستفهامية فى ذلك ولذلك اعطيت احكامها من وجوب التصدير وغيره والرؤية ههنا علمية ويضعف كونها بصرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة عن العمل لان البصرية تجرى مجراها فان كانت علمية تكون كم وما فى حيزها سادة مسد المفعولين وان كانت بصرية فمسد واحد وقوله مكناهم فى الارض فى موضع الجر على انه صفة لقرن وعاد ضمير الجمع اليه باعتبار معناه وما فى قوله مالم نمكن لكم يحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وهى حينئذ تكون صفة لموصوف والتقدير التمكين الذى لم نمكن لكم والعائد محذوف اى لم نمكنه لكم ورد بان ما بمعنى الذى لا تكون صفة للمعرفة ويحتمل ان تكون نكرة صفة لمصدر محذوف تقديره تمكينا مالم نمكنه لكم ورد بان النكرة التى تقع صفة لا يجوز حذف موصوفها فلا يقال قمت ما وضربت ما وانت تريد قمت قياما ما وضربا ما وان كان نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف اى مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم وان تكون مفعولا به لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اى واعطيناهم مالم نعطكم (قوله فان مبدأ المطر منها) علة لجواز ان يراد بالسماء الفلك المحيط بهم كأنه ألقى ظله عليهم مع وصفها بالمدرار فان قوله مدرارا حال منها على اى معنى كانت فان كون السماء بمعنى المطر والسحاب مدرارا اى كثير الدر والصب ظاهر وانما الاشتباه فى كونه السماء بمعنى المظلة مدرارا فازال ذلك الاشتباه بان المطر ينزل من الفلك الى السحاب ومن السحاب الى الارض لكن بقى الاشتباه فى ان الارسال كيف يتعلق بالمظلة

(فاهلكناهم بذنوبهم) اى لم يغن ذلك عنهم شيأ (وانشأنا) واحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر على ان يهلك من قبلهم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بايديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للتفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا انزل عليه ملك) هلا انزل معه ملك يعلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا الحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) جواب ثان

ولعل المراد من ارسالها ارسال مطرها على حذف المضاف او على ان يجعل ارسال السماء منها متتابعا فى اوقات الحاجات بمنزلة ارسال نفسها والمدرار مفعال وهو من ابنية مبالغة الفاعل كامرأة مذكار ومئناث واصله من درّ اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار اذا تتابع منه المطر فى اوقات الاحتياج اليه والمغزار مبالغة الغزير بمعنى الكثير يقال غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير مثل كثر لفظا ومعنى وغزرت الناقة ايضا كثر لبنها غزارة فهى غزيرة ومغزار ويستوى فيه المذكر والمؤنث وقوله وارسلنا السماء معطوف على قوله مكناهم فى الارض على انه صفة ثانية لقرن وقوله وجعلنا الانهار تجرى صفة ثالثة لقرن معطوفة على الصفات السابقة والريف ارض فيها زرع وخصب يقال رافت الماشية اى رعت الريف (قوله فاهلكناهم بذنوبهم) حيث باعوا الدين بالدنيا وامتنعوا عن الايمان فعوقبوا بطريق الاستئصال مع انهم وجدوا من منافع الدنيا اكثر مما وجده اهل مكة فلما اصروا على الكفر لم ينفعهم ما هم فيه من العز وكثرة العدد والبسطة فى المال والجسم فلم لا يعتبرون بحالهم وما جرى عليهم بشؤم معصيتهم (قوله يعمر بهم بلاده) اشارة الى فائدة ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم مع ان الكلام مسوق للزجر عن الكفر (قوله وتخصيص اللمس) يعنى ان المراد ولو انزلنا عليك القرآن دفعة واحدة مكتوبا فى صحيفة وعاينوه بابصارهم وعلموه علم مشاهدة لنسبوه الى السحر من حيث ان شانهم الاعراض عن الحجة والبرهان والانهماك فى اتباع الشهوات والطغيان حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس والعيان لما التفتوا اليه بل نبذوه وراء الحيطان الا انه خص اللمس بالذكر من بين طرق الاحساس والمشاهدة لانهم لم يتشبثوا بالادراك السمعى ولا الادراك الذوقى والادراك الشمى لا يليق بالمقام فبقى الادراك البصرى والادراك اللمسى واللمسى لكونه لا يقبل التزوير اقوى من البصرى لانهم اذا رأوا المكتوب بابصارهم لاحتمل ان يقولوا سكرت ابصارنا اى سدت من قولهم سكرت النهر اسكره سكرا اذا سددته ولان اللمس يتقدمه الابصار ويستلزمه من غير عكس فيكون ذكره فى قوة ذكرهما معا فيكون اولى بالتخصيص بالذكر والعدول الى الظاهر فى قوله تعالى لقال الذين كفروا بعد قوله فلمسوه بايديهم للتسجيل عليهم بالكفر والعناد وقوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك الظاهر انه جملة مستأنفة سيقت لبيان شبهة اخرى من شبه منكرى النبوات والاخبار عنهم بفرط تعنتهم وتعاميهم فى كفرهم وقيل يجوز ان تكون جملة معطوفة على جواب لو اى لو انزلنا عليك كتابا لقالوا كذا وكذا ولقالوا لولا انزل عليه ملك ولا يخلو عن بعد لان قولهم لولا انزل ليس مرتبا على قوله ولو انزلنا ولولا هنا تحضيضية

(كيد خولها)

كدخولها على المضارع واود خلت على الماضى لكانت للتوبيخ على ترك الفعل فهى هنا بمعنى الامر حكى الله تعالى عنهم انهم طلبوا ملكا يرونه ليشهد له بالرسالة حتى روى ان بعض المشركين قالوا يامحمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عندالله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عندالله وانك رسوله فانزل الله عزوجل قوله ولونزلنا عليك كتابا فى قرطاس الآية فأجاب الله عن تمنيهم باقتراح انزال الكتاب فى قرطاس يشاهدونه بأنالو فعلنا ماذكروه لما اهتدوا به بل نسبوه الى السحر واجاب عن اقتراح نزول ملك يشهد بانه رسول الله بجوابين الاول انه لوانزلنا ملكا كما التمسوه لقضى الامر أى لتم امرهم وفرغ منه بانزال عذاب يستأصلهم لان انزال الملك على البشر آية باهرة فبتقدير انزال الملك على هؤلاء الكفار لايؤمنون كما قال تعالى ولواننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله واذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فان سنة الله تعالى جرت على ان القوم اذا لم يؤمنوا عند نزول الآية الباهرة يهلكون على وجه الاستئصال وههنا لم ينزل الله عليهم ملكا لئلا يستحقوا هذا العذاب ومعنى ثم فى قوله تعالى ثم لاينظرون بعد مابين الامرين من قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة (قوله ان جعل الهاء) اى فى قوله جعلناه للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوته عليه الصلاة والسلام ملكا تكون هذه الآية جوابا ثانيا عن قولهم لولا انزل عليه ملك يعلمنا انه نبى واما ان جعل للرسول عليه الصلاة والسلام كما يدل عليه قوله تعالى لوشاء ربنا لانزل ملائكة وتعجبهم من ارسال البشر نبيا كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم واخبر عنهم بانهم قالوا ابعث الله بشرا رسولا فحينئذ تكون هذه الآية جوابا عن اقتراح آخر لهم وهو ان يبعث الملك لانذار البشر زعما منهم ان الملك اكثر علما واشد مهابة وقدرة على تحصيل ماهو الحكمة من ارسال الرسول وان الحكيم اذا اراد تحصيل مهم فانما يستعين فى تحصيله بمن هو اقدر على تحصيله والفرق بين اللبس واللبس بفتح اللام وضمها ان اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوب ألبس من باب علم واللبس بالفتح مصدر قولك لبست عليه الامر ألبس من باب ضرب يضرب اى خلطته وجعلته مشتبها عليه والمعنى انا لوارسلناه رجلا لكنا جعلنا الامر مشتبها عليهم حيث يظنون حينئذ ان ذلك الملك بشر ويقولون أبعث الله بشرا رسولا ولوشاء ربنا لانزل ملائكة * قرأ حمزة وعاصم وابو بكر بكسر الدال فى قوله ولقد استهزئ على ماهو الاصل فى التقاء الساكنين والباقون بالضم على الاتباع ومثله فمن اضطر وقوله رسل

ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولوجعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه اوالرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لاتقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم مايخلطون على انفسهم فيقولون ماهذا الابشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مايرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون) فاحاط بهم الذى كانوا يستهزئون به

مستأنفة لا تتعلق بما قبلها من حيث الاعراب وان تعلقت من حيث المعنى بخلاف ما اذا كانت بدلا من مفعول كتب فانها حينئذ تكون فى محل النصب وان كانت جملة الجواب لامحل لها من الاعراب ابدا والظاهر ان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الى قوله وله ماسكن فى الليل والنهار من تتمة ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله لكفار مكة امر الله تعالى اياه اولا بأن يسألهم لمن ما فى السموات والارض ثم امره بان يجيب بقوله لله الجاءاهم الى الاقرار بانه لله لالزام الحجة عليهم فى تحقيق المطالب الثلاثة وبان يتبع ذلك الجواب ببيان عموم رحمة الله تعالى لجميع خلقه فى الدارين اما فى حق من تاب وآمن بالرسل وقبل شرائعهم فبأن يدخله دار كرامته بالاعزاز والتكريم واما فى حق من عاند واصر على الكفر والتكذيب فبأن يدفع عنه عذاب الاستئصال ولا يعاجله بالعقوبة فى الدنيا وبأن يخاطب كفار مكة بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون لا المعنى ان رحمة الله فى حق من خسر نفسه انما هى امهاله الى يوم القيامة لا اهماله بل يحشره ويحاسبه على كل مافعله من الكفر والتكذيب فهذه الجمل كلها داخلة فى حيز قل فى قوله تعالى قل لله ويدل على ما ذكرنا كون قوله تعالى وله ماسكن فى الليل والنهار معطوفا على قوله لله ولا ينافى ما ذكرنا جعل قوله تعالى ليجمعنكم مستأنفا لامحل له من الاعراب لان المراد بكونه مستأنفا عدم دخوله فى حيز كتب ولا ينافى ذلك دخوله فى حيز قل ولعل المصنف انما اعرض بكونه بدلا من الرحمة لان الخطاب لكفار مكة والبعث انما يكون رحمة فى حقهم بشرط الايمان وهو غير مذكور فى الآية وتقديره لايخلو عن تكلف فلذلك رجح كونه مستأنفا والله اعلم (قوله والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم) وهذه الدلالة ظاهرة على تقدير ان يكون الذين خسروا انفسهم مبتدأ وقوله فهم لايؤمنون خبره لانه قد اشتهر ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل يكون متضمنا لمعنى الشرط فيكون الصلة سببا لاتصاف المبتدأ بالخبر وكذا ان كان تقدير الكلام اعنى الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا وعطف فهم لايؤمنون على الصلة اذ لاشك ان تضييع ما هو بمنزلة رأس المال من الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان (قوله من السكنى) وهو الاستقرار والتمكن يقال سكنت دارى واسكنتها غيرى سكنى لامن السكون لامن الذى هو ضد الحركة وانما جعله من السكنى لان ماسكن فى الليل والنهار بهذا المعنى يعم جميع ما فى الارض عما طلعت عليه الشمس وغربت بخلاف ماسكن بالمعنى الآخر فانه لايتناول المتحرك والذى من السكنى معناه وله ماحل فى الليل والنهار وهو وان كان يتعدى بنفسه ويقال سكنت بلدة كذا لكنه يتعدى بفى ايضا كما فى قوله تعالى وسكنتم

(فى مساكن)

والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان (وله) عطف على لله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ماسكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل اغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى

فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بأولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى ﴿ ١٥ ﴾ اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولا يطعم) يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية و بنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض و يبسط (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سابق امته فى الدين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة (من يصرف عنه يومئذ) اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة و الكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ باظهاره

فى مساكن الذين ظلموا وان كان سكن من السكون لابد من ارتكاب حذف المعطوف اعتمادا على دلالة المقام عليه والتقدير وله ماسكن وتحرك فى الليل والنهار وحذف المعطوف اعتمادا على شهادة المقام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم الحر والبرد قيل وجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى ذكر فى الآية الاولى السموات والارض اذ لا مكان سواهما وفى هذه الآية ذكر الليل والنهار اذ لا زمان سواهما فالزمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات فأخبر تعالى انه مالك للمكان والمكانيات ومالك الزمان والزمانيات (قوله فلذلك قدم واولى الهمزة) مع ان حق المعمول ان يتاخر عن عامله وحق الهمزة ان تلى الفعل و ظاهر عبارته يوهم انه لايحصل الانكار لاتخاذ غير الله تعالى وليا على تقدير ان يؤخر المفعول مع انه لافرق بين ان يقال أغير الله اتخذ وليا وان يقال أأتخذ غير الله وليا فى الدلالة على ان المنكر انما هو اتخاذ غير الله وليا لانفس اتخاذ الولى فمعنى كلامه انه لما كان المقصود انكار اتخاذ غير الله وليا كان مناط الانكار هو غير الله فكان الاهتمام بذكره أتم فكان اولى بالتقديم فلذلك قدم المفعول واولى الهمزة (قوله مبدعهما) اى خالقهما ابتداء لا على مثال سبق (قوله فانه بمعنى الماضى) فلا يعمل حتى يكون مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية غير مفيدة للتعريف فيلزم وصف المعرفة بالنكرة بل اضافته محضة اى معنوية مفيدة للتعريف فجاز كونه صفة لاسم الله المجرور بغير ولا يضر الفصل بين الصفة والموصوف بقوله اتخذ وليا لان هذه الجملة الفعلية ليست باجنبية عن الموصوف اذ هى عاملة فى عامل الموصوف وقيل انه بدل من اسم الله ورجح هذا القول بان الفصل بين البدل والمبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل فكأنه لافصل والقرآءة المشهورة هى يطعم على بناء الفاعل ولا يطعم على بناء المفعول وقرئ ولا يطعم بفتح الياء والعين والمعنى ولا يأكل وضمير هو على القرآءتين لله تعالى وقرئ بعكس الاول اى على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل على معنى وذلك اولى الذى هو غير الله يطعمه غيره وهو لا يطعم احدا لعجزه فيكون نازلا عن مرتبة الحيوانية وقرئ ببنائهما للفاعل اما على معنى وهو يطعم ولا يستطعم واما على معنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويقبض ويبسط (قوله وقيل لى لاتكونن) يعنى ان قوله ولا تكونن ليس معطوفا على ان اكون والا لوجب ان يقال ولا اكون بل هو معطوف على امرت بتقدير وقيل لى لاتكونن وتلخيص المعنى امرت

بالاسلام و نهيت عن الشرك و جاز عطفه على قل عطف النهى على الامر (قوله و المفعول به محذوف) يعنى اذا قرئ يصرف على بناء الفاعل يحتمل ان يكون مفعوله محذوفا لدلالة ما ذكر قبله عليه و التقدير من يصرف الله عنه الهول و يومئذ حينئذ منصوب على الظرفية ويحتمل ان يكون مذكورا وهو يومئذ فلا بد حينئذ من حذف مضاف اى من يصرف الله عنه هول يومئذ او عذاب يومئذ فقد رحمه وضمير يصرف على التقديرين لله تعالى و يدل عليه قرآءة ابى بن كعب من يصرف الله باظهار الفاعل ولايخفى عليك انه على تقدير ان يحذف المضاف من يومئذ يكون المفعول محذوفا فلايكون قوله اويومئذ بحذف المضاف قسيما لقوله والمفعول به محذوف فلا يكون وجه الفرق بين الاحتمالين بحذف المفعول وعدمه بل يكون يومئذ على احد الاحتمالين ظرفا و على الآخر مضافا اليه (قوله تعالى و ان يمسسك الله بضر الآية) دليل آخر على انه لايجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا والباء فى قوله بضر للتعدية (قوله فكان قادرا على حفظه وادامته) كما انه قادر على ازالته و المقصود بيان وجه ارتباط الجزآء بالشرط (قوله تصوير لقهره و علوه) جواب عما يقال قوله تعالى فوق عباده يوهم كونه تعالى فى جهة وهو تعالى منزه عنها فما المراد منه و تقرير الجواب انه استعارة تمثيلية بان صور قهره و علو شأنه بالعلو الحسى فعبر عنه بالفوقية و قوله بالغلبة متعلق بالعلو لا بالتصوير او هما متعلقان بالقهر و العلو على طريق اللف والنشر والحاصل ان قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم (قوله والشئ يقع على كل موجود) لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شائى تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما فى هذه الاية وبمعنى مشيئ أخرى اى ما شيئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود يعنى انه لما كان المقصود اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة من يشهد بها امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسأل سؤال تبكيت اى شئ اكبر شهادة ثم امره أن يجيبهم بأن يقول الله اكبر شهادة على طريق الجائهم الى الاقرار بذلك فكان المناسب ان يضاف اكبر الى مايعم كل موجود ليحقق اعترافهم بان شهادة الله تعالى لايعادلها شهادة ما فلما اعترفوا بأن الله تعالى اكبر شهادة قال هو شهيد لى بالنبوة فلفظ الجلالة فى قوله قل الله مبتدأ حذف خبره وقوله شهيد بينى و بينكم خبر مبتدأ محذوف وقد صور المصنف تقديرهما فعلى هذا جواب اى شئ هو لفظ الجلالة مع خبره المحذوف واما على تقدير ان يكون الجلالة مبتدأ وشهيد خبرها فجواب اى حينئذ هو هذه الجملة كما صرح به المصنف الا ان يكون مراده

والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وانعم عليه (وذلك الفوز المبين) اى الصرف او الرحمة (وان يمسسك الله بضر) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلاقادر على كشفه (الاهو وان يمسسك بخير) بنعمة كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلايقدر غيره على دفعه كقوله فلاراد لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى امره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا احوالهم (قل اى شئ اكبر شهادة) نزلت حين قال قريش يامحمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولاصفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى و بينكم) اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب [illegible]ه تعالى اذا كان الشهيد [illegible]ان اكبر شئ شهادة

بكونها جوابا انها دالة على الجواب لانها هي الجواب حقيقة ويدل على ماذكرنا
انه علل كونه جوابا بقوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة فان
الجواب اللائق لقوله اى شئ اكبر شهادة ليس الا الله تعالى وقد عدل عنه في
الجواب الى قوله الله شهيد بيني وبينكم ليدل على ان اكبر شئ شهادة شهيد له
اى للرسول فان الله اكبر شهادة والله شهيد له وهما ينتجان ان الاكبر شهادة شهيد له
وقوله واوحى الى هذا القرءآن كأنه بيان لطريق شهادته تعالى على معنى انه تعالى
شهد لى بايحاء هذا القرءآن المعجز فصدقني في دعوى الرسالة بانزاله على وايحائه الى
لانذركم به (قوله اولانذركم ايها الموجودون) عطف على قوله اى لانذركم به يااهل
مكة يعنى ان قوله لانذركم خطاب لاهل مكة اوللموجودين وقت نزول القرءآن وعلى
الاول يكون المراد بمن بلغ ماعدا اهل مكة من نوع الانسان اومن الثقلين وعلى
الثاني يكون المراد به من يأتي بعد المعاصرين الى يوم القيامة (قوله تقرير لهم)
اى الجاء الى الاقرار باشراكهم اذلاسبيل لهم الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام
فيه للانكار والتوبيخ والجمهور على تحقيق الهمزتين في ائنكم وقرئ بتسهيل الثانية
وبادخال الف الفصل بين الهمزة الاولى والهمزة المسهلة والظاهر ان هذه الجملة
الاستفهامية في محل النصب لكونها في حيز القول على انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يقول اى شئ اكبر شهادة وان يقول ائنكم لتشهدون واخرى صفة لآلهة
لان مالا يعقل يعامل جمعه معاملة الواحدة المؤنثة كقوله مآرب اخرى والاسماء
الحسنى والظاهر ان كلمة ما في قوله تعالى انما هو اله واحد كافة لان من عملها وهو
مبتدأ واله خبره وواحد صفته وان احتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي تكون
منصوبة المحل على انها اسم ان ويكون قوله هو اله صلة وعائد وقوله واحد خبران
والتقدير ان الذي هو اله واحد انكر الله تعالى القول بالاشراك اولا بالاستفهام
الانكارى ثم اكد ذلك واوجب القول بالتوحيد من ثلاثة اوجه اولها قوله تعالى
قل لا اشهد وثانيها قوله قل انما هو اله واحد بأداة الحصر والتصريح بلفظ واحد
وثالثها قوله واننى برئ مما تشركون فانه صريح في التبرئ من اثبات الشركاء
فلذلك قال العلماء يستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين
سوى دين الاسلام ونص الامام الشافعي على استحباب ضم التبرئ الى الشهادتين
لقوله تعالى واننى برئ مما تشركون عقيب التصريح بالتوحيد (قوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لما انكر اليهود والنصارى دلالة التوراة والانجيل
على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين سألهم كفار مكة عن ذلك وبين الله تعالى
انه اكبر شهادة وان شهادته كافية في صحة نبوته بين بهذه الآية انهم كذبوا في قولهم
لانجد في كتابنا مايدل على نبوته وليس له عندنا ذكر ولاصفة حيث قال انهم

(وأوحى الى هذا القرءآن لأنذركم به) اى بالقرءآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين اى لأنذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر اومن الثقلين اولأنذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرءآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه (ءائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا اشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) اى بل اشهد ان لا اله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة والانجيل

(كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم (الذين خسروا انفسهم) من اهل الكتاب ﴿١٨﴾ والمشركين (فهم لا يؤمنون) لتضييعهم

ما به يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (او كذب بآياته) كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس (انه) الضمير للشان (لا يفلح الظالمون) فضلا عمن لا احد اظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى توهموا ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص (التبرى)

يعرفونه بالنبوة والرسالة لانهم يجدونه فى كتبهم (قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم) اى انهم ابناؤهم بسبب علمهم بحالاهم المعينة لهم روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام رضى الله عنهما انزل الله تعالى هذه الآية على نبيه فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولأنا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق مرسل من الله تعالى (قوله تعالى الذين خسروا انفسهم) الظاهر انه مبتدأ وقوله فهم لا يؤمنون خبره دخلت الفاء فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط فان تضييع المشركين واهل الكتاب ما به يكتسب الايمان وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان فيترتب عليه عدم الايمان كما يترتب الجزاء على الشرط (قوله منصوب بمضمر) يعنى ان يوم ظرف لفعل مضمر يفسره ما بعده اى ونحشرهم يوم نحشر المفترين على الله الكذب او يوم نحشر الناس كلهم فيدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا يكون كيت وكيت وحذف عامل الظرف ليكون ابلغ فى التخويف وقوله ثم نقول للذين من اقامة الظاهر مقام المضمر ان جعلنا الضمير المنصوب فى نحشرهم للمفترين اذ الاصل ثم نقول لهم وانما اظهر تصريحا بمنشأ التقريع والتبكيت واضافة الشركاء اليهم للدلالة على ان توهم الشركة مختص بهم (قوله ولعله يحال بينهم) يعنى ان الاستفهام على طريق التوبيخ لا يقتضى غيبة الشركاء حين الاستفهام بل يجوز ان يكون التوبيخ حال حضور الشركاء ومشاهدة المشركين اياها بأن يقال لهم اين ما رجوتم من منفعة شركائكم وشفعائكم لكن يحتمل ان يكون التوبيخ المذكور حال غيبة الشركاء بأن يحال بينهم وبين شركائهم حين ما علقوا الرجاء بشفاعتهم (قوله اى كفرهم) اى بمحبة غير الله واتخاذه وليا يقال للمحب المتحير المدهوش مفتون ويقال لمن احب امرأة فتنته المرأة اى حيرته وادهشته روى عن الزجاج انه قال قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيه معنى لطيف وذلك ان الله تعالى بين ان المشركين مفتونون بشركهم متهالكون على حبه فأعلم بهذه الآية انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وتباعدوا عنه وحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثاله ان ترى انسانا يحب انسانا مذموم الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كان محبتك لفلان الا ان فررت منه اى ما كان عاقبتها الا الفرار منه فالمراد بالفتنة افتتانهم بالاوثان وكفرهم بسببها ويؤيد هذا المعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم تكن فتنتهم معناه شركهم فى الدنيا على حذف المضاف اى لم تكن عاقبة شركهم الا

التبرئ والفرار منه (قوله قرأ ابن كثير لم تكن بالتاء من فوق وفتنتهم بالرفع على انها الاسم) اى اسم كان ولذلك انث الفعل لاسناده الى مؤنث والا ان قالوا خبر كان وقرأ نافع ومن تبعه بتاء التأنيث ايضا ونصب فتنتهم على انها خبر كان قدم على اسمها وهو قوله الا ان قالوا وانث الفعل مع تذكير الفاعل لان قوله الا ان قالوا وان كان فى تأويل قولهم الا انه لما اخبر عنه بمؤنث وهى الفتنة اكتسب تأنيثا من خبره فعومل معاملة المؤنث (قوله والباقون بالياء) اى المثناة من تحت لاسناد الفعل الى مذكر وهو قوله الا ان قالوا ونصب فتنتهم على انها خبر مقدم والتقدير لم يكن فتنتهم الا قولهم (قوله يكذبون ويحلفون عليه) اى على انهم ما كانوا مشركين ولما وردان يقال كيف يجوز لاهل القيامة ان يفعلوا القبيح مع انهم يعرفون الله يومئذ بالاضطرار لا بالنظر والاستدلال والا لصار موقف القيامة دار تكليف وذلك باطل وتلك المعرفة تلجئهم الى الاقرار لعلمهم بأن ارتكاب القبيح لا ينفعهم اصلا اجاب عنه بانهم انما يفعلونه من فرط الحيرة والدهشة اعلم ان العلماء اختلفوا فى جواز الكذب على اهل القيامة فمنع عنه ابو على الجبائى والقاضى وذهب الجمهور الى الجواز واستدلوا عليه بالآية فانهم حلفوا فى القيامة على انهم ما كانوا مشركين وهو كذب واحتج المنكرون بأن حقائق الاشياء تنكشف يوم القيامة فاذا اطلع اهل القيامة على الحقائق وعلى ان لامنفعة لهم فى الكذب استحال صدور الكذب عنهم واجابوا عن الآية بأن المعنى ما كنا مشركين فى اعتقادنا وظنوننا ذلك لان القوم كانوا يعتقدون فى انفسهم انهم موحدون متباعدون عن الشرك ويقولون انما نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ثم اعترضوا على انفسهم بانهم على هذا التقدير يكونون صادقين فيما اخبروا فلم قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واجابوا بانه ليس يجب ان يكون المراد انهم كذبوا فى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين بل يجوز ان يكون المراد انظر كيف كذبوا على انفسهم فى دار الدنيا فى امور كانوا يخبرون عنها كقولهم انهم على صواب وان ماهم عليه ليس بشرك والكذب يصح عليهم فى دار الدنيا وانما ينفى عنهم ذلك فى دار الآخرة والمصنف اختار مذهب الجمهور واشار الى ان دليل المنكرين لا يستلزم دعواهم لجواز ان يطلع اهل القيامة على الحقائق وعلى انه لامنفعة لهم فى الكذب وان يقولوا ذلك القول الكذب مع علمهم بانه لا ينفعهم بناء على انهم لما عاينوا اهوال القيامة غلب عليهم الدهشة والحيرة فقالوا ذلك بناء على اختلاط عقولهم وجاز لاهل القيامة ان يتكلموا بما يخالف مااعتقدوه كقولهم ربنا اخرجنا منها مع انهم ايقنوا بالخلود (قوله وحمله) اى حمل قوله تعالى انظر كيف كذبوا على

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ما كنا مشركين) يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله (انظر كيف كذبوا على انفسهم) اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم

انفسهم على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بنظم الآية وذلك لان ماقبلها من قوله ويوم نحشرهم الى قوله ماكنا مشركين ومابعدها وهو قوله وضل عنهم ماكانوا يفترون فى احوال الآخرة فصرف الوسط الى احوال الدنيا يوجب تفكيك نظم الآية (قوله و نظير ذلك) اى نظير قولهم يوم القيامة ماكنا مشركين فى الدلالة على وقوع الكذب من اهل القيامة قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الآية فانه تعالى قال فى حق المنافقين الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولامنهم و يحلفون على الكذب وهم يعلمون يعنى تولوا اليهود وقالوا للمسلمين والله انا مسلمون وهو حلفهم على الكذب ثم قال بعده يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وليس معناه الا انهم يحلفون لله تعالى فى الآخرة على انهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا والجمهور على جر ربنا على الوصفية و البدلية اوعطف البيان (قوله تعالى وضل عنهم) يحتمل ان يكون معطوفا على كذبوا فيكون داخلا فى حيز انظر وان يكون استئناف اخبار فلايكون داخلا فى حيز النظر و ما فى قوله ماكانوا يفترون يجوز ان تكون مصدرية اى و ضل عنهم افتراؤهم وان تكون موصولة اسمية اى وضل عنهم الذى كانوا يفترونه وضل بمعنى ذهب و بطل فانهم يفترون فى حق الاصنام انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية (قوله كراهة ان يفقهوه) اشارة الى ان أن يفقهوه فى موضع النصب على انه مفعول له فلما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان يفقهوه و الوقر الصمم والثقل فى الاذن احتج اهل السنة بهذه الآية على انه تعالى قد يصرف العبد عن الايمان و يمنعه عنه ضرورة ان القلب اذا جعل فى الكنان لايتفذ فيه الايمان والاذن اذا كانت مأوفة بآفة الصمم تعذر ان يتوسل بها الى استماع الدليل والبيان وقال المعتزلة لايمكن اجراء هذه الآية على ظاهرها والا كانت حجة للكفار على الرسول صلى الله تعالى وسلم بأن يقولوا لما حكم الله تعالى بانه منعنا عن الايمان لزم ان نكون عاجزين عنه فكيف تدعونا اليه وتذمنا على تركه ومن المعلوم انه لاوجه لتكليف العاجز ولا لذمه على ترك ما عجز عنه لان ختم القلب وجعله فى كنان وغشاوة تمنعه عن ادراك الحق وقبوله ترك لما هو الاصلح للعبد فلا يجوز اسناده اليه تعالى عندهم وأولوا نحو هذه الآية بوجوه منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار ذلك الاعراض كالحالة الطبيعية لهم شبها بالوصف الجبلى فاعطى له حكم الحالة الجبلية وهو ان يسند اليه تعالى فاسند اليه وقيل تارة ختم الله وتارة طبع الله عليها بكفرهم وتارة وجعلنا على قلوبهم اكنة فكان اسناده اليه تعالى عبارة عن فرط تمكنه فى قلوبهم ونحن نقول القلوب لاتقبل حقيقة الختم والاكنة فالمراد بجعل القلوب فى اكنة و بجعلها

ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح (وضل عنهم ماكانوا يفترون) من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرءآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة و شيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرءآن فقالوا للنضر مايقول فقال والذى جعلها بيته ماادرى مايقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ماحدثتكم (وجعلنا على قلوبهم اكنة) أغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقدمر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة

مختومة ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فيصيرون كأنهم صم مختوموا القلوب وليس احداث تلك الهيئة فى نفوسهم اجبارا لهم على الكفر والضلال بل هو عقوبة مترتبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن اتباع الدليل والبرهان فتلك الهيئة من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة اليه تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم استحقوا الان يذموا لها ويوبخوا عليها (قوله تعالى وان يروا كل آية) اى علامة تدل على وحدانية الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤمنوا بسببها اولا يؤمنوا بكونها آية الهية ويسمونها سحرا اوافتراء واساطير (قوله بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك) اشارة الى ان حتى الابتدائية وان لم تكن عاملة الا انها تفيد معنى الغاية والمعنى حتى اذا جاؤك مجادلين يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فوضع الذين كفروا موضع المضمر يشعر بأن مجيئهم على تلك الحالة كفر وعناد (قوله خرافات الاولين) اصل الخرفة بالضم ما يجتنى من الفواكه من الشجر ثم جعل اسما لما يتلهى به من الاحاديث وقيل خرافة اسم رجل من خزاعة استهوته الجن فرجع الى قومه وكان يحدثهم بالاباطيل وكانت العرب اذا سمعت ما لا اصل له قالت حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للاباطيل خرافات وروى عن صاحب الكشاف انه قال المسموع من العرب الخرافات بالتشديد بدليل جمعه على خراريف (قوله ويجادلونك جواب) ظاهره يدل على ان حتى اذا كانت حرف جر تكون اذا شرطية كما اذا كانت ابتدائية وانت خبير بأن حتى اذا كانت جارة بمعنى الى تكون اذا اسما بمعنى الوقت لاظرفية ولا شرطية لان حرف الجر انما يدخل الاسم لافضاء معنى ما قبله من الفعل اوشبهه اليه فلا يكون له حينئذ جواب ويكون يجادلونك حالا كما اذا كانت حتى ابتدائية ويكون قوله الذين كفروا تفسيرا لمجادلتهم والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك بأن يقولوا ان هذا القرآن الا اساطير الاولين ثم اذا كانت حتى ابتدائية يحتمل ان يكون يجادلونك جوابا ويقول الذين تفسيرا له فقوله ويجادلونك جواب محل بحث الا ان يراد به جواب لمن يقول كيف يفعلون عند مجيئك (قوله والاساطير الاباطيل جمع اسطورة) كحوار جوحة واراجيح واحدوثة واحاديث (قوله او اسطار جمع سطر) بفتح الطاء كحوت

(وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة اواسطارة واسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اى ينهون الناس عن القرآن اوالرسول

واسباب واما سطر بسكونها فجمعه فى القلة على اسطر وفى الكثرة على سطور كفلس وافلس وفلوس وفى الصحاح الاساطير الاباطيل الواحدا سطورة بالضم واسطارة بالكسر والسطر الصف من الشئ يقال بنى سطرا وغرس سطرا والسطر الخط والكتابة وهو فى الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله والجمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وفى الوسيط اساطير الاولين اى ماسطره الاولون اى كتبوه من احاديثهم وقيل هو جمع لا واحد له مثل عباديدوا بابيل وشماطيط ومثله لا يسمى اسم جمع لان النحويين قد نصوا على انه اذا كان اللفظ على صيغة تختص بالجموع لم يسموه اسم جمع بل يقولون هو جمع وان كان لم يستعمل واحده (قوله والايمان به) بدل اشتمال من الرسول للاشارة الى ان النهى عن نفس الرسول لامعنى له اذلا بد ان يكون النهى عن فعل يتعلق به وذلك الفعل هو التصديق برسالته على الاول او التعرض له بالايذاء وقصد الاضرار على الثانى وقوله وينأون اى يتباعدون عنه من النأى وهو البعد فان ابا طالب كان ينهى الناس عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويمنعهم عن ايذائه وينأى بنفسه عن الايمان حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا خذشابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابوطالب ما انصفتمونى ءادفع اليكم ولدى لتقتلوه وار بى ولدكم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولا ان يعيرنى قريش لاقررت به عينك ولكن اذب عنك ماحييت وقال فيه ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❊ حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ❊ وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ❊ ولقد صدقت وكنت ثم آمينا
وعرضت دينا قد علمت بانه ❊ من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة ❊ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ثم انه تعالى لما بين ان الذين ينهون عنه وينأون عنه يهلكون انفسهم شرح كيفية ذلك الاهلاك فقال ولوترى اذ وقفوا على النار وحذف الجواب فى مثل هذا الموضع ابلغ فى التخويف لان فكر السامع يذهب حينئذ الى انواع المكروه ولايدرى اى نوع منها يكون فيعظم خوفه بخلاف مالو اظهر فانه حينئذ يتعين المكروه ولايخطر بباله سواه قرأ الجمهور وقفوا ثلاثيا مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ووقف يتعدى ولايتعدى وفرق العرب بينهما بالمصدر يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا كما يقال رجعته رجعا فرجع رجوعا ذكر الزجاج ان وقفوا على النار يحتمل ثلاثة اوجه الاول يجوز ان يكونوا قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون على ان يدخلوا النار والثانى يجوز ان يكونوا وقفوا عليها وهى تحتهم بمعنى انهم

والايمان به (وينأون عنه) بانفسهم اوينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب (وان يهلكون) وما يهلكون بذلك (الا انفسهم ومايشعرون) ان ضرره لايتعداهم الى غيرهم (ولوترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى ولوتراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها

وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم والثالث انهم عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفت فلانا على كلام فلان اى علمته معنى كلامه وعرفته اياه وفيه وجه رابع وهو ان يكون على بمعنى فى والمعنى انهم يكونون فى جوف النار وتكون النار محيطة بهم ويكون التعبير بكلمة على للاشعار بأن النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيصح حينئذ معنى الاستعلاء مع كونها بمعنى فى (قوله او يطلعون عليها) من قولهم طلعت الجبل بالكسر اذا علوته (قوله استئناف كلام منهم) اعلم ان القرآء اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلا فى التمنى لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير والكسائى ولا نكذب ونكون برفع الفعلين وذكر المصنف لهذه القرآءة ثلاثة اوجه الاول ان التمنى تم عند قوله يا ليتنا نرد واما قوله ولا نكذب الخ فانه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وليست بداخلة فى حيز التمنى اصلا على انه تعالى حكى عنهم امرين الاول انهم تمنوا الرجوع الى الدنيا والثانى انهم اخبروا عن انفسهم بانهم لا يكذبون بآيات ربهم وانهم يكونون من المؤمنين فتكون هذه الجملة مع ما عطف عليها فى محل النصب على انها مقول القول والتقدير فقالوا يا ليتنا نرد وقالوا نحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على كل حال نرد الى الدنيا او لم نرد كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود على كل حال تركتنى فيه اولم تتركنى والوجه الثانى ان يكون كل واحد من الفعلين معطوفا على نرد وداخلا فى التمنى على انه تعالى حكى عنهم انهم تمنوا ثلاثة اشياء الرد الى دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين والوجه الثالث ان تكون الواو واو الحال على ان يكون المضارع خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة الاسمية فى محل النصب على الحالية من مرفوع نرد والتقدير ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين فيكون كل واحد داخلا فى التمنى وهو المناسب بالمقام لان الكفار لما عاينوا الشدآئد المترتبة على تقصيراتهم الواقعة فى الدنيا تمنوا العود الى الدنيا لتدارك تلك التقصيرات وذلك التدارك لا يحصل بمجرد العود الى الدنيا ولا بمجرد الامرين عدم التكذيب والاتيان بالايمان بل انما يحصل بمجموع الامور الثلاثة فوجب ادخال كل واحد من الافعال الثلاثة فى التمنى الا ان المصنف قدم الوجه الاول لان الله تعالى كذبهم بقوله وانهم لكاذبون والتمنى لا يجوز تكذيبه اذ التمنى انشاء والانشاء لا يحتمل الصدق والكذب وهذا الاشكال لما ورد على الوجهين الاخيرين اشار المصنف الى جوابه بقوله وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد فان قولهم ياليتنا نرد يتضمن الوعد بانا لو رددنا الى الدنيا لآمنا وما كذبنا والتكذيب راجع الى هذا الخبر الضمنى (قوله ونصبهما حمزة

او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد

و يعقوب وحفص) عن عاصم باضمار ان بعد واو العطف الواقعة بعد التمنى نحو ليت لى
مالا وانفق منه فان المتمنى مجموع الامرين حصول المال والانفاق معا لان شرط
اضمار ان بعد الواو ان يصح وقوع مع فى مكانها (قوله اجرآء لها مجرى الفاء)
علة لقوله نصبهما على الجواب اى على جواب التمنى ووجه التعليل ان وقوع
الفاء السببية فى جواب الاشياء الستة امر معقول لان تلك الاشياء لدلالتها
على مصدر غير محقق الوقوع ويكون ذلك المصدر مؤديا الى حصول
ما ذكر بعد الفاء كان ما ذكر قبل الفاء بمنزلة الشرط الذى هو غير محقق
الوقوع وكان مابعد الفاء كجزآء ذلك الشرط فكان نصب الفعل بعد الفاء
الواقعة عقيب تلك الاشياء على جهة كونه جوابا لها امرا معقولا بخلاف نصبه بعد
الواو فان الواو لاتذكر فى جواب الشرط حتى يجعل كون ماقبلها وما بعدها
بمنزلة الشرط والجزآء باعثا لانتصاب الفعل بعدها على جهة الجوابية بل هى
حرف عطف يعطف بها الفعل المنصوب باضمار ان المصدرية فيكون المعطوف
فى تأويل المصدر والمعطوف لابد له من معطوف عليه وليس قبلها فى الاية
الا فعل والاسم لا يعطف على الفعل فلابد ان يجعل معطوفا على المصدر
المتوهم المدلول عليه بالفعل المذكور قبلها والتقدير ياليت لنا ردا وانتفاء تكذيب
بايات ربنا وكونا من المؤمنين اى ليت لنا ردا مع هذين الشيئين فتكون هذه الاشياء
الثلاثة بقيد الاجتماع متمنى القوم وابن عامر اعتبر فى رفع ولانكذب مااعتبر من رفع
الفعلين جميعا واعتبر فى نصب ونكون مااعتبر من نصب الفعلين (قوله الاضراب
من ارادة الايمان) يعنى ان كلمة بل هنا ليست للانتقال من قصة الى اخرى بل هى
لابطال كلام الكفرة اى ليس الامر كما قالوه من انهم لو ردوا الى الدنيا لآمنوا
يعنى ان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان
بل لاجل خوفهم من العقاب الذى شاهدوه وعاينوه فانهم لما قالوا ياليتنا نكون
كذا فكأنهم قالوا ردنا لذلك فابطل الله تعالى هذا الكلام الضمنى لهم وهذا
يدل على ان الرغبة فى الايمان والطاعة لاتنفع الا اذا كانت تلك الرغبة رغبة
فيه لكونه ايمانا وطاعة واما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب
فغير مفيدة (قوله ماكانوا يخفون من نفاقهم) على ان يكون الضمير ان اعنى المجرور
والمرفوع فى قوله تعالى بل بدا لهم ماكانوا للمنافقين بناء على انهم هم الذين يخفون فى الدنيا
ما هم عليه بخلاف المشركين واهل الكتاب من اليهود والنصارى فانهم لايخفون
امرهم فى الدنيا حتى يقال فيهم بدا لهم يوم القيامة ما اخفوه فى الدنيا الا ان المراد بظهور
ما اخفوه لهم ظهور عقوبة ما اخفوه لهم لان المنافقين وان اخفوا نفاقهم عن الخلق
الا انه كان ظاهرا ومعلوما لهم فلاوجه لان يقال فى حقهم بل بدا لهم ما اخفوه

ونصبهما حمزة ويعقوب
وحفص على الجواب
باضمار ان بعد الواو اجرآء
لها مجرى الفاء وقرأ ابن
عامر برفع الاول على
العطف ونصب الثانى
على الجواب (بل بدا لهم
ماكانوا يخفون من قبل)
الاضراب عن ارادة الايمان
المفهوم من التمنى والمعنى انه
ظهر لهم ما كانوا يخفون
من نفاقهم او قبائح اعمالهم
فتمنوا ذلك ضجرا لاعزما
على انهم لو ردوا لآمنوا

(ولوردوا) اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من انفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا (ان هى الا حياتنا الدنيا) الضمير للحياة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه وعرفوه حق التعريف (قال أليس هذا بالحق) كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او ببدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له (بغتة) فجأة

وقوله او قبائح أعمالهم على ان يراد بالضميرين ماعدا المنافقين من المشركين واهل الكتاب فان المشركين يجحدون و يخفون شركهم فى بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر وكذا اهل الكتاب يخفون نبوة رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فبدا لهم وبال ذلك وعقوبته (قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فان قيل ان اهل القيامة قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا العقاب فمع هذه الاحوال كيف يمكن ان يقال انهم يعودون الى الكفر والمعصية اجيب بانه لاراد لما قضاه الله تعالى ولا مبدل لما حكم فمن جرى القضاء الازلى على شركه وغلبت عليه شقوته فلا جرم يصدر منه حكم ذلك القضاء ولا ينفعه العلم الضرورى اسوء عاقبة فعله الا ترى ان ابليس قد عاين ما عاين من آيات الله ثم عاند (قوله عطف على لعادوا) والحاصل ان قوله تعالى وقالوا اما داخل فى حيز لو فيكون معطوفا على ما ذكر بعده او كلام مستأنف غير داخل فى حيز لو وهو على الاول اما معطوف على لعادوا والمعنى انهم لو ردوا لكفروا ولقالوا اى ولأنكروا الحشر والنشر كما كانوا انكروه قبل معاينة القيامة او معطوف على انهم لكاذبون على معنى وانهم لكاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم او على نهوا اى لعادوا لما نهوا عنه ولما قالوا (قوله الضمير للحياة) فان من الضمائر ما يذكر مبهما ولا يعلم ما يرجع اليه الا بذكر ما بعده (قوله مجاز عن الحبس للسؤال) لتعذر حمل الكلام على ظاهره فان ظاهر الآية يدل على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف احدنا على الارض فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى وانه محال باطل بالاتفاق فوجب تأويله اما بأن يجعل استعارة تمثيلية بأن يشبه حبس الله تعالى اياهم للسؤال والتوبيخ بايقاف السيد عبده بين يديه ليعاتبه و يقال فيه ان السيد اوقف عبده عليه تشبيها للوقوف بين يديه بالوقوف عليه فكذا الكلام فى الآية او بأن يحمل الكلام على حذف المضاف مثل وقفوا على حكم ربهم او جزائه او بأن يجعل الوقوف بمعنى المعرفة كما يقول الرجل لغيره وقفت على كلامك اى عرفته وقد تمسك بعض المشبهة بهذه الآية على مذهبه بأن قال ظاهر الآية يدل على ان اهل القيامة يقفون عند ربهم بالقرب منه وانما يكون كذلك ان لو كان فى مكان تعالى عن ذلك علوا كبيرا وبهذه التأويلات سقط وجه التمسك (قوله فذوقوا العذاب) خص لفظ الذوق للاشارة الى ان ما يجدونه من العذاب فى كل حال هو ما يجده الذائق لكون ما يجدون بعده اشد من الاول (قوله غاية لكذبوا) والمعنى انهم كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا

والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واول زمان من ازمنة الآخرة
فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق عليه انه كذب الى ان ظهرت الساعة
بغتة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته (قوله
ونصبها على الحال) اى من فاعل جاء اى جاءتهم الساعة باغتة مفاجئة والبغت
والبغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور
بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة والوقت الذى تقوم فيه القيامة يفجأ
الناس فى ساعة لا يعلمها احد الا الله فلذلك سمى ساعة او لسرعة الحساب
فيها على البارى تعالى وقول الناس ياحسرتنا مجاز لان الحسرة لا يتأتى منها
الاقبال وانما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة وقالوا
ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك ومثله ياويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ
المنادى حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء وقوله على ما فرطنا متعلق
بالحسرة وما مصدرية اى على تفريطنا والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله
فانه تعالى لما بعث جوهر النفس الناطقة القدسية الى هذا العالم الجسمانى
اعطاها هذه الآلات الجسمانية والقوة العاقلة لتتوسل باستعمالها الى تحصيل
المعارف الحقية والاخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت والذين
انكروا البعث والقيامة لما استعملوا هذه الآلات والقوى العقلية والفكرية
فى تحصيل هذه اللذات الزائلة والشهوات المنقطعة ثم انتهوا الى آخر اعمارهم
احتاجوا الى ما يكتسب بتلك القوى والآلات من العقائد الحقة والاعمال
الصالحة حيث يجدون انفسهم خالية من جميع ذلك الربح ويجدون رأس المال
ايضا قد ضاع بالكلية فيتحقق عندهم انهم قد خسروا خسرانا مبينا ويتحسرون
على ذلك اشد التحسر بين الله تعالى بهذه الآية ان منكرى البعث والقيامة لهم
حالتان عظيمتان الاولى الخسران المبين والتحسر عليه والثانية حمل الاوزار
العظيمة والواو فى قوله وهم يحملون للحال وصاحب الحال الواو فى قالوا اى قالوا
ياحسرتنا فى حالة حملهم اوزارهم والاوزار جمع وزر كحمل واحمال والوزر فى الاصل
الثقل يقال وزرته اى حملته شيأ ثقيلا ومنه وزير الملك لانه يتحمل آصار ما قلده
الملك من مؤنة رعيته وحشمه (قوله تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام) اى
اثقالها يعنى ان الحمل من توابع الاعيان الكثيفة لا من عوارض المعانى والاعراض
فلا يوصف به العرض الا على سبيل التمثيل والتشبيه (قوله اى وما اعمالها)
حمل الكلام على حذف المضاف لان نفس هذه الحياة لا وجه لذمها لان
السعادات الاخروية لا تكتسب الا فيها بل متعلق الذمة ليس الا الاعمال
التى تقصد لان ينتفع بها فى هذه الحياة فان ما يبتغى به وجه الله تعالى من الطاعات

ونصبها على الحال
والمصدر فانها نوع من
المجئ (قالوا ياحسرتنا)
ى تعالى فهذا اوانك
(على ما فرطنا) قصرنا
فيها فى الحياة الدنيا
اضمرت وان لم يجر ذكرها
للعلم بها او فى الساعة يعنى
فى شأنها والايمان بها
(وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم) تمثيل
لاستحقاقهم آصار الآثام
(ألا ساء ما يزرون) بئس
شيأ يزرونه وزرهم (وما
الحياة الدنيا الا لعب ولهو)
اى وما اعمالها الا لعب
ولهو تلهى الناس وتشغلهم
عما يعقبه منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم
ان هى الا حياتنا الدنيا

وان كان يكتسب فى هذه الحياة الا انه لايقصد لان ينتفع به فيها فهو من هذا الوجه ليس من اعمال الحياة واللعب فعل لاحقيقة له ولا مقصد فيه واللهو مايشغل الانسان عما يعنيه و يهمه يقال لهوت بكذا و لهيت عن كذا اذا اشتغلت عنه بلهو شبه الاعمال المقصودة لاجل هذه الحياة بهما لان الانسان حال اشتغاله بهما وان كان يلتذ بظاهر فعله الا انه عند اطلاعه على حقيقة الحال لايقع الا فى الحسرة والندامة فكذا اعمال هذه الحياة لايترتب عليها الا الندامة ولما كان معظم غواية الجهال المنكرين للبعث حب الدنيا و الاغترار بزخارفها و الرغبة فى الالتذاذ بها نبه الله تعالى على خساستها و انعدام منفعتها و انه لا يميل الى الالتذاذ بطيباتها الا الجهال بحقائق الامور واما المحققون فيعلمون ان كل هذه الطيبات لا يزينها الا النفس الامارة و الطبيعة الشيطانية و ليس لها فى نفس الامر حقيقة معتبرة (قوله تعالى للذين يتقون) اى عن الكفر وكبائر المعصية تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو لانه لما خص خيرية الدار الآخرة بمن يعمل اعمال المتقين لزم منه ان ماليس من اعمال المتقين لا يؤدى الى سعادة الآخرة فيكون من اعمال الدنيا و قد تقدم ان اعمال الدنيا لعب ولهو ولزم منه ان مالايكون من اعمال المتقين لعب ولهو قرأ الجمهور وللدار الآخرة بلامين الاولى لام الابتداء و الثانية لام التعريف فيكون لفظ الآخرة مرفوعا على انه صفة للدار وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وهى لام الابتداء وبجر الآخرة بالاضافة و البصريون يؤولون كل مايتوهم كونه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع و بقلة الحمقاء بحمل الكلام على حذف الموصوف و اقامة الصفة مقامه و يزعمون ان الموصوف و الصفة متحدان بحسب الصدق فاضافة الموصوف اليها تستلزم اضافة الشئ الى نفسه ويقولون تقدير الآية على قرآءة ابن عامر ولدار الساعة الآخرة او ولدار الحياة الآخرة ومثله مسجد المكان الجامع وصلاة الساعة الاولى ومكان الجانب الغربى وذهب الكوفيون الى انه اذا اختلف لفظ الصفة والموصوف جازت اضافته اليها وخير يجوز ان يكون للتفضيل وحذف المفضل عليه للعلم به اى خير من الحياة الدنيا و يجوز ان يكون لمجرد الوصف بالخيرية كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واللام فى للذين للبيان كما فى هيت لك (قوله معنى قد زيادة الفعل وكثرته) يعنى ان قد للتقليل وتجيء للتكثير ايضا كما فى الآية للمناسبة بين الضدين كما ان رب للتقليل وقد تجيء للتكثير كما فى قوله

قد اترك القرن مصفرا انامله ❊ كأن اثوابه مجت بفرصاد

فان تمس مهجور الفناء فربما ❊ اقام به بعد الوفود وفود

ومما تجيء فيه للتكثير قول الشاعر

(ولا الدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب و لهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة (أفلا يعقلون) اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم و يعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به اوتغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله

والهاء فى انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن (فانهم لا يكذبونك) فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون بآيات الله او يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم ﴿ ٣٨ ﴾ او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى أتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز (وهذا ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا

اخى ثقة لا يتلف الخمر ماله ❊ ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه اذا ما جئته متهللا ❊ كأنك تعطيه الذى انت سائله

يريد ان جوده ذاتى ليس مما يحدث بالسكر وينتقص بالصحو (قوله والهاء فى انه للشأن) والجملة بعده خبره مفسرة له وقوله انه ليحزنك ساد مسد المفعولين فانها معلقة عن العمل وكسرت ان لدخول اللام فى خبرها وقوله الذى يقولون فاعل يحزن وعائده محذوف اى الذى يقولونه من نسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى ما لا يليق به مثل قولهم انه ساحر كذاب مفتر على الله (قوله فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة) اى وانما يكذبون الله اشار به الى دفع ما يتوهم من التناقض بين قوله فانهم لا يكذبونك وبين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فان المراد بالآيات هو المعجزات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وجحودها تكذيب له عليه الصلاة والسلام فيلزم انهم لا يكذبونه ويكذبونه وهذا تناقض ظاهر فأشار المصنف الى وجه الجمع بينهما بأن التكذيب المنفى عنه عليه الصلاة والسلام هو ان يكون التكذيب المتعلق به ظاهرا راجعا اليه فى الحقيقة وليس كذلك بل هو راجع اليه تعالى من حيث انه تعالى صدقه بخلق المعجزات على يده فمن كذبه فقد كذب الله تعالى والتكذيب المثبت هو ما تعلق به فى الظاهر (قوله او يكذبونها) يعنى ان الجحود اما على معناه وهو الانكار مع العلم او بمعنى التكذيب بقرينة ذكره فى مقابلة لا يكذبونك (قوله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم) على تكذيب قومه اياه فانه تعالى لما ازال الحزن عن قلبه عليه الصلاة والسلام فى الآية الاولى بأن بين ان تكذيبهم يجرى مجرى تكذيب الله تعالى ذكر فى هذه الآية طريقا آخر فى ازالة الحزن عن قلبه بأن بين ان سائر الامم عاملوا انبياءهم بمثل هذه المعاملة وان اولئك صبروا على تكذيبهم حتى آتاهم الله النصر والظفر والفتح فوجب ان يقتدى بهم فى سلوك هذه الطريقة وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا متعلق بقوله فصبروا اى كان غاية صبرهم نصر الله اياهم والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة او باهلاك الاعداء روى ان بعض المشركين أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فانا نصدق بك وأبى الله ان يأتيهم بها فاعرضوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشق ذلك عليه فنزل قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية

ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لوشاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلاتكونن من الجاهلية) بالحرص على مالايكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله اوألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لايسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حيث لاينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزآء (وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه) اى اية مما اقترحوه اوآية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على ان ينزل اية) مما اقترحوه اوآية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل اوآية ان جحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لايعلمون) أن الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره اوقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولاطائر) وقرئ طائر بالرفع على المحل (يطير بجناحيه) فى الهوآء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها (الاامم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ)

وهذا الشرط جوابه الشرطية الثانية وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فان استطعت ان تبتغى فافعل والنفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع فان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك القعر الى وجه الارض من جانب آخر والمقصود من هذا الكلام ان يقطع الرسول عليه الصلاة والسلام طمعه من ايمانهم وان لايتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان واقبالهم على الكفر كذا فى الكبير وماذكره المصنف اولى (قوله ولكن لم تتعلق به مشيئته) وذلك لان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء ولايجرى فى ملكه الامايشاء من الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قدرة العبد لكونها صالحة للضدين غير كافية فى رجحان احد الطرفين فلا بد من داعية ترجح احد المقدورين على الآخر وحصول تلك الداعية ليس من العبد والاوقع التسلسل فثبت ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى وان مجموع الداعية مع القدرة يوجب الفعل ولزم منه ان يكون خالق مجموع تلك القدرة مع الداعية المستلزمة للكفر مثلا مريدا لذلك الكفر غير مريد للايمان فتطابق البرهان مع ظاهر القرآن والمعتزلة لما ذهبوا الى انه تعالى لايريد من المكلف الا الايمان والطاعة قالوا معنى الاية لوشاء الله ان يلجئهم الى الايمان لجمعهم عليه بأن يعلمهم انهم لوحاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيمتنعون من فعل شئ غير الايمان اضطرارا لكنه تعالى ترك ذلك الالجاء لكونه منافيا لما هو المقصود من التكليف وهو ان يتميز المطيع من العاصى ومن يعبد الله ممن يعبد هواه وان يجازى كل احد بما يختار لنفسه ومايقع بطريق الالجاء والاضطرار لاعبرة به فى امر الاثابة والتعذيب فلذلك لم يجمعهم على الايمان بطريق الالجاء (قوله انما يجيب الذين) فسر الاستجابة بالاجابة وقيل الفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعى اليه وليس كذلك يجيب لان المجيب قد يجيب بالمخالفة كما اذا قلت لغيرك أتوافقنى فى هذا الامر ام تخالف فيقول المجيب أخالف والمعنى لاتحرص على هدى من ختم الله على قلبه وسمعه وبصره فانهم كالموتى من حيث عدم انتفاعهم بالحياة وبالقوى المعدة فى الاحياء لاستكمال النفس فلايسمعون دعوتك اياهم الى الحق حتى يجيبوها وانما يستجيب الذين وفقهم الله تعالى لاتباع الحجة والبرهان واما المنهمكون فى اتباع الشهوات وتقليد الآباء والامهات فانهم كالموتى فلايبعثون من موت الجهالة قبل يوم البعث والنشور فانهم وان انتبهوا عن موت الجهالة وموت الغفلة الاان الانتباه يومئذ لاينفعهم لان ذلك اليوم يوم الجزآء لايوم الكسب (قوله اى آية مما اقترحوه اوآية

اخرى) قيد الآية التى طلبوا انزالها بكونها مما اقترحوه او بكونها مغايرة لما انزل من الآيات المتكاثرة دفعا لما قال بعض الملاحدة الطاعنين فى النبوة من ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوكان قد اتى بآية اومعجزة لما صح ان يقول اولئك الكفرة لولا نزل عليه آية فانه يشعر انه لم ينزل عليه آية ما ولما قال الله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية فانه يشعر بانه تعالى سلم ما اشعر به كلامهم من انه تعالى لم ينزل عليه آية اصلا وادعى ان انزالها مقدور له ولكن لم يقع لعدم تعلق المشيئة به فلم يكن منه عليه الصلاة والسلام الا مجرد انه ادعى الرسالة والرسالة لا تثبت بمجرد الادعاء فأجاب عن الاول بأن مرادهم لولا انزل عليه آية اقترحناها اوآية غيرها اظهرها بناء على عدم اعتدادهم بالآيات الظاهرة عنادا وعن الثانى بأن المراد بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية انه قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه اوآية تضطرهم الى الايمان اوآية معقبة للهلاك ان جحدوها وعدم انزال مثل هذه الآية لايستلزم عدم انزال الآية مطلقا غاية مافى الباب ان القوم جحدوها عنادا (قوله يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم) قال عليه الصلاة والسلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة اوالقرآن ❁ ولما ورد ان يقال ليس فى القرآن تفاصيل علم الطب وعلم الحساب ولا تفاصيل كثير من المباحث والعلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم المذكورة فى علم الاصول والفروع اشار الى جوابه بقوله فانه قد دون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا اى دون فيه بعض ذلك مفصلا وبعضه مجملا يعنى ان قوله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ وان كان عاما الا ان المراد به الخاص والمعنى مافرطنا فيه من شئ يحتاج اليه المكلفون فى امر الدين بناء على ان لفظ التفريط لايستعمل الا فى ترك مايحتاج اليه ولاينسب احد الى التفريط والتقصير فى ان لايفصل مالاحاجة له اليه وعلم الاصول بتمامه موجود فى القرآن لان الدلائل الاصلية مذكورة فيه على ابلغ الوجوه واما روايات المذاهب وتفاصيل الاقاويل فلا حاجة اليها واما تفاصيل علم الفروع فالعلماء قالوا ان القرآن دل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة فى الشريعة وكل مادل عليه احد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك فى الحقيقة موجودا فى القرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وروى ان ابن مسعود كان يقول مالى لا ألعن من لعنه الله فى كتابه يعنى الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة وروى ان امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت يا ابن ام عبد الله تلوت البارحة مابين الدفتين فلم اجد فيه لعن الله الواشمة فقال لوتلوته لوجدته قال تعالى

يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولاجماد اوالقرآن فانه قد دون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا ومجملا ومن مزيدة

شي في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرى مافرطنا بالتخفيف

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وممـا أتانا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وروى ان الامام الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لاتسألوني عن شيء الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ماتقول في المحرم اذا قتل الزنبور فقال لاشيء عليه فقال اين هذا في كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ثم ذكر اسنادا الى عمر رضي الله تعالى عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور فأجابه بكتاب الله تعالى مستنبطا منه بثلاث درجات وبالجملة ان القرءآن لما دل ان الاجماع حجة وان خبر الواحد حجة وان القياس حجة فكل حكم ثبت من طريق من هذه الطرق الثلاثة كان في الحقيقة ثابتا بالقرءآن فعند هذا يصح قوله تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء (قوله وشيء في موضع المصدر) اي مافرطنا فيه تفريطا اوشيأ من التفريط كما في قوله لايضركم كيدهم شيأ (قوله ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر) اي انهم غافلون عن هذه الدلائل حال كونهم مستقرين في الظلمات فيتعلق بمحذوف (قوله والكاف حرف خطاب) اي ليس باسم حتى يكون في محل النصب على انه مفعول رأيت بل هو حرف اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد وأرأيت ههنا بمعنى اخبرني وان كان بمعنى أبصرت اوأعلمت يكون تاء الخطاب مطابقا لما قصد به في الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث تقول ارأيت ارأيتما ارأيتم ارأيت الخ ولايجوز ان يلحقها كاف على انه حرف خطاب بل ان لحقها الكاف كان اسما منصوب المحل على انه مفعول اول ويكون مطابقا لما يراد به تقول ارأيتك ارأيتما كما ارأيتموكم ارأيتك بكسر التاء والكاف ارأيتكن بنونين مشددتين وان كان بمعنى اخبرني فحينئذ تثبت له احكام مختصة به منها انه لايلحقه تعليق ولا الغاء لان اخبرني لايلحقه شيء منهما عند الجمهور ومنها انه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء وذلك الكاف يطابق مايراد به من الافراد والتذكير وضديهما والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا لان هذا الكاف انما لحق الفعل ليدل على احوال فاعله فيجب ان يبقى الفاعل على حالة واحدة نحو ارأيتك ارأيتكما ارأيتكم ارأيتك بفتح التاء وكسر الكاف ارأيتكن وهذا عند البصريين واما عند الكوفيين فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف بل هو اسم منصوب المحل على المفعولية كما ان التاء اسم مرفوع المحل على الفاعلية فيطابق كل واحد منهما ماقصد فيقال ارأيتك ارأيتما كما ارأيتموكم اذا كان ارأيت بصرية او علمية ولما لم يكن الكاف اسما عند البصريين لم يكن له محل من الاعراب لان هذا الفعل يتعدى

(ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لاينطقون بالحق (في الظلمات) خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر اوفي ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم) بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل ارأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لامحل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ماشأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولازم في الآية ان يقال ارأيتموكم

الى مفعولين كقولك ارأيت زيدا مافعل فلوجعلت الكاف معربا منصوب المحل لكان ثالثا ولكان معنى قولك ارأيتك زيد اما شأنه ارأيت نفسك زيد اما صنع لان الكاف عبارة عن المخاطب وهذا معنى باطل ولان الكاف لو كان منصوبا على المفعولية لوجب ان تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث فى التاء فتقول ارأيتما كما رأيتموكم ارأيتن كن (قوله بل الفعل معلق) لانه فى الاصل من افعال القلوب التى تعلق بحرف الاستفهام فلايتعدى الى المفعول وان اعتبر كونه بمعنى اخبرنى لايلحقه التعليق فيقدر له مفعول والتقدير ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذتدعونها اواتخاذكم غيرالله آلهة هل يكشف ضركم ونحو ذلك فقوله آلهتكم او اتخاذكم مفعول اول وما بعده مفعول ثان حذفا للعلم بهما والجملة الاستفهامية سادة مسد الثانى وهى قوله أغيرالله تدعون فانه يدل على المفعول الثانى وهو قول المصنف ويدل عليه اغيرالله تدعون والتاء هى الفاعل والكاف حرف خطاب جئ بها لتدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوهما والاستفهام فيها للتبكيت والجائهم الى الاقرار بانهم ان أتاهم عذاب الله فى الدنيا اوأتاهم العذاب عند قيام الساعة لايرجعون فى دفعه الا الى الله تعالى لا الى الاصنام والاوثان ولذلك قال بل اياه تدعون وبل فيه حرف اضراب وانتقال الى قصة اخرى لالابطال ماتقدم لما تقرر من انها لاتكون فى كلام الله تعالى الا كذلك وقد صرح بأن جواب قوله ان كنتم صادقين محذوف اى فادعوه ولم يتعرض لجواب قوله ان أتاكم لكن فهم من كلامه انه محذوف ايضا دل عليه متعلق الاستخبار وهو مفعول ارأيتكم حيث قال تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم ان أتاكم عذاب الله ولايصلح قوله اغيرالله لان يكون جوابا له لان الجملة المصدرة بهمزة الاستفهام لاتقع جوابا للشرط ولا قوله ارأيتكم لكونه مصدرا بالهمزة ولان جواب الشرط لايتقدم عليه عند البصريين وانما جوزه الكوفيون وبعض آخر من النحاة (قوله ولا يشاء فى الآخرة) دفع لما يتوهم من قوله فيكشف ذلك العذاب ان شاء ان العذاب ربما يكشف عن المشركين فى الآخرة وليس كذلك لانه تعالى لايغفر ان يشرك به (قوله وتتركون آلهتكم) اى دعاء آلهتكم لانه معطوف على قوله بل اياه تدعون يريد ان النسيان ليس بمعنى الغفلة بل المعنى انهم يتركون دعاءهم مع كونهم ذاكرين لها او هو مجاز عن الترك وان جاز ان يكون حقيقة وان كلمة ما فى ماتشركون موصولة والعائد محذوف اى ماتشركونه مع الله فى العبادة وان جاز ان تكون مصدرية اى تنسون الاشراك نفسه اوتنسون المشرك به من الاصنام وغيرها على ان يكون المصدر بمعنى المفعول

بل الفعل معلق اوالمفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذتدعونها وقرأنافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا (ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (اوأتتكم الساعة) وهولها ويدل عليه (أغيرالله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ماتدعون اليه) اى ماتدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولايشاء فى الآخرة (وتنسون ماتشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره اوتنسونه من شدة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اى قبلك ومن زائدة (فأخذناهم)

اى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿٣٣﴾ (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون الينا ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) اعجبوا (بما اوتوا) من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام

(أخذناهم بغتة (ه) فاذا هم مبلسون) متحيرون (رابع) آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا)

فقول المصنف آلهتكم يحتمل ان يكون مبنيا على هذا الاحتمال (قوله اى فكفروا وكذبوا) يعنى ان الفاء فى قوله فأخذناهم فصيحة تفصح ان الكلام مبنى على اعتبار الحذف (قوله يتذللون لنا) اشارة الى ان التضرع تفعل من الضراعة وهى الذلة والخشوع المنبيء على الانقياد والطاعة وترك التمرد والعناد يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع اى ذليل ضعيف (قوله معناه نفى تضرعهم الخ) اى لما تقرر من ان حرف التحضيض مع الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل (قوله استدراك على المعنى) فانه لما كان معنى جملة التحضيض ما تضرعوا صح ان يستدرك عنها بقوله ولكن كأنه قيل لما جاءهم بأسنا لم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم وانما احتيج الى هذا التأويل لان قوله ولكن قست قلوبهم جملة خبرية معطوفة على قوله لولا تضرعوا وهى انشائية ولا يصح عطف احداهما على الاخرى لكمال الانقطاع (قوله مراوحة عليهم) المراوحة فى العملين ان يعمل هذا مرة وهذا مرة فانه تعالى اخذهم اولا بالبأساء والضراء لكى يتضرعوا ثم انهم لما لم يتعظوا بذلك نقلهم الله تعالى من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء فلم ينتفعوا به ايضا وهذا كما يفعله الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا للصلاحة والزاما للحجة وازاحة للعلة وفى الوسيط هذا الفتح فتح استدراج ومكر ثم نقل عن الحسن من وسع عليه فلم يرانه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم يرانه ينظر اليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقوله عليه الصلاة والسلام مكر بالقوم ورب الكعبة اى اعطوا حاجتهم ثم اخذوا وروى عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به الى آخر الآيتين الى هنا كلام الوسيط (قوله وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد) لان التفعيل مؤذن بالتكثير وما بعده ههنا ابواب فناسب التكثير (قوله اعجبوا) اى صاروا معجبين بحالهم وهو اشارة الى ان المراد بالفرح ههنا فرح البطر كفرح قارون بما اصابه من الدنيا واذا فى قوله تعالى فاذا هم مبلسون للمفاجأة وهى ظرف مكان عند سيبويه وظرف زمان عند جماعة وذهب الكوفيون الى انها حرف وناصبها على تقدير كونها ظرفا خبر المبتدأ اى ابلسوا فى مكان اقامتهم او فى زمانها والابلاس فى اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ويكون بمعنى انقطاع الحجة ويكون بمعنى الحيرة قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين وقال الفراء المبلس الذى انقطع رجاؤه وقال اهل المعانى وانما اخذوا فى الراحة والرخاء ليكون اشد

لحسرهم على مافاتهم من حال السلامة والعاقبة (قوله اى آخرهم) الذى يتبعهم فان الدابر التابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم وقال ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذى يدبرهم وقال الاصمعى الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اى اذهب الله اصله (قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم الآية) المفعول الاول محذوف تقديره ارأيتم سمعكم وابصاركم ان اخذها الله والجملة الاستفهامية فى موضع الثانى كأنه قيل ان اخذها الله يأتيكم بها آلهتكم وهو احتجاج آخر على المشركين والمعنى ارأيتم ايها المشركون ان اذهب الله وانتزع منكم اشرف اعضائكم الذى هو محل القوة السامعة والباصرة ومحل الحياة والعقل والعلم وهى النعم التى يبطل بزوالها مصالح الدنيا والدين هل من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى فهو المستحق للعبادة والتعظيم (قوله اى بذلك او بما اخذ وختم عليه) يعنى افرد ضميره به مع كونه راجعا الى جميع المذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة اولتأويل تلك المذكورات بالذى اخذ وختم عليه اوبأحدها لا على التعيين (قوله نكررها تارة كذا وتارة كذا وتارة كذا) اشارة الى ان المراد من تصريف الآيات الدالة على التوحيد والنبوة بيانها وايرادها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوى ما قبله فى الايصال الى المطلوب ثم استبعد اعراض المشركين عن التأمل فيها مع هذه المبالغة فى تفهيمها وتقريرها وكشفها وايضاحها وعجب رسوله منه فقال ثم هم اى ثم انظر يا محمد كيف هم يصدفون وكيف فى قوله تعالى انظر كيف نصرف معمول لنصرف ونصبها اما على التشبيه بالحال او التشبيه بالظرف وهى معلقة لانظر (قوله من غير مقدمة) لما كان العذاب الذى يأتى فجأة من غير سبق علامة تؤذن بحلوله فى معنى الخفية حسن ان يذكر جهرة فى مقابلة قوله بغتة فان الذى يتقدمه امارة حلوله بمنزلة الجهر بالنسبة الى ما لا يتقدمه الامارة والاظهر ان المقابل للجهرة هو الخفية لا البغتة لما بين بالآية الاولى تفرده تعالى بافاضة ما هو اجل النعم واقرب الوسائل الى تحصيل الكمالات الانسانية وهو السمع والبصر والقلب بين بهذه الآية تفرده تعالى بدفع جميع انواع العذاب والمعنى انه لا دافع لشئ من انواع العذاب ولا مفيض لخير من الخيرات الا الله تعالى فوجب ان يكون منفردا بكونه معبودا وان لا يعبد شئ سواه (قوله وقيل ليلا او نهارا) لم يرتض المصنف بهذا التفسير لانه لو جاءهم ذلك العذاب ليلا وقد عاينوا امارة قدومه لم يكن بغتة ولو جاءهم نهارا وهم لا يشعرون بقدومه لم يكن جهرة (قوله ما يهلك به) جعل الاستفهام بمعنى النفى لان عدم ذكر المستثنى منه انما يصح

اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها (قل ارأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم) اصمكم واعماكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او بأحد هذه المذكورات (انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل ارأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (او جهرة) بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة (هل يهلك) اى ما يهلك به

(اذا كان)

اذا كان الكلام غير موجب ولا يصح فى الموجب لعدم صحة المعنى نحو جاء نى الا زيد فههنا لما لم يذكر المستثنى منه دل ذلك على ان الاستفهام بمعنى النفى وهذه الجملة الاستفهامية فى موضع المفعول الثانى لأرأيتكم والاول محذوف والمعنى اخبرونى عذاب الله ان أتاكم هل يهلك المحق (قوله هلاك سخط وتعذيب) جواب لما يقال العذاب اذا نزل لا يميز بين الظالمين وغيرهم فكيف خص الهلاك بهم وتقرير الجواب ان الهلاك وان عم الابرار والاشرار الا ان هلاك الاشرار انما هو لاجل سخط الله وارادة تعذيبهم به بخلاف الابرار فانه ليس هلاك سخط وتعذيب بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم مثوبات عظيمة ودرجات رفيعة عند الله فالهلاك فى الحقيقة مختص بالظالمين فانه اذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معا (قوله ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم) من قولهم تلهى بفلان اذا سخر منه ولعب به وهو اشارة الى ان قوله تعالى الا مبشرين ومنذرين وان كان حالا من المرسلين الا ان فى هذه الحال معنى العلية اى لم نرسلهم لان يقترح عليهم الآيات بل لان يبشروا وينذروا ولا قدرة لهم على اظهار الآيات والمعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى ثم ذكر ثواب من صدق بهم وآمن فقال فمن آمن واصلح الآية وهذه الآية مثل ما قبلها متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه وقد اجيب عنه بوجوه وهذه الآية جواب آخر عنه بانهم انما بعثوا للدعوة الى الحق بالانذار والتبشير لا ليقترح عليهم ويلعب بهم (قوله جعل العذاب ماسا لهم) جواب عما يقال المس لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد والاختيار حقه ان يسند الى الاحياء فكيف اسند الى العذاب وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه العذاب بالحى تشبيها مضمرا فى النفس ودل عليه باثبات شئ من لوازم المشبه به له وهو اسناد المس اليه كما فى قولك انشبت المنية اظفارها (قوله واستغنى بتعريفه عن التوصيف) يعنى ان العذاب المتفرع على تكذيب آيات الله هو العذاب الشديد الهائل لا مطلق العذاب فكان مقتضى الظاهر ان يوصف بما يدل على الشدة والفظاعة الا انه لما ذكر معرفا بلام العهد الخارجى استغنى عن تعريفه (قوله بسبب خروجهم عن التصديق) خص الفسق بالخروج عن التصديق نظرا الى وجود المخصص وهو كون الكلام فى الذين كفروا وكذبوا بآيات الله فمن لم يكن مكذبا بآيات الله لا يتحقق هذا الوعيد فسقط بهذا التأويل ما قيل من انه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فاقتضى ان يكون كل فاسق كذلك (قوله مقدوراته) على ان الخزائن جمع خزينة بمعنى مخزونة وقوله اوخزائن رزقه على ان يكون جمع خزانة وهو اسم المكان

هلاك سخط وتعذيب (الا القوم الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن واصلح) ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولاهم يحزنون) بفوت الثواب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله) مقدوراته اوخزائن رزقه (ولا اعلم الغيب) ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا اقول لكم انى ملك) اى من جنس الملائكة اواقدر على ما يقدرون عليه (ان اتبع الا ما يوحى الى)

الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لاتناوله الايدى وهو من باب ضرب وهذه الآية متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه ومن بقية جوابه فانهم كانوا يقترحون مابدالهم مثل ان يقولوا ان كنت رسولا من عندالله فاطلب من الله تعالى حتى يوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها فأمرالله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم لا اقول لكم عندى خزآئن الله وايضا كانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله فلابد وان تخبرنا بما سيقع لنا فى المستقبل من المصالح والمضار حتى نستعد لتحصيل تلك المصالح ولدفع تلك المضار فأمره بأن يقول ولا اعلم الغيب فكيف تطلبون منى هذه المطالب وايضا انهم كانوا يقولون ماله‌ذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء ويخالط الناس فقال الله تعالى قل لهم انى لست من الملائكة ولكنى بشر رسول لا ادعى الا الرسالة والنبوة وليس شانى الا تبليغ مااوحى الى والامور التى تطلبونها لا يمكن تحصيلها الا بقدرة الله تعالى فكيف تطلبونها منى وقد تعلمون ان قدرة البشر لاتفى بتحصيلها وما ادعيه من الرسالة منصب لايمتنع حصوله للبشر فكيف اطبقتم على انكار قولى ودفع دعواى (قوله تبرأ من دعوى الالوهية والملكية) بناء على ان يكون المراد من قوله لا اقول لكم عندى خزآئن الله أنى لاادعى كونى موصوفا بالقدرة اللائقة بالاله تعالى ومن قوله ولا اعلم الغيب انى لا ادعى كونى موصوفا بعلم الله تعالى وحصل بمجموع الكلامين انه لايدعى الالهية وقوله ولا اقول لكم انى ملك صريح فى انه لايدعى الملكية فصار حاصل الكلام انى لاادعى الالوهية ولا ادعى الملكية ولكن ادعى الرسالة التى يمكن حصولها لنوع البشر فكيف تستبعدون ماادعيه وظاهر هذه الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام لايعمل الا بالوحى وانه لم يكن يحكم من تلقاء نفسه فى شئ من الاحكام وانه ماكان يجتهد ويحكم بالقياس ويؤكد ذلك قوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى فلذلك استدل من نفى القياس بهذا النص فانه تعالى امره ان يقول ان أتبع الامايوحى الى ثم امرنا باتباعه حيث قال فاتبعوه فثبت به انه عليه الصلاة والسلام ماكان يعمل الابالوحى النازل فوجب ان لايجوز لاحد من امته ان يعمل الابالوحى النازل عليه وذلك ينفى جواز العمل بالقياس ثم اكد الله تعالى ذلك بقوله قل هل يستوى الاعمى والبصير وذلك لان العمل بغيرالوحى يجرى مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحى يجرى مجرى عمل البصير وذكر فى بعض كتب الاصول ان الوحى نوعان ظاهر وباطن فالظاهر ثلاثة الاول ماثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل والثانى ماثبت عنده باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة السلام ان روح القدس نفث

تبرأ من دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى اوالجاهل والعالم

اومدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (أفلا تتفكرون) فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه (وأنذر به) الضمير لما يوحى الي (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون ﴿٣٧﴾ للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال (لعلهم يتقون) لكي يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك

في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ما تبدى لقلبه اي ظهر لقلبه بلا شبهة بالهام من الله تعالى بأن اراه الله بنور من عنده انه من عند الله كما قال تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله والباطن ما ينال بالاجتهاد وبالتأمل في الاحكام المنصوص عليها وجعل اجتهاده عليه الصلاة والسلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه الصلاة والسلام على اجتهاده يدل على انه هو الحق كما اذا ثبت بالوحي ابتداء وابى الاشعرية واكثر المعتزلة والمتكلمين ان حكمه عليه الصلاة والسلام بالاجتهاد (قوله مثل للضال والمهتدي) فانه عليه الصلاة والسلام لما وصف نفسه بكونه متبعا للوحي الالهي لزم منه ان يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال ولزم منه ايضا ان يصف نفسه بانه عالم حيث علمه الله بالوحي ويصف من لم يتبع الوحي بالجهل حيث لم يقبلوا الوحي فأمره الله تعالى ان يقول للمعاندين هل يستوي الضال والمهتدي او هل يستوي العالم والجاهل وعلى التقديرين يكون قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير متعلقا بقوله ان أتبع الا ما يوحى الي (قوله او مدعي المستحيل والمستقيم) فان الاول كالاعمى حيث يخبط خبط عشواء ولا يميز بين المستحيل والمستقيم ومدعي المستقيم كالبصير حيث يمشي على بصيرة وتمييز بين ما يكون وما لا يكون أفلا تتفكرون فتهتدوا باتباع الوحي والعمل بمقتضاه او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل فان منشأ استبعادكم دعواي انما هو عدم التمييز بينهما فعلى هذا يتعلق قوله افلا تتفكرون بقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وعلى قوله او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه يكون متعلقا بقوله ان أتبع الا ما يوحى الي كأنه قيل أفلا تتفكرون فتعلموا وجوب اتباعي لاني لا اتبع الا ما يوحى الي (قوله في موضع الحال من يحشروا) ان كان المراد من الذين يخافون الكفار فالكلام ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع واما ان كان المراد بهم المسلمين فقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ينافي مذهب اهل السنة في اثبات الشفاعة للمؤمنين فلا بد ان يقال شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين انما تكون باذن الله تعالى فكانت الشفاعة في الحقيقة من الله (قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) كلمة من في قوله من شيء زائدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادهما على النفي ومن حسابك من حسابهم صفة

لشيء ثم قدمت فصارت حالا وانما قدم في الجملة الاولى عليك وفي الثانية من حسابك
لانهما المتعلقان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الجملتين فذكرهما اهم
والاهم اقدم ولما لم يقتصر المشركون في طعن فقراء المسلمين على وصفهم بكونهم
موالي ومساكين بل طعنوا في ايمانهم ايضا حيث قالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا
عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا اي بهذا السبب والا فهم
عارون عن دينك وعن الايمان بك فلو طردتهم عن مجالسك اولم تطردهم واقمتهم عنا
اذا جئناك لاتبعناك فرضي عليه الصلاة والسلام بالثاني طمعا في ايمانهم حتى صار
الفقراء بذلك في مظنة الطرد فنهاه الله تعالى وقال ما عليك من حسابهم من شيء
اي ليس لك الا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن
غير مرضي كما يقوله المشركون فضرة حساب ايمانهم لاترجع الا اليهم لا اليك لان
المضرة المترتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها والمقصود منه دفع
طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على تربية الفقراء وادنائهم
وان اريد بالحساب حساب الرزق يكون المعنى لايجب على النبي ولا على احد من امته
حساب رزق صاحبه انما على النبي التبليغ وعلى الامة القبول والطاعة وهذا
على تقدير ان يكون ضمير حسابهم وعليهم للذين يدعون ربهم واما ان كان
الضمير للمشركين يكون المعنى لاتؤاخذ انت بالعقوبة المترتبة على حسابهم ولا هم بحسابك
وانما تؤاخذ كل نفس بعملها ولا تزر وازرة وزر اخرى (قوله وهو جواب
النفي) نحو ما تأتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على ان يكون معنى انتفاء
التحديث لانتفاء سببه الذي هو الاتيان والآية الكريمة من هذا القبيل فانه
لو كان مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببا لابعاد من يتوهم الوهن
في ايمانه فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذي هو الطرد (قوله
على وجه التسبب) اي تسبب كونه ظالما عن طردهم لا عن كون حسابهم عليه
حتى يلزم صحة كونه جوابا للنفي فان كونه ظالما مسبب عنه وفي الحواشي السعدية
على الكشاف ان قوله على وجه التسبب دفع لما يتوهم من انه لوجعل عطفا
على جواب النفي لصح ان يقع جوابا للنفي وليس كذلك اذ لا معنى لقولك
ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين انتهى يعني ان عطفه على
فتطردهم يتصور على وجهين احدهما ان يعطف عليه مع اعتبار
كون الطرد متوقفا على النفي ومنتفيا بانتفائه اي مع اعتبار كونه جوابا للنفي
فعطفه عليه بهذا الاعتبار يستلزم ان يصح كونه معطوفا على فتطردهم
باعتبار كونه جوابا للنفي والوجه الثاني كونه معطوفا مرتبا على نفس الطرد
من غير اعتبار كونه متوقفا على النفي ومنتفيا بانتفائه وعطفه عليه بهذا الاعتبار

(لايستلزم)

اعتبار بواطنهم واخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين
فان كان لهم باطن غير
مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم
عليهم لا يتعداهم اليك كما
ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم وقيل ما عليك من
حساب رزقهم اي من
فقرهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى لاتؤاخذ
بحسابهم ولاهم بحسابك
حتى يهمك ايمانهم بحيث
تطرد المؤمنين طمعا فيه
(فتطردهم) فتبعدهم
وهو جواب النفي (فتكون
من الظالمين) جواب
النهي ويجوز عطفه على
فتطردهم على وجه
التسبب وفيه نظر

لايستلزم ان يصح كونه جوابا للنفى حتى يقال لامعنى لكونه جوابا للنفى فلامعنى لحمل الكلام على ما يستلزم كونه جوابا له فثبت جواز عطفه على فتطردهم من غير لزوم المحذور وهو ان يكون المعنى ماعليك من حسابهم شئ فتكون من الظالمين هذا نهاية توجيه كلام المجوز ولعل وجه كلام المصنف ان جعله منصوبا بالعطف على الجواب يجب ان يكون على الوجه الاول لان المعطوف على ماله حظ من الاعراب انما يعطف عليه اذا قصد تشريك المعطوف فى حكم اعراب المعطوف عليه من كونه فاعلا او مفعولا اوخبرا او حالا او صفة اوغير ذلك وقوله فتطردهم فى الآية معرب منصوب على جواب النفى فيجب ان يفيد العطف عليه كون المعطوف مشاركا له فى حكم اعرابه وهو كونه على جواب النفى وقد ظهر انه لامعنى لكونه جواب النفى فلاوجه لتجويز كونه معطوفا عليه لان مستلزم المحال محال اللهم الا ان يحمل الكلام على المبالغة فى النهى عن الطرد اى لوطردتهم على تقدير ان يكون حسابهم عليك كنت ظالما فكيف اذا لم يكن حسابهم عليك فهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله ومثل ذلك الفتن) اشارة الى الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى فتنا بعض الناس ببعض فى امر الدين فتنا مثل ذلك الفتن والابتلاء الواقع باختلاف احوال الناس فى امور الدنيا كالفقر والغنى والرياسة والهوان وجعل ذلك اشارة الى الفتن المدلول عليه بقوله فتنا (قوله اوللتعليل) اى لانها لام كى ولما ورد ان يقال ان معنى فتناهم ابتليناهم فكيف جعل الابتلاء سببا لان يقولوا ذلك القول اجاب عنه بأن فتنا متضمن معنى خذلنا وخذلانهم سبب لا فتنانهم وهو سبب لذلك القول ومعنى هذه الفتنة ان كل واحد من الفريقين مبتلى بصاحبه فرؤساء الكفار الاغنياء كانوا يحسدون فقرآء الصحابة على كونهم سابقين الى الاسلام مسارعين الى قبوله فقالوا لودخلنا فى الاسلام اوجب علينا ان ننقاد لهؤلاء الفقرآء المساكين وان نعترف لهم بالتبعية فكان ذلك يشق عليهم واما فقرآء الصحابة فكانوا يرون اولئك الكفار فى الراحة والمسرة وطيب العيش والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار مع انا بقينا فى الشدة والضيق فقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض فأحد الفريقين يرى الآخر مقدما فى المناصب الدنيوية ويقول هذا الذى فضله الله علينا واما المحققون فهم يعلمون ان كل ما فعله الله تعالى فهو حق وحكمة وصواب لااعتراض عليه اما بحكم المالكية كما هو قول اهل السنة واما بحسب المصلحة كما هو قول المعتزلة فكانوا صابرين فى وقت البلاء شاكرين فى وقت الآلاء والنعماء وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم أليس الله بأعلم

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله

(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرءآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها

بالشاكرين (قوله تعالى واذا جاءك الذين) اذا فيه منصوب بجوابه اى فقل سلام عليكم وقت مجيئهم اى اوقع هذا القول كله فى وقت مجيئهم قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم وكان عليه الصلاة والسلام اذا رءآهم بدأهم بالسلام قال الامام فيه اشكال وهو ان الناس اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان كذلك فكيف يمكن ان يقال فى كل واحدة من آيات هذه السورة ان سبب نزول هذه الآية الامر الفلانى بعينه بل الاقرب ان تحمل هذه الآية على عمومها فكل من آمن بالله تعالى دخل تحت هذا التشريف (قوله وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم) اشارة الى ما قال الامام من الناس من قال انه لما امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة كان هذا من قول الله تعالى ومن كلامه فهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قال لهم فى الدنيا سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ومنهم من قال بل هذا من كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله ايذانا) علة لمجموع قوله وصفهم وامره فان التصديق بالقرءآن والاتباع للحجج فضيلة علمية كما ان المواظبة على العبادة فضيلة عملية (قوله ومن كان كذلك) اى وايذانا بأن من جمع بين فضيلتى العلم والعمل ينبغى ان يقرب ويعز ويبشر الخ ووجه الايذان انه تعالى علق النهى عن طردهم على اتصافهم بالفضيلة العملية ثم عطف بالواو الجامعة جملة واذا جاءك الذين يؤمنون الخ على جملة النهى بأن وضع الظاهر موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقول لا تطرد الذين يدعون ربهم وقل لهم سلام عليكم فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن اتصافهم بالفضيلة العملية علة لما ذكر من التقريب والاعزاز والتبشير فكأنه قيل من جمع بين هاتين الفضيلتين لا تطردهم وابدأهم بالسلام او بلغ اليهم سلام الله وبشرهم بأن الله يسلمهم من الآفات فى الدنيا او يرحمهم فى الآخرة والسلام اسم بمعنى التسليم اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم دعوت بأن يسلمكم الله من الآفات فى دينكم ونفسكم وقولهم كتب على نفسه كذا لفلان يفيد انه اوجب ذلك على نفسه وكلمة على ايضا تفيد الايجاب واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهذا الايجاب لا ينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة لتأكيد الوعد وبيان لفضله وكرمه (قوله استئناف بتفسير الرحمة) كلمة ان فى موضعين مكسورة فى قرآءة ابن كثير وابى عمرو وحمزة والكسائى ومفتوحة فى قرآءة ابن عامر وعاصم واما فى قرآءة نافع فالاولى مفتوحة والثانية مكسورة فمن كسر الاولى قال انها مستأنفة وان الكلام قد تم عند

قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ابتدأ وقال انه من عمل منكم سوأ الآية تفسيرا للرحمة التى كتبها على نفسه ومن فتحها جعلها بدلا من الرحمة وتفسيرا لها والتقدير كتب على نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لاشك انه رحمة (قوله بجهالة فى موضع الحال) اى من فاعل عمل اى عمله ملتبسا بالجهالة حقيقة بأن يفعله وهو لايعلم مايترتب عليه من المفسدة كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه من اجابة الكفرة فيما سألوا ولم يعلم انها مفسدة اوحكما بأن يفعله عالما بسوء عاقبته فان من عمل مايؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو فى حكم الجاهل فقوله بجهالة حال مؤكدة لانها مقررة لمضمون قوله عمل سوأ لان عمل السوء لا ينفك عن الجهالة حقيقة اوحكما (قوله غير نافع) فانه وان فتح الاولى الا انه كسر الثانية بأن ابدل الاولى من الرحمة واستأنف بما بعد الفاء اى كسر ان لوقوعها فى صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة او جوابا لها ان كانت شرطية وقد اجمع القرآء على كسرها بعد فاء الجزاء فى قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم كأنه قيل فهو غفور رحيم الا ان الكلام بان اوكد فكسرت لدخولها على المبتدأ والخبر واما من عدا نافعا ممن فتح الاولى فقد فتحوا الثانية ايضا بجعلها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى فأمره اوشانه انه غفور رحيم اوعلى انها مبتدأ حذف خبره اى فله غفرانه ورحمته اى فغفرانه ورحمته حاصلان له (قوله ومثل ذلك التفصيل) على ان الكاف صفة مصدر محذوف وذلك اشارة الى ما سبق فى هذه السورة الكريمة من تفصيل دلائل النبوة والتوحيد والبعث لالزام الحجة على مشركى مكة والمعنى مثل ذلك التفصيل نميز ونبين لك حجتنا فى كل حق ينكره اهل الباطل وهذا حاصل الكلام والمعنى على ما اختاره المصنف انه تعالى فصل طوائف المجرمين الى من هو مطبوع على قلبه لايرجى اسلامه وذكرهم بقوله والذين كفروا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات والى من يرى فيه امارة القبول وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيامة وذكرهم بقوله وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم والى الذين دخلوا فى الاسلام الا انهم لايحفظون حدوده وذكرهم بقوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا وخاطبهم بقوله من عمل منكم سوأ ثم قال بعد هذا التفصيل ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل آيات القرآن فى صفة الطوائف الثلاث (قوله قرأه نافع بالتاء) اى من فوق على اسناد الفعل الى المخاطب ونصب السبيل على المفعولية اى لتعلم يامحمد سبيلهم فان استبان يتعدى ولايتعدى يقال استبان الشئ واستبنته (قوله وابن كثير الخ) فانهم قرأوا وتستبين بتاء التأنيث ورفعوا سبيل على انه فاعل

(بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد العمل والسوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فأمره او فعله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم

والباقون بالياء وبالرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث. ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة ﴿٤٣﴾ وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ما تدعون من دون الله او ما تدعونها آلهة اى تسمونها (قل لا اتبع اهوآءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد (قد ضللت اذا) اى ان اتبعت اهوآءكم فقد ضللت (وما انا من المهتدين) اى وما انا فى شئ من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك (قل انى على بينة) تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها (من ربى) من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى (ما عندى ما تستعجلون به) يعنى (العذاب) العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (ان الحكم الا لله) فى تعجيل العذاب وتأخيره

فان السبيل يذكر ويؤنث وتذكيره لغة بنى تميم وتأنيثه لغة اهل الحجاز وقد نطق القرآن بهما قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وقال ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ولم يتعد تستبين فى هذه القرآءة (قوله والباقون) وهم حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم فانهم قرأوا ليستبين بالياء من تحت ورفع سبيل باسناد الفعل اليه وتذكير السبيل على لغة بنى تميم (قوله ويجوز ان يعطف) لما اشار بقوله ولتستوضح يا محمد سبيلهم فصلنا هذا التفصيل الى ان متعلق اللام فى لتستبين مقدر وهو قوله فصلنا وقدره على لفظ الماضى نظرا الى ما عليه المعنى وذكر نفصل الآيات بلفظ المضارع لقصد الاستمرار ولتناول الماضى والآتى عطف عليه قوله ويجوز ان يعطف على علة مقدرة فتكون اللام متعلقة بالفعل المذكور وتستبين منصوب باضمار ان بعد لام كى قيل فى الكلام حذف معطوف والتقدير ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المحقين ولم يذكره استغناء بذكر مقابله لان ذكر احد المتقابلين يدل على ذكر المقابل الآخر كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد استغناء عنه بذكر الحر (قوله تأكيد لقطع اطماعهم) فان بعض المشركين لما قال له عليه الصلاة والسلام استلم آلهتنا حتى نؤمن بالهك امر الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم انى نهيت الآية قطعا لاطماعهم ثم اكد ذلك بقوله قل لا اتبع اهوآءكم فانه من حيث انه يقرر مضمون ما قبله تأكيد له واشارة الى الموجب للنهى كأنهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ام تمتنع عن متابعتنا اجاب بأن ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع الهوى واترك الهدى (قوله واستجهال لهم) لان الادلة العقلية والسمعية لما كانتا متطابقتين فى الدلالة على التوحيد والزجر عن الاشراك ولم ينزجروا عنه دل ذلك على انهم جاهلون لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهوى والهدى (قوله وما انا فى شئ من الهدى) اشارة الى الفرق بين ان يقال وما انا من المهتدين وبين ان يقال وما اهتديت ولا اكون مهتديا بأن الاول ابلغ من الثانى لان الدخول فى عداد من اهتدى يكفى فيه الاتصاف بشئ من الهدى بخلاف نحو قولك هو مهتد فانه يدل على الاهتدآء التام فلزم منه ان يكون نفى الاول ابلغ فى نفى الاهتدآء من نفى الثانى وقوله وما انا من المهتدين تأكيد لقوله قد ضللت واتى به جملة فعلية لتدل على تجدد الفعل وحدوثه وبالثانية اسمية لتدل على التحقق والثبات (قوله تنبيه على ما يجب اتباعه) وهو البينة والبرهان الواضح وما لا يجوز اتباعه هو

(يقص الحق) اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها ثم يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو ان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى ﴿ ٤٣ ﴾ وانقطع ما بينى وبينكم (والله اعلم بالظالمين) فى معنى استدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو) فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم ما فى البر والبحر) عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا فى كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين (وهو الذى يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشئ بتمامه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) ثم يوقظكم

الهوى يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بحجة واضحة وشاهد صدق وقوله تعالى وكذبتم به يحتمل ان يكون جملة مستأنفة مؤكدة الاخبار بذلك وان يكون فى محل النصب على الحالية (قوله اى القضاء الحق) لما قرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى يقض بسكون القاف وكسر الضاد المعجمة المخففة ذكر لانتصاب الحق وجهين الاول انه صفة مصدر محذوف اى يقضى القضاء الحق والثانى ان يقضى بمعنى يصنع فيتعدى بنفسه ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى وهو خير الفاصلين فان الفصل يناسب القضاء ولما لم ترسم الياء بعد الضاد فى المصاحف قرأ الحجازيان وعاصم يقص بضم القاف والصاد المهملة المشددة من قص الحديث او من قص الاثر اى تبعه كأن الياء حذفت خطا كما حذفت لفظا لالتقاء الساكنين كما حذفت فى نحو فما تغن النذر وكما حذفت الواو فى نحو سندع الزبانية ويمح الله الباطل (قوله مستعار من المفاتح) اى استعارة مكنية فقد شبه الغيب بالخزائن المستوثق منها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزائن من المغيبات هو لا غير وهذا الحصر مستفاد من تقديم الظرف على المبتدأ (قوله مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات) اخبر اولا باختصاصه بعلم المغيبات المخزونة فى عالم الغيب ثم اخبر بتعلق علمه بالمشاهدات المعبر عنها بقوله ما فى البر والبحر فان هذا العنوان الكلى والمفهوم الاجمالى يتناول جميع ما لا يحيط بعلمه الا الله من المكنونات التى لا توجد ولا تبلغ الى كمالها اللائق بها الا بايجاد الله تعالى اياها وتدبيره فيها وهذا الحكم من حيث وضوحه عند العقل بالنسبة الى احاطة علمه بالمغيبات صار كالدليل له فلذلك ذكر بعده تقوية له وتقريبا الى الاذهان ولما كان احاطة علمه تعالى باحوال الجزئيات ابلغ من احاطة علمه بانفس الجزئيات صرح باحاطة علمه بها حيث قال وما تسقط من ورقة الا يعلمها ليكون كالدليل على الحكم المذكور قبله ثم بالغ فى احاطة علمه باحوال الجزئيات بقوله ولا حبة فى ظلمات الارض فان الحبة تكون فى غاية الصغر وظلمات الارض فى غاية السعة بحيث يختفى فيها اكبر الاجسام واعظمها فلما صرح بأن الحبة الصغيرة

الملقاة فى ظلمات الارض مع اتساعها لاتخرج عن علم الله تعالى البتة صار هذا الحكم مقويا و مقررا للحكم السابق ثم اجمل الكلام و عبر عن المقصود بعبارة اخرى فقال ولارطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقوله تعالى من ورقة فاعل تسقط ومن زآئدة لاستغراق الجنس وقوله تعالى لايعلمها حال من ورقة اى لاتسقط ورقة فى حال من الاحوال الافى حال كونه تعالى عالما بها وقوله تعالى ولاحبة مجرور بالعطف على لفظ ورقة ولوقرئ مرفوعا لكان معطوفا على الموضع و فى ظلمات صفة لحبة وقوله ولارطب ولايابس مجرور ان ايضا بالعطف على لفظ ورقة وقرئا مرفوعين عطفا على المحل و يجوز ان يكون رفعها اى رفع الثلاثة على الابتدآء والخبر هو قوله الا فى كتاب مبين فان قرئ ولاحبة ولارطب ولايابس بالجر عطفا على لفظ ورقة او بالرفع عطفا على محلها تكون داخلة فى حكمها كأنه قيل ومايسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه فلايجوز ان يكون قوله الا فى كتاب مبين استثناء ثانيا من قوله الايعلمها لان الا يعلمها اثبات من النفى فيكون الافى كتاب نفيا من الاثبات فيلزم ان لايعلمها فى كتاب وليس كذلك لان كل شئ فى كتاب وكل ماهو فى كتاب يجب ان يعلمه فى كتاب فلابد من القول بأن الاستثناء الثانى بدل من الاول وتأكيد له (قوله اطاق البعث ترشيحا للتوفى) لايخفى ان الترشيح له نوع خصوص بالمشبه به والبعث مما لاخصوص له بالموت اذيقال بعثه من نومه اذا ايقظه صرح بذلك فى المطول الا ان يتكلف بأن الامر كذلك فى اصل اللغة لكنه حقيقة شرعية فى احياء الموتى فى الآخرة (قوله تعالى ليقضى اجل) على بناء المفعول فى قرآءة الجمهور واجل مرفوع به وفى الفاعل المحذوف احتمالان احدهما انه ضمير البارى تعالى والثانى انه ضمير المخاطبين اى ليقضوا ويستوفوا آجالكم وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى واجلا حينئذ منصوب على المفعولية واعلم انه تعالى لما ذكر انه ينيمهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلذلك استدل به على صحة البعث و القيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم فى جميع اعماركم (قوله وقيل الآية خطاب للكفرة) عطف على مايدل عليه كلامه فى تفسير الآية لكون الخطاب لعامة من انامه الله و ايقظه ليستوفى المستيقظ مدة حياته مؤمنا كان اوكافرا واختار ذلك لان ظاهر الآية العموم و ليس فيها مايقتضى تخصيصها بالكفرة الا انه على تقدير التخصيص لابد ان يحمل مااسند اليهم فى الليل والنهار على الحالة المذمومة من احوال الانسان العاقل فان اللائق به ان يستعمل كل نعمة فيما خلقت لاجله فينام لان تستريح به قواه ويتقوى بذلك على طاعة الله ويستيقظ لاكتساب مافيه مرضاة الله و يستعده عند لقاء مولاه لاان يأتى كالجيفة بالليل و يكتسب الآثام بالنهار وهذا القائل لم يجعل البعث

اطاق البعث ترشيحا للتوفى (فيه) فى النهار (ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى و جزآئهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء

بمعنى الايقاظ بل جعله بمعنى البعث من القبور بناء على ان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار دال على حال اليقظة وكسبهم فيها وكلمة ثم تقتضى تأخر البعث عنها والبعث المتأخر عنها هو البعث من القبور فان قلت البعث من القبور ليس علة لقضاء الاجل المسمى فالجواب ان المراد بالاجل المسمى مدة الكون فى القبور لا مدة الحياة كما ذهب اليه المصنف والبعث علة لانقضاء تلك المدة (قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده) ليس المراد بالفوقية الجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد الفوقية من حيث القدرة فانه تعالى قهار للممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين وللممكنات الموجودة بالافناء والافساد وقهار لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والليل بالنهار والنهار بالليل وقهار للعناصر التى تألف البدن منها فانها مع كونها متنافرة متباعدة بالطبع والخاصية قد الف الملك القهار بينها بأن خلع عنها كيفياتها المتضادة واودع فيها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة وقهار للروح والبدن حيث جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة الكاملة وجعل كل واحد منهما مستكملا بصاحبه منتفعا بالآخر فان الروح يصون البدن عن العفونة والفساد والبدن يصير آلة للروح فى تحصيل السعادات الابدية والمعارف الالهية مع ما بينهما من كمال المباعدة والمنافرة فان البدن كثيف سفلى ظلمانى فاسد عفن والروح لطيف علوى نورانى مشرق باق طاهر نظيف وقد الف الملك الجبار بينهما ليصلحا لقبول العهد والمحن فاذا تأملت هذه الاسرار المودعة فى الممكنات من العلويات والسفليات والذوات والصفات علمت ان كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة بتسخيره تعالى كما قال وهو القاهر فوق عباده (قوله تعالى ويرسل عليكم حفظة) جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها وهى قوله وهو القاهر او جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك وجعله معطوفا على قاهر لكون حرف التعريف فيه بمعنى الذى وكون التقدير وهو الذى يقهر عباده ويرسل ضعيف لانه يلزم من ذلك الفصل بين ابعاض الصلة بأجنبى فان المعطوف على الصلة من تمام الصلة فلا يجوز ان يتخلل بينهما امر اجنبى ومن جملة قهره لعباده تعالى ارسال الحفظة عليهم لحفظ اعمالهم قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين واختلفت الآثار فى عدد الحفظة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال مع كل انسان ملكان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها فان لم يتب كتبها عليه روى عنه كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة

(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه

كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين اصاحب الشمال دعه
تسع ساعات لعله يسبح او يستغفر وروى ان العبد اذا قعد فأحد الملكين عن يمينه
والآخر عن يساره وان مشى فأحدهما امامه والآخر خلفه وان نام فأحدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ايضا انه
قال مع كل مؤمن خمسة من الحفظة واحد عن يمينه يكتب الحسنات وواحد
عن يساره يكتب السيئات وواحد أمامه يلقنه الخيرات وواحد خلفه يدفع عنه الآفات
وواحد على ناصيته يكتب مايصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويبلغه اليه وقيل
مع كل مؤمن اربعة من الملائكة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقيل مع كل مؤمن ستون
ملكان وقيل وكل بكل عبد مائة وستون ملكا يذبون عنه الشياطين كما يذب عن صحفة
الشاء الذبان وهو جمع كثرة للذباب مثل غراب وغربان والذب المنع والدفع ولو وكل
العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (قوله ملك الموت واعوانه)
التوفى فى الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى كما قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال هو الذى خلق الموت والحياة ثم انه فى عالم الظاهر مفوض الى ملك الموت
وهو الرئيس المطلق فى هذا الباب كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت ثم له اعوان
وخدم وانصار يدل عليه قوله تعالى فى هذه الآية توفته رسلنا فحسنت اضافة
التوفى الى كل واحد من هذه الثلاثة بحسب كل واحد من الاعتبارات المذكورة
روى عن مجاهد انه قال جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله
وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم مرتين وروى ان الدنيا بين يدى
ملك الموت كالمائدة الصغيرة يتناول من هنا ومن هنا فاذا كثرت عليه الارواح
يدعوها فتجيب روى عن على رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم راى
ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال عليه الصلاة والسلام ارفق بصاحبى
فانه مؤمن فقال أبشر يا محمد انى لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من اهله
قلت ماهذا الصراخ فوالله ما ظلمناه ولا استبقينا من اجله فانا فى قبضه ذنب فان
ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وان تسخطوا او تجزعوا تأثموا ومالكم عندنا من عتبة
وان لنا عليكم لبقية وعودة فالحذر الحذر وما من اهل بيت شعر ولا مدر فى بر ولا بحر الا
وانا اتصفح وجوههم فى كل يوم وليلة خمس مرات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم
منهم بأنفسهم والله يا محمد لو انى اردت ان اقبض بعوضة ماقدرت على ذلك حتى
يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها (قوله وقرأ حمزة توفاه) اما على انه فعل
ماض اسند الى مالبس تأنيثه حقيقيا فلذلك ذكر او مضارع اصله تتوفاه حذفت
منه احدى التاءين (قوله الى حكمه وجزائه) يعنى ان الرد الى الله ليس على
ظاهره لكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين

(حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا)
ملك الموت واعوانه وقرأ
حمزة توفاه بالالف ممالة
(وهم لايفرطون) بالتوانى
التأخير وقرئ بالتخفيف
المعنى لا يجاوزون
احداهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله) الى حكمه
جزائه (مولاهم)

الذى يتولى امرهم (الحق) العدل الذى لايحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح (ألا له الحكم) يومئذ لاحكم لغيره فيه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لايشغله حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمة ﴿ ٤٧ ﴾ للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اومن الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين اواعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لاتشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل (او من تحت ارجلكم)

رق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
...كم شيعا) يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى ... فال وكتيبة لبستها بكتيبة ❊ حتى اذا التبست
... نصرف الآيات) بالوعد والوعيد

لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه بأن يساقوا الى حيث لامالك ولاحاكم فيه سواه (قوله الذى يتولى امرهم) فسر المولى به لدفع كون قوله تعالى فى هذه الآية مناقضا لقوله وان الكافرين لامولى لهم فان المولى فى تلك الآية بمعنى الناصر ولاناصر للكفار والمولى ههنا بمعنى المالك الذى يتولى امرهم والله تعالى مالك الامور كلها فى حق كل الخلائق وهذه المناقضة انما تتوهم اذا كانت الآية فى حق جميع المكلفين من المؤمنين والكفار وهو الظاهر وان كانت واردة فى حق المؤمنين خاصة يجوز ان يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور فان من رد اليه تعالى اصالة هم المؤمنون والكفار فى هذا الامر تبع لهم (قوله معلنين ومسرين) على ان يكون تضرعا وخفية مصدرين فى موضع الحال من فاعل تدعون وتدعون حال من مفعول ينجيكم اى ينجيكم داعين اياه (قوله اواعلانا واسرارا) على ان يكون كل واحد منهما مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل مثل قعدت جلوسا قرأ الجمهور خفية بضم الخاء وقرئ بكسرها وهما لغتان كما فى الاسوة والاسوة (قوله على ارادة القول) ويكون ذلك القول المقدر فى محل النصب على الحال من فاعل تدعونه اى تدعونه قائلين هذه الجملة القسمية والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله تعالى ان يطاع منعمها ولايعصى فضلا عن ان يشرك به مالايقدر على شئ اصلا والمقصود من صورة الاستفهام فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر التبكيت والالزام ومن قوله تعالى قل الله ينجيكم حملهم على الاقرار بأن المنجى من جميع الشدائد هو الله تعالى حيث نبه به على انه المتعين للجواب بالاتفاق وثم فى قوله تعالى ثم انتم تشركون لاستبعاد اشراكهم عن هذا الاقرار والمناسب لقولهم لنكونن من الشاكرين ان يقال ثم انتم لاتشكرون اى لاتعبدون المنعم لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا (قوله كما فعل بقوم نوح) حيث اهلكهم بأن ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط واصحاب الفيل بأن امطر عليهم الحجارة لما استبعد الله تعالى اشراكهم مع الاقرار بان المنجى من الشدائد كلها هو الله تعالى اعلمهم بانه القادر على تعذيبهم فقال قل هو القادر (قوله يخلطكم) يقال لبست عليه الامر اى خلطت وهو من باب ضرب ولبست الثوب من باب علم ومصدره اللبس بضم اللام ومصدر الاول اللبس بالفتح

وشيعا منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر
والشيعة كل قوم اجتمعوا على امر وهو معنى قوله فرقا متحزبين على اهواء شتى
فمعنى يلبسكم يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فاذا نشأ بين الامة
اهواء مختلفة ومذاهب متنافية تصير الامة فرقا مختلفة يتبع كل فرقة
اماما على حدة فيقاتل بعضهم بعضا فينشب القتال بينهم اى فيعلق ويدخل
وهو من باب علم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة ❊ حتى اذا التبست نفضت لها يدى

اى رب كتيبة خلطتها بكتيبة الكتيبة الجيش والعسكر فلما اختلطت نفضت
يدى منهم وخليتهم وشأنهم يريد انه مهياج للشر والفتنة (قوله اى بالعذاب)
وهو ظاهر لتقدم ذكره صريحا فى قوله عذابا من فوقكم او بالقرءآن وهو
كالمذكور من حيث ان تعريف الآيات للعهد كأنه قيل انظر كيف نصرف آيات
القرءآن قال المصنف بعد ثلاثة اسطر اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرءآن
وورودها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا لكى يفهم منها المشركون بطلان
قواعدهم وتناقض مذهبهم لكنهم لم يتعظوا بها ولم يهتدوا بدلائلها بل كذبوا القرءآن
فى كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وهو الحق اى الصادق فى ذلك وقوله وهو الحق
يحتمل ان يكون استئنافا لبيان وقوع العذاب اوحقية القرءآن ويحتمل ان يكون
حالا من الضمير فى به اى كذبوا به حال كونه حقا (قوله يريد به اما العذاب)
بقرينة المقام والا فلكل ما اخبر به الله تعالى من اخبار الوعد والوعيد له وقت
ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير ولا بد ان يعلم المكلف جميع ذلك عند
ظهوره ونزوله ولفظ المستقر يحتمل ان يكون اسم زمان ومكان ومصدر لان جميع
ذلك من المزيد فيه يكون على لفظ اسم المفعول ولا مانع من حمله على كل واحد
منها فى الاية لصحة ان يقال لكل ما اخبر الله به استقرار لا محالة او لكل ذلك
وقت استقرار او مكان استقرار الا ان المصنف حمله على الزمان لكونه انسب بهذا
المقام ثم انه تعالى لما بين انه عليه الصلاة والسلام ليس بحفيظ على المكذبين حتى
يمنعهم من الكفر والتكذيب وليس عليه ان يلازمهم الى ان يقبلوا الدين بين انهم
ان ضموا الى الكفر والتكذيب الاستهزاء بالدين والطعن فى القرءآن العظيم
والرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام يجب عليه
الاعراض عنهم وترك مجالستهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فقال واذا رأيت
الذين يخوضون الآية قيل الخطاب فيه للنبى عليه الصلاة والسلام والمراد
غيره وقيل الخطاب لغيره والمعنى اذا رأيت ايها السامع الذين يخوضون فى آياتنا
روى ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى رسول الله صلى الله تعالى

(لعلهم يفقهون وكذب به
قومك) اى بالعذاب
او بالقرءآن (وهو الحق)
الواقع لا محالة او الصدق
(قل لست عليكم بوكيل)
بحفيظ وكل الى امركم
فامنعكم من التكذيب
او اجازيكم انما انا منذر
والله الحفيظ (لكل نبأ)
خبر يريد به اما العذاب
او الايعاد به (مستقر)
وقت استقرار ووقوع
(وسوف تعلمون) عند
وقوعه فى الدنيا وفى الآخرة
(واذا رأيت الذين
يخوضون فى آياتنا)
بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها (فأعرض
عنهم) فلا تجالسهم وقم
عنهم (حتى يخوضوا
فى حديث غيره) اعاد
الضمير على معنى الآيات
لانها القرءآن

(الحكم)

عليه وسلم والقرآن فشتموا واستهزؤا فأمرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره وكلمة اذا فى الآية منصوبة بجوابها وهو فأعرض اى فأعرض عنهم فى هذا
الوقت والظاهر ان فى الآية تقدير حال محذوفة اى واذا رأيت الذين يخوضون
فى آياتنا فاعرض عنهم وهم خائضون فيها اووهم متلبسون بالخوض فيها لان
المأمور به هو الاعراض عنهم فى تلك الحال لا مطلقا بقرينة قوله حتى يخوضوا
فى حديث غيره والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا يقال خاض القوم
فى الحديث وتخاوضوا فيه اى تفاوضوا وتشاركوا بأن فاوض فيه بعضهم بعضا
الا انه غلب فى الشروع فى الشئ بالباطل قال تعالى حكاية عن الكفار وكنا
نخوض مع الخائضين فلذلك قال المصنف يخوضون فى آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء الا ان الخوض فى قوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث الظاهر انه على
اصل معناه قال الامام لفظ الخوض فى اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب
والعبث فربما يسأل الرجل عن قوم فيجيب قائلا تركتهم يخوضون يريد أنه
تركهم وهم شرعوا فى كلمات لا ينبغى ذكرها ثم قال ومن الحشوية من تمسك
بهذه الآية فى النهى عن الاستدلال والمناظرة فى ذات الله تعالى وصفاته قال
لان ذلك خوض فى آيات الله والخوض فيها حرام بدليل هذه الآية ثم اجاب
عنه بقوله انا نقلنا عن المفسرين ان المراد من الخوض الشروع فى آيات الله على
سبيل الطعن والاستهزاء وبينا ايضا ان لفظ الخوض فى اصل اللغة لهذا المعنى
فسقط هذا الاستدلال (قوله تعالى واما ينسينك الشيطان) بتخفيف
السين من انساه كقوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان فأنساه الشيطان
ذكر ربه وقرأ ابن عامر بتشديد السين فان نسى يتعدى بكل واحد من التضعيف
والتخفيف والمفعول الثانى محذوف على القراءتين اى واما ينسينك الشيطان
ما أمرت به من ترك مجالستهم واما اصله ان ما فأدغمت وان حرف شرط
وما صلة والنون للتأكيد ذكرت الشرطية الاولى بكلمة اذا لان خوضهم
فى الآيات محقق الوقوع بخلاف انساء الشيطان اياه عليه الصلاة والسلام
فانه محض احتمال ذكر لبيان ان التكليف ساقط عن الناسى وكذا نسيان
غيره عليه الصلاة والسلام فانه ايضا امر محتمل قد يقع وقد لا يقع والكلام
فى خطاب ينسينك كالكلام فى خطاب واذا رأيت (قوله بعد ان تذكره)
اشارة الى ان الذكرى مصدر بمعنى الذكر ولم يجئ مصدر على فعلى غير ذكرى (قوله
شئ مما يحاسبون عليه) اشارة الى ان من فى من شئ زائدة وشئ فى محل
الرفع على انه فاعل عليك لاعتماده على النفى ومن حسابهم حال من شئ
لانه لو تأخر عنه لكان صفة له وصفة النكرة متى قدمت عليها انتصبت على الحالية

(واما ينسينك الشيطان)
بأن يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهى وقرأ
ابن عامر ينسينك بالتشديد
(فلا تقعد بعد الذكرى)
بعد ان تذكره (مع القوم
الظالمين) اى معهم
فوضع الظاهر موضعه
دلالة على انهم ظلموا
بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام (وما على
الذين يتقون) ومايلزم
المتقين الذين يجالسونهم
من حسابهم من شئ مما
يحاسبون عليه من قبائح
أعمالهم واقوالهم

والمعنى ما استقر على الذين يتقون الشرك شيء كائنا مما يحاسب المشركون عليه (قوله ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى) يعنى ان ذكرى منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مضمر وهو مع فاعله المضمر فى محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره فقوله ولكن عطف به هذه الجملة على الجملة السابقة وكذا ان جعل ذكرى مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره بتقدير ولكن عليهم ذكرى وذكرى بمعنى التذكير (قوله ولا يجوز عطفه على محل من شيء) على طريق قولك ما فى الدار من احد ولكن زيد فان قلت الجمع بين الواو ولكن جمع بين حرفى عطف وهو ممتنع اجيب بأن لكن يخرج عن العطف ويتخلص للاستدراك عند مجيء الواو كما ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتتخلص للتأكيد ووجه كون قوله من حسابهم آبيا عن عطف ذكرى على محل من شيء عطف المفرد على المفرد على معنى ما على المتقين من حسابهم شيء ولكن عليهم ذكرى ان العطف يقتضى التشريك فان كان فى المعطوف عليه قيد فالظاهر تقييد المعطوف بذلك القيد الا ان توجد قرينة صارفة عن اعتبار ذلك القيد فى المعطوف فحينئذ يعمل على حسب ما تقتضيه القرينة فاذا قلت ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا كان الظاهر اشتراك عمرو مع زيد فى كونه مضروبا وقت وقوع الضرب عليه يوم الجمعة واما اذا قلت وعمرا يوم السبت فحينئذ لا يشارك عمرو مع زيد الا فى كونه مضروبا ولا يشاركه فى قيده والآية الكريمة من قبيل المثال الاول فان شيأ فيها مقيد بكونه مما يحاسبون عليه بناء على ان قوله من حسابهم حال من شيء فلو عطف ذكرى عليه لكان ذكرى ايضا مقيدا بكونه مما يحاسبون عليه اذ لم يوجد فى الآية قرينة تمنع عن اعتبار ذلك القيد فى المعطوف ولا شك ان ذكرى ليس من حسابهم فلا يجوز عطفه على ما هو من حسابهم (قوله ولا على شيء) اى ولا يجوز عطفه على لفظ شيء ايضا لذلك ولان من لا تزاد فى الاثبات يعنى ان لكن حرف ايجاب فلو عطف ما بعدها على المجرور بمن لفظا لزم زيادة من فى الموجب وجمهور البصريين لا يجوزونها (قوله ولا تنثلم) اى لا تختل تقواهم من الثلمة وهى الخلل يقال ثلمت الشيء فانثلم وتثلم اى اختل (قوله فنزلت) اى نزلت رخصة للمؤمنين فى القعود معهم على سبيل التذكير والمنع من الخوض ونحوه من قبائح الاقوال والافعال اى ما على الذين يتقون الشرك والخوض وسائر المعاصى من آثام الخائضين من شيء ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى لعلهم يتقون الخوض اذا وعظوهم فرخص فى مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير واظهار الكراهة على سوء صنيعهم لعل ذلك يمنعهم عن المعاودة الى مثله (قوله تعالى وذر الذين اتخذوا) وهم المذكورون بقوله الذى يخوضون

(ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا)

في آياتنا ومعنى ذرهم اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال بعده وذكر به فالمعنى لا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر بالقرآن (قوله بنوا امر دينهم) الذي حقه ان يؤخذ عن نبي من الانبياء ويبنى على تشريعه على التشهي واتباع الهوى وما يكون كذلك فهو لعب ولهو من حيث انه لا يعود عليهم ما ينفع عاجلا وآجلا لاخفاء في ان ليس للمشركين دين من الاديان المشروعة من قبل نبي من الانبياء وقد اضيف اليهم دين واخبر بأنهم اتخذوه لهوا ولعبا اي عطلة ومشغلة يشتغلون به عن الدين الحق يقال الهاه عن كذا اي شغله عنه فلا بد ان يبين وجه اضافة الدين اليهم مع انه لا دين لهم فذكر للاضافة وجوها الاول ان المراد بدينهم ما ينبغي ان يتدينوا به ويتقربوا بملابسته الى مولاهم الحق والمراد باتخاذه لعبا جعله شيأ كائنا من جنس ما يلعب به ويلهى بملابسته عن الحق كعبادة الاصنام ونحوها والثاني ان المراد بدينهم هو دين الاسلام ووجه كونه دينا لهم انه فرض عليهم وان كلفوا بالتدين به وانهم لما سخروا به واستهزأوا فقد اتخذوه لعبا ولهوا والفرق بين الوجهين مع ان ما ينبغي ان يتدينوا به في الواقع هو دين الاسلام ان المراد بدينهم على الوجه الثاني هو دين الاسلام بخصوصه وعلى الوجه الاول مطلق ما يصدق عليه مفهوم قولنا ما ينبغي ان يتدينوا به والثالث ان المراد بالدين العيد الذي يعاد اليه كل حين معهود وسمي العيد دينا مجازا لان العيد مبني على العادات والدين العادة فانه تعالى قد جعل لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله تعالى والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله حيث جعلوه يوم الصلاة والتكبير وفعل الخيرات وحضور الجماعات وصدقة الفطر ونحر الضحايا وهذه الوجوه كلها مبنية على ان يكون اتخذوا متعديا الى مفعولين اولهما دينهم وثانيهما لهوا ولعبا ويحتمل ان يكون متعديا الى واحد على ان يكون اتخذوا بمعنى اكتسبوا وعملوا فيكون قوله لعبا ولهوا على هذا مفعولا من اجله اي اكتسبوه لاجل اللهو واللعب وهو الحظوظ العاجلة الدنيوية فان ارباب العقل واليقين انما يتمسكون بالدين لاجل انه قام البرهان القاطع على انه هو الحق والصواب وانه لنيل مرضاة الله تعالى هو الباب واما الذين في عقولهم سخافة فانهم يتوسلون باعمال الدين الى اخذ المناصب والرياسة والتعيش بين الانام وجمع الاموال فانهم يتمسكون بالدين للدنيا وقد حكم الله تعالى على الدنيا في سائر الآيات بأنها لعب ولهو ومن توسل بدينه الى دنياه فقد اتخذ دينه لاجل اللعب واللهو فاذا تأملت في حال اكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة

اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى انكروا البعث (وذكر به) اي بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت)

واعلم انه تعالى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يترك من كان موصوفا بوصفين الوصف الاول ان يتخذوا دينهم لعبا ولهوا والوصف الثانى ان يغتروا بالحياة الدنيا ويتوهموا ان ما اعطوا فيها من الجاه والمال وسلامة القوى والاعضاء انما هو لكرامتهم على الله تعالى فاطمأنوا بذلك الى الحياة الدنيا وأعرضوا عن الاهتمام برعاية حقوق الدين وأداهم ذلك الى ان انكروا البعث والحساب (قوله مخافة ان تسلم الى الهلاك) على ان يكون ان تبسل فى محل النصب على انه مفعول له روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان تبسل نفس بما كسبت اى ترهن فى جهنم بما كسبت فى الدنيا وقال مجاهد تسلم للهلكة بان تمنع من مرادها وتخذل وقال قتادة تحبس فى جهنم ومعنى الآية ذكرهم بالقرآن كراهة احتباسهم فى نار جهنم بسبب جناياتهم (قوله لان فريسته لا تفلت) اى لان ما افترسه من الصيد لا يتخلص منه فلتة اى فجأة فلما كان اصل الابسال والبسل المنع صح استعمال الابسال فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج منه والخلاص عنه (قوله تعالى ليس لها) الظاهر ان هذه الجملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك ويحتمل ان تكون فى محل الرفع على انها صفة لنفس او فى محل النصب على انها حال من الضمير فى كسبت ومن دون الله حال من ولى لانها لو تأخرت لكانت صفة له فتتعلق بمحذوف هو حال (قوله وههنا الفداء) يعنى ان العدل ههنا ليس بمعنى ما يفتدى به بل المراد به ههنا المعنى المصدرى يقال فداه فداء اذا اعطى بدله شيأ فافتداه اى خلصه به وكل واحد من الفدية والفداء وان كان يستعمل فى موضع الآخر الا ان ما ذكرناه من تخصيص كل واحد منهما بمعنى غير معنى الآخر يستفاد من المقام (قوله وكل نصب على المصدرية) فانه يكون فى حكم ما اضيف اليه ونظيره خير مقدم وكثير نفع (قوله الفعل مسند الى منها) فانه اذا لم يوجد المفعول به الصريح يجوز اسناد الفعل الى الجار والمجرور فان العدل المذكور لما كان مصدرا لم يصلح لان يكون مأخوذا لان الاخذ يتعلق بالاعيان لا بالمعانى واسناده الى العدل فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل من حيث انه ليس المراد به المصدر بل الشئ المفدى به فصح اسناد الاخذ اليه قال الامام الاخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما فى قوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها واذا حمل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده الى المصدر بلا محذور ثم قال المقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس اذ لا ولى يتولى دفع ذلك المحذور ولا شفيع يشفع فيها ولا فدية تقبل ليحصل الخلاص بسبب ذلك حتى لو جعلت الدنيا بأسرها

مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر (لا يؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا) اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم (قل اندعوا) انعبد (من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) ما لا يقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على اعقابنا)

فدية من عذاب الله تعالى لم تنفع واذا كانت وجوه الخلاص فى الدنيا هى هذه الثلاثة وثبت ان شيأ منها لايفيد فى الآخرة البتة ظهر انه ليس هنالك الا الابسال والا رتهان والاسلام ومن ايقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية (قوله ونرجع الى الشرك) جعل الرجوع الى الشرك ردا على العقب بناء على ان كل من اعرض عن الحق الى الباطل فقد رجع الى خلف ورجع على عقبيه ورجع القهقرى لان الاصل فى الانسان هو الجهل ثم يترقى ويتعلم الى ان يستكمل بالكمالات العلمية والمعارف اليقينية قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فاذا رجع من العلم الى الجهل مرة اخرى فكأنه رجع الى اول مرة فلهذا السبب يقال له انه رجع على عقبيه وارتد الى خلفه (قوله المهامه) جمع مهمه وهو المفازة البعيدة وهوى بكسر العين يهوى هوى اى أحب وهوى بالفتح يهوى هويا اى سقط الى اسفل فمعنى استهوته جرته الى المساقط والمهالك وجعلته هاويا عادلا ضالا عن طريقه ذاهبا فى مهامه الارض الى خلاف سمته ومقصده كما يقال استزلته واستغوته اى جرته الى الزلة والغواية وقوله تعالى فى الارض متعلق بقوله استهوته وحيران حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى والفعل منه حار يحار حيرة والحيران المتردد فى الامر بحيث لايهتدى الى المخرج منه ونظير هذه الآية قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ولاشك ان الانسان حال هويه من المكان العالى الى اسفل المنازل يكون فى غاية الدهشة والحيرة وقوله له اصحاب جملة فى محل النصب على انها حال ثانية من الهاء او صفة لحيران او حال من الضمير فى حيران ويدعونه صفة اصحاب والى الهدى متعلق بيدعونه والهدى اما حقيقة بان كان بمعنى الهداية او مجاز مرسل على طريق تسمية المهدى اليه بالهدى والجملة الامرية فى محل النصب بالقول المضمر اى يقولون ائتنا والقول المضمر فى محل الرفع على انه صفة لاصحاب مثل يدعونه شبه الله تعالى من اشرك وعبد غير الله تعالى مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاول استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادة لايدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهمه وضللت عن الجادة وهو لايجيبهم ولايترك متابعة الجن وهذه الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به معتبرة فى جانب المشبه الذى استحسن طريق الشرك وصاحب الكشاف لما انكر الجن واستيلاءها على بعض الاناسى بقدرة الله تعالى جعل الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به مبنية على مازعمه العرب واعتقده

ونرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) فانقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته (فى الارض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) اى يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له ائتنا (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة (وان اقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلاة

من ان الجن تستهوى الانسان وتستولى عليه والحال انه مما يقول به العرب والعجم واكثر اهل الملل ويدعى مشاهدته كثير من الثقات وليس لمنكره دليل يعول عليه بل هو ممن استهوته الشياطين فى مهامه الضلال الفلسفى حيران له اصحاب من اهل السنة يدعونه الى الهدى الشرعى قائلين له ائتنا وهو يستمر على تعسفه لايلوى عليهم ولا يلتفت اليهم والشياطين والجن اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهوآء فى خلال الاجسام المتخلخلة واختلف فى اختلافهما بالنوع مع الاتفاق على انهما من اصناف المكلفين فذهب بعضهم الى ان الجن اجسام لطيفة هوآئية يظهر منها افعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى والشياطين اجسام نارية شأنها القاء النفس فى المفاسد وانواع الضلالة وذهب آخرون الى ان الشياطين صنف من الجن وهى الشريرة منهم فتفسير الشياطين بمردة الجن اختيار لهذا المذهب واشارة الى ان اسم الشيطان مشتق من شطن بمعنى بعد ويسمى كل عات متمرد شيطانا لبعده عن الحق وتمرده وقيل انه مشتق من شاط بمعنى بطل (قوله اوعلى موقعه) اى على موقع لنسلم وهو ان نسلم فان العرب تقول امرتك ان تسلم وامرتك بأن تسلم وامرتك لتسلم فعلى الاول الباء محذوفة وهى للالصاق وعلى الثالث مفعول الامر محذوف واللام للتعليل فلما جاز كل واحد من هذه العبارات كان قوله لنسلم واقعا فى موقع ان نسلم مغنيا غناءه فصار ان نسلم كأنه هو المذكور فى موضع لنسلم فجاز ان يعطف عليه (قوله كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا) خوالف بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يجعلا على نسق واحد بأن يقال امرنا ان نسلم ونقيم اوامرنا ان اسلموا واقيموا للتنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والايمان فان المأمور بالاسلام هو الكافر والمأمور باقامة الصلاة هو المؤمن والكافر حال كفره ليس بأهل لساحة الحضور والخطاب فلذلك لم يؤمروا بلفظ امر الحاضر بل قيل امرنا لنسلم لرب العالمين واذا اسلم صار اهلا لشرف الخطاب فخوطب وامر كما يخاطب الحاضر وبن وقيل ان اقيموا واتقوا (قوله وعلى هذا) اى على تقدير ان يكون قوله تعالى قل أندعو من دون الله واردا فى شأن ابى بكر الصديق مع ابنه رضى الله تعالى عنهما ليجيب به ابنه كان القياس ان يقال قل لابى بكر اجب ابنك بأن تقول له أندعو من دون الله الآية الا انه امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجيب بهذا القول من قبل الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين الصديق رضى الله تعالى عنه واعلم انه تعالى لما بين اولا ان الهدى هدى الله وحصل به الترغيب فى جميع الطاعات المأمور بها

اوعلى موقعه كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول

من افعال القلوب وافعال الجوارح والتنفير عن جميع المنكرات و المنهيات ذكر
عقيب هذا الكلام الاجمالي ماهو اشرف اقسام الهدى من كل باب فبدأ بذكر
ماهو رئيس الطاعات الروحانية وهو الاسلام ثم ذكر الصلاة التي هي رئيس
الطاعات الجسمانية ثم ذكر التقوى التي هي رئيس ماهو من قبيل التروك والاحتراز
عن كل مالاينبغي فقال وان اقيموا الصلاة واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون
للاشارة الى ان منافع هذه الاعمال انما تظهر يوم الحشر والجزاء ثم انه تعالى لما بين
في الآيات المتقدمة فساد طريق عبدة الاصنام ذكر بعدها ما يدل على ان لامعبود
الا الله فقال وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي قائما بالحق والحكمة
وهو حال من فاعل خلق والباء للتعدية كما في قولك قام بأمر كذا وقيل الباء
بمعنى اللام اي اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته فهو نظير قوله
تعالى ربنا ماخلقت هذا باطلا وقوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما
لاعبين قال اهل السنة انه تعالى خالق لجميع المحدثات مالك لكل الكائنات وتصرف
المالك في ملكه حسن وصواب على الاطلاق فكان حقا على الاطلاق لامحالة
وقالت المعتزلة ان معنى كونه حقا واقع على وفق مصالح المكلفين مطابق
لمنافعهم (قوله كقولك القتال يوم الجمعة) اي واقع فيه او مستقر فيه يعني
ان ظرف الزمان وان لم يقع خبرا عن الاعيان والذوات الا انه يقع خبرا عن الحدث والقول
بمعنى الحدث فجاز ان يقع ظرف الزمان خبرا عنه فلفظ قوله مبتدأ والحق صفته ويوم
يقول خبر مقدم عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى
الحين كأنه قيل قوله الحق نافذ حين قال لشيء من الاشياء كن فيكون عقيبه كما قال
المصنف في معنى الجملة الثانية قوله الحق نافذ في الكائنات فظاهره يشعر انه
اختار ماذهب اليه الاشاعرة من حمل كلمة كن على ظاهرها بأن اجرى الله تعالى
عادته في تكوين الاشياء على ان يقول هذه الكلمة حال تكوينها فتكون عقيبها
بلافصل ولكنه اختار في سورة يس ماذهب اليه اكثر المفسرين من ان قوله كن
مجاز عن سرعة التكوين (قوله او بمحذوف دل عليه بالحق) فانه حال
وتقديره قائما بالحق وفيه معنى يقوم بالحق وهو المعنى بالمحذوف كأنه قيل
يقوم بالحق يوم يقول والحكيم هو المصيب في افعاله والخبير هو العالم بحقائقها
من غير اشتباه (قوله والمراد به حين يكون الاشياء) والمعنى وحين يقول لشيء
من الاشياء التي يكونها ويحدثها من غير ان يقيد ذلك التكوين بكونه في يوم
القيامة بأن يقال وحين يقال لما يخلقه الله تعالى يوم القيامة ومن قيده بذلك
اخذ التقييد من قرينة الحال فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها فكأنه
قيل يوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانشروا فينتشرون ولما توقف امر

كقولك القتال يوم الجمعة
والمعنى انه الخالق للسموات
والارضين وقوله الحق
نافذ في الكائنات وقيل
يوم منصوب بالعطف على
السموات او الهاء في واتقوه
او بمحذوف دل عليه بالحق
وقوله الحق مبتدأ وخبر
او فاعل يكون على معنى
وحين يقول لقوله الحق اي
لقضائه كن فيكون
والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم
القيامة فيكون التكوين
حشر الاموات واحياءها
(وله الملك يوم ينفخ
في الصور) كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار
(عالم الغيب والشهادة)
اي هو عالم الغيب (وهو
الحكيم الخبير) كالفذلكة
للآية (واذ قال ابراهيم لابيه
آزر) هو عطف بيان لابيه

البعث والجزاء على اصلين احدهما كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات والثانى كونه عالما بجميع المعلومات لانه على تقدير ان لا يكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث ورد الارواح الى الاجسام وعلى تقدير ان لا يكون عالما بجميع الجزئيات لم يصح ان يجازى كل واحد من المطيع والعاصى على حسب عمله فلا يحصل المقصود الاصلى من البعث والقيامة قال وله الملك يوم ينفخ فى الصور للدلالة على كمال القدرة وقال عالم الغيب والشهادة للدلالة على كمال العلم فلزم من مجموعهما صحة البعث والحساب والجزاء ثم قال وهو الحكيم الخبير ليكون كالفذلكة للآية والحاصل لها لان الحكيم هو المصيب فى افعاله والخبير هو العالم بحقائق الكائنات من غير اشتباه فى ظواهرها وبواطنها والفذلكة فى اصطلاح اهل الحساب اجمال ما عد اولا على سبيل التفصيل مأخوذ من فذلك (قوله وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح) قال الزجاج لا خلاف بين النسابين فى ان اسمه تارح صح بالحاء المهملة سماعا حتى ان بعض الملاحدة تمسك باجماعهم وجعله ذريعة الى الطعن فى القرآن قائلا ان نسبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى آزر خطأ فالمصنف اشار الى دفع الطعن بما نقله بقوله فقيل وقيل واجماع النسابين لا عبرة به فى مقابلة صريح القرآن لان ذلك الاجماع انما انعقد بأن قلد بعضهم بعضا وبالآخرة يرجع ذلك الاجماع الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب ونحوهما وربما يتعلقون بما يحدث به من اخبار اليهود والنصارى ولو سلم ان اسمه كان تارح فهو لا يمنع ان يسمى بآزر ايضا لانه قد يسمى شخص واحد باسمين مختلفين كاسرائيل ويعقوب فيحتمل ان يكون اسمه الاصلى آزر وكان تارح لقباله فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره باسمه الاصلى ويحتمل ان يكون بالعكس ويجوز ان لا يكون آزر اسما له بل يكون لفظا دالا على صفة الذم كالمخطئ والضال والمعوج كأنه قيل واذ قال ابراهيم لابيه المخطئ الضال تعييباله بكفره وانحرافه عن الحق وقيل انه بمعنى الشيخ الهرم بلغة اهل خوارزم قال الامام زعمت الشيعة ان احدا من آباء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واجداده ما كان كافرا وانكروا كون والد ابراهيم كافرا وقالوا ان آزر كان عم ابراهيم والعم قد يسمى بالاب الا ترى ان يعقوب لما قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا فسموا اسمعيل بكونه أبا ليعقوب مع انه كان عما له وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابى العباس وهو عمه عليه الصلاة والسلام واحتجوا على قولهم ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا بوجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قيل معناه انه كان ينقل روحه من ساجد

وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب

الى ساجد فعلى هذا تكون الآية دالة على ان جميع آباء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كانوا مسلمين فيجب القطع ان والد ابراهيم كان مسلما وقوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقد قال انما المشركون نجس وذلك يوجب ان يقال ان احدا من اجداده ماكان من المشركين فلزم منه ان لا يكون والد ابراهيم مشركا وقد ثبت ان آزر كان مشركا فوجب القطع بأن والد ابراهيم كان شخصا آخر غير آزر فان قيل ان قوله تعالى وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر احدها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على طاعة اصحابه فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ماسمع من اصوات قرآتهم وتسبيحهم وتهليلهم فالمراد من قوله وتقلبك في الساجدين طوافه عليهم تلك الليلة وهم ساجدون وثانيها انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بالجماعة وتقلبه في الساجدين معناه كونه فيما بينهم ومختلطا بهم حال القيام والركوع والسجود وثالثها ان يكون المراد انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين للاشتغال بامور الدين ورابعها ان المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتموا الركوع والسجود فاني اراكم من وراء ظهري فهذه الوجوه الاربعة مما يحتملها ظاهر الآية فسقط ماذكرتم والجواب ان لفظ الآية محتمل للكل وليس حمل الآية على البعض اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل وحينئذ يحصل المقصود وذكروا وجوها اخر تدل على ان آزر ليس ابا لابراهيم حقيقة ثم قال واما اصحابنا فقد زعموا ان والد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان كافرا وذكروا ان نص الكتاب في هذه الآية يدل على ان آزر كان كافرا وكان والد ابراهيم وايضا يدل عليه قوله تعالى وماكان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله تعالى وتقلبك في الساجدين فانه ليس بحجة على كون آبائه مسلمين ساجدين لاحتماله وجوها اخر غير ذلك وقوله يحمل على الكل قلنا هو محال لان حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه لا يجوز وايضا حمل اللفظ على حقيقته ومجازه معا لا يجوز واما قوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فذلك محمول على انه ما وقع في نسبه من ولد من الزنى كما ورد في حديث آخر ولدت من نكاح لا من سفاح (قوله ولعل منع صرفه) يعني ان آزر ممنوع من الصرف الا انه على تقدير كونه صفة بمعنى المخطئ والمعوج اوالهرم يشكل منع صرفه ويمكن ان يقال في دفع الاشكال انه على وزن افعل فيمنع للوزن والصفة كأحمر لان العجمة انما تؤثر في منع الصرف بشرط العلمية وقد انتفت حينئذ فاحتيج الى اعتبار حمله على موازنه كما في سراويل اذا لم يصرف

وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر والوزر

والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده اى أتعبد آزر ثم قال (أتتخذ اصناما آلهة) تفسير اوتقرير ويدل عليه ان قرئ ازراتخذ اصناما بفتح همزة أزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى اراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره

وهو الاكثر فان هذا الوزن انما يمنع اذا كان جمعا او منقولا عن الجمع وسراويل ليس كذلك ومع ذلك منع الصرف لانه اعجمى حمل على موازنه ومن جعل مشتقا من الأزر اوالوزر قال هو عربى ولم يصرفه للتعريف ووزن الفعل (قوله والاقرب انه علم اعجمى) لانه هوالظاهر واعتبار معنى الوصفية لادليل عليه يعتدبه ولم يجزم به لاحتمال كونه على وزن افعل كآدم لكن وزن فاعل كثير فى السريانية وعلى تقدير كونه على وزن فاعل يكون ممنوعا للعلمية والعجمة وقال ابو البقاء وزنه افعل كآدم ولم ينصرف للعجمة والتعريف على قول من لم يشتقه من الازر اوالوزر ومن اشتقه من واحد منهما قال هو عربى ولم ينصرف للتعريف ووزن الفعل (قوله وقيل اسم صنم) اى قيل اسم ابيه تارح وآزر اسم صنم يعبده والد ابراهيم لكنه تعالى سماه آزر للزوم عبادته فان من بالغ فى محبة احد يجعل اسم محبوبه اسماله او اطلق عليه آزر بحذف المضاف اى قال لابيه عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (قوله وقيل المراد به الصنم) معطوف على قوله هو عطف بيان لابيه ويدل عليه ان قرئ أزراتخذ اصناما آلهة بفتح همزة أزر وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار كأنه كالبيان له قال الامام هذه التكلفات انما يجب المصير اليها اذا دل دليل قاهر على ان والد ابراهيم ماكان اسمه آزر وهذا الدليل لم يوجد البتة فأى حاجة تحملنا على هذه التأويلات ومما يدل على صحة ماقلنا ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا فى غاية الحرص على تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان هذا النسب كذبا لما امتنع سكوتهم عن تكذيبه فى العادة وحيث لم يكذبوا علمنا صحة هذا النسب واعلم ان ابراهيم خليل الرحمن لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه عليه الصلاة والسلام سأل ربه وقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وجب فى كرم الله تعالى ان يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فأجاب دعاءه وجعل جميع الطوائف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من اولاده ولما كان العرب معترفين بفضله لاجرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركى العرب (قوله ومثل هذا التبصير نبصره) يريد ان ذلك اشارة الى الاراءة التى تضمنها قوله نرى لا الى اراءة اخرى شبه بها هذه الاراءة كما يقال ضربته كذلك اى مثل هذا الضرب المخصوص ويمكن ان يكون اشارة الى ماتقدم من قوله انى اراك وقومك فى ضلال مبين اى

مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام وتضليل ابيه وقومه نريه ملكوت السموات والارض فيكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا اوبيانا لتلك الارآءة فان جعلنا كذلك اشارة الى ما تقدم لا يكون قوله وكذلك نرى الخ جملة معترضة لان الجملة المعترضة لابد ان تكون مستقلة غير متعلقة بما قبلها ولا مابعدها الا على جهة التأكيد بل يكون جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر ويكون قوله فلما جن تفصيلا بطريق تمثيل الارآءة واورد التبصير بدل الارآءة تصحيحا لتذكير اسم الاشارة وتنبيها على ان الارآءة ليست من رؤية البصر ان التبصير لابد ان يكون بمعنى التعريف لان الملكوت بمعنى دلائل الربوبية والالوهية ليس مما يبصر حسا فكان فيما ذكره بقوله نبصره دلائل ربوبيتنا فيهما استعارة لنظر البصر فان قيل رؤية البصر حاصلة لجميع الموحدين فالجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دلائل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى فى كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لا يحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول فى دعائه ارنا الاشياء كما هى (قوله وهو حكاية حال ماضية) جواب عما يقال هذه الارآءة حصلت فيما تقدم من الزمان فالا نسب ان يقال وكذلك اريناه اجاب بانه على سبيل الحكاية عن الماضى تحقيقا لحصوله وتصويرا لعظم شأنه (قوله وقرئ ترى بالتاء) اى الفوقانية فان قرآءة الجمهور نرى بنون العظمة ومن قرأ بتاء التأنيث نصب ابراهيم على المفعولية ورفع ملكوت لاسناد الفعل اليه اى أتريه دلائل الربوبية ربوبيته تعالى للسموات والارض ومافيهما والملكوت مصدر على فعلوت من الملك بمعنى القدرة والسلطنة زيدت الواو والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والجبروت قال الراغب الملكوت مختص بملك الله تعالى فقولهم فلان له ملكوت اليمن وملكوت العراق مجاز الاستدلال على استقلاله فى السلطنة الظاهرة (قوله اى ليستدل) على ان يكون قوله وليكون معطوفا على علة مقدرة والثانى وهو قوله او فعلنا ذلك على ان يكون علة لمحذوف اى ارشاء ذلك ليكون من الموقنين برؤية ملكوتهما واليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة وهو مستفاد من النظر والتأمل (قوله تفصيل وبيان لذلك) اى التبصير والارآءة المدلول عليه بقوله تعالى وكذلك نرى فان تبصر الملكوت مجمل لا تعرض فيه لكيفية ففصل ذلك المجمل بقوله فلما جن الآية فيكون قوله وكذلك نرى جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر لامعترضة لان الجملة المعطوفة لاتكون المعترضة بخلاف ما اذا جعل فلما جن معطوفا على قوله اذ قال ابراهيم فان قوله وكذلك نرى حينئذ يكون معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه حكى الله تعالى عنه اولا انه انكر على ابيه وقومه فى عبادتهم

وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدآئعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) اى ليستدل وليكون اوفعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه

الاصنام ثم ذكر استدلاله على وحدانية الله تعالى وتفرده باستحقاق العبادة واورد
بينهما قوله وكذلك على سبيل الاعتراض وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه
لما سيأتي من استدلال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبيان انه تبصير له
من الله تعالى وتسديد (قوله كانوا يعبدون الاصنام والكواكب) عطف
الكواكب على الاصنام للاشارة الى ان من يعبد هذه الاحجار المنحوتة في هذه
الساعة لايعبدها على اعتقاد ان لها تأثيرا وتدبيرا في انتظام احوال هذا العالم
السفلى فان بطلان ذلك معلوم ببديهة العقل وما علم بطلانه بديهة لايذهب
الى صحته الجم الغفير والقوم الكثير فلا بدان يكون لهم في عبادتها منشأ غلط وذكر
العلماء في بيانه وجوها كثيرة الاول ان الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم
الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت
الرأس يحدث الفصول الاربعة وبسبب تلك الفصول تحدث الاحوال المختلفة
في هذا العالم والذين رصدوا احوال سائر الكواكب زعموا ان ماوقع من السعادات
والنحوسات في هذا العالم منوط بالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما
اعتقدوا بالغوا في تعظيمها وعبدوها ثم ان عبدة الكواكب فريقان منهم من يقول
انه سبحانه وتعالى خالق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلى اليها
فهذه الكواكب هي المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه
الكواكب تعبد الله وتطيعه فهؤلاء اثبتوا الوسائط بين الاله الاكبر وبين احوال هذا
العالم ومنهم قوم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك
والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهي المدبرات
لهذا العالم الاسفل وهؤلاء هم الدهرية الخالصة وكل واحد
من الفريقين اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم انهم لما رأوا هذه الكواكب قد تغيب
عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه
فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي
الياقوت والماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على
عبادة تلك الاصنام قاصدين بعبادتها عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها والوجه
الثاني في منشأ غلط عبدة الاصنام ماذكر من ان اهل الهند والصين كانوا يثبتون
الاله والملائكة الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم وصورة كاحسن مايكون
من الصور والملائكة ايضا صور حسنة الا انهم كلهم محتجبون عنا بالسموات
فلاجرم اتخذوا تماثيل انيقة النظر حسنة الرواء والهيكل فيتخذون صورة في غاية
الحسن ويقولون انها هيكل الاله وصورا اخرى معجبة دون الصورة الاولى
ويجعلونها على صور الملائكة ثم يواظبون على عبادتها قاصدين بتلك العبادة

كانوا يعبدون الاصنام والكواكب

الزلفى من الله تعالى ومن الملئكة والوجه الثالث ان القوم يعتقدون ان الله تعالى فوض تدبير كل واحد من هذه الاقاليم الى ملك بعينه وفوض تدبير كل قسم من اقسام العالم الى روح سماوى بعينه فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك آخر ومدبر الغيوم والامطار ملك ومدبر الارزاق ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك آخر فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل واحد من اولئك الملائكة صنما مخصوصا وهيكلا معينا و يطلبون من كل صنم ما يليق بذلك الروح الفلكى من الآثار والتدبيرات وذكر وجوه أخر فى منشأ غلطهم كلها باطل والحق انه اله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا او ليس له شريك فى تدبير ملكه تعالى عن ذلك علوا كبيرا و لما كان حاصل دين عبدة الاصنام القول بآلهية الكواكب حكى الله تعالى عن الخليل عليه الصلاة و السلام استجهال ابيه آزر وقومه فى اتخاذهم الاصنام آلهة ثم اقامته الدليل على ان شيأ من الكواكب لايصلح للآلهية والمعبودية (قوله فاراد ان ينبههم على ضلالتهم) اختلف المفسرون فى ان المقصود مما حكاه الله تعالى عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية ماسواه هل هو نظره واستدلاله فى نفسه و تحصيل المعرفة لنفسه او مقصوده الزام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال وتنبيههم على ضلالهم فى امر دينهم و اختار المصنف الثانى لان قوله لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين يدل على انه كان عارفا بأن له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية و ان قومه على الضلال ويشعر بأن محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج الى القسم فان اللام فى قوله لئن موطئة للقسم وفى لأكونن جواب قسم و مما يدل على انه عليه الصلاة و السلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بالدليل انه تعالى اخبر عنه انه قال لابيه قبل هذه الواقعة أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ويدل عليه ايضا انه قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون بسبب تلك الادلة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدلت الفاء فى قوله فلما جن عليه الليل على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين بربه ويدل عليه ايضا انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل أن ابراهيم يستدل به لتحصيل سبيل المعرفة واليقين لنفسه (قوله وقوله هذا ربى على سبيل الوضع) اى على سبيل التسليم صورة لا على سبيل الاخبار عن معتقده لئلا يلزم صدور الكفر عن النبى قبل البعثة فان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع ولا يجوز الكفر على الانبياء بالاجماع فان قومه لما

فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد

ذهبوا الى ان الكواكب ربهم والهم ذكر ابراهيم مقالتهم بعبارتهم ليذكر عقيبة مايدل على فساده وهو قوله لاحب الآفلين (قوله اوعلى وجه النظر والاستدلال) عطف على سبيل الوضع قال اهل التفسير ولد ابراهيم فى زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض و يكون هلاكك و زوال ملكك على يديه و يقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقيل رأى نمرود فى منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته تلك السنة و حبس كل امرأة حبلى وجدت فى ناحيته عنده الا ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية حديثة لم يعرف الحبل ببطنها فلما دنت ولادة ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بأنها ولدت فى موضع كذا فانطلق ابوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه فقالت ذات يوم لانظرن اليه مايفعل فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى السرب الاخمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجينى فأخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله سواه ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لاحب الافلين لان الآفل يزول اثره و سلطانه فلا يصلح الها ولان الآفل لكونه متحركا يكون محلا للحوادث فلا يكون الها وما يكون حادثا يحتاج فى وجوده الى فاعل مختار يوجده فيكون ممكنا وسلسلة الممكنات لابد ان تنتهى الى الواجب وهو الاله المستحق للعبادة ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربى واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الخ وقيل انه كان فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت له اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فأتاه ابوه

أو على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته واول اوان بلوغه (فلما أفل) اى غاب (قال لا احب الآفلين) فضلا عن عبادتهم

آزر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي فقال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك
قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب
السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا ربي الى آخر القصة واختلفوا
في قوله فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد واليقين
بالنظر والاستدلال على نفسه فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك
في طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا ذكر صاحب التيسير نقلا عن جماعة
من اهل الكلام ان هذا كان منه في وقت لم يكن جرى عليه القلم فلم يكن كفرا
وهو ما قاله المصنف وانما قاله زمان مراهقته واول اوان بلوغه فلا يكون هذا
الكلام من ابراهيم ارشادا لقومه وتنبيها على ضلالتهم ويؤيده قوله تعالى وليكون
من الموقنين على تقدير ان يكون قوله تعالى فلما جن عليه الليل الآية تفصيلا لما قبله من
الاراءة والتبصير (قوله فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان
والحدوث) بيان لوجه الاستدلال بالافول على عدم الالوهية وذلك لان الافول يقتضي
شيئين الحركة والاحتجاب بالاستار وكل واحد منهما يقتضي ما ينافي الالوهية وهو الامكان
والحدوث فان كل متحرك جسم محل للحوادث والجسم محتاج الى حيزه فيكون
ممكنا وايضا ما يكون محدثا يكون مفتقرا الى الموجد فيكون ممكنا وما لا يخلو عن
الحوادث يكون محدثا وما يكون كذلك لا يكون الها لان الاله هو الموجود الذي
ينقطع عنه سلسلة الاحتياج كما قال وان الى ربك المنتهى وكذا الاحتجاب بالاستار
يقتضي الامكان والحدوث اذ لاشك ان ما احتاج في انبساط نوره وبقاء سلطانه الى
ارتفاع الحجاب يكون ممكنا محتاجا الى الغير وكل ممكن محدث بالضرورة وبالجملة
افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها في وجودها الى
القادر المختار فذلك القادر هو الاله المستحق للعبادة دون الوسائط (قوله
ذكر اسم الاشارة) ولم يقل هذه ربي مع كونه اشارة الى الشمس وهي مؤنث
سماعي بناء على ان المؤنث اذا اخبر عنه بمذكر يعامل معاملة المذكر لكونهما عبارة
عن شيء واحد ولصيانة ما يخبر عنه بأنه رب عن صورة التأنيث الا ترى انهم قالوا
في صفة الله تعالى علام ولم يقل علامة وان كان ابلغ احترازا عن علامة التأنيث
(قوله وانما احتج بالافول دون البزوغ) الذي هو الابتداء في الطلوع جواب
عما يقال الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون
الطلوع ايضا دليلا على الحدوث فلم ترك ابراهيم عليه الصلاة والسلام
الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعدل عن اثبات هذا المطلوب الى الافول
واجاب بأن الاحتجاج بالافول اظهر لانه يدل على الحدوث من وجهين من حيث

فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضي الامكان
والحدوث وينافي الالوهية
(فلما رأى القمر بازغا)
مبتدئا في الطلوع (قال
هذا ربي فلما افل قال لئن لم
يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين) استعجز نفسه
واستعان بربه في درك الحق
فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه
ارشادا لقومه وتنبيها لهم
على ان القمر ايضا لتغير حاله
لا يصلح للالوهية وان من
اتخذه الها فهو ضال (فلما
رأى الشمس بازغة قال
هذا ربي) ذكر اسم الاشارة
لتذكير الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التأنيث (هذا
اكبر) كبره استدلالا
او اظهارا لشبهة الخصم
(فلما افلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون) من
الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث يحدثها
ومخصص يخصصها بما
تختص به ثم لما تبرأ منها
توجه الى موجدها ومبدعها
الذي دلت هذه الممكنات
عليه فقال (اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من
المشركين) وانما احتج
بالافول دون البزوغ مع

انه حركة ومن حيث انه احتجاب وغيبة ومن كان الها يجب ان ينعكس منه نور الوجود الى جميع الوجودات ابتداء و بقاء فلا يجوز ان يغيب عنها طرفة عين فلا يجوز الافول فى حقه ولانه انما اورد هذا الدليل على قومه حين كان يدعوهم من عبادة النجوم الى التوحيد فلا يبعد ان يقال انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع قومه ليلة من الليالى وزجرهم عن عبادة الكواكب فبينما هو فى تقرير ذلك الكلام اذ وقع بصره على كوكب مضيء فلما افل قال عليه الصلاة والسلام لوكان هذا الكوكب الها لما انتقل من الصعود الى الافول ومن القوة الى الضعف ثم طلع القمر وهو فى اثناء تقرير الدليل فأفل فأعاد عليهم ذلك الكلام وكذا القول فى الشمس وبالجملة لما كان اول ما تحقق فى مجلس المناظرة هو الافول دون البزوغ استدل بالافول وان كان البزوغ ايضا صالحا للاستدلال به (قوله وخاصموه فى التوحيد) يعنى انه عليه الصلاة و السلام لما اورد عليهم الحجة المذكورة اوردوا عليه حججا على صحة اقوالهم مثل ان تمسكوا بالتقليد بأن قالوا انا وجدنا آباءنا على امة و انا على آثارهم مقتدون و مثل قولهم أجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومثل انهم خوفوه بانك لما طعنت فى الهية هذه الاصنام وقعت من جهة هذه الاصنام فى الآفات والبليات و نظيره ما حكاه الله تعالى فى قصة قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فذكروا هذا الجنس من الكلام مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأجاب عن حججهم بقوله أتحاجونى فى الله وقرأ الجمهور أتحاجونى بنون ثقيلة اصله اتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع فى الامثلة الخمسة و الثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فأدغمت الاولى فى الثانية فقول المصنف بتخفيف النون اشارة الى معنيين حذف احدى النونين تخفيفا و عدم تشديد النون الملفوظة و قرأ نافع بنون خفيفة مكسورة بحذف احدى النونين وكلاهما لغة عند اجتماعهما واختلف النحاة فى أيتهما المحذوفة فذهب سيبويه ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الاولى وذهب الاخفش ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الثانية وقوله وقد هدانى حال من الياء فى أتحاجونى اى أتجادلوننى فيه حال كونى مهديا من عنده او من اسم الله اى حال كونه هاديا لى وقوله تعالى ولا اخاف ماتشركون به الظاهر انه جملة مستأنفة اخبر عليه الصلاة و السلام بانه لايخاف ما يشركون به ثقة برحمته التى وسعت كل شيء و قوله لااخاف معبوداتكم فى وقت اشارة الى ان الاستثناء فى قوله الا ان يشاء ربى متصل والمستثنى منه وقت محذوف و التقدير لا اخاف معبوداتكم قط الا وقت مشيئة ربى شيأ يخاف منه فان المصدر قد يقوم مقام الوقت نحو آتيك خفوق النجم و صياح الديك اى وقت خفوقه وصياحه

أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال أتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقد هدانى) الى توحيده (ولا اخاف ماتشركون به) اى لااخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولا تنفع (الا ان يشاء ربى شيأ)

يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما)
كأنه علة الاستثناء اى احاط به علما ﴿ ٦٥ ﴾ فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (أفلا تتذكرون)
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف ما اشركتم) ولا يتعلق به ضر (ولا تخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر والضار والنافع (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) ما لم ينزل باشراكه كتابا اولم ينصب عليه دليلا (فأى الفريقين احق بالامن) اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) ما يحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق

(قوله ان يصيبنى بمكروه) اشارة الى ان شيأ مفعول به ليشاء فقدر شيئا به ليعلم انه مفعول به وليس بمصدر على معنى الا ان يشاء ربى شيأ من المشيئة وانما ذكر عليه الصلاة والسلام هذا الاستثناء لانه لا يبعد ان يحدث للانسان فى مستقبل عمره شئ من المكاره فيقول الحمق من الناس ان ذلك المكروه انما حدث به بسبب انه طعن فى الهية الاصنام فذكر ابراهيم هذا الاستثناء ليشير الى انه ان حدث به شئ من المكاره فانما حدث بمحض مشيئة الله تعالى اياه ولا مدخل فيه لطعنه فى الاصنام (قوله تعالى ولا تخافون انكم اشركتم بالله) يحتمل ان يكون معطوفا على اخاف فتكون هذه الجملة داخلة فى حيز التعجب والانكار وان تكون جملة حالية اى وكيف اخاف الذى تشركون حال كونكم غير خائفين عاقبة اشراككم ولابد حينئذ من اضمار مبتدأ قبل المضارع المنفى بلا لان المضارع المنفى بلا حكمه حكم المثبت من حيث انه لا تباشره الواو وانظر الى حسن هذا النظم البليغ حيث جعل متعلق الخوف الواقع منه الاصنام ومتعلق الخوف الواقع منهم اشراكهم بالله غيره احترازا من ان يعادل البارى تعالى باصنامهم بأن يقول وكيف اخاف معبوداتكم وانتم لا تخافون الله تعالى (قوله ما يحق ان يخاف منه) اشارة الى ان متعلق العلم محذوف ويجوز ان لا يراد تعلقه بالمفعول على معنى ان كنتم من ذوى العلم وجواب ان كنتم محذوف اى فأخبرونى (قوله ولم يلبسوا) بفتح الياء وكسر الباء اما معطوف على الصلة ولا محل له حينئذ او جملة حالية على معنى الذين آمنوا غير لابسين ايمانهم بظلم (قوله وقيل المعصية) ذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم ههنا المعصية لا الشرك بناء على ان خلط احد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ان اوردت عليهم بأن يقال كما ان الايمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الايمان عندكم لكونه اسما لفعل الطاعات واجتناب المعاصى فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم فلهم ان يجيبوا عنها بان الايمان كثيرا ما يطلق على نفس التصديق بل ربما لا يفهم من ذكره بلفظ الفعل الا هذا حتى انه يعطف عليه عمل الطاعات فى مواضع كثيرة من القرآن وذهب اهل السنة الى ان المراد من الظلم ههنا الشرك تمسكا بما روى فى الحديث المذكور فى البخارى ومسلم وتلقاه الثقات بالقبول وقالوا ان اريد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان او غيره فظاهر انه يجامع الشرك كما فى المنافق وكذا ان اريد به تصديق القلب لجواز ان يصدق المرء بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى

 بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك
وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون

ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون و تمسكت المعتزلة بهذه الآية في عدم
انقطاع وعيد الفاسق بانه اعتبر في الامن الايمان وعدم الظلم معا والمجموع
غير حاصل للفاسق فلا يحصل له الأمن اصلا فلا ينقطع وعيده ونحن نقول
اختصاص الأمن بالمؤمن الذي لم يظلم نفسه لا يوجب كون العصاة معذبين
البتة لاحتمال ان يكون عدم امنهم لكونهم خائفين من العذاب متوقعين اياه
نظرا الى آيات الوعيد وان وردت النصوص الدالة على كونهم في مشيئة الله
تعالى وانه تعالى يغفر مادون الشرك لمن يشاء (قوله اومن قوله أتحاجوني اليه)
فان قومه لما خوفوه بأن آلهتهم تخبله لاجل طعنه فيها وابطال امرها احتج
عليهم فيها بقوله ولاتخافون اى افلا تخافون انتم حيث اقدمتم على الشرك
بالله وسويتم في العبادة بين خالق العالم ومدبره و بين الخشب المنحوت فقيل تلك
اشارة الى هذا الاحتجاج و يجوز ان تكون اشارة الى الكل كما اختاره المصنف
وتلك مبتدأ وحجتنا خبره وآتيناها ابراهيم في محل النصب على الحال والعامل
فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية اوفي محل الرفع على انه
خبرثان اخبر عنها بخبرين احدهما مفرد والآخر جملة ولا يجوز ان يكون صفة
لحجتنا لانها معرفة بالاضافة فلا توصف بالنكرة وقوله على قومه متعلق
بحجتنا على ما اختاره المصنف ومنع ابو البقاء كونه متعلقا بحجتنا بناء على ان
الحجة مصدر وآتيناها خبر او حال وكل واحد منهما لا يفصل به بين الموصول
وصلته ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان الحجة ليست مصدرا بل هي عبارة
عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشئ وان جعل حجتنا بدلا وبيانا لتلك وجعل
الجملة الفعلية خبرا عن المبتدأ لا يجوز ان يكون على قومه متعلقا بحجتنا للفصل
بينهما بالخبر وهو اجنبي عن المبتدأ ليس بمعمول له فيتعلق بمحذوف على انه حال
اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه اودليلا (قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب
بالتنوين) والباقون باضافة درجات وانتصابها على انها مفعول نرفع واما على
قراءة الكوفيين فانتصاب درجات يحتمل ان يكون على الظرفية ومن نشاء
مفعول نرفع اى نرفع من نشاء مراتب ومنازل ويحتمل ان يكون على انها مفعول ثان
قدم على الاول وذلك يحتاج الى تضمين نرفع معنى فعل يتعدى الى اثنين وهو
يعطى مثلا اى نعطى بالرفع من نشاء درجات اى رتبا فالدرجات هي المرفوعة
لقوله رفيع الدرجات واذا رفعت الدرجة فقد رفع صاحبها ويحتمل ان ينتصب
بنزع الخافض اى نرفع الى منازل والى درجات والمراد بالدرجات ههنا درجات
العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات ابراهيم فيها حتى فاق في زمن صباه شيوخ اهل
عصره واهتدى الى عالم لم يهتد اليه الا اكابر الانبياء (قوله عدهداه نعمة على ابراهيم)

اومن قوله أتحاجوني اليه
(حجتنا آتيناها ابراهيم)
ارشدناه اليها وعلمناه اياها
(على قومه) تعلق بحجتنا
ان جعل خبر تلك وبمحذوف
ان جعل بدله اى آتيناها
ابراهيم حجة على قومه
(نرفع درجات من نشاء)
في العلم والحكمة وقرأ
الكوفيون ويعقوب
التنوين (ان ربك حكيم)
في رفعه وخفضه (عليم)
حال من يرفعه واستعداده
ه (ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا) اى
كلا منهما (ونوحا هدينا
من قبل) من قبل ابراهيم
عدهداه نعمة على ابراهيم
من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد
(ومن ذريته) الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل
لنوح لانه اقرب ولان
يونس ولوطا ليسا
من ذرية ابراهيم

(فان)

فان المقصود من هذه الآيات تعديد نعم الله تعالى على ابراهيم جزاء على اظهار حجة وحدانية الله تعالى وبذل نفسه فى دعوة المشركين الى عبادته فانه تعالى لما حكى عنه انه انكر على ابيه وقومه فى عبادة الاصنام وارشدهم الى الحق بطريق النظر والاستدلال عدد وجوه نعمه واحسانه عليه فأولها قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم ذكر الله تعالى نفسه باللفظ الدال على العظمة للدلالة على ان ايتاءه ابراهيم تلك الحجة من اشرف النعم واجل العطايا والمواهب وثانيها قوله تعالى نرفع درجات من نشاء فانه تعالى بين به انه خص ابراهيم بدرجة رفيعة عالية وثالثها انه جعله عزيزا فى الدنيا حيث جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله ومن ذريته وابقى هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيامة وهب الله تعالى لابراهيم اسحق من صلبه ويعقوب من صلب اسحق نافلة له فانه تعالى رزقه اولادا مثل اسحق ويعقوب وجعل انبياء بنى اسرآئيل من نسلهما وجعل سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين من نسل اسمعيل عليه الصلاة والسلام وايضا اخرجه من اصلاب آباء طاهرين مثل نوح وادريس وشيث عليهم الصلاة والسلام فظهر ان المقصود بيان كرامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام من جهة الآباء والاولاد وان قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية التى هى قوله وتلك حجتنا وعطف الاسمية على الفعلية وعكسه جائز ولم يصرح بمتعلق قوله هدينا ليذهب ذهن السامع الى انه تعالى هداهما الى كل شرف وفضيلة لايهتدى اليه سواه كالهداية الى الثواب العظيم فى ارفع درجات الجنان والارشاد الى الفضائل الدينية فانه لايبعد ان يكون جازاهم على الاحسان الصادر منهم لانهم اجتهدوا فى طلب الحق فالله تعالى جازاهم على حسن طلبهم بايصالهم الى الحق كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المراد بهذه الهداية الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الاذلك (قوله فلو كان لابراهيم) اى لو كان الضمير له يكون داود وما عطف عليه الى قوله كل من الصالحين منصوبا بالعطف على اسحق مفعولا لفعل الهبة ويكون من ذريته متعلقا بذلك الفعل وتكون من لابتداء الغاية او للتبيين اى ووهبنا له بعد اسحق ويعقوب هذه الانبياء العشرة الذين هم من ذريته وهم المعدودون فى الآيتين الى قوله والياس ويكون انتصاب اسمعيل وما بعده بالعطف على نوحا ومفعولا لفعل الهداية اى وهدينا هذه الانبياء الاربعة كما هدينا نوحا وان كان ضمير ذريته لنوح يكون داود وجميع من ذكر بعده فى الآيات الثلاث منصوبا معطوفا على قوله نوحا ومفعولا لفعل الهداية ويكون من ذريته بيانا

فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) وايوب بن امرص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرو

وكذلك نجزى المحسنين) اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ماجزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة
فيهم (وزكريا ويحيى وعيسى) هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت (والياس)
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى
موسى (كل من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى (واسمعيل واليسع)
هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القرآءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد
فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة ﴿ ٦٨ ﴾ كاهله (ويونس) هو يونس بن متى
(ولوطا) هو هاران بن
اخى ابراهيم (وكلا فضلنا
على العالمين) بالنبوة وفيه
دليل فضلهم على من
عداهم من الخلق (ومن
آبائهم وذرياتهم واخوانهم)
عطف على كلا او نوحا
فضلنا كلا منهم او هدينا
هؤلاء وبعض آبائهم
وذرياتهم واخوانهم فان
منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا
(واجتبيناهم) عطف على
فضلنا او هدينا (وهديناهم
الى صراط مستقيم)
تكرير لبيان ما هدوا اليه
(ذلك هدى الله) اشارة
الى ما دانوا به (يهدى به
من يشاء من عباده) دليل
على انه متفضل بالهداية
(ولو اشركوا) اى
ولو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شأنهم
(لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها (اولئك الذين آتيناهم (ال
كتاب) يريد به الجنس (والحكم) الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق (والنبوة) والرسالة (فان يكفر بها)
اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) اى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة (اولئك الذين
هدى الله) يريد الانبياء المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من
التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس

لجميع هؤلاء المذكورين ويحتمل ان يكون حالا اى حال كون هؤلاء الانبياء
منسوبين (قوله اى ونجزى المحسنين جزآء مثل ماجزينا ابراهيم) اشارة الى
ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف لنجزى
(قوله وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت) فيكون الحسن
والحسين من ذرية سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مع انتسابهما
اليه بالام ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه الصلاة والسلام (قوله وقرأ
حمزة والكسائى والليسع) بلام مشددة وياء ساكنة بعدها وقرآءة الجمهور بلام
واحدة وفتح الياء بعدها (قوله وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق)
لما استدلوا به على ان الانبياء افضل ملائكة بناء على ان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة قال بعضهم معناه فضلناهم على عالمى
زمانهم قال فى المواقف لا نزاع فى ان الانبياء افضل من الملائكة السفلية الارضية
انما النزاع فى الملائكة العلوية السماوية وقال اكثر اصحابنا الانبياء افضل
وعليه الشيعة واكثر اهل الملل وقال المعتزلة وابو عبد الله الحليمى والقاضى
ابو بكر منا الملائكة افضل وعليه الفلاسفة واختار المصنف مذهب الجمهور
وفضلهم على من عداهم من الخلق (قوله فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا)
اشارة الى وجه ايراد من التبعيضية والى انها متعلقة بفضلنا او بهدينا اى وفضلنا
بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم او وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم
جماعات على ان كل واحد من المتعلق والمفعول محذوف (قوله فاختص
طريقهم بالاقتدآء) امر بالاختصاص وليس بماض والباء داخلة على المقصور
كما فى قولك نخصك بالعبادة اى اجعل اقتدآءك مقصورا على هداهم وطريقهم
وقوله فبهداهم متعلق باقتده قدم عليه ليفيد الاختصاص فان قيل الواجب

فى الاعتقاديات واصول الدين هو اتباع الدليل من العقل والسمع ولا يجوز سيما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقلد غيره فما معنى امره بالاقتداء بهم قلنا معناه الاخذ به لكن لا من حيث انه طريقهم بل من حيث انه طريق العقل والشرع ففيه تعظيم لهم وتنبيه على ان طريقهم هى الحق الموافق لدليل العقل والسمع فكأنه قيل فخذ ما توافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق بالبارى تعالى فى الذات والصفات والافعال واصول الدين مستدلا بالدليل الذى استدلوا به على ما اتفقوا عليه فليس فى الآية دليل على انه عليه الصلاة والسلام مكلف بشرع من قبله لان من ذهب الى حكم متمسكا بدليل يثبته لا يقال له انه اخذ ذلك الحكم من قبله وان وافقه فى الاعتقاد بذلك الحكم وفى الاستدلال عليه بالدليل الذى استدل به من قبله وموافقته اياهم على هذا الوجه لا تدل على ان يكون منصبه اقل من منصبهم بل احتج العلماء بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فداود وسليمان كانا من اصحاب الشكر على النعمة وايوب كان من اصحاب الصبر على البلية ويوسف كان جامعا بينهما وموسى عليه الصلاة والسلام كان صاحب المعجزات القاهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا اصحاب الزهد واسمعيل كان صاحب الصدق فثبت انه تعالى انما ذكر كل واحد من هذه الانبياء لان الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين بأن يقتدى بهم بأسرهم فكأنه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بأن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التى كانت متفرقة فيهم بأجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر فى تحصيلها فثبت انه حصلها واجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقا فيهم فوجب ان يقال انه افضل الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (قوله والهاء فى اقتده للوقف) اى وليس بضمير لان بهداهم متعلق باقتده وهو لا يتعدى الى مفعول ثان وحقها ان لا تثبت فى حال الوصل كما لا تثبت همزة الوصل فيه لان هذه الهاء فى حال السكت بمنزلة همزة الوصل فى حال الابتداء فكما لا تثبت الهمزة حال الوصل كذلك لا تثبت الهاء ومنهم من يثبتها فى الوصل ايضا لكونها ثابتة فى المصحف فكرهوا مخالفته فأثبتوا الهاء فى الحالين (قوله ويشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر) اى وليست بهاء الوقف وقال الواحدى وقرأ ابن عامر بكسرها وخطأه مجاهد وقال هذه هاء وقف ولا تحرك فى حال من الاحوال وانما تذكر لتظهر بها حركة ما قبلها وقال ابو على

والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى ويشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام (قل لا اسألكم عليه) اى على التبليغ او القرآن (اجرا) جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) اى التبليغ او القرآن او الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكيرا وموعظة لهم

الفارسي جعل ابن عامر الهاء كناية عن المصدر لاهاء الوقف كأنه قال فبهداهم اقتد الاقتداء والفعل يدل على المصدر فكنى عنه بها كما حكى سيبويه من قولهم من كذب كان شرا له اى كان الكذب شرا له واما حمزة والكسائي فانهما يحذفانها في الوصل و يثبتانها في الوقف وفي التيسير قرأ ابن ذكوان فبهداهم اقتده بكسر الهاء وصلتها بياء وهشام بكسرها من غير صلة وهما راويا ابن عامر الشامي (قوله وما عرفوه حق معرفته) عبر عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وطريقا اليها يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره والسبر تعيين قدر الشئ بالسبار يقال سبرت الجرح اذا نظرت ماغوره والسبار مايسبر به الجرح والحزر التقدير والخرص اذا اراد ان يعلم مقداره ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اذا غم عليكم الهلال فاقدروا له اى فاطلبوا ان تعرفوه ثم يقال لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته انه لايقدر قدره ولما حكى الله تعالى عنهم انهم ماقدروا الله حق قدره بين ماهو السبب في ذلك وهو قولهم ماانزل الله على بشر من شئ ووجه كونه سببا لعدم معرفتهم حق معرفته ان من أنكر النبوة والرسالة اما ان يقول انه تعالى ماكلف احدا من خلقه اصلا او يقول انه تعالى كلفهم والاول باطل لانه يستلزم القول بانه تعالى ترك احوال خلقه سدى واباح لهم جميع المنكرات والقبائح وهو لايليق بالحكيم الخبير فتعين القول بانه كلف الخلق بالامر والنهي وذلك يستلزم ان يرسل اليهم من يبلغ احكامه و يبين حلاله وحرامه وما فيه صلاح احوال الخلق وفسادها وما ذلك الا الرسول فان قيل لم لايجوز ان يقال العقل كاف في ايجاب الواجبات وتحريم المنكرات فالجواب هب ان الامر كذلك الا انه لايمتنع تأكيد التعريف العقلي بالتعريفات المشروعة على ألسنة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فثبت ان كل من منع البعثة والرسالة فقد طعن في حكمة الله تعالى فكان ذلك جهالة بصفة الالهية فحينئذ يصدق في حقه ماقدروا الله حق قدره ووجه انتظام هذه الآية بما قبلها انه قد تقرر ان مدار امر القرآن العظيم على اثبات امر التوحيد والنبوة والمعاد ولما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام احتجاجه على حقية التوحيد وابطال قاعدة الشرك وعبادة الكواكب والاصنام شرع بعده في تقرير امر النبوة فقال وماقدروا الله حق قدره حيث انكروا النبوة والرسالة (قوله قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن) جواب عما يقال ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى كيف يمكن لهم ان يقولوا ماانزل الله على بشر من شئ بتنكير بشر وشئ والنكرة في سياق النفي تفيد العموم وهم معتقدون ان التوراة كتاب انزله الله على موسى والانجيل كتاب انزله الله على عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقرير الجواب ان قائل هذا القول

(وماقدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ) حين انكروا الوحي و بعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)

لما حمله الغضب على ان ينكر نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانزال
القرءآن عليه اراد ان يقول لست مرسلا و ما انزل الله عليك شيأ البتة الا انه
قال ماانزل الله على بشر من شئ مبالغة فى ذلك الانكار فقيل فى جوابه الزاما له
قد انزل الله التوراة على موسى فلم لا يجوز انزال القرءآن على محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم كأنه ابرز كلامه فى صورة الممتنعات حيث بالغ فى انكاره فالزم بتجويزه
فلم يبق له بعد هذا الالزام الا ان يطالبه بالمعجز الدال على وقوع هذا الجائز
فى خصوص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فان اتى به فقد حصل الافحام وتم
الكلام ولم يبق الا الاسلام وان اصر اليهودى على انه تعالى ماانزل على محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم البتة مع انه معترف بانه تعالى انزل التورات على موسى
فذلك محض الجهالة والتقليد فان قيل قد اتفق اكثر المفسرين على ان هذه
السورة مكية وانها نزلت دفعة ومناظرات اليهود مع الرسول كانت مدنية فكيف
يمكن تطبيق هذه الآية على تلك المناظرة وايضا لما نزلت السورة دفعة واحدة
فكيف يمكن ان يقال هذه الآية المعينة انما نزلت فى الوقعة الفلانية اجاب عنه
الامام بأن القائلين بأن سبب نزول هذه الآية هنا مناظرة اليهود قالوا السورة
كلها مكية ونزلت دفعة واحدة الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فى هذه الواقعة
الا ان الامام ابا الليث وصاحب التيسير رويا ان هذه السورة كلها مكية وكان مالك
بن الصيف يخرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن اشياء وقد كان من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا فأتى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام انشدك
بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال
نعم قال فانت الحبر السمين قد سمنت من اكلتك التى يطعمك اليهود فضحك القوم
فخجل مالك بن الصيف فقال غضبا ماانزل الله على بشر من شئ فلما رجع مالك
الى قومه قالوا له ويلك ماهذا الذى بلغنا عنك قال انه قد اغضبنى فلذلك قلت ماقلت
قالوا أكلما غضبت قلت بغير حق وتقول غضبت فقلت بغير حق فأخذوا الرياسة
والحبرية منه وجعلوها الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية وماقدروا الله
حق قدره (قوله وقرأة الجمهور) مجرور بالعطف على قوله بدليل فان هذا
الخطاب فى الافعال الثلاثة انما يليق باليهود فدل ذلك على ان القائلين هم اليهود
(قوله وتضمين ذلك) مجرور ايضا بالعطف على قوله نقض كلامهم و الزامهم
و ذلك اشارة الى النقض و الالزام (قوله وكتبوه فى ورقات) يدل على
ان انتصاب قراطيس بنزع الخافض اى يجعلونه فى قراطيس و تبدونها صفة
قراطيس (قوله وقيل هم المشركون) عطف على قوله والقائلون هم اليهود

وقرآءة الجمهور بالتاء وانما
قرأ بالياء ابن كثير وابو
عمرو حملا على قالوا
وماقدروا و تضمين ذلك
توبيخهم على سوء جهلهم
بالتوراة وذمهم على
تجزئتها بابداء بعض
ماانتخبوه وكتبوه فى ورقات
متفرقة واخفاء بعض
لايشتهونه وروى ان مالك
ابن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم بقوله انشدك
بالذى انزل التوراة على
موسى هل تجد فيها ان الله
يبغض الحبر السمين قال
نعم قال فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة
لانه كان من المشهورات
الذائعة عندهم ولذلك
كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم (وعلمتم)
على لسان محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم (مالم
تعلموا انتم ولاآباؤكم)

ولما وردان يقال كفار قريش وان كانوا ينكرون نبوة جميع الانبياء و يقولون ما انزل الله على بشر من شئ الا انه كيف يمكن نقض كلامهم والزامهم بنبوة موسى عليه السلام اجاب عنه بقوله والزامهم بانزال التوراة وتقريره ان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وكانوا يسمعون ذكر موسى والتوراة وما اظهر الله تعالى على يده من المعجزات القاهرة فكان ذلك جاريا مجرى اعترافهم بنبوة موسى و انزال التوراة عليه فلم يبعد الزامهم بذلك وعلى هذا قرآءة الغيبة فى الافعال الثلاثة ظاهرة (قوله زيادة على مافى التوراة) اشارة الى ان علمتم خطاب لليهود كما ذهب اليه الاكثرون ثم ان الافعال الثلاثة اعنى تجعلونه وتبدون وتخفون سوآء قرئت على الخطاب اوالغيبة فى محل النصب على الحالية من الهاء فى به وقوله وعلمتم على قرآءة الغيبة فيها يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وانما جئ به مخاطبا على طريق الالتفات واما على قرآءة الخطاب فهو حال باضمار قد واعلم انهم لما الزموا بانزال الكتاب على موسى عليه الصلاة والسلام وصف الله تعالى كتابه بصفات ثلاث قصدا الى تجهيلهم وتوبيخهم احداها انه نور وهدى للناس وثانيتها انهم حرفوه وتصرفوا فيه بابداء بعض واخفاء كثير كالآيات المشتملة على صفات محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم وغيرها وثالثها انهم علموا فى ذلك الكتاب على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مالم يعلموا هم ولا آباؤهم وهو اكثر ما كانوا يختلفون فيه مما اوحى اليه كما قال تعالى ان هذا القرءآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون ومن قرأ الافعال الثلاثة بصورة الغيبة حمل الكلام على الالتفات فان قوله تعالى من انزل الكتاب لما كان جوابا لهم كان المطابق له تجعلونه على لفظ الخطاب الا انه التفت الى طريق الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة عز الحضور والخطاب بسبب فعلتهم القبيحة ثم التفت ثانيا من الغيبة الى الخطاب فى قوله وعلمتم تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وما احسن هذين الالتفاتين حيث اعرض عنهم عند ادارة نسبة القبيح اليهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم مالم يعلموا خاطبهم به قال الحسن قوله تعالى وعلمتم مالم تعلموا معناه جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وان جعل خطاب علمتم لمن آمن من قريش تكون الجملة معترضة بين الامر بقوله قل من انزل وبين قوله قل الله اتى بها فى اثناء تبكيت المشركين تذكيرا لهم ما انعم عليهم من نعمة الاسلام والعرفان وتنويها لها فان كون هذا الخطاب لمن آمن يستدعى ان يكون قائل ما انزل الله على بشر من شئ هم المشركون (قوله او حال من مفعوله) اى من مفعول ذرهم عطف على قوله صلة اى و يجوز ان يكون الظرف حالا منه مثل يلعبون هذا على مذهب من يجوز

زيادة على ما فى التوراة و بيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرءآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله اوقفا على يلعبون

تعدد الحال من ذي حال واحد ومن لم يجوز ذلك جعل الظرف متعلقا بذرهم
او يلعبون او حالا من فاعل يلعبون (قوله اومن هم الثاني) عطف على قوله
من هم الاول اى و يجوز ان يكون يلعبون حالا من ضمير خوضهم وجاز ذلك لانه
في قوة الفاعل لان المصدر مضاف الى فاعله والتقدير ذرهم يخوضوا لاعبين قال
بعضهم هذه الآية منسوخة بآية السيف وهو بعيد لان قوله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون مذكور لاجل التهديد وذلك لاينافي حصول المقاتلة فلم تكن
آية القتال رافعة لشئ من مدلولات هذه الآية فلا نسخ فيها ثم انه تعالى لما ابطل
بالدليل قول من قال ماانزل الله على بشر من شئ ذكر بعده ان القرآن كتاب
انزله الله على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه اولا بقوله انزلناه ليعلم ان الله
تعالى هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام وليس تركيب
الفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول ووصفه ثانيا بانه مبارك اى كثير
الفائدة والنفع وكيف لا ولم يوجد كتاب يحيط ما احاط به القرآن العظيم
من العلوم النظرية والعملية اما العلوم النظرية فاشرفها هو معرفة ذات الله
وصفاته وافعاله واحكامه ولايوجد كتاب يفيد معرفة هذه الامور مثل ماافاده
القرآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال القلوب وهو
المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لاتجد شيئا منهما مثل ماتجده في القرآن العظيم
فخيره كثير ومنفعته عظيمة ووصفه ثالثا بانه مصدق لما قبله من الكتب الالهية والامر
كذلك لان الموجود في سائر الكتب الالهية اما اصول الشرائع او فروعها
والاصول لاتختلف باختلاف الملل والاديان والازمان فوجب ان يكون القرآن
موافقا ومطابقا لما في سائر الكتب من اصول الدين واما علم الفروع والاحكام
فانه وان وقع الاختلاف فيها باختلاف الازمنة والامم الا ان ماوقع في كل عصر
وزمان لما كان موافقا لما اقتضته الحكمة والمصلحة كانت الاحكام متوافقة
من هذه الحيثية مصدقا بعضها بعضا هذا ماخطر ببالي وقال الامام واما علم
الفروع فقد كانت الكتب الالهية المتقدمة على القرآن مشتملة على البشارة
بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك فقد حصل في تلك
الكتب ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت بعثته عليه الصلاة والسلام
واما بعد ظهور شرعه فانها تصير منسوخة والقرآن مصدق لهذا المعنى
وموافق له (قوله لانها قبلة اهل القرى) فصارت كالاصل لسائر القرى
وايضا لما اجتمع الخلق اليها لاجل الحج الذي هو من اصول العبادات كما تجتمع
الاولاد الى الام صارت كالام لهم وايضا لما كانت اعظم القرى شأنا صارت
بالنسبة الى سائر القرى كالام بالنسبة الى الاولاد وايضا لما دحيت الارض من

اومن هم الثاني والظرف
متصل بالاول (وهذا
كتاب انزلناه مبارك) كثير
الفائدة والنفع (مصدق
الذي بين يديه) يعني
التوراة او الكتب التي
قبله (ولتنذر ام القرى)
عطف على مادل عليه
مبارك اى للبركات ولتنذر
او علة لمحذوف اى ولتنذر
اهل ام القرى انزلناه وانما
سميت مكة بذلك لانها
قبلة اهل القرى ومحجهم
ومجتمعهم واعظم القرى
شأنا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها ولانها
مكان اول بيت وضع للناس
وقرأ ابو بكر عن عاصم
بالياء لينذر الكتاب
(ومن حولها) اهل
المشرق والمغرب (والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به وهم على صلاتهم
يحافظون)

فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما و يحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد ﴿ ٧٤ ﴾ الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه (او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء) كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين (في غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) يقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب (اخرجوا انفسكم) اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم

من تحتها كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صارت اصل الارض كلها كالام اصل النسل وايضا لما كان فيها البيت الذي هو اصل سائر البيوت واسبق منها بحيث صار ذلك البيت بمنزلة الام لسائر البيوت صارت نفس مكة ايضا بمنزلة الام لسائر القرى وقوله ام القرى على حذف المضاف كقوله واسأل القرية وقرأ الجمهور لتنذر بتاء الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ بياء الغيبة اي لينذر الكتاب بمواعظه وزواجره (قوله فان من صدق بالآخرة الخ) علة لكون الايمان بالآخرة سببا للايمان بالكتاب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان من آمن بالبعث والحساب والجزاء تعظم رغبته في نيل الثواب ورهبته من حلول العقاب وذلك يصرفه عن الانهماك في الحظوظ العاجلة و يحمله على النظر في الدلائل الموصلة الى الحق وسعادة الآخرة فيؤمن بالنبي و الكتاب و يحافظ على جميع الطاعات و التكاليف التي اشرفها واجمعها اقامة الصلاة ثم انه تعالى بعد ما ابطل قول من قال ما انزل الله على بشر من شيء و بين كون القرآن كتابا نازلا من عنده و بين شرفه و رفعته ذكر وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذبا وافتراء كمسيلمة الكذاب صاحب اليمامة والاسود العنسي صاحب صنعاء قال ومن اظلم الآية ومن اظلم مبتدأ وخبر وكذبا مفعول افترى اي اختلق كذبا وافتعله ولا فائدة في جعله مفعولا مطلقا لان الكذب اعم من الافتراء بخلاف ما اذا كان المصدر نوعا من الفعل نحو قعدت القرفصاء اومرادفا له نحو قعدت جلوسا و يحتمل ان يكون مفعولا له اي افترى لاجل الكذب اومصدرا واقعا موقع الحال اي افترى حال كونه كاذبا وهي حال مؤكدة (قوله او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي) وهو اول من غير دين اسمعيل و نصب الاوثان و بحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه الصلاة والسلام في حقه رأيته يجر قصبه في النار (قوله حذف مفعوله) وحذف جواب لو ايضا اي لو ترى الظالمين في هذا الوقت رأيت امرا عظيما والظالمون مبتدأ وفي غمرات الموت خبره واذ مضاف الى الجملة والغمرة الشدة الغالبة من غمره الماء اذا علاه وغطاه فالغمرة ما يغمر من الماء استعيرت للشدة الغالبة لانها تستر بغمها من نزل به (قوله كالمتقاضي الملظ) اي كالغريم الملازم الملح الذي يبسط يده الى من عليه الحق و يعنف عليه في المطالبة ولا يمهل و يقول له اخرج مالي عليك الساعة ولا ازال من مكاني حتى انزعه من كبدك وجلد قفاك و قيل معناه باسطوا ايديهم بالعذاب وقوله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم في محل النصب على انه حال من الضمير المستكن في قوله في غمرات وقوله تعالى

تغليظا و تعنيفا عليهم اواخرجوها من ﴿ ٧٥ ﴾ العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الامانة

اوالوقت الممتد من الامانة الى مالا نهاية له تجزون عذاب الهون) اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا اوعن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال و فراد كثلاث وفردى كسكرى (كما خلقناكم اول مرة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد اوحال ثانية ان جوز التعدد فيها اوحال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما اوصفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم

(وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (ورآء ظهوركم)

اخرجوا انفسكم فى محل النصب بقول مضمر (قوله تغليظا و تعنيفا) جواب عما يقال لامقدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة فى هذا الكلام (قوله واضافته الى الهون لعراقته) كأنه قيل لابد فى الاضافة من الدلالة على اختصاص المضاف اليه فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلة فأجاب عنه بانه لما لم يقصد بالعذاب شئ سوى الهوان و الخسارة صار العذاب اصيلا فى الهوان متمكنا فيه فاضيف اليه لافادة هذا المعنى (قوله و هو جمع فرد) قال الامام فرادى لفظ جمع و فى واحده قولان قال ابن قتيبة فرادى جمع فردان مثل سكارى وسكران وكسالى وكسلان وقال غيره فرادى جمع فريد مثل ردا فى جمع رديف واسارى جمع اسير وقال الفرآء جمع واحده فرد و فردة و فريد و فى الصحاح الفرد الوتر والجمع افراد و فرادى على غير قياس كأنه جمع فردان ودر فرد و فارد وفريد كله بمعنى منفرد و من قرأ فرادا بالتنوين فقد جعله اسما صحيحا اى ليس فيه ألف مقصورة للتأنيث كرخال ورخل بكسر الخاء والرخل الانثى من اولاد الضأن والذكر حمل والجمع رخال بالكسر ورخال ايضا بالضم وفرادى منصوب على انه حال من فاعل جئتمونا وجئتمونا يحتمل ان يكون بمعنى المصدر المستقبل اى تجيئوننا وانما ابرز فى صورة الماضى لتحققه كقوله تعالى أتى امر الله ونادى اصحاب الجنة ويحتمل ان يكون ماضيا على ان يكون حكاية لما يقال لهم يوم القيامة فى مقام الحساب فان مجيئهم فرادى يكون سابقا واقعا قبل هذا القول فعلى هذا الاحتمال يكون قوله تعالى ولقد جئتمونا معطوفا على قول الملائكة أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون اى كما يقولون ذلك على وجه التعنيف والتوبيخ كذلك يقولون حكاية عن الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى و يجوز ان يكون قائل هذا القول هو الله تعالى لا الملائكة من عند انفسهم بل يقولونه عن الله تعالى و القائل اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم او الملائكة الموكلون بعقابهم (قوله بدل منه) اى من فرادى ذكر ان محل الكاف فيه اربعة اوجه احدها النصب على انها صفة مصدر محذوف اى جئتمونا مجيئا مثل مجيئكم يوم خلقناكم والثلاثة الباقية على ان تكون حالا من فاعل جئتمونا ان جوز تعدد الحال من ذى الحال الواحد وان تكون بدلا مما هو حال من ذلك الفاعل ان لم يجز التعدد فيها وان تكون حالا من الضمير المستكن فى فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم وفيه نظر لانهم لم يشبهوا ابتدآء خلقهم فينبغى ان يقدر مضاف اى مشبهة حال مجيئكم حال ابتدآء خلقكم (قوله غرلا) جمع اغرل وهو الاقلف والغرلة القلفة والبهم هم الذين لاشئ معهم (قوله فشغلتم به عن الآخرة) واما اذا

لم يكن مشغولا به معرضا عن الآخرة بان صرفه الى الجهات الموجبة لتعظيم
امر الله والشفقة على خلق الله فحينئذ لا يكون تاركا له وراء ظهره بل يكون مقدما اياه تلقاء
وجهه قال الله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله (قوله ماقدمتموه منه شيأ)
هكذا في ما رأيته من النسخ والعبارة الظاهرة ماقدمتم منه شيأ فكأنه جعل شيأ بدلا
من ضمير المفعول وتوسط منه بين البدل والمبدل منه لانه ليس بأجنبي بل هو من
تتمة البدل ومعنى الآية ان الله تعالى اعطى النفس الانسانية هذه القوى والآلات
الجسدانية لتحصيل المعارف اليقينية والاعمال الصالحة والشرك لم يكتسب
بما اعطاه الله تعالى من القوى والآلات ما يسعده في الآخرة ويكون سببا
لسعادته الابدية بل صرف جده وجهده الى تحصيل المال والجاه وعبادة
الاصنام على اعتقاد انها شفعاؤه عند الله تعالى ثم انه اذا انتقل من العالم
الجسماني الى العالم الروحاني وورد محفل القيامة يرى ان ما افنى عمره في تحصيله
من المال والجاه وسائر الحظوظ الجسمانية واللذات النفسانية قد بقي وراء ظهره
لم يصحبه شيء منها ويستبين له ايضا انه لم يكتسب بما اعطاه الله تعالى من الآلات
الجسمانية والكمالات العلمية والعملية ما ينفعه في هذا المحفل وقد ضاع وقت
الاكتساب واسبابه ايضا ولا يجد من الاصنام ما يزعم من كونها شفعاء له عند الله
فحق ان يقال في حقه انه قد ورد محفل القيامة منفردا عن كل ما حصله في الدنيا
وتوقع ان ينتفع به عند الله تعالى بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا همتهم الى
العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة فبقيت معهم في قبورهم وحضرت معهم
في محفل القيامة فهم في الحقيقة ما حضروا فرادى (قوله اى تقطع وصلكم)
على قراءة من قرأ بينكم بالرفع وهم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم
في رواية ابي بكر فانهم جعلوا بين اسما غير ظرف وجعلوه لفظا مشتركا اشتراكا
لفظيا يستعمل للوصل والفراق كالجون للاسود والابيض فيعرب على حسب
استدعاء العامل وقيل في وجه قراءة الرفع ان بين ظرف الا انه اتسع في هذا الظرف
حيث جعل مسندا اليه كما قيل فويل خلفكم وامامكم * فصار كسائر الاسماء
المتصرف فيها على حسب استدعاء العامل ويدل عليه قوله تعالى ومن بيننا
وبينك حجاب فاستعمل مجرورا بمن وقوله هذا فراق بيني وبينك وقوله يجمع
بينهما وقوله تعالى شهادة بينكم جعل بين في هذه المواضع مضافا اليه متصرفا
فيه ولو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله الا منصوبا والاصل ههنا انتصاب
بينكم على الظرفية بأن يقال لقد تقطع بينكم وهي قراءة نافع والكسائي وحفص
بأن يكون تقطع مسندا الى ضمير مصدره لان تقطع لا بد له من فاعل وبينكم
ظرف وليس بفاعل ففاعله التقطع والتقدير تقطع التقطع وهو معنى قوله

ما قدمتموه منه شيأ ولم
تحملوا نقيرا (وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء) اى
شركاء الله في ربوبيتكم
واستحقاق عبادتكم
(لقد تقطع بينكم) اى
تقطع وصلكم وتشتت
جمعكم والبين من الاضداد
يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف اسند اليه
الفعل اتساعا والمعنى وقع
التقطع بينكم ويشهد له
قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم
بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم
مقام موصوفه واصله
لقد تقطع ما بينكم وقد
قرئ به (وضل عنكم)
ضاع وبطل (ما كنتم
تزعمون)

انها شفعاؤكم او ان لابعث ولاجزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) ممالاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان (ذلكم الله) اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل اوعن بياض النهار اوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه

على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه الا انه لابد ان يؤول الكلام بأن يجعل تقطع بمعنى وقع لانه لوابقى قولنا تقطع التقطع على اصل معناه حصل الوصل وهو ضد المقصود فكان معنى الكلام وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما ثم اتسع بأن اسند الفعل الى ظرفه وقيل فى توجيه قرآءة النصب ان الاصل لقد تقطع ما بينكم من الوصل والمودة فما نكرة موصوفة لاموصولة لان حذف الموصول وابقاء الصلة لايجوز بخلاف حذف الموصوف فحذفت ما واقيم بينكم مقام موصوفه وايد هذا الوجه بقرآءة عبد الله لقد تقطع مابينكم (قوله انها شفعاؤكم) ساد مسد مفعولى تزعمون فان ما فى قوله ماكنتم سوآء كانت موصولة او موصوفة لابد ان تشتمل الجملة الواقعة بعدها على ضمير يعود اليها وان تزعمون لابد له من مفعولين فقدر الجميع فى هذا القول والمناسب لقوله تعالى سابقا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ان يقال فى التقدير تزعمونهم شركاء الله فى ربوبيتكم (قوله بالنبات والشجر) اى انه تعالى يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر ويشق النواة الصلبة فيخرج شجرة ذات اوراق واغصان على ان الفلق هو الشق والفطر وقيل فالق ههنا بمعنى خالق ثم انه تعالى لما قرر امر التوحيد واردفه بتقرير امر النبوة عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وعلمه تنبيها على ان المقصود الاصلى هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب وهو جمع حبة وهو اسم لجميع البذور المقصودة بذواتها كالشعير والحنطة ونحوهما والنوى واحدها نواة وهى الشئ الموجود فى داخل الثمر مثل نواة الخوخ والتمر (قوله يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله) يعنى ان الحى والميت هنا مجاز عن النامى والجامد تشبيها للنامى بالحى كما فى قوله تعالى ويحيى الارض بعد موتها والحى حقيقة مايكون موصوفا بالحياة المستتبعة للحس والحركة الارادية والميت حقيقة مايكون خاليا عن صفة الحياة مع كون الحياة من شأنه ولم يحملهما المصنف على معناهما الحقيقى لان قوله تعالى يخرج الحى من الميت فى موضع البيان لقوله تعالى فالق الحب والنوى ولذلك ترك العاطف بينهما فلو حملا على اصل معناهما لما صلحت الجملة لان تكون بيانا لما قبلها ولما كانت مطابقة له وقوله تعالى ومخرج الميت لما لم يصلح بيانا له لم يحسن عطفه على يخرج الحى فلذلك جعل معطوفا على قوله فالق الحب وذكر بلفظ اسم الفاعل مثله ومنهم من حمل اللفظ على الحقيقة وقال يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة ميتة ويخرج من البيضة فروجة حية ويخرج من الدجاجة بيضة ميتة والزجاج حمله على المجاز وقال يخرج النبات

الخضر من الحب اليابس و يخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى وقال ابن
عباس يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم والكافر من المؤمن كما فى حق
ولد نوح عليه الصلاة و السلام والعاصى من المطيع و بالعكس وقرأ نافع وحمزة
والكسائى وحفص عن عاصم الميت مشدد الياء فى الكلمتين والباقون بالتخفيف
ثم انه تعالى لما استدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته بدلالة
احوال النبات والحيوان استدل عليها ايضا بالاحوال الفلكية وذلك لان فلق
ظلمة الليل بنور الصبح اعظم فى الدلالة على كمال القدرة من دلالة فلق الحب
والنوى بالنبات والشجر فقال فالق الاصباح وهو مرفوع على انه صفة لاسم الله
فى قوله تعالى ذلكم الله فان قيل ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح
وليس الامر كذلك فان الحق تعالى فلق الظلمة بالصبح فكيف الوجه فيه
فالجواب الاول انه تعالى كما يشق الظلمة الخالصة الواقعة فى الليل ويخرج منها
عمود الصبح وهو الصبح المستطيل الذى شبهته العرب بذنب السرحان
ويعقبه ظلمة خالصة كذلك يشق ذلك العمود ويخرج منه الظلمة الخالصة ويخرج
منه ايضا بياض النهار واسفاره فان الصبح و الصباح والاصباح عبارات عن اول
ما يبدو من النهار واول ما يبدو منه صبحان فالصبح الاول هو الصبح المستطيل الذى
يعقبه الظلمة الخالصة ثم يطلع بعده الصبح المستطير فى جميع الافق فصح ان يقال
انه تعالى فالق الاصباح الاول عن ظلمة آخر الليل وفالق الظلمة عن بياض النهار
ايضا والجواب الثانى ان المراد فالق ظلمة الاصباح على حذف المضاف والمراد
بظلمة الاصباح الغبش الذى يلى الاصباح المستطيل ويعقبه والغبش بالتحريك
البقية من الليل ويقال انه ظلمة آخر الليل وقد اشار المصنف الى الجوابين (قوله
ونصبه) اى ونصب سكنا على قرآءة وجاعل الليل بالاضافة لايجوز ان يكون
بجاعل لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى الماضى بل هو منصوب بفعل
مضمر دل عليه جاعل اى جعل الليل سكنا وسكن فعل بمعنى مفعول نحو قبض
بمعنى مقبوض والليل منصوب بجعل على قرآءة وجعل الليل وكذا سكنا منصوب به
على انه مفعول ثان له على ان يكون الجعل بمعنى التصيير او على انه حال من الليل
على انه بمعنى الخلق وتكون الحال مقدرة (قوله او به) اى او يجوز ان يكون
سكنا منصوبا بجاعل على ان يراد به جعل مستمر وهذا مخالف لقوله فى مالك
يوم الدين ان المعنى له الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة
حقيقية مفيدة او قوعه صفة للمعرفة وهو صريح فى ان اسم الفاعل اذا قصد به
زمان مستمر لا يكون عاملا فتكون اضافته حقيقية مفيدة للتعريف وقد صرح
ههنا بانه اذا قصد به الاستمرار تكون اضافته لفظية من حيث كونه مضافا الى

وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له

معمول له فبين كلاميه تدافع واجيب بأن السلف قد اجمعوا على ان اسم فاعل لايعمل اذا قصد به الماضى ويعمل اذا قصد به الحال اوالاستقبال واما اذا قصد به الاستمرار فقد اختلفوا فى عمله حينئذ بناء على ان الاستمرار يحتوى على الازمنة الماضية والآتية والحال فنهم من اعتبر جانب الآتى والحال فجعل الاضافة لفظية ومنهم من اعتبر جانب الماضى فجعل الاضافة معنوية والتعويل على القرآن والمقامات فكلامه فى الموضعين مبنى على الاعتبارين (قوله وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر الخ) قرأ الجمهور بنصب الشمس والقمر وهى واضحة على قرآءة الكوفيين حيث يجعل هذان منصوبين كاهما فى سكنا معطوفين على المنصوب بجعل و يكون حسبانا اما مفعولا ثانيا اوحالا واما على قرآءة الجمهور بأن جعل جاعل بمعنى الماضى فلابد من اضمار فعل ينصبها اى وجعل الشمس وان قلنا انه ليس بمعنى الماضى سوآء كان الاستمرار او بمعنى الحال والاستقبال يكون نصبهما بالعطف على محل المجرور كما فى قوله

هل انت باعث دينار لحاجتنا ❊ اوعبد ربا اخاعون بن مخراق

بنصب عبد ويشهد له قرآءة ابى حيوة اياهما بالجر عطفا على لفظ الليل (قوله والاحسن نصبهما بجعل مقدرا) فانه احسن من جعلهما منصوبين بالعطف على محل المجرور لان اسم الفاعل ههنا لايخلو اما ان يكون بمعنى الماضى فلا يكون لمجروره محل اوللاستمرار فلا يكون عمله متفقا عليه وكذا هو احسن من جرهما بالعطف على الليل لانه مبنى على جواز العطف على معمولى عاملين مختلفين او على جواز كون اسم الفاعل الذى قصد به الاستمرار عاملا وكلاهما مختلف فيه بين النحاة (قوله اى على ادوار) اى جعلهما يجريان على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها فى سنة وقدر حركة القمر بحيث يتم الدورة فى شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الاهلة فى كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء قال تعالى فى حق الاهلة هى مواقيت للناس والحج وقال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فمعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان على ان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالرجحان والنقصان وفعله حسب يحسب من باب نصر واما الحسبان بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظن والتخمين (قوله تعالى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها) كل واحد من اللامين فى لكم ولتهتدوا متعلق بجعل وجاز تعلق حرفى جر متحدين لفظا

قرآءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتدآء والخبر محذوف اى مجعولان (حسبانا) اى على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة اوفى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهوافراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة)

ومعنى بعامل واحد لكون الثانى بدلا من الاول بدل اشتمال باعادة العامل ونظيره قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم فان لبيوت بدل من قوله لمن يكفر باعادة العامل (قوله هو آدم عليه السلام) وهو نفس واحدة وحوآء مخلوقة من ضلع من اضلاعه فصار كل الناس محدثة ومخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى عليه السلام فان ابتداء تكوينه كان من مريم التى هى مخلوقة من ابويها وهذا دليل رابع على وجود الاله وكمال قدرته وعلمه واستدل عليه بكيفية انشاء عالم الانسان وبثه فى وجه الارض (قوله فلكم استقرار واستيداع) على ان يكون كل واحد من قوله فمستقر ومستودع على لفظ اسم المفعول مصدرا ميميا مرفوعا على الابتداء وخبره محذوف وهو لكم ولا يجوز ان يكون الخبر المضمر منكم لان المعانى لا تحمل على الاعيان ويحتمل ان يكون كل واحد منهما اسم مكان الاستقرار والاستيداع والتقدير فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ولا يجوز ان يكون المستقر بفتح القاف اسم مفعول لان استقر لا يتعدى فلا يكون له مفعول بخلاف استودع فانه فعل يتعدى الى مفعولين تقول اودعت زيدا ألفا واستودعت مثله فالمستودع يجوز ان يكون اسم مفعول ويراد منه انسان استودع فى مكان كما يجوز ان يكون مصدرا ميميا واسم مكان الا ان من قرأ فمستقر بفتح القاف وهو لا يحتمل الا وجهين المصدر والمكان جعل المستودع ايضا مصدرا اومكانا ليكون المعطوف مثل المعطوف عليه وفى قاف المستقر قرآءتان الفتح والكسر بخلاف المستودع فان القرآء اتفقوا على ان داله مفتوحة ليس الا والمصنف اشار الى الفرق بقوله لان الاستقرار منا دون الاستيداع واراد بالبصريين ابا عمرو ويعقوب وابن كثير المكى فالمستقر فى قرآءتهم يكون اسم فاعل ويراد به الاشخاص فيكون المستودع بفتح الدال اسم مفعول حتى يكون عبارة عن الاشخاص ايضا ويكون الخبر المحذوف حينئذ منكم لا لكم والتقدير فمنكم مستقر فى الاصلاب ومنكم مستودع فى الارحام جعل صلب الاب مستقرا للنطفة ورحم الام مستودعا لها لان النطفة حصلت فى صلب الاب لا من قبل الغير وحصلت فى رحم الام بفعل الغير فأشبهت الوديعة كأن الرجل اودعها ماكان مستقرا عنده الا ان اكثر الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المستقر هو الارحام والمستودع الاصلاب ثم قرأ ونقر فى الارحام مانشاء وقال سعيد بن جبير قال لى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هل تزوجت قلت لا قال اما انه ماكان مستودعا فى ظهرك فسيخرجه الله تعالى وقيل المستقر فوق الارض لقوله تعالى ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع القبر لان اهله انما تودع فيه لان تخرج منه تارة اخرى (قوله تعالى قد فصلنا الآيات) اى بيناها على

هو آدم عليه الصلاة والسلام (فمستقر ومستودع) اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض اوموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)

ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فأخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهارالقدرة فى انبات

وجه انفصال بعضها عن بعض (قوله ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون) يعنى ان الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفى واصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذى يشق الاحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح مااستغلق منها روى ان سلمان نزل على نبطية بالعراق فقال ههنا مكان نظيف اصلى فيه فقالت طهر قلبك وصل حيث شئت فقال فقهت وفطنت للحق اى نظرت نظرا دقيقا فظهر ان الفقه انما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر وسمى علم الشريعة فقها لانه علم مستنبط بالقوانين والادلة والاقيسة والانظار الدقيقة فيها وقوله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم اشارة الى ايات الآفاق وقوله وهوالذى انشأكم من نفس واحدة اشارة الى آيات الانفس ولاشك ان آيات الافاق اظهر واجلى وآيات الانفس ادق واخفى فكان ذكر الفقه لهـا انسب واولى كما ان انفس بنى آدم ادق صنعا واجمع لآثار القدرة ودلائلها فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته ادق واخفى (قوله من السحاب) سمى السحاب سماء لان العرب تسمى كل مافوقك سماء فتقول اسقف البيت سماء البيت وقال ابوعلى الجبائى فى تفسيره ان الله تعالى يخلق المطر فى السماء ثم ينزله من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض قال لان ظاهر النص يقتضى نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر الى التأويل انما يحتاج اليه عند قيام الدليل على ان اجرآء اللفظ على ظاهره غيرممكن وفى هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء فوجب اجرآء اللفظ على ظاهره وهذه الآية اشارة الى دليل خامس على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووجوه احسانه الى خلقه واعلم ان هذه الدلائل كما انها دلائل فهى ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة والكلام اذا كان دليلا من بعض الوجوه وكان انعاما واحسانا من سائر الوجوه كان تأثيره فى القلب عظيما وعند هذا يظهر ان المشتغل بدعوة الخلق الى الحق لاينبغى له ان يعدل عن هذه الطريقة (قوله على تلوين الخطاب) اى تغييره الى اون آخر حيث التفت من طريق الغايبة فى قوله هوالذى انزل الى الاخبار عن نفسه بنون العظمة وهى ليست نون الجمع حتى يقال المخرج هوالله تعالى وحده لا شريك له فيه فما وجه ايراد لفظ الجمع فى قوله فأخرجنا فان الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيما له (قوله نبت كل صنف من النبات) النبت والنبات مايخرج من الارض من النباتات سوآء كان له ساق كالشجر اولم يكن له ساق كالنجم والمعنى اخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمان والتفاح وغيرها قال الفرآء قوله تعالى فأخرجنا به نبات كل شئ يقتضى ان يكون لكل شئ نبات وليس الامر كذلك فالمراد فأخرجنا به نبات

الانواع المفننة السقية بماء واحد كما في قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فأخرجنا منه) من النبات او الماء (خضرا) شيأ اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنابل (ومن النخل من طلعها قنوان) اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول اوملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب) عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم اوثم جنات اومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لايخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات اونصب على الاختصاص

كل شئ له نبات فالايكون له نبات لايكون داخلا في قوله كل شئ والمصنف افاد ماقاله الفراء بقوله كل صنف من النبات (قوله الانواع المفننة) اى المتنوعة بمعنى المختلفة من الفن وهو النوع يقال افتن الرجل في حديثه وفي خطبته اذا جاء بالافانين اى بالاساليب التي هي اجناس الكلام وطرقه (قوله وهو الخارج من الحبة المتشعب) اى الشئ الاخضر الخارج من النبات هو ماتشعب من اصل النبات الخارج من الحبة يعنى اغصان الشجر وشعب النجم ثم انه تعالى يخرج من ذلك الخضر المتشعب حبا متراكبا بعضه فوق بعض مثل سنابل البر والشعير ونحوهما وجملة نخرج منه حبا صفة لخضرا والجمهور على ان نخرج مسند الى ضمير المعظم نفسه وقرأ ابن محيصن والاعمش يخرج بياء الغيبة مبنيا للمفعول وحب قائم مقام فاعله والجملة صفة خضرا كما في قراءة الجمهور (قوله اى واخرجنا من النخل نخلا) علقه بفعل مقدر ليكون من طلعها قنوان جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ وهذه الجملة في محل النصب على انها صفة لمحذوف وهو مفعول الفعل المقدر والمعنى واخرجنا نخلا من جنس النخل موصوفة بانها مخرجة من طلعها قنوان وهذه الجملة الفعلية معطوفة على الفعلية التي قبلها وقوله ومن النخل اى من النخل شئ من طلعها قنوان على ان من النخل خبر مبتدأ محذوف ومن طلعها قنوان جملة اسمية مرفوعة المحل على انها صفة لذلك المحذوف والجملة الاسمية الكبرى معطوفة على الفعلية قبلها كما اذا كان من النخل خبرا مقدما ومن طلعها بدلا منه بدل البعض من الكل باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله وقنوان مبتدأ مؤخر * والاعذاق جمع عذق بالكسر ويقال له القنو والكباسة ايضا وهو للتمر بمنزلة العنقود للعنب والطلع اول مايرى من عذق النخلة الواحدة طلعة عن ابي عبيد انه قال اطلعت النخل اذا خرج طلعها وهو كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض قال الاصمعي الكافر والكفرى وعاء طلع النخل كذا في الصحاح (قوله وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها) اى اقتصر على ذكر قنوان دانية ولم يعطف عليها ما يقابلها بان يقال ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد المتقابلين يدل على الآخر كما قيل سرابيل تقيكم الحر ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لان ذكر احد الضدين يدل على الثاني فكذا ههنا وايضا ذكر القريبة وترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واكثر (قوله ولا يجوز عطفه على قنوان) اى من نبات اعناب على حذف المضاف لان البستان لايكون من العنب نفسه بل من النبات والاشجار لان المعنى يصير حينئذ وحاصلة او مخرجة من طلع النخل قنوان وجنات من اعناب

(وفيا دم)

لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخيما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن)

وفساده ظاهر وقوله تعالى والزيتون والرمان لم يقرأهما احد الا منصوبين وجعل المصنف انتصابهما وانتصاب جنات بالعطف على نبات كل شئ والاقرب لفظا ومعنى ان يجعل جنات عطفا على خضرا الا ان اخراج الجنات بعد اخراج النبات كما ان اخراج الخضر بعده وان يجعل الزيتون والرمان معطوفين على حبا الا انهما مخرجان فى الطور الثالث كما ان حبا مخرج فيه لكن لم يذهب الى هذا اما فى عطف الجنات فلانه فسر اخراج الخضر من النبات بتشعبه من اصله واخراج الجنات ليس كذلك واما فى عطف الزيتون والرمان فلانهما وان كانا مخرجين من الخضر المتشعب من اصل النبات الا ان ما ذكر من مرتبة الاخراج لما لم يعتبر فى الجنات لم يعتبر فيهما ايضا بل جعل كلا المعطوفين معطوفا على نبات كل شئ على طريق عطف الخاص على العام تشريفا لهذين المعطوفين على غيرهما وجعل الجميع مخرجا بسبب الماء لان كثرة صنوف المسببات وافتنانها مع وحدة السبب وهو الماء أدخل فى مقصود المقام وهو بيان كمال قدرة الله تعالى وحكمته (قوله لعزة هذين الصنفين عندهم) يعنى ان الظاهر جرهما بالعطف على اعناب لكون الجميع من جملة ثمار الجنات فلما عدل الى نصبهما احتجنا الى ان نطلب فيه نكتة فلم نجد سوى نكتة قصد الاختصاص والتنبيه على تميز هذين الصنفين وشرفهما من بين ثمار الجنات (قوله وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم) وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم بتخفيف ميم ثمر كقولهم رسل ورسل والباقون بفتح الثاء والميم على انه جمع ثمرة نحو بقر وبقرة وشجر وشجرة ❊ واليَنع النضج يقال ينع ينيع ينعا بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر ويقال ايضا ينعت الثمرة تينع ينعا وينعا من باب علم والفتح لغة الحجاز والضم لغة بعض نجد وايضا ينعت تونع ايناعا ثلاثيا ورباعيا كلاهما بمعنى والنعت يانع ومونع وقوله اذا أثمر ظرف لقوله انظروا امر بالنظر فى اول حال حدوث الثمرة وفى حال كمال نضجها مع كونها نابتة من ارض واحدة ومسقية بماء واحد ليعلم انها كيف تتبدل وتنتقل الى احوال مضادة للاحوال السابقة وحصول هذه التغيرات لا بد له من سبب وليس من تأثير الطبائع والفصول والانجم والافلاك لان نسبتها الى جميع هذه الاجسام النباتية متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن ان تكون اسبابا لحدوث الحوادث المختلفة ولما بطل اسناد هذه الحوادث المختلفة اليها تعين كونها مسندة الى القادر العليم الحكيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة ولا ينتفع بهذه الدلائل الواضحة الا المؤمنون لان ذات الدليل لا يوجب العلم وانما يحصل العلم بشرط التفكر والتأمل فيه كما ينبغى مع ارتفاع ما يمنع عن قبول الحق واتباعه قال القرطبى هذا الينع هو الذى يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو ان يطيب اكل الفاكهة

ويؤمن عليها من العاهة عند طلوع الثريا بما اجرى الله تعالى عادته عليه روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا طلعت الثريا صباحا رفعت العاهة عن اهل البلد وطلوعها صباحا لاثنتي عشرة ليلة تمضي من شهر ايار وهو آخر الشهور الثلاثة وهي أذار ونيسان وأيار من اول فصل الربيع (قوله اى الملائكة) قد مر أن من المشركين طائفة يعبدون الكواكب ويعبدون الاصنام على زعم انها صور الكواكب وهؤلاء هم الذين ناظرهم ابراهيم عليه الصلاة السلام بقوله لا احب الآفلين وبقي من المشركين ثلاث طوائف منهم من يعبد الملائكة قائلين بانهم بنات الله ومدبرون احوال هذا العالم ومنهم من يقول للعالم الهان احدهما يفعل الخير وهو خالق النور والناس والدواب والانعام وجميع ماله نفع وخير ويسمونه يزدان وثانيهما يفعل الشر وهو خالق الظلمة والحيات والعقارب وجميع ماله ضرر وفساد ويسمونه اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا وقالوا انه شريك لله تعالى في تدبير هذا العالم خيراته من الله تعالى وشروره من ابليس ومنهم من يشرك بالله تعالى بأن يعبد النار او بأن يقول عزير ابن الله او المسيح ابن الله ونحو ذلك من طرق الكفر ووجوهه بأن سول لهم الشيطان ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فيما دعاهم وقبلوا ذلك منه كما يقبل المؤمن حكم الله تعالى ويطيعه فيما امر به فكان ذلك القبول والاطاعة منهم بمنزلة عبادة الشياطين وجعلهم الشياطين شركاء لله فيمكن ان يحمل لفظ الجن في قوله تعالى شركاء الجن على كل واحد من الملائكة والشياطين الذين دعوهم الى طرق الكفر والضلال وابليس الذي يسمونه اهرمن فلذلك جوز المصنف حمله على كل واحد منهما حيث قال اى الملائكة او الشياطين الذين اطاعوهم وقالوا الشيطان خالق الشر وكل ضار فان قيل من قال خالق الشر هو ابليس اثبت لله تعالى شريكا واحدا هو ابليس فكيف يصح ان يقول في حقهم انهم جعلوا لله شركاء اجيب بانهم يقولون عسكر الله هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة جماعة عظيمة وارواح طاهرة مقدسة يلهمون الارواح البشرية الخيرات والطاعات والشياطين طائفة كثيرة تلقى الوساوس الباطلة الى النفوس البشرية والله تعالى مع عسكره من الملائكة يحاربون ابليس مع عسكره من الشياطين فلذلك حكى الله تعالى عنهم أنهم اثبتوا لله شركاء الجن (قوله ومفعولا جعلوا لله شركاء على ان يكون شركاء مفعولا اولا ولله متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني والجن بدل من شركاء مفسر له فان البدل قد يقصد به تفسير المبدل منه فان قلت كيف يجوز ان يكون الجن بدلا من شركاء وشرط البدل ان يصح حلوله محل المبدل منه ولا يصح ذلك هنا فانه لا يصح ان يقال

اى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله

وجعلوا لله الجن والجواب لانسلم انه يجب فى كل بدل ان يصح حلوله محل المبدل منه الا ترى انه يصح ان يقال زيد مررت به ابى عبد الله ولو قلت زيد مررت بابى عبد الله لم يجز لعدم العائد الى المبتدأ (قوله اوشركاء الجن) اى ويجوز ان يكون الجن هو المفعول الاول وشركاء مفعولا ثانيا ولو جعل الجن عطف بيان لما ورد السؤال والجواب قدم على المفعول الاول اهتماما بشان المقدم فان المقصود بالاستعظام هو نفس اتخاذ الشريك لله تعالى سواء كان ذلك الشريك انسيا او جنيا او ملكا لا اتخاذ الجن شريكا ولهذا الاهتمام ايضا قدم لله على متعلقه وهو شركاء والحاصل ان التركيب فيه تقديمان نكتة كل واحد منهما الاهتمام بشأن المقدم (قوله اوحال منه) عطف على قوله متعلق بشركاء اى بعد ان كان شركاء الجن مفعولين جاز ان يكون لله متعلقا بمحذوف على انه حال من شركاء لانه لو تأخر عنها لجاز أن يكون صفة لها والمعنى جعلوا الجن شركاء فى حال كونهم مملوكين لله (قوله وقرئ الجن بالرفع) يعنى ان الجمهور على نصب الجن وقرئ بالرفع على تقدير هم الجن جوابا لمن قال من هم وقرئ بالجر ايضا على الاضافة البيانية والمعنى وجعلوا شركاء الجن لله (قوله وقد علموا ان الله خالقهم) اى خالق الجاعلين بان خلقهم منفردا بذلك من غير مشارك له فى خلقهم فكيف يشركون به غيره ممن لا تأثير له فى خلقهم قدر العلم لان المقصود من الآية وهو التوبيخ والانكار على اشراكهم الجن لله تعالى انما يتحقق على تقدير ان يكونوا عالمين بخالقهم وبعدم مدخلية الجن فى الخلق اصلا ويحتمل ان يكون ضمير خلقهم للجن اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكاله فعلى الاول معناه جعلوا غير من خلقهم شريكا لخالقهم وعلى الثانى جعلوا المخلوق شريكا لخالقه والجمهور على خلقهم بفتح اللام فعلا ماضيا وقرئ خلقهم بسكون اللام على انه مصدر بمعنى مخلوقهم فيكون عطفا على الجن اى وجعلوا الجن وما يخلقونه وينحتونه من الاصنام شركاء لله او على انه مصدر بمعنى اختلاقهم اى افتعالهم وكذبهم فيكون عطفا على شركاء وهو مفعول اول والجن بدل منه ولله هو المفعول الثانى قدم على الاول اى جعلوا الجن واباطيلهم التى افتعلوها شركاء لله تعالى حيث اثبتوا له تعالى شركاء ونسبوا اليه قبائحهم بأن قالوا والله أمرنا بها قرأ الجمهور وخرقوا بالخاء المعجمة وتخفيف الراء اى افتعلوا وافتروا قال الفراء خلقوا واختلقوا وخرقوا واخترقوا وافتروا وخرصوا بمعنى كذبوا كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له اهل المجلس قد خرقها والله وقرئ حرفوا بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء كذا فى اللباب بمعنى زوروا له

شركاء والجن بدل من شركاء اوشركاء الجن ولله متعلق بشركاء اوحال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام اوعلى شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له شريكا وولدا (بديع السموات والا

اولادابنين و بنات لان الزبر محروف ومغير من الحق الى الباطل (قوله من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها) اى بديع سمواته اى مكونة من غير سبق مثال كما يقال فلان بديع الشعر اى بديع شعره والابداع عبارة عن تكوين الشئ من غير سبق مثال اومن قبيل اضافتها الى الظرف كقولهم ثبت الغدر اى ثابت فيه والغدر الموضع الخشن الكثير الحجارة وفيه شقوق لا يأمن من مشى فيه من العثار والسقوط يقال فرس ثبت الغدر اذا كان مأمونا من الهفوة والزلة ورجل ثبت الغدر اى ثابت فى القتال والجدال فى موضع الزلل والخصومة (قوله بمعنى انه عديم النظير فيهما) اشارة الى ان الظرفية لا تنافى تنزهه تعالى عن المكان والجهة بناء على ان المقصود من الاضافة الى الظرف بيان انه تعالى بديع منزه عن المثل والنظير فيما ينتهى اليه عقل البشر من السموات والارض وهو لايستدعى ان يكون نفسه تعالى مستقرا فيهما (قوله من اين اوكيف يكون له ولد) يعنى ان قوله أنى بمعنى كيف اومن اين والظاهر ان يكون تامة اى كيف يوجد له ولد واسباب الولادة منتفية ويحتمل ان تكون ناقصة وولد اسمها وانى خبرها وله فى محل النصب على الحال من ولد وقوله ولم تكن له صاحبة حال من مضمون الجملة المتقدمة اى كيف يوجد له ولد والحال انه لم تكن له زوجة وقدعلم ان الولد انما يكون من بين ذكر وانثى كما فى قوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ❊ تصغير اخطل (قوله وقرئ بالياء) اى التحتانية مع كون الفعل مسندا الى صاحبة اقامة للفصل مقام علامة التأنيث اوعلى ان لايكون الفعل مسندا الى صاحبة بل يكون اسم يكن مستترا فيه راجعا الى اسم الله ويكون له خبرا مقدما وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر يكن او يكون الضمير المستتر فيه ضمير الشأن وله صاحبة جملة اسمية مفسرة لضمير الشأن وقوله تعالى وخلق كل شئ جملة اخبارية مستأنفة سيقت لبيان انه تعالى خالق لكل الممكنات قادر على كل المحدثات اذا اراد احداث شئ قال له كن فيكون ومن هذا شأنه امتنع منه احداث شخص بطريق الولادة ولما توقف الخلق على العلم اخبر بانه تعالى علمه محيط بجميع المعلومات فهو غنى مطلق عن جميع ما سواه فكيف يتخذ صاحبة اوولدا مع ان التوالد انما يكون بين الاشخاص التى يتطرق اليها الفناء لابقاء النوع والذى يكون باقيا بشخصه لايحتاج الى التوليد الذى يقصد به بقاء النوع (قوله وانما لم يقل به) مع ان الظاهر ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر المعبر عنه الا انه عدل الى الاظهار لان الشئ المذكور اولا هو الممكن لان الواجب والممتنع ليسا بمخلوقين فلو قيل وهو به عليم لفهم ان علمه محيط بالممكنات مع انه تعالى عالم بجميع ما يصح ان يعلم ويخبر عنه سواء كان واجبا اوممكنا اوممتنعا

من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اوالى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف اوعلى الابتداء وخبره (انى يكون له ولد) اى من اين اوكيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل اولان الاسم ضمير الله اوضمير الشأن (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول

وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها

وطول مدتها فهو اولى بأن يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له بوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لا تدركه) اى لا تحيط به (الابصار) جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار)

فاعيد لفظ بكل شئ صريحا ليصح حمله على معنى يعم جميع الاشياء الخارجية والذهنية وهذا مخالف لما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة ان الله على كل شئ قدير من ان الشئ فى الاصل مصدر شاء اطلق تارة بمعنى شائى فيتناول البارى تعالى وبمعنى مشئ وجوده اخرى فلا يتناول الا ما وجد فى احد الازمنة لان ما شاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعلى التقديرين فالشئ يختص بالموجود ولا يتناول الممتنع الا عند المعتزلة فانهم يفسرون الشئ بما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيتناول الممتنع ايضا (قوله وفى الآية استدلال على نفى الولد) ابطال لقول من اخترق له بنين وبنات تقرير الوجه الاول انه تعالى بديع السموات والارض وهما مع كونهما من جنس الاجسام التى يصح ان توصف بكونهما والدا اذا لم يكن لهما والد لاستمرارهما وطول مدتهما فبدعهما اولى بأن يتعالى عن ان يتخذ ولدا وتقرير الوجهين الآخرين ظاهر وقال الامام فى وجه الاستدلال بهذه الآية على بطلان قول من زعم ان الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله ان قولهم بانه تعالى والد لهؤلاء لا يخلو اما ان يكون مبنيا على انه تعالى ابدعهما من غير تقدم نطفة ووالد او على ان يكون والدا لهما على طريق كون الانسان والدا لولده فان بنوا قولهم ذلك على كونه تعالى مبدعا لعيسى والملائكة من غير سبق اب ونطفة لزمهم ان يقولوا بانه تعالى والد للسموات والارض لكونه تعالى مبدعا لهما من غير سبق وكونه تعالى والدا لهما محال لم يقل به احد وان بنوه على تحقق الولادة المعهودة بينه تعالى وبين هؤلاء توجه عليهم ان يقال انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وان الولد كفؤ لوالده ولا مماثلة بين الخالق والمخلوق ولا بين من احاط بكل شئ علما ومن لا يكون كذلك (قوله واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية) وجه الاستدلال ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فقوله لا تدركه الابصار يقتضى ان لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة استثناء جميع الاشخاص فى جميع الاحوال منه بأن يقال لا تدركه الابصار الابصر كذا او الا فى الحالة الفلانية وصحة الاستثناء من جملة دلائل عموم المستثنى منه فثبت ان عموم الآية يفيد عموم النفى لكل الاشخاص فى جميع الاحوال واجاب اهل السنة عن هذا الاستدلال بأن الرؤية جنس تحتها نوعان رؤية مع الاحاطة ورؤية لا مع الاحاطة فالتى تسمى بالادراك منهاهى الرؤية مع الاحاطة وهى المنفية بهذه الآية ونفى احد نوعى الجنس لا يوجب نفى الجنس رأسا فلم تكن الآية دليلا على نفى الرؤية مطلقا فيجوز ان يراه المؤمنون يوم القيامة

سلمنا ان الادراك هو الرؤية مطلقا سواء كانت مع الاحاطة اولا مع الاحاطة لكن لا نسلم دلالة الآية على انتفائها في جميع الاوقات لان نفيها ذكر مطلقا ولم يقيد بجميع الاوقات فيحمل على النفي في بعض الاوقات جمعا بين هذه الآية و بين النصوص الواردة وقد روي في تفسير الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة (قوله يحيط علمه بها) قيل الانسب بالمقام انه علم بطريق الرؤية ويجوز تعميمه ايضا (قوله فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار) هذه الجملة سيقت لوصفه تعالى بما تضمن تعليل قوله و هو يدرك الابصار فقط على هذا الوجه ثم ان المراد بالابصار هنا النور الذي يدرك به المبصرات فانه لا يدركه مدرك بخلاف جرم العين فانه يرى او يقال المراد ان كل عين لا ترى نفسها ووقع في نسخة بدل كالابصار بالابصار على صيغة المصدر (قوله و يجوزان يكون من باب اللف الخ) فان اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالفتح و الخبير يناسب كونه مدركا بالكسر و بقوله فيكون مستعارا من مقابل الكثيف اندفع ما قيل ان المناسب لعدم الادراك اللطيف المشتق من اللطافة وهو ليس بمراد هنا واما اللطيف المشتق من اللطف بمعنى الرأفة فلا يظهر له مناسبة هنا و في شرح الاسماء الحسنى لمحمد البهائي اللطيف الذي يعامل عباده باللطف والالطاف فهو لا تتناهى ظواهرها و بواطنها في الاولى و الآخرة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله لطيف بعباده يرزق من يشاء هيأ مصالح الناس من حيث لا يشعرون واخفى لهم لطفه من حيث لا يعلمون وقيل اللطيف العليم بالغوامض والدقائق من المعاني و الحقائق ولذا يقال للحاذق في صنعته لطيف ويحتمل ان يكون من اللطافة المقابلة للكثافة وهو وان كان في ظاهر الاستعمال من اوصاف الجسم لكن اللطافة المطلقة لا توجد في الجسم لان الجسمية يلزمها الكثافة وانما لطافتها بالاضافة فاللطافة المطلقة لا يبعد ان يوصف بها النور المطلق الذي يجل عن ادراك البصائر فضلا عن الابصار ويعز عن شعور الاسرار فضلا عن الافكار ويتعالى عن مشابهة الصور والامثال و يتنزه عن حلول الالوان والاشكال فان كمال اللطافة انما يكون ان هذا شأنه و وصف الغير بها لا يكون على الاطلاق بل بالقياس الى ما هو دونه في اللطافة و يوصف بالنسبة اليه بالكثافة انتهى وهذا يقتضي انه حقيقة فيه تعالى فتأمله والخبير للمبالغة فيه فيكون علة والمقام وان اقتضى ترك العطف لكن المقصود به اثبات هذه الاوصاف و التعليل الذي اشار اليه المصنف رحمه الله ضمني وقوله لما لا يدرك بالحاسة اي ليس شأنه ذلك فلا يقال اذا كان اللطيف بمعنى ما لا تدركه الابصار كيف يعلل الشيء بنفسه فلا يرد هذا كما توهم وقوله لا ينطبع فيها اي لا ينطبع و يرتسم مثاله فيها والا فالشيء نفسه لا ينطبع

يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوزان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به (فمن ابصر) اي ابصر الحق وآمن به

ففيه تسمح وهذا احد المذاهب فى كيفية الرؤية و تحقيقه فى كتب الحكمة والكلام وقوله وهى للنفس الخ المعروف انها للقلب كالبصر للعين و قوله تجلى بمعنى تظهر و تكشف و قوله الدلالة فجمعه باعتبار انواعه و قيل المراد آيات القرءآن (قوله فلنفسه ابصر) قدره غيره فلنفسه الابصار وقدره ابوحيان فيهما بقوله فالابصار لنفسه اى نفعه وثمرته ومن عمى فعليها اى فالعمى عليها اى فجدوى العمى عائد على نفسه والابصار والعمى كنايتان عن الهدى و الضلال قال و هذا الذى قدرناه من المصدر وهو الابصار و العمى اولى لوجهين احدهما ان المحذوف يكون مفرد الاجملة و يكون الجار والمجرور عمدة لافضلة وفى تقدير غيره المحذوف جملة والجار والمجرور فضلة ولانه لوكان المقدر فعلا لم تدخله الفاء سوآء كانت شرطية او موصولة مشبهة بالشرط لان الفعل الماضى اذا لم يكن دعاء ولاجامد او وقع جواب شرط او خبر مبتدأ مشبه باسم الشرط لم تدخل الفاء فى جواب الشرط ولا فى خبر المبتدأ فلو قلت من جاءنى فاكرمته لم يجز بخلاف تقديرنا وهو غير وارد لانه ليس كالمثال الذى ذكره بل مثاله من جاءنى فلاكرامه جاء اذ تقدم فيه الجار والمجرور لافادة الحصر والجار والمجرور اذا تقدم على الماضى جاز اقترانه بالفاء بل قيل انها لازمة له كما صرح به النحرير والمعرب السفاقسى ففى هذه المسئلة ثلاثة مذاهب المنع وهو مختار ابى حيان والجواز واللزوم وهو مختار غيره وفى الدر المصون ان هذا التقدير سبق الزمخشرى اليه غيره من السلف كالكلبى وقوله فعليها وباله لم يقدر فعليها عمى كما قدره الزمخشرى لان عمى لم يعهد تعديه بعلى بخلاف ماقدره فانه لايحتاج الى تكلف تأويل وقيل انه قدر فى احداهما الفعل وفى الاخرى الاسم اشارة الى جواز كل من المسلكين والمراد بالعمى و البصر الهدى و الضلال كما اشار اليه المصنف رحمه الله ومن هذا عرفت ان الظرف المقدر متعلقه فلا يقع جواب الشرط مع الفاء او بدونها كما يؤخذ من كلام الزجاج وقدرد فى المغنى وليس بصواب كما ستراه (قوله والله هو الحفيظ) الحصر مستفاد من تقديم المسند اليه على ما عرف من مذهب الزمخشرى من عدم اشتراط الخبر الفعلى وقوله وهذا الخ يعنى قد جاءكم بصائر الى هنا كما صرح به فى الكشاف لاقوله وما انا عليكم بحفيظ فقط كما قيل وعلى هذا فقل مقدرة كما صرح به شراح الكشاف واما ماقيل اورود على لسانه لايقتضى هذا التقدير فان منشئ القصيدة على لسان غيره لايضمر القول فخيل فاسد واءنظيره ما اذا وصف متكلم نفسه ثم ذكر مالايصح اسناده اليه فانه لابد من تقدير الحكاية والافسد كلامه واختل نظامه وقوله ومثل ذلك قدم شرحه (قوله وليقولوا الخ) قدر صرفنا ماضيا والزمخشرى قدره مضارعا متأخرا قيل لقصد

(فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل (فعليها) وباله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدآئر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القرآءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب

التخصيص وفيه نظر واللام لام العاقبة وهو مجاز منقول من التعليل ولذا عطف عليه الغرض وجوزان يكون على الحقيقة ابو البقاء وغيره لان نزول الآيات لاضلال الاشقياء وهداية السعداء قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ويجوز ان يكون التقدير لينكروا وليقولوا الخ وقيل هذه اللام اللام الامر ويؤيده انه قرئ بسكونها كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم مايقولون فانهم لااحتفال لهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم وفي الدر المصون فيه نظر لان المعنى على ماقاوه وايضا فان قوله ولنبينه نص في ان اللام لام كى واما تسكين اللام في القرآءة الشاذة فلا دليلا فيها لاحتمال انها خففت لاجرآئها مجرى كبد وكونها معترضة ولنبينه متعلق بمقدر معطوف على ماقبله وان صححه لا يخرجه عن كونه خلاف الظاهر وعبارة الزمخشرى هنا وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومراده بالجواب المتعلق وهو اصطلاح منه وقع في مواضع من كتابه قال المعرب سماه جوابا لانه يقع جوابا لسائل الذى يقول اين متعلق هذا الجار فلا يرد عليه ماقاله ابوحيان ولكونه خلاف الظاهر عدل عنه المصنف رحمه الله تعالى (قوله درست من الدروس الخ) فيه قرآت ثلاث متواترة وماعداها شاذة فقرأ ابن عامر درست كضربت وابن كثير وابو عمرو دارست كقاتلت والباقون درست انت كضربت ومعنى الاولى قدمت وتكررت على الاسماع كقوله اساطير الاولين ومعنى الثانية دارست يامحمد غيرك ممن يعلم الاخبار الماضية كقوله انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه الآية ومعنى الثالثة حفظت واتقنت بالدرس اخبار من مضى كقوله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقرئ في الشواذ درست ماضيا مجهولا وفسرت بليت وعفت اى الآيات واعترض عليه بان درس بمعنى انمحى لازم لم يعرف متعديا في اللغة والاستعمال ورد بانه ورد متعديا قال الزبيدى درس الشئ دروسا عفا ودرسته الريح وقال الصحاح يجاء درس لازما ومتعديا لمعنيين وقرئ درست مشددا معلوما وتشديده للتكثير والتعدية والتقدير درست غيرك الكتب وقرأ مشددا مجهولا وقرئ دورست على مجهول فاعل ودارست بتاء التأنيث والضمير للآيات اوللجماعة وقرئ درست بضم الراء والاسناد للآيات مبالغة في محوها وتلاوتها لان فعل المضموم للطبائع والغرائز وقرأ ابي رضي الله تعالى عنه درس وفاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوالكتاب ان كان بمعنى انمحى ودرسن بنون الاناث مخففا ومشددا وقرئ دارسات بمعنى قديمات او بمعنى ذات درس اودروس كعيشة راضية وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف اى هي دارسات وقرآءة المفاعلة اما على انه بمعنى اصل الفعل اوتأويله بما مر تحقيقه في قوله تعالى يخادعون الله

درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت اوعفت ودارست بمعنى درست اودارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات اوذات درس كقوله في عيشة راضية (ولنبينه)

اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف ﴿ ٩١ ﴾ والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (اتبع ما اوحي اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية (واعرض عن المشركين) ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما انت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا

(قوله اللام على اصله) قال الشريف قدس سره افعاله تعالى يتفرع عليها حكم ومصالح هى ثمراتها وان لم تكن عللا غائية لها حيث لولاها لم يقدم الفاعل عليها ومن اهل السنة من وافق المعتزلة فى التعليل والغرض الراجع منفعته الى العباد وادعى انه مذهب الفقهاء والمحدثين اذا عرفت هذا فاعلم ان حقيقة التعليل عند اهل السنة بيان ما يدل على المصلحة المترتبة على الفعل واما تفسيرها بالباعث الذى لولاه لم يقدم الفاعل على الفعل فهو من تحقيقات المتكلمين لا تعلق له باللغة واما عند اهل اللغة فهو حقيقة فى ذلك مطلقا والفرق بينهما وبين لام العاقبة ان لام العاقبة ما تدخل على ما يترتب على الفعل وليس مصلحة فيه خلاف تقدم شرحه فما قيل ان اللامات الداخلة على فوائد افعاله المسماة بالحكم والمصالح استعارات تبعية فلا تكون اللام فيها على اصلها الا على رأى من يجوز ان تكون افعاله معللة بالاغراض ولا يقول به المصنف رحمه الله مردودا بما سمعت آنفا وقوله باعتبار المعنى يعنى التأويل بالكتاب او القرآن والمراد بالمصدر التبيين او التصريف كما قيل فهو مفعول مطلق على الاول وقوله فانهم المنتفعون به بيان لوجه تخصيصهم بذلك وجعل ما سواهم كالعدم وجعل الجملة المعترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا يفيد تقوية الكلام صرح به الزمخشرى فى مواضع من كتابه فلا عبرة بمن انكره وقوله اكد به ايجاب الاتباع لان من هذا وصفه يجب اتباعه (قوله او حال مؤكدة) قسم ابن مالك فى التسهيل الحال المؤكدة الى مؤكدة لعاملها نحو ولى مدبرا ولا تعثوا فى الارض مفسدين ومؤكدة لغيره فى بيان فخر او تعظيم او نحوه ويجب ان يتقدم عليها جملة اسمية ويحذف عاملها وجوبا فمن قال كونها واقعة بعد الجملة الاسمية شرط لوجوب حذف عاملها لا لصحتها كقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فقد خلط بين معنى الحال وقسميها ومعنى لا تحتفل لا تعتد بها ولا تبال وقوله ولا تلتفت تفسيره واوله بهذا لانه لا بد له من التبليغ والقتال الا ان يكون قبل الامر بالقتال ثم نسخ بآية السيف فى سورة براءة فيكون حينئذ على عمومه وقوله وهو دليل الخ رد على المعتزلة كما مر والزمخشرى فسره بمشيئة اكراه وقسر لان عندهم مشيئة الاختيار حاصلة البتة قال النحرير وهذه مكابرة فى دفع مذهب اهل السنة من ان الله تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولا طاعة العاصى تمسكا بامثال هذه الآيات (قوله اى ولا تذكروا آلهتهم الخ) هذا اما لان الذين يدعون عبارة عن الآلهة والعائد مقدر والتعبير بالذين على زعمهم انهم من اولى العلم او بناء على ان سب آلهتهم سب لهم كما يقال ضرب الدابة صفع لراكبها او على تغليب العقلاء منهم كالمسيح صلى الله تعالى عليه وسلم وعزير ثم انه فى الكشاف ذكر فى سبب النزول وجهين الاول انهم قالوا

عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك والثانى ان المسلمين كانوا يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله واورد على الاول ان وصف آلهتهم بانها حصب جهنم وبانها لا تضر ولا تنفع سب لها فكيف نهى عنه بقوله ولا تسبوا الخ واجيب بانهم اذا قصدوا بالتلاوة سبهم وغيظهم يستقيم النهى عنها ولا بدع فيه كما نهى عن التلاوة فى المواضع المكروهة او معناه لا يقع السب منكم بناء على ما ورد فى الآية فيصير سببا لسبهم وقيل السب ذكر المساوى لمجرد التحقير والاهانة وذلك انما ورد للاستدلال على عدم صلوحها للالوهية والمعبودية ومثله لا يسمى سبا وفيه نظر وقيل عليه ان سبب النزول على احدى الروايتين وصفه لها بانها حصب جهنم فكيف لا يكون ذلك سبا فالجواب ان يقال النهى عن السب فى الحقيقة انما هو عن اظهاره فانه المؤدى الى سب الله فتأمل (قوله او لنهجون الهك) فان قيل انهم كانوا يقرون بالله وعظمته وان آلهتهم انما عبدوها لتكون شفعاء عنده فكيف يسبونه قلنا لا يفعلون ذلك صريحا بل يفضى كلامهم الى ذلك كشتمهم له ولمن يأمره بذلك مثلا وقد فسر بغير علم بهذا وهو حسن جدا او ان الغيظ والغضب ربما حملهم على سب الله صريحا الا ترى المسلم قد تحمله شدة غضبه على التكلم بالكفر وعدوا كضربا وعدوا كقتوا وعداء كعداء وعدوان كسبحان مصدر عدا عليه يعنى تعدى وتجاوز وهو مفعول مطلق لتسبوا من معناه لان السب عدوان او مفعول له او حال مؤكدة مثل بغير علم وقرأ ابن كثير فى رواية عنه عدوا بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو على انه حال (قوله وفيه دليل الخ) يعنى اذا ادت الطاعة الى معصية راجحة على معصية ترك الطاعة وكانت سببا لها بخلاف الطاعة فى موضع فيه معصية لا يمكن دفعها وكثيرا ما يشتبهان ولذا لم يحضر ابن سيرين جنازة اجتمع فيها الرجال والنساء وخالفه الحسن للفرق بينهما كما فى الكشاف وقد علم مما مر فى تفسير قوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ما هو الصحيح عند الشافعية كما افاده القدسى فى الرمز من انه لا يترك ما يطلب لمقارنة بدعة كترك اجابة دعوة لما فيها من الملاهى وصلاة جنازة لنائحة فان قدر على المنع منع والا صبر وهذا اذا لم يكن مقتدى به والا لا يقعد لان فيه شين الدين وما روى عن ابى حنيفة رحمه الله انه ابتلى به قبل صيرورته اماما يقتدى به وقال الامام ابو منصور كيف نهانا الله عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر ولذا امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه واجاب ان سب الآلهة مباح غير مفروض

اولنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك زينا لكل امة عملهم)

وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا نهى عما يتولد منه و يحدث وما كان فرضا لا ينهى عما يتولد منه وعلى هذا يقع الفرق لابى حنيفة فيمن قطع يد قاطع قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح فأخذ بالتولد منه انتهى و الامام اذا قطع يد السارق فمات لا يضمن لانه فرض عليه فلم يؤخذ بالمتولد منه انتهى ومنه تعلم ان قوله الطاعة ليس على اطلاقه (قوله من الخير والشر الخ) وقوله فى الكشاف مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من الكفار سوء عملهم اى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زينا فى زعمهم كقولهم ان الله تعالى امرنا بهذا وزينه لنا يعنى ان ظاهر الآية يقتضى انه تعالى زين للكافر الكفر وعمله القبيح وتزيين القبيح قبيح و الله متعال عنه على اصول المعتزلة فلذا اول الآية بوجوه رجح منها الوجه الثانى لمناسبته لوصف الكفرة قبله والمصنف رحمه الله تعالى ذكر وجها آخر وترك ما ذكره لعدم الحاجة اليه عندنا ولم يجعل التشبيه فيه من قبيل ضربته كذلك لخفائه قيل ولانه يأباه قوله لكل امة وفيه نظر وقوله والمشبه به بالنصب عطف على اسم ان ويجوز رفعه (قوله مصدر فى موقع الحال) او حال مؤول باسم الفاعل او منصوب بنزع الخافض اى اقسموا بجهد ايمانهم اى اوكدها وقد مر الكلام عليه فى المائدة و التحكم اظهار الحكومة وتكلفها باقتراح الآيات (قوله لئن جاءتهم آية الخ) كانزال الملائكة وغير ذلك وفيه اشارة الى ان ما جاءهم ليس بآية عندهم كما يدل عليه قوله واستحقار ما رأوا منها فلاحاجة الى التقييد بقوله من مقترحاتهم الا ان يكون لبيان الواقع (قوله وليس شئ منها بقدرتى الخ) فى الكشاف انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندى فكيف اجيئكم بها وآتيكم بها والمصنف رحمه الله اشار الى ان العندية بمعنى كونها مقدورة له تعالى والمقصود من الحصر نفى القدرة عن نفسه ليبين انه لا يمكنه ان يجيئهم بها وزاد الزمخشرى وجها آخر وهو ان المراد ان الآيات منحصرة فى المقدورية لا تتعداها الى النزول بغير حكمة يعنى فكيف اجيئكم بها قيل ولم يلتفت اليه المصنف كما قال النحرير ان فائدة الحصر لا تظهر على هذا الوجه ويمكن ان تظهر بانه لا حكمة فيما يطلبونه فلا يمكن ان يجيئهم به وقد جنح الى هذا من قال العندية من حيث القدرة ومن حيثية الاتيان بالمشيئة ان اقتضته الحكمة وقوله ان الآية المقترحة اشارة الى ان الضمير راجع للآية لا للآيات لان عدم ايمانهم عند مجئ ما اقترحوه ابلغ فى توبيخهم قيل ولو جعل الضمير للآيات لكان فيه مزيد مبالغة فى بعدهم عن الايمان وبلوغهم فى العناد غاية الامكان ولا يخفى ما فيه الا

من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) مصدر فى موقع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام فى طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى (وما يشعركم)

ان يلاحظ انه باعتبار شمولها المقترحة وغيرها فتأمل (قوله وما يدريكم استفهام انكار) وهو في المعنى نفي وفي بعض الحواشي ما استفهامية لا نافية والا بقي الفعل بلا فاعل وفي الدر المصون قيل فاعله ضمير الله اي ما يشعركم الله انه اذا جاءت الآيات المقترحة لا يؤمنون وهو تكلف بعيد وقال السفاقسي انه غير مستقيم لان الله اعلمهم بانهم لا يؤمنون الا ان تجعل ما زائدة (قوله انكر السبب مبالغة في نفي المسبب الخ) اشارة الى جواب ما يقال انك اذا قيل لك اكرم زيدا يكافئك قلت في انكاره ما ادراك اني اذا اكرمته يكافئني فان قيل لا تكرمه فانه لا يكافئك قلت في انكاره ما ادراك انه لا يكافئني تريد وانا اعلم منه المكافأة فمقتضى حسن ظن المؤمنين بهؤلاء المعاندين ان يقال وما يدريكم انها اذا جاءت يؤمنون فاثبات لا يعكس المعنى الى ان المعلوم لك الثبوت وانت تنكر على من نفى كذا قرره شراح الكشاف فلذا حمله بعضهم على زيادة لا وبعضهم على ان ان بمعنى لعل وبعضهم على انها جواب قسم بناء على ان ان في جواب القسم يجوز فتحها والزمخشري وتبعه المصنف ابقى الكلام على ظاهره فقيل في المثال المذكور انك اذا علمت انه لا يكافئ واشير عليك باكرامه لظن المشير المكافأة فلك حينئذ معه حالتان حالة ان تنكر عليه ادعاء العلم بما تعلم خلافه وحالة ان تعذره لعدم علمه بما احطت به ففي الحالة الاولى بقوله ما يدريك انه يكافئ وفي الثانية بقوله ما يدريك انه لا يكافئ اي من اين تعلم انت ما علمته انا من عدم المكافأة وكذلك الآية لاقامة عذر المؤمنين كما يدل عليه ما بعده وايضاحه كما قيل انه استفهام في معنى النفي والاخبار عنهم بعدم العلم لا انكار عليهم والمعنى ان الآيات عند الله ينزلها بحسب المصالح وقد علم انهم لا يؤمنون ولا ينجع ذلك فيهم وانتم لا تدرون ما في الواقع من علمه تعالى فلذا توقعتم ايمانهم والاستفهام الانكاري له معنيان فالانكار ان كان بمعنى لم يقال ما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وبمعنى لا يقال لا يؤمنون والمراد الثاني بدليل ما بعده وفي الكشف انه في الثاني منكر عليهم الاقتراح وهو القول من غير علم وبمعنى ما لا يعرف حقيقته وهو ابلغ وان كان الثاني اوضح واقرب ومنه يعلم انه يجوز ان يكون الانكار بمعنى لم ايضا فقوله انكر السبب اي الاشعار مبالغة في نفي المسبب اي الشعور وليس معناه انه انكر الدراية بهذا العلم واريد انكار اظهار الحرص اي انتم لا تدرون كما قيل فالمعنى لا تدرون انهم يؤمنون وفي نفي السبب بهذا الطريق مبالغة ليست في نفيه بدونها لان في الكناية اثبات الشيء ببينة وفيه تعريض بان الله عالم بعدم ايمانهم على تقدير مجيء الآية المقترحة لهم وتنبيه على انه تعالى لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون فعدم الانزال لعدم الايمان (قوله ان بمعنى لعل) هذا قول الخليل رحمه الله ويؤيده ان يشعركم

"وما يدريكم" استفهام انكار (أنها) اي ان الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم

ويدريكم بمعنى وكثيرا ماتأتى لعل بعد فعل الدراية نحو وما يدريك لعله يزكى وان فى مصحف ابى رضى الله عنه وما ادراك لعلها وقوله كأنه قال وما يشعركم مايكون منهم اشارة الى ان مفعوله محذوف على هذين الوجهين وهو يتعدى الى مفعولين (قوله ثم اخبرهم الخ) ظاهره انه اخبار ابتدائى وجعله ابن الحاجب جواب سؤال وفى الكشاف كأنه قيل لم ذلك فقيل لانها اذا جاءت لا يؤمنون ولك ان تبنيه على قوله ومايشعركم فانه ابرزفى معرض المحتمل كأنه سئل عنه سؤال شاك ثم علل بقوله لانها اذا جاءت لايؤمنون جزما بالطرف المخالف وبيانا لكون الاستفهام غيرجار على الحقيقة وفيه انكار لتصديق المؤمنين على وجه يتضمن انكار صدق المشركين فى المقسم عليه وهذا نوع من السحر البيانى لطيف المسلك وعلى كونه خطابا للمؤمنين لا يكون داخلا فى حيز قل الا بان يقدر قل للكافرين انما الآيات عند الله وللمؤمنين وما يدريكم وهو تكلف لا داعى اليه وعلى كونه خطابا للمشركين يدخل تحته ويكون فيه التفات والحاصل انه تعالى بين اجمالا انه اذا جاءهم ما اقترحوه لايؤمنون ثم فصل ذلك بأن قال لو اعطاهم ما طلبوا من انزال الملائكة حتى رأوهم عيانا واحيى الموتى حتى كلموهم وشهدوا لك بالنبوة كما سألوا بل اوذاد فى ذلك بما لا يبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شئ قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فذكر الله تعالى هذا الكلام بيانا لكذبهم وانه لافائدة فى انزال الآيات واظهار المعجزات بعد المعجزات بل المعجزة الواحدة لابد منها ليتميز الصادق من الكاذب واما الزيادة عليها فتحكم محض لاحاجة اليه والافلهم ان يطلبوا بعد ظهور المعجزة الثانية ثالثة وبعد الثالثة رابعة ويلزم منه ان لاتستقر الحجة وان لاينتهى الامر الى مقطع ومفصل وذلك يوجب سد باب النبوات قال صاحب التيسير فى تفسير هذه الآية ولواننا نزلنا الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة فشهدوا لك بالنبوة وان كانوا سألوا انزال ملك حيث قالوا لولا انزل عليه ملك واحييناالهم كل الاموات فكلموا هم بأن شهدوا لك وان كانوا سألوا منك احياء اثنين من موتاهم قصى بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين صدوقين فيهم حيث قالوا لوا احييتهما فشهدا لك بالنبوة لشهدنا نحن ايضا وحشرنا عليهم اى وبعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوضة اى اقتنا القيامة لم يؤمنوا برؤية هذه الآيات الا ان يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا فان الآية وان عظمت لا تضطرهم الى الايمان فانه لاآية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولوردوا لعادوا لمانهوا عنه فيكون معنى قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى ان شاء الله ان يخضعوا الا ان الآية تضطرهم الى ذلك ودل على انهم انما لم يؤمنوا لان الله تعالى لم يشأ ايمانهم ولوشاء لآمنوا ومن علم الله منه اختيار

ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ ما يشعرهم انها اذاجاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على لايؤمنون اى ومايشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلايبصرونه فلايؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة (ولواننانزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا اوتأتى بالله والملائكة

جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قرآءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاء الله) استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (كذلك جعلنا لكل نبى عدوا) اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا والاول مفعول جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه

الكفر والاصرار عليه شاء له ذلك ومن علم منه اختيار الايمان شاء له ذلك الى هنا كلامه (قوله وقبلا) اى بضم القاف والباء وهى قرآءة من عدا نافعا وابن عامر فانهما قرأ اقبلا بكسر القاف وفتح الباء وذكر لقرآءة الجمهور ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل من بابى نصر وضرب قبالة اى كفالة فان فعيلا يجمع على فعل كرغيف ورغف ونصيب ونصب وقضيب وقضب وانتصابه على انه حال من المفعول اى وحشرناها كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا وبصدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع ما اخبر به كما قالوا اوتأتى بالله والملائكة قبيلا يضمنون ذلك والثانى ان يكون جمع قبيل بمعنى جماعة جماعة او صنفا صنفا والمعنى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى فوجا فوجا ونوعا نوعا من سائر المخلوقات والثالث ان يكون مصدرا كقبلا بمعنى المقابلة والمواجهة والمعاينة يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة اى مواجهة ومعاينة (قوله وانما جاز ذلك) مع ان حق ما وقع حالا من النكرة ان يتقدم عليها لعمومه واضافته (قوله وقيل منقطع) فان المعتزلة فسروا الآية الكريمة بأن قالوا لو اننا اظهرنا تلك الآيات العجيبة لهؤلاء الكفار ما كانوا ليؤمنوا على سبيل الاختيار الا ان يشاء الله ايمانهم مشيئة اكراه وقسر فان الايمان الحاصل بالالجاء والقسر ليس من جنس الايمان الاختيارى فيكون الاستثناء منقطعا وانما جنحوا الى هذا التأويل لانهم لما ذهبوا الى ان الله تعالى شاء من الكل الايمان الذى يفعلونه على سبيل الاختيار كانت هذه الآية مناقضة لمذهبهم لانه تعالى قال انهم لا يؤمنون الا ان يشاء الله ايمانهم فلما لم يؤمنوا دل ذلك على ان الله تعالى ما شاء ايمانهم وهو مذهب اهل السنة فاضطروا الى ان قالوا المراد بالمشيئة مشيئة الاكراه والقسر فعدم ايمانهم لا يستلزم الا عدم المشيئة القسرية وهو لا يستلزم عدم المشيئة مطلقا (قوله ولذلك) اى ولكون متعلق جهلهم امرا مخصوصا جاز ان ينفرد بعلمه من استحكم فى قلبه العناد والاصرار على الكفر (قوله اى كما جعلنا لك عدوا) اشارة الى ان قوله تعالى وكذلك معطوف على معنى ما تقدم من الكلام لان ما تقدم يدل على انه تعالى جعل له اعداء والمراد تسلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبى قبلك اعداء وجعل بمعنى صير فيتعدى الى اثنين اولهما شياطين الانس وثانيهما عدوا ولكل حال من عدوا لانه صفته فى الاصل او متعلق بالجعل قبله ويجوز ان يكون المفعول الاول عدوا ولكل هو الثانى قدم عليه وشياطين بدل من المفعول الاول (قوله وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه) ولا شك ان تلك العداوة معصية وكفر فلزم ان يكون خالق الخير والشر والمعصية والايمان والكفر هو الله

تعالى لا العبد فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة وقالوا في تأويل الآية
المراد بهذا الجعل هو الحكم والبيان فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه اكفر
فلانا واذا اخبر عن عدالته قيل عدله فكذا ههنا انه تعالى لما بين للرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم كونهم اعداءه لاجرم قال انه جعلهم اعداء له
والشيطان يطلق على كل عات متمرد من الانس والجن والشيطان من الجن
اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس فاغراه على المؤمن
ليفتنه وعن مالك بن دينار انه قال شياطين الانس اشد على من شياطين الجن
وذلك انى اذا تعوذت بالله من شياطين الجن ذهبوا عنى وشياطين الانس تجيئنى
فتجرني الى المعاصي عيانا (قوله يوحى) يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر عنهم
بذلك وان يكون حالا من شياطين والوحي الكلام الخفي والقول السريع الذي يلقى
سرا والزخرف هو الذي يكون باطنه باطلا وظاهره مزينا يقال فلان يزخرف
كلامه اذا زينه بالكذب والباطل وكل شئ موه فهو مزخرف (قوله وكفرهم)
اشارة الى ان ما مصدرية اى اتركهم وازلة افترائهم في ترويج ما اعتقدوه وذهبوا اليه
(قوله عطف على غرورا) فاللام لام كي والفعل بعدها منصوب باضمار ان وهي متعلقة
بقوله يوحى بعضهم الى بعض للغرور وللصغو ونصب غرور الاتحاد فاعله مع
فاعل عامله بخلاف الصغو فان فاعل الوحي والغرور هو البعض وفاعل الصغو
الافئدة قال الامام تقدير الآية عند اصحابنا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن ومن صفتهم انه يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول وانما
فعلنا ذلك لتصغى افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة اى انما اوجدنا العداوة
في قلوب الشياطين الذين من صفتهم ما ذكرناه ليكون كلامهم المزخرف مقبولا
عند هؤلاء الكفار ثم قال قالوا واذا حملنا الآية على هذا الوجه يظهر انه تعالى
يريد الكفر من الكافر وقالت المعتزلة هذه اللام لام العاقبة لان الصغو ونحوه
لا يجوز ان يتعلق به مشيئة الله تعالى وطلبه منهم والمعنى ان عاقبة امرهم في الدنيا
تؤول الى ان يقبلوا هذه الاباطيل ويرضوا بها (قوله اولام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون) تقديره والله لتصغى فان جواب القسم ان كان جملة
فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا فالاكثر تصديره باللام وتوكيده بالنون اى بالنون
الفارقة بينها وبين لام الابتداء فلما لم يفرق بينهما بالنون كسرت اللام دفعا
للالتباس لان لام الابتداء مفتوحة نحو لأضربن وقل خلو المضارع
عن اللام استغناء بالنون وقد جاء

وقتيل مرة أثأرن فانه ۞ فرع وان اخاهمو لم يضهد

قوله فرع اى شريف وقوله لم يضهد يقال ضهدته فهو مضهود اى مقهور

(يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له او مصدر في موقع الحال (ولو شاء ربك) ايمانهم (ما فعلوه) اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم وما يفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا وال[illegible] اضطروا لا

وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله ابتغي حكما) على ارادة القول اي قل لهم يا محمد ﴿٩٨﴾ أفغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم و يفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل (وهو الذي انزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر [illegible] عن عاصم منزل بالحق) [illegible] تكونن من [illegible] من عدوا واول [illegible] علمنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به وحال منه

مضطر و لا يجوز عند البصريين الا كتفاء باللام عن النون الا في الضرورة والكوفيون اجازوه بلاضرورة قال الشاعر

تألى ابن اوس حلفة ليردني ❊ الى نسوة كانت لهن مفائد

بفتح لام ليردني وضم داله و مفائد جمع مفأد وهي الخشبة التي يحرك بها التنور و يروى ليردني بكسر اللام ونصب الدال و بعض العرب يكسر لام القسم الداخلة على الفعل المضارع نحو والله ليفعلن كذا في شرح الرضي (قوله و ضعفه ظاهر) لان الف تصغى لم تسقط فكيف تكون اللام لام الامر وحمله على اشباع فتحة الغين غير مستقيم لان ذلك لا يجوز في موضع الالتباس ولم اجد نقلا على انه اذا اكتفى باللام عن النون تكسر اللام وانما تفتح اذا اجتمعتا بأن قيل لتصغين مثلا وقد وجد فتح اللام مع حذف النون في قوله

لئن بك قد ضاقت عليكم بيوتكم ❊ ليعلم ربي ان بيتي واسع

فان قوله ليعلم جواب القسم الموطأ له باللام في لئن ومع ذلك فهي مفتوحة مع حذف نون التوكيد (قوله والضمير) اوفي اليه لما له الضمير في فعلوه اي للوحي او زخرف القول او الغرور او معاداة الانبياء لانها بمعنى التعادي (قوله تعالى أفغير) منصوب على انه مفعول ابتغي مقدم عليه و يكون حكما حينئذ اما حالا واما تمييزا لغير و يجوز ان ينتصب غير على الحال من حكما لانه في الاصل يجوز ان يكون وصفا له وحكما هو المفعول به فتحصل في نصب غير وجهان وفي نصب حكما ثلاثة اوجه حالا او مفعولا او تمييزا كان اهل مكة قالوا له عليه الصلاة والسلام اجعل بيننا و بينك قاضيا يفصل بين المحق منا والمبطل فأمره الله تعالى ان يجيبهم بذلك و الحكم ابلغ من الحاكم لان الحكم لا يحكم الا بالعدل (قوله وهو الذي انزل) هذه الجملة في محل النصب على الحال من فاعل ابتغي لما قالوا اجعل بيننا وبينك قاضيا انكر عليهم بأن قال كيف ابتغي حكما غير الله وقد حكم بنبوتي حيث خصني بهذا الكتاب المفصل الكامل البالغ الى حد الاعجاز و اي حاكم يبلغ في الحكم والبيان ونصب الدليل الموجب الايقان والاذعان الى هذا الحد الذي هو بمنزلة العيان وايضا جعل الله التوراة والانجيل مشتملين على الآيات الدالة على نبوتي و رسالتي وعلى كون القرآن كتابا سماويا منزلا من عند الله تعالى و نظيرها قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب (قوله اوفي انه منزل) اي من ربك بسبب جحود قومك اي لايكون جحود قومك و كفرهم به سببا لامترائك في كونه كتابا سماويا لما كان

و [illegible] ولا تكن من المشركين اوخطاب الرسول صلى الله تعالى [illegible] (ظاهر)

[illegible] لى احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته ولا ينبغي لاحد ان يمترى فيه

(وتمت كلمت ربك) بلغت الغاية اخباره ﴿٩٩﴾ واحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لا احد يبدل شيأ منها بما هو اصدق واعدل اولا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة اوعلى ان المراد بها القرءآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون اولانبى ولاكتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به اوالقرءآن (وهو السميع) لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع اكثر من فى الارض) اى اكثر الناس يريد الكفار اوالجهال اواتباع الهوى وقيل الارض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الموصل

ظاهر الكلام النهى عن الامتراء فى حقية القرءآن وهذا لا يتصور من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا فائدة فى النهى عنه اجاب عنه بوجوه الاول ان تعلق الامتراء هو علم اهل الكتاب بحقية القرءآن والثانى انه من باب التهييج والثالث انه عليه الصلاة والسلام خوطب بذلك لكونه امام امته والمراد نهى امته والرابع ان الخطاب ليس للنبى بل لعموم الناس والمعنى لما ظهرت الدلائل فلا ينبغى ان يمترى فيه احد (قوله بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده) اشارة الى ان كلمات الله تتناول جميع ما تكلم به من اخباره واوامره ونواهيه ووعده ووعيده بالثواب والعقاب وان تمامها عبارة عن بلوغها الغاية فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيامة علما وعملا وفى كونها صدقا وعدلا فان جميع ماورد فى القرءآن العظيم منحصر فى نوعين الخبر والتكليف اما الخبر فالمراد به كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وصفاته الثبوتية والسلبية وكالخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب وكالخبر عن احوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة فان جميع ذلك داخل تحت الخبر واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهى صدر عنه تعالى وتعلق بالمكلفين من الجن والانس والملك واذا تقرر انحصار مباحث القرءآن فى هذين القسمين فاعلم ان كلماته تعالى ان كانت من باب الخبر فقد بلغت فى الصدق الى ما لا يتوهم ما هو اصدق منها وان كانت من باب التكليف فقد بلغت فى العدالة الى ما لا يتوهم ما هو اعدل منها وان اريد بالكلمات نفس القرءآن لا من حيث اشتماله على ما فيه من الاخبار والتكاليف يكون المعنى تم القرءآن وبلغ الغاية فى كونه معجزا دالا على صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لم يبق مع نزوله الى معجز آخر صدقا فى اخباره وعدلا فى احكامه وذكر فى انتصاب صدقا وعدلا ثلاثة اوجه التمييز وكونهما مصدرين واقعين موقع الحال اى تمت الكلمات صادقات وعادلات والثالث كونهما مفعولا لهما اى تمت لاجل الصدق والعدل الواقعين فيها (قوله اى ما تكلم به اوالقرءآن) يعنى ان الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كما يقال قال زهير فى كلمته اى فى قصيدته فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث انها كلام الله المنزل لهداية الخلق وكذا مجموع القرءآن كلمة واحدة لذلك وارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فى الآية السابقة ان القرءآن معجز وذكر فى هذه الآية انه تمت كلمات ربك (قوله يريد الكفار اوالجهال اواتباع الهوى) الظاهر انه اراد بالكفار من يضل بالاعتقاد الباطل فيما يتعلق بالالهيات والنبوات وامر المعاد وبالجهال من يضل بالاعتقاد الباطل فى [illegible]

بالاحكام كتحليل الميتة و تحريم البحائر و السوائب فان كل واحد من الفريقين وان صدق عليه انه كافر وجاهل الا ان لفظ الكفر قد غلب فى الاعتقاد الفاسد المتعلق باصول الدين ولفظ الجهل فى الاعتقاد الفاسد فى الفروع واتباع الهوى هم الذين يخالفون اهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم كالمعتزلة والشيعة ونحوهما من اهل قبلتنا ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى ازال اولا شبهة من تردد فى صحة نبوته عليه الصلاة والسلام حيث امره عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم كيف تبتغون حكما غير الله وقد حكم بصحة نبوتى بما لامزيد عليه ثم بين بهذه الآية انه بعد زوال الشبهة وظهور الحجة لا ينبغى للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال واهل الضلال فان اكثر اهل الارض ضال و الضال فى غالب الامر لا يدعو الا الى ما فيه ضلال (قوله وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق اوجهلا لاتهم) فالاتباع على الاول بمعنى التمسك وعلى الثانى بمعنى التدين فان دينهم الذى هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه من حجة و برهان فيتدينون باعتقاد فاسد (قوله وحقيقته) اى حقيقة الخرص الجوهرى الخرص حزر ما على النخل من الرطب ثم الحزر والتقدير والخراص الكذاب (قوله فان افعل) اى افعل التفضيل لا يعمل فى الظاهر الا عند الكوفيين فان افعل يعمل عمل الفعل عندهم ولا يعمل عند غيرهم لا رفعا ولا نصبا لعدم كونه بمعنى الفعل لان الفعل لا يدل على التفضيل وقوله فى مثل ذلك احتراز عن مثل قولهم مارأيت رجلا احسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فان احسن قد رفع الكحل لكونه بمعنى حسن فانه بمعنى قولك مارأيت رجلا حسن فى عينه الكحل مثل حسنه فى عين زيد فانه يعمل فى الظاهر اذا كان بحسب اللفظ جاريا على شئ وهو فى المعنى صفة لامر آخر متعلق بذلك الشئ بحيث يكون ذلك الامر مفضلا باعتبار ذلك الشئ ومفضلا على نفسه باعتبار غير ذلك الشئ فان احسن فى المثال المذكور جار على رجل وهو فى المعنى صفة للكحل المتعلق به والكحل مفضل باعتبار الرجل ومفضل على نفسه باعتبار غير الرجل وهو عين زيد (قوله اومجرورة باضافة اعلم اليه) ولا يجوز ذلك على قرآءة يضل بفتح حرف المضارعة لان افعل التفضيل اذا قصد به الزيادة على من اضيف اليه لا يضاف الا الى ما يكون الموصوف بأفعل منهم نحو زيد افضل الناس فلا يجوز يوسف احسن اخوته لان الموصوف بأحسن ليس من اخوة يوسف لخروجه عنهم باضافتهم اليه فاذا قلت زيد أعلم الضالين لزم ان يكون زيد من الضالين فلو جعل أعلم مضافا الى من يضل بفتح الياء لافهم كونه تعالى من جملة الضالين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بخلاف ما اذا قرئ يضل بضم الياء فانه يجوز ان يجعل أعلم

وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق اوجهلا لاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى [illegible] الله ومن اضلله الله [illegible] التفضيل والجن) [illegible] له بدل من عدوا واول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه

مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال و يحلون الحرام والمعنى كلوا مماذكر اسم الله على ذبحه لامماذكر عليه اسم غيره اومات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ماحرمه (ومالكم ان لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) واى غرض لكم فى ان تحرجوا عن اكله ومايمنعكم عنه (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع و يعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الا ما اضطررتم اليه)

مضافا حينئذ لعدم لزوم ذلك المحذور (قوله مسبب عن انكار اتباع المضلين) يعنى ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا مما جواب شرط مقدر اى ان انتهيتم عن اتباع المضلين وكنتم بآيات الله مؤمنين فكلوا مما ذكر عليه اسم الله ولا تأكلوا الميتة فانها لم تذبح على اسم الله فانهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوه مما قتلتموه انتم فهلون ما حرم الله كما انهم يحرمون البحائر والسوائب وقد احلها الله تعالى قال الامام فان قيل ان المشركين كانوا يبيحون اكل ماذبح على اسم الله ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى انهم كانوا يبيحون اكل الميتة والمسلمين كانوا يحرمونها واذا كان كذلك كان ورود الامر باباحة ما ذكر اسم الله عليه عبثا لانه يقتضى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فأجاب عنه بقوله لعل القوم كانوا يحرمون المذكاة ويبيحون اكل الميتة فالله تعالى رد عليهم فى الامرين فحكم بحل المذكاة بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبتحريم الميتة بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم قال و يجوز ان يحمل قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه على ان المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ماذكر اسم الله عليه فيكون المعنى على هذا الوجه تحريم اكل الميتة فقط انتهى كلامه فيكون قوله تعالى ومالكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه بمعنى ان لاتجعلوا اكلكم مقصورا عليه والمصنف اختار هذا الجواب حيث قال والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما ذكر عليه اسم غيره اومات حتف انفه لان الجواب الاول بعيد جدا (قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل) اى قرأوا فصل وحرم على البناء للمفعول فيهما بناء على ان قوله تعالى حرمت عليكم الميتة تفصيل لما اجمل فى هذه الآية فلما وجب فى التفصيل ان يقال حرمت على بناء المفعول وجب ذلك ايضا فى المجمل وهو قوله فصل لكم ما حرم عليكم وهو مالك الاعيان ومبين الحلال والحرام وقرأ نافع وحفص عن عاصم فصل لكم ماحرم عليكم على بناء الفاعل فيهما اى فصل الله ماحرم عليكم باسناد كل واحد من الفعلين الى ضمير الجلالة المذكورة فى قوله مما ذكر اسم الله عليه وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم فصل على بناء الفاعل وحرم على بناء المفعول على وفق قوله تعالى قد فصلنا الآيات وقوله حرمت عليكم الميتة قال اكثر المفسرين المراد بالتفصيل المذكور بقوله تعالى وقد فصل لكم ماحرم عليكم ما ذكر فى اول سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية وفيه اشكال وهو ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزله الله تعالى فى المدينة وقوله فصل يقتضى ان يكون التفصيل سابقا على هذه الحكاية والمدنى متأخر عن المكى فكيف يصح ان يخبر عما يأتى

بلفظ الماضي قال الامام والاولى ان يقال المراد بالتفصيل المحكي عنه بلفظ
الماضي ماذكر بعد هذه الآية بقوله تعالى قل لااجد فيما اوحي الى محرما على
طاعم يطعمه الآية وهي وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا ان هذا
القدر من التأخر لايمنع ان يكون هو المراد خصوصا ان هذه السورة نزلت دفعة
واحدة باجماع المفسرين فيكون التفصيل متقدما بالنسبة الى زمان تبليغ جبريل
عليه الصلاة والسلام هذه الآية (قوله مما حرم عليكم) بيان لما اضطررتم
اشارة الى ان الاستثناء متصل و المستثنى منه ماحرم على ان ما مصدرية بمعنى
المدة اي وقد فصل لكم الاشياء التي حرمت عليكم في جميع الاوقات الاوقت
الاضطرار اليها وان جعلت موصولة تعين ان يكون الاستثناء منقطعا لان
ما اضطر اليه حلال فلا يدخل تحت ماحرم عليهم الا ان يقال المراد بما حرم
جنس ماحرم مع قطع النظر عن كونه حلالا اومحرما فحينئذ لا يكون الاستثناء
منقطعا لان ما اضطر اليه داخل في ذلك الجنس (قوله مايعلن به ومايسر الخ)
يعني ان المراد بالاثم مايوجب الاثم وهو المعاصي كلها الا انه يحتمل ان يراد بظاهر
الاثم مايعلن منه وبباطنه مايسر سواء كان ذلك الاثم من اعمال القلوب
اوالجوارح و يحتمل ان يراد بظاهره مايعمله الانسان بجوارحه وبباطنه ماينويه
و يقصده بقلبه وما يكون من افعال القلوب خاصة وقيل ظاهر الاثم الاعلان
بالزنى وباطنه الاستسرار به وكانت العرب يحبون الزنى وكان الشريف يستسر به
باتخاذ الاخدان وغير الشريف لايبالي به فيظهره فيزني في الحوانيت قال الضحاك
كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ماكان سرا فحرم الله تعالى بهذه الآية السر منه
والعلانية والاول اصح لان تخصيص اللفظ العام بصورة معينة من غير دليل غير
جائز فيكون نهيا عاما عن جميع المحرمات واعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وهما
قوله تعالى فكلوا ولاتأكلوا لما بين الله تعالى تفصيل المحرمات اتبعه بايجاب تركها
بالكلية وعلى تقدير ان يكون المراد بظاهر الاثم وباطنه الاعلان بالزنى والاستسرار به
يكون قوله تعالى وذروا معطوفا على قوله فكلوا وداخلا في التسبب عن انكار
اتباع المضلين في تحريم الحلال وتحليل الحرام (قوله ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا اونسيانا) والآية عامة في جميع المأكولات والمشروبات فلهذا ذهب
عطاء الى ان كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام اوشراب فهو حرام واما سائر
الفقهاء فقد اجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذي زالت حياته فهو منحصر في ثلاثة
اقسام لان مازال حياته ولم يذكر عليه اسم الله اما ان لايكون مذبوحا وهو الميتة
واما ان يكون مذبوحا ثم انه لايخلو من ان يذكر عليه اسم غير الله اولا يذكر
عليه اسم الله ولا اسم غير الله ولاخلاف في حرمة القسمين الاولين وانما الخلاف

(في القسم)

مما حرم عليكم فانه ايضا
حلال قرأه الكوفيون
بضم الياء والباقون بالفتح
(باهوائهم بغير علم) بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد
العلم (ان ربك هو اعلم
بالمعتدين) بالمجاوزين
الحق الى الباطل والحلال
الى الحرام (وذروا ظاهر
الاثم وباطنه) مايعلن به
ومايسر او ما بالجوارح
و ما بالقلب وقيل الزنى
في الحوانيت واتخاذ
الاخدان (ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون) يكتسبون
(ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه) ظاهر في
تحريم متروك التسمية
عمدا اونسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله
وقال مالك والشافعي
بخلافه لقوله عليه الصلاة
والسلام ذبيحة المسلم
حلال وان لم يذكر اسم
الله عليها وفرق ابو حنيفة
بين العمد والنسيان واوله
بالميتة او بما ذكر اسم غيره
عليه لقوله (وانه لفسق)
فان الفسق ما اهل لغير الله به

حرمنا عليهم الشحوم بدون الاضافة لكفى فى افادة اصل المعنى لانه لما تقدم
ذكر البقر والغنم علم ان المراد من الشحوم شحومهما الا انه اضيف الشحوم الى
ضميرهما لزيادة الربط كما تقول من زيد اخذت ماله وفى الوسيط حرمنا عليهم
شحومهما يعنى شحوم الجوف وهى الثروب وشحم الكليتين لانهما الباقيان
بعد الاستثناء وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما قال قتادة ما علق بالظهر
والجنبين من داخل بطونهما وقوله تعالى او الحوايا وهى المباعر والمصارين
و المصارين الامعاء جمع مصران جمع مصير وهو مفعل من صار اليه الطعام
كذا فى المغرب واحدتها حاوية وحوية وحاوياء كقاصعاء وقواصع يعنى ما حملت
الحوايا من الشحم او ما اختلط بعظم يعنى شحم الالية فى قولهم جميعا لما فيها
من العظم حرم الله تعالى عليهم شحوم البقر والغنم الا ثلاثة انواع الاول الشحوم
الملتصقة بظهورهما والثانى الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين والثالث
ما اختلط بعظم فهذه الانواع الثلاثة حلال لهم وانما حرم عليهم الثرب وشحم
الكلية والثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء والكرش لكل مجتر بمنزلة
المعدة للانسان (قوله الا ما علقت بظهورهما) وفسره صاحب الكشاف
بقوله الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهى بفتح السين وسكون
الحاء المهملة الشحمة التى على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين الى
الوركين وفى الكواشى هو ما علق بالظهر والجنب من داخل وعبارة المصنف
تحتمل كلا التفسيرين (قوله او ما اشتمل على الامعاء) اشارة الى ان قوله
او الحوايا فى موضع الرفع عطفا على ظهورهما اى والا الذى حملته الحوايا
واشتمل على الامعاء وقوله على الامعاء تفسير للحوايا فانه غير محرم عليهم كالذى
ذكر قبله وقيل انه فى محل النصب عطفا على شحومهما اى وحرمنا عليهم
الحوايا ايضا او ما اختلط بعظم فيكون كل واحد من الحوايا والمختلط محرما عليهم
وتكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يكون فى محل النصب عطفا على المستثنى وهو ما حملت
ظهورهما كأنه قيل الا ما حملته الظهور او الحوايا او الا ما اختلط وفى الكواشى
او الحوايا عطف على الظهور فهى رفع اى او ما حملت الحوايا من الشحم او على
ما فهى نصب والمراد نفسها او على الشحوم فتحرم والحاصل ان قوله تعالى حرمنا
عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما يشتمل على ثلاثة اشياء مستثنى منه وهو
شحومهما ومستثنى وهو ما الموصولة فى قوله ما حملت وفاعل حملت وهو
ظهورهما فقوله تعالى او الحوايا او ما اختلط بعظم يحتمل ان يعطف على المستثنى
منه فينبغى ان تكون كلمة او بمعنى الواو لان حملها على اصل معناها يستلزم
ان تكون الآية مسوقة لتحريم احد المذكورات على الابهام وليس من الشرع

الا ما علقت بظهورهما
(او الحوايا) او ما اشتمل
على الامعاء جمع حاوية
او حاوياء كقاصعاء
وقواصع او حوية كسفينة
وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما واو بمعنى
الواو (او ما اختلط بعظم)
هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص

ان يحرم واحد مبهم من امور معينة وانما ذلك في الواجب فقط فيجب ان يكون المحرم هو المجموع لا الواحد المبهم و ذلك انما يكون بأن تكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يعطف على المستثنى فينبغي ان تكون او بمعنى الواو ايضا لان المحلل هو المجموع لا الواحد المبهم و يخدش هذا الاحتمال ان عطف الحوايا على المستثنى من الشحم يستلزم كون الحوايا مستثنى من الشحوم مع انها ليست من جنس الشحوم بخلاف ما لصق بالظهور وما اختلط بالعظم ولعل المصنف انما لم يتعرض لهذا الاحتمال لذلك ويحتمل ان يعطف على ظهورهما وهو الاقرب والعصعص بالضم عجب الذنب وهو عظمه ويقال انه اول ما يخلق وآخر ما يبلى (قوله ذلك التحريم) اى تحريم الطيبات المحللة لهم اشارة الى ان ذلك منصوب المحل على انه مفعول ثان لجزيناهم قدم على عامله لان جزى يتعدى الى مفعولين والتقدير جزيناهم ذلك التحريم او ذلك الجزاء بسبب بغيهم وهو قتلهم الانبياء وأخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل (قوله وانا لصادقون في الاخبار) اى عن كل شئ لاسيما في الاخبار عن التحريم المذكور وفي الاخبار عن بغيهم (قوله او الوعد والوعيد) اشارة الى انه تعالى لا يخلف في الوعيد كما لا يخلف في الوعد لان الخلف في كل واحد منهما كذب فيستحيل صدوره منه تعالى وقيل يجوز منه تعالى الخلف في وعيده بناء على انه كرم و فضل بخلاف الخلف في الوعد فانه نقيصة وانشد

واني اذا اوعدته او وعدته ❊ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(قوله ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع) جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ما ذهبوا اليه من انه تعالى لا يريد الا ما امر به من الايمان والطاعة ووجه استدلالهم انه تعالى حكى عنهم انهم سيعتذرون في اشراكهم وتحريمهم ما احل الله لهم بأن يقولوا انما اشركنا وحرمنا ذلك بمشيئة الله تعالى وارادته منا ذلك ولولا مشيئته لم يقع شئ من ذلك وهذا الذي حكاه عنهم هو عين ما ذهب اليه اهل السنة ولما حكى الله تعالى ذلك عنهم على سبيل الذم والتقبيح ثبت بطلانه فانه تعالى لا يريد من المكلف الا الايمان والطاعة وتقرير الجواب ان مدخول كلمة لو ليس مشيئة عدم الاشراك والتحريم حتى يكون محصول كلامهم انما اشركنا وحرمنا لتعلق مشيئة الله تعالى بذلك فيذمهم الله تعالى ويقبح منهم هذا الكلام وتكون الآية دليلا لهم علينا بل مدخولها هو المشيئة مع الرضى وذلك لان مقصود القوم بيان انهم على الحق المرضى عند الله وهذا المقصود انما يتم بذلك كأنهم قالوا لو شاء الله عدم اشراكنا ورضي به لتحقق ذلك العدم ولما لم يتحقق ذلك العدم علمنا انه تعالى لم يشأ ولم يرض عدم اشراكنا

(ذلك) التحريم او الجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) في الاخبار او الوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل او ذو رحمة واسعة على المطيعين و ذو بأس شديد على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم (سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء

كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لمافعلنا ﴿١٣١﴾ نحن ولاآباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عندالله

فكان اشراكنا مرضيا عندالله تعالى وذلك لان كلة لو لانتفاء الشيئ لانتفاء مدخولها ومدخولها ههنا مجموع الامرين المشيئة والرضى وانتفاء المجموع لايستلزم انتفاء كل واحد منهما فيجوز ان ينتفي الرضى وتوجد المشيئة ويكون مراد القوم بقولهم لكن اشركنا لانتفاء مشيئة الارتضاء لكن اشركنا لانتفاء احد شرطى عدم اشراكنا وهو الرضى به وان تحقق الشرط الآخر وهو تعلق المشيئة به فعلى هذا يتعلق الذم والتقبيح بزعمهم انه تعالى لم يرض بعدم اشراكهم وتحريمهم فانه باطل لانه تعالى لايرضى لعباده الكفر والفسوق (قوله كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين) تشبيه لكونه مدخول كلة لو مشيئة الارتضاء وانتفاؤها لايستلزم انتفاء كل واحد من المشيئة والرضى فان المنفى فيه هوالمشيئة فقط دون الرضى فان هداية الجميع مرضية وان لم يتعلق بها المشيئة فقول المصنف مشيئة ارتضاء وان امكن حمله على ان المشيئة مجاز عن الرضى وكان هذا الحمل كافيا فى غرضه الا انه لايوافقه قوله كقوله ولوشاء لهداكم لان المشيئة فيه ليست بمعنى الرضى (قوله ويؤيد ذلك) اى يؤيد كون مرادهم بذلك القول بيان انهم على الحق دون الاعتذار ووجه التأييد ان قولهم لوشاءالله ما اشركنا لو اريد به الاعتذار لما كان تكذيباله عليه الصلاة والسلام وانما يكون تكذيبا اذا كان معناه انا انما اشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروطا مرضيا عند الله وانك كاذب فيما قلت من ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرمتموه ويؤيد ايضا هذا المعنى قوله قل هلم شهداءكم الآية فانه صريح فى انهم يدعون ان الله تعالى حرم هذه الاشياء وانهم على الحق المشروع المرضى والكاف فى قوله تعالى كذلك صفة لمصدر محذوف اى مثل التكذيب المشار اليه فى قوله فان كذبوك هذا على تقدير ان يكون ضمير كذبوك للمشركين الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام فيما اخبرهم به من انه تعالى نهاهم عن الشرك ولم يحرم عليهم ما حكموا بحرمته والظاهر انه ضمير الذين هادوا وقوله كذلك اشارة الى التكذيب المدلول عليه بقولهم لوشاء الله الخ وقوله حتى ذاقوا غاية لامتداد التكذيب وقوله من علم يحتمل ان يكون مبتدأ وعندكم خبرا مقدما وان يكون فاعلا للظرف لاعتماده على الاستفهام ومن زائدة على كلا التقديرين والفاء فى قوله تعالى قل فلله تقتضى سبق شيء يتفرع هذا عليه فقدر الزمخشرى شرطا محذوفا يكون هذا جوابا له حيث قال يعنى فان كان الامر كما زعمتم من ان ما انتم عليه بمشيئة الله تعالى فلله الحجة البالغة وقدر غيره جملة اسمية فقال التقدير قل انتم لا حجة لكم على ما ادعيتم والظاهر انه لاحاجة الى التقدير بل هو متفرع على قوله قل هل عندكم من علم فان الاستفهام فيه

لاللاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا التكذيب لك فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ماتتبعون فى ذلك الا الظن (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه (قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه

(فلوشاء لهديكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم)

لانكارانه لاحجة لهم على ماادعوه فلله الحجة البالغة عليكم فانهم لما دفعوا دعوة الانبياء والرسل عن انفسهم بأن قالوا كل ما هو كائن فانه بمشيئة الله تعالى واذا شاء الله منا ذلك كنا عاجزين عن تركه فكيف تأمرنا بتركه وهل فى وسعنا وطاقتنا ان نأتى بفعل على خلاف مشيئة الله تعالى فهذا هو شبهة الكفار على الانبياء فقال تعالى حجتهم داحضة بل الحجة البالغة لله من وجهين الاول انه تعالى اعطاكم عقولا كاملة وافهاما وافية وآذانا سامعة وعيونا ناظرة وأقدركم على الخير والشر وأزال الاعذار والموانع بالكلية عنكم فان شئتم ذهبتم الى عمل الخيرات وان شئتم ذهبتم الى عمل المعاصى والمنكرات اى ذهبتم الى اكتسابها لا الى ايجادها فان المراد قدرة الكسب لا الايجاد وهذه القدرة الممكنة معلومة الثبوت بالضرورة وكذا زوال الموانع والعوائق معلوم كذلك واذا كان الامر كذلك كان ادعاؤكم انكم عاجزون عن الايمان والطاعة دعوى باطلة فثبت بما ذكرنا انه ليس لكم على الله حجة بل لله الحجة البالغة عليكم قال الزجاج حجته البالغة تبيينه انه الواحد وارساله الانبياء بالحجج التى تعجز عنها الخلائق اجمعون والوجه الثانى انكم تقولون لو كانت افعالنا واقعة على خلاف مشيئة الله تعالى لكنا قد غلبنا الله وقهرناه وأتيناه بالفعل على مضادته ومخالفته وذلك يوجب كونه عاجزا ضعيفا وذلك يقدح فى كونه الها فاجاب تعالى عنه بأن العجز والضعف انما يلزم اذا لم يكن قادرا على حملهم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء وهو قادر على ذلك حيث قال ولو شاء لهداكم اجمعين الا انه لا يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء لان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف اقول واحتج اهل السنة بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين على ان الكل بمشيئة الله تعالى لان كلمة لو فى اللغة تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فدل على انه تعالى ماشاء ان يهديهم وماهداهم ايضا فهى حجة دامغة لنا على المعتزلة (قوله وهو اسم فعل) اى بمعنى أحضروا وهاتوا وقربوا وشهداءكم مفعول به فان اسم الفعل يعمل عمل مسماه متعديا كان اولازما وهلم فيها لغتان لغة الحجازيين ولغة التميميين فعند الحجازيين يستوى فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع نحو هلم يازيد يازيدان يازيدون ياهند ياهندان ياهندات وعند بنى تميم تلحقها الضمائر كما تلحق سائر الافعال فتذكر وتؤنث وتجمع فيقال هلما هلموا هلمى هلممن وجمهور البصريين على انها مركبة من هاء التنبيه ومن لم امر امن لم يلم فلما ركبتا حذفت ألفها لكثرة الاستعمال اولالتقاء الساكنين تقديرا بناء على ان حركة اللام عارضة وانما ضمت بنقل حركة الميم اليها للادغام فكان كل واحد من ألفها واللام ساكنا

أحضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لاتمسك لهم كمن يقلدهم

وسقطت همزة الوصل للاستغناء عنها بحركة الميم المنقولة الى اللام لاجل الادغام وادغمت الميم في الميم و بنيت على الفتح لخفته وقيل انها مركبة من هاء التنبيه ومن لم امر من لم الله شعثه اى جمعه فمعنى هلم اجمع نفسك الينا فحذفت ألفها لكثرة الاستعمال وليس فيه حينئذ الاعمل واحد وهو حذف ألفها وهو مذهب الخليل وسيبويه و ذهب الفرآء الى انها مركبة من هل التى للزجر و من ام من الام وهو القصد وليس فيه الا عمل واحد وهو نقل حركة الهمزة الى لام هل وهلم تكون متعدية بمعنى احضره و لازمة بمعنى اقبل فمن جعلها متعدية اخذها من اللم وهو الجمع ومن جعلها قاصرة اخذها من اللمم وهو الدنو والقرب فمعنى هلم ادن وتقرب وأقبل (قوله ولذلك) اى ولكون المراد بشهدآئهم قدوتهم الذين اقتدوا بهم لامن يشهد بصحة دعواهم كائنا من كان قيد الشهدآء بالاضافة اليهم فان الاضافة لكونها من طرق تعريف المضاف تدل على انهم اشخاصا معهودة لكونهم شهدآءهم وانهم انما ذهبوا الى ماذهبوا اليه بشهادة هؤلاء الشهدآء ولذلك ايضا وصف الشهدآء بالموصول مع الصلة لدلالة على ان شهدآءهم معهودون معينون عندهم باتصافهم بمضمون الصلة فان الموصولات انما جعلت معارف لكونها موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له وهو مضمون الصلة فان صلة الموصول لابد ان تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول قبل ايرادها واجرآئها عليه (قوله فان تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة) فكان بمنزلة الشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة تصريحية و اشتق منه قوله فلاتشهد فكان استعارة تبعية (قوله فاتسع فيه بالتعميم) حيث قاله وتكلم به كل من طلب ان يتقدم و يصل اليه شخص سوآء كان الطالب فى علو اوسفل اوغيرهما (قوله وماتحتمل الخبرية) اى تحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف اى أتل الذى الذى حرمه ربكم عليكم وهذا اظهر الاحتمالات الثلاثة ويحتمل ان تكون مصدرية اى أتل تحريم ربكم ونفس التحريم لايتلى وانما هو مصدر واقع موقع المفعول به اى أتل محرم ربكم الذى حرمه عليكم ويحتمل ان تكون استفهامية فى محل النصب بحرم بعدها والتقدير أتل اى شئ حرم ربكم (قوله اى لاتشركوا) اختار ان تكون ان فى قوله تعالى ان لاتشركوا مفسرة من حيث انه تقدمها ماهو فى معنى القول لان التحريم هو تكلم القول الدال على الحرمة فقوله لاتشركوا يصلح ان يكون مفسرا للتحريم المذكور بقوله ماحرم حتى تكون لاناهية وتكون الجمل المتعاطفة متوافقة فى كونها طلبية بعضها امر وبعضها نهى نحو لاتشركوا ولاتقربوا ولاتقتلوا ولاتتبعوا السبل

ولذلك قيد الشهدآء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم (فان شهدوا فلاتشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولاتتبع اهوآء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لاغير وان متبع الحجة لايكون الا مصدقا بها (والذين لايؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم (أتل) أقرأ (ماحرم ربكم) منصوب بأتل ولاتحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أقل اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم او أتل (ان لاتشركوا به) اى لاتشركوا به ليصح عطف الامر عليه

ومحووا حسنوا بالوالدين وأوفوا و اذا قلتم فاعدلوا و بعهد الله أوفوا وعلى تقدير ان تكون كلمة ان ناصبة للفعل تكون لا نافية فلا يحسن عطف الجملة الانشائية عليها وايضا ان جعلت ان مصدرية ولا نافية يكون قوله تعالى ان لا تشركوا في موقع البيان للمحرم بدلا من ما فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما وهو باطل لانهما واجبان فكيف يكونان محرمين و بجعلها مفسرة يزول الاشكال لان تقدير الكلام يصير حينئذ أتل ماحرم ربكم عليكم ان لاتشركوا اى ذلك التحريم هو قوله لاتشركوا به شيأ (قوله ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم) جواب عما يقال كيف يعطف قوله وأحسنوا بالوالدين على الفعل المفسر وهو لاتشركوا مع ان هذا المفسر قد علق اى جعل مفسرا لقوله ماحرم فلو عطف قوله و بالوالدين احسانا على قوله ان لاتشركوا به شيأ لوجب ان يكون مفسرا لقوله ماحرم ربكم عليكم فيلزم ان يكون الاحسان بالوالدين حراما وهو باطل و تقرير الجواب ان عطف الامر على ما جعل تفسيرا للتحريم يستلزم ان يكون الامر دالا على التحريم مفسرا له الا انه لا يلزم منه ان يكون المأمور به محرما فانه لايذهب اليه وهم احد بل التحريم مستفاد من الامر وهو تحريم ضد المأمور به فان ايجاب المأمور به يستلزم تحريم ضده فان قولك أحسنوا بالوالدين فى قوة قولك لاتسيئوا بالوالدين وقولك أوفوا الكيل فى قوة قولك لاتبخسوا الكيل و الميزان و كذا نظائرهما (قوله ومن جعل ان ناصبة) يتجه عليه ان يقال ان ان مع الفعل حينئذ تكون فى محل النصب على انه بدل مما حرم و هو باطل لاستلزامه ان يكون ترك الاشراك محرما والمحرم هو الاشراك لانفيه وان الاوامر الواردة بعد ذلك معطوفة على لاتشركوا وفيه ارتكاب عطف الطلبى على الخبرى وجعل المعانى الواجبة المأمور بها محرمة فلذلك احتيج الى ماذكره المصنف من التكلفات الاول ان يتم الكلام عند قوله أتل ما حرم ربكم ثم يبتدأ بقوله عليكم ان لا تشركوا اى الزموا ترك الشرك فتكون الاوامر المعطوفة معطوفة على نفس عليكم لكونه بمعنى الزموا والثانى ان تكون ان مع مافى حيزها فى محل النصب بدلا مما حرم او من العائد المحذوف اذ التقدير ماحرمه و على التقديرين تكون لا مزيدة لئلا يفسد المعنى كزيادتها فى قوله تعالى ان لايسجدوا ولئلا يعلم اهل الكتاب والتقدير أتل ماحرم ربكم ان تشركوا فيكون عطف الاوامر على المحرمات باعتبار حرمة اضدادها وعطفها على الخبر باعتبار تضمين الخبر معنى الطلب ويحتمل ان تكون ان الناصبة مع مافى حيزها فى محل الجر على حذف لام العلة و التقدير أتل ما حرم ربكم عليكم لئلا تشركوا ويحتمل ان تكون فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف

ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلهما النصب بعليكم على انه للاغراء اوبالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة اوالجر بتقدير اللام اوالرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا او المحرم ان تشركوا

(شيأ) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين احسانا) اى وأحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ﴿١٣٥﴾ ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولا تقربوا الفواحش) كبائر الذنوب او الزنى (ما ظهر منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ما ذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) اى بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له او عليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف

وهو المحرم او المتلو الا انه فى جعل التقدير المحرم ان لا تشركوا يجب ان تجعل كلمة لا زائدة لئلا يفسد المعنى (قوله شيأ يحتمل المصدر) بأن يكون عبارة عن الاشراك اى اشراكا ما او شيأ من الاشراك واحسانا منصوب على المصدر وعامله فعل مضمر من لفظه ويتعلق به قوله وبالوالدين * ومن فى قوله من املاق سببية متعلقة بالفعل المنهى عنه اى لا تقتلوا اولادكم لاجل الاملاق وهو الفقر وقيل الجوع (قوله بدل منه) يعنى ان قوله ما ظهر منها وما بطن فى محل النصب على انه بدل من الفواحش بدل اشتمال اى لا تقربوا ظاهرها وباطنها كقولك ضربت زيدا ظاهره وباطنه ومنها حال من فاعل ظهر فيتعلق بمحذوف وحذف منها بعد قوله بطن لدلالة الاول عليه قال ابن عباس كانوا يكرهون الزنى علانية فيفعلون ذلك سرا فنهاهم الله تعالى عن الزنى علانية وسرا وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن الزنى والاولى ان يجرى النهى على عمومه فى جميع الفواحش ظاهرها وباطنها ولا يخص بنوع معين (قوله تعالى الا بالحق) حال من فاعل تقتلوا اى لا تقتلوها الا ملتبسين بالحق ويجوز ان يكون وصفا لمصدر محذوف اى الا قتلا ملتبسا بالحق (قوله تعالى وأوفوا الكيل) اى أتموه ولا تنقصوا منه شيأ وكل شئ بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم ووفيته اى أتممته واوفى الكيل اى اتمه ولم ينقص منه شيأ وبالقسط حال من فاعل أوفوا اى أوفوهما مقسطين اى ملتبسين بالقسط وهو العدل فان قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير فالجواب ان الله تعالى امر المعطى بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب زيادة (قوله واذا قلتم فى حكومة ونحوها) يعنى ان القول ليس مختصا باداء الشهادة بل يدخل فيه كل ما يتعلق بالقول من الدعوة الى الدين وتقرير الدلائل عليه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويدخل فيه الحكايات التى يذكرها الرجل فيجب ان لا يزيد فيها ولا ينقص منها وتبليغ الرسالة وحكم الحاكم ولما كان مدار الامر على اتباع الحق المشروع وطلب مرضاة الله تعالى لم يختلف الحال بين ان يكون المقول له او المقول عليه ذا قرابة وبين ان يكون اجنبيا (قوله وان عامر) اى وقرأ ابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف على انها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الامر والشأن اى وانه هذا صراطى كقوله تعالى ان الحمد لله

(قوله وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام) المفيد للعلية اى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل ان ان المشددة مع مافى حيزها فى محل النصب على انها معطوفة على قوله ماحرم اى أتل ماحرم ربكم عليكم وأتل ان هذا صراطى والمراد بالمتكلم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان صراطه صراط الله الذى هو دين الاسلام (قوله تعالى فتفرق) منصوب باضمار ان بعد الفاء فى جواب النهى اصله تتفرق حذفت منه احدى التاءين و بكم مفعول به عدى الفعل اليه بالباء اى فتفرقكم وقوله مستقيما حال وعاملها معنى الاشارة (قوله وثم للتراخى فى الاخبار) جواب عما يقال كيف يصح عطف الايتاء على التوصية بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل فان التوصية وقعت بانزال القرآن وايتاء التوراة لاشك انه متقدم على انزال القرآن واجاب عنه بأن ثم ههنا ليست للتراخى الزمانى بل انما هى للتراخى فى الاخبار اوللتراخى فى الرتبة فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لاان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى بعد ذكر الجنة فنعم اجر العاملين و بعد ذكر جهنم فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر مدح الشئ اوذمه انما يصح بعد جرى ذكره ولايصح حملها على التراخى الزمانى فى شئ من الآيتين ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى الى آخرها وقولك اجبته فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومن هذا القبيل مانحن فيه من الآية فان الاخبار بايتاء التوراة وانزال القرآن مرتب على الاخبار بالتوصية باتباع صراط الله تعالى اذلايخفى ان بيان طريق التوصية حقه ان يؤخر عن الاخبار بنفس التوصية وكذا بين ايتاء التوراة وانزال القرآن و بين تلك التوصية تفاوت عظيم فى الرتبة لاشتمالهما على تلك التوصية وعلى امثالها مع احكام اخر وفى تقرير الجواب اشارة الى ان قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك عطف على آتينا موسى الكتاب داخل فى حيز ثم ولم يذكر على اسلوب قوله آتينا موسى الكتاب ولم يقل وانزلنا اليك هذا الكتاب المبارك اظهارا لشرفه ومزيد رتبته و لهذا جعل الفاصلة تمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وههنا لعلكم ترحمون (قوله وصاكم به قديما وحديثا) اشارة الى ان هذه التوصية قديمة لم يزل يوصى بها كل امة على لسان نبيها و لهذا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه الآيات يعنى من قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب الاخبار انه قال والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات مفتتح

وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولاتتبعوا السبل) الاديان المختلفة اوالطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) اتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) عطف على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار اوللتفاوت فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة

(على الذى احسن) على من احسن القيام به و يؤيده ان قرئ على الذين احسنوا اوعلى الذى احسن تبليغه وهو موسى اوتماما على ما احسنه اى اجاده ﴿ ١٣٧ ﴾ من العلم والشرآئع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن اوعلى الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شئ) و بيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة و الحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرآئيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزآء (وهذا كتاب) يعنى القرءآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزاله (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى واعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن دراستهم) قرآءتهم (لغافلين) لاندرى ما هى ولانعرف مثلها (اوتقولوا) (١٨) عطف على الاول (رابع) (لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون

التوراة وهى بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر الآيات الثلاث وكعب رجل من حمير ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وروى ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه وقوله تماما مفعول له وجاز حذف اللام لكونه فى معنى الاتمام فيكون فعلا لفاعل الفعل المعلل او مصدرا للفعل المقدر من لفظه على حذف الزوآئد اى اتممناه اتماما وقوله للكرامة متعلق بقوله تماما بمعنى اتماما كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اى انباتا ولهذا تعلق به قوله للكرامة على انه مفعول به والافتماما مصدر تم وهو لازم فكيف يعدى الى الكرامة (قوله على من احسن القيام به) على ان يكون التعريف فى قوله الذى للجنس اى لاتمام النعمة الى كل من احسن القيام به فيكون ضمير احسن عائدا الى الموصول و مفعوله محذوف (قوله او على الذى احسن تبليغه) فيكون التعريف للعهد و المعهود موسى عليه الصلاة والسلام فيكون فاعل احسن ايضا ضميرا عائدا الى الموصول ومفعوله محذوفا وهو التبليغ اى اتماما للكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ و فى كل ما امر به (قوله او تماما على ما احسنه) على ان يكون التعريف للعهد ايضا والمعهود العلوم و الشرآئع التى احسنها موسى اى اجاد معرفتها ففاعل احسن ضمير موسى و مفعوله محذوف و هو العائد الى الموصول اى تماما على الذى احسنه موسى من العلم و الشرآئع بمعنى زيادة على علمه على وجه التتميم (قوله وقرئ بالرفع) اى برفع احسن على انه خبر مبتدأ محذوف والذى وصف للدين اوللوجه الذى تكون عليه الكتب اى حال كون الكتاب تماما على الذى هو احسن او حال كون الكتاب تاما كاملا كائنا على الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب (قوله كراهة ان تقولوا) اختار كونه مفعولا له ولاخفاء ان نفس هذا القول لا يصلح ان يكون علة باعثة للانزال بل العلة الباعثة هى عدم ذلك القول فلذلك حمله الكوفيون على حذف لا اى لئلا تقولوا و البصريون على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا وان تقولوا خطاب لاهل مكة والمعنى انزلناه كراهة ان تقولوا يا اهل مكة انزل الكتاب وهو التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى وكنا غافلين عما فيهما لانعلم دراستهم لان كتابهم ليس بلغتنا فانزل الله تعالى كتابا بلغتهم كيلا يعتذروا بأن الكتاب لم يأتهم وان الرسول لم يبعث اليهم (قوله وانه كنا)

(فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
بعدان عرف صحتها او تمكن من معرفتها (وصدف) اعرض اوصد (عنها) فضل وأضل (سنجزى الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) بما اضلهم او صدهم ﴿١٣٨﴾ (هل ينظرون) اى ماينتظرون
يعنى اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن
لما كان يلحقهم لحوق المنتظر
شبهوا بالمنتظرين (الا
ان تأتيهم الملائكة)
ملائكة الموت او العذاب
وقرأ حمزة والكسائى
بالياء هنا وفى النحل (اويأتى
ربك) اى امره بالعذاب
او كل آياته يعنى آيات
القيامة والعذاب والهلاك
الكلى لقوله (اويأتى بعض
آيات ربك) يعنى اشراط
الساعة وعن حذيفة
والبرآء بن عازب رضى الله
تعالى عنهما كنا نتذاكر
الساعة اذ أشرف علينا
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال ماتذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال
انها لاتقوم الساعة حتى
تروا قبلها عشر آيات
الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس
من مغربها ويأجوج ومأجوج
ونزول عيسى ونارا تخرج
من عدن (يوم يأتى بعض
آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة (اى)
الايمان الى ضمير مؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (او كسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع
الايمان حينئذ نفسا ومقدمة ايمانها غير مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل

قدر للمكسورة المخففة من الثقيلة اسما وهو ضمير الشأن اشارة الى انها يجوز
اعمالها حال كونها مخففة كما انها يكون مع حذف نونها فى قولك ألم يك زيد
قائما نص عليه ابن الحاجب فى الكافية ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة
جماعة مع ان ضمير دراستهم للطائفتين (قوله تعالى فقد جاءكم) جواب شرط
مقدر اى ان صدقتم فيما كنتم تعتذرون عن انفسكم فقد جاءكم او ان كنتم
كما تزعمون انكم اذا انزلنا عليكم كتابا تكونون اهدى من اليهود والنصارى
فقد جاءكم حذف الشرط فدل عليه بالفاء الفصيحة كما فى قوله ❊ فقد جئنا
خراسانا ❊ ولما وصف الله تعالى القرآن العظيم بانه كتاب مبارك يكون اتباعه
سببا للرحمة وانه بينة نازلة من قبل الرب الكريم وهدى ورحمة عظم كفر من كذب به
وصدف عنه ومنع غيره عن اتباعه لان الاول ضلال والثانى اضلال فمن جمع
بينهما فقد وقع فى غاية الاختلال (قوله اى ماينتظرون) اشارة الى ان هل
استفهام معناه النفى وان ينظرون بمعنى ينتظرون فان النظر يستعمل فى معنى
الانتظار وتقدير الآية انهم لايؤمنون بك الا اذا جاءهم احد هذه الامور الثلاثة
وهى مجيئ الملائكة او مجيئ الرب او مجيئ الآيات القاهرة من الرب كأنه قيل
انى اقمت عليهم الحجة وانزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فما ينتظرون الا احد
هذه الامور (قوله بجزيرة العرب) هى ناحية من ارض العرب يحيط بها
بحر فارس وبحر السودان ونهر الدجلة والفرات روى عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة
لايغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك
فان الايمان انما ينفع صاحبه اذا كان عن برهان رغما للشيطان وتعبدا للرحمن
واختيارا للايمان من حيث كونه مأمورا به من قبل الملك المنان وما يكون
عند معاينة الآيات ليس بايمان اختيار فى الحقيقة بل هو ايمان يأس وقع خوفا
من العذاب فلا ينفع الايمان الحاصل عند معاينة ما يضطر الانسان الى الايمان
فان معاينة اشراط الساعة بمنزلة معاينة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الايمان
لانه انما يقبل اذا كان بالغيب قالت عائشة رضى الله تعالى عنها اذا خرجت اول
الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد بالاعمال ❊ ويوم
منصوب بقوله لاينفع وقرئ مرفوعا على الابتداء وخبره لاينفع والعائد محذوف

اى لا ينفع نفسا ايمانها فيه وقوله لم تكن آمنت وان جاز ان يكون حالا من ضمير ايمانها الا ان المصنف اختار كونه صفة نفسا فيتم الفاعل وهو ايمانها فاصلا بين المفعول الموصوف وبين صفته لعدم كون الفاعل اجنبيا من الموصوف الذى هو المفعول لاشتراكهما فى العامل فعلى هذا يجوز ضرب هندا غلامها القرشية وقوله اوكسبت فى ايمانها خيرا لما عطف على قوله آمنت اشعر النظم ان الايمان السابق العرى عن فعل الخير لا ينفع مطلقا وقد ذهب اهل السنة الى انه ينفع فى عدم التخليد لورود النصوص بذلك ولم يقم دليل عقلى ينافيها وان لم ينفع فى دفع العقاب جزاء على اثم ترك العمل استدل به من لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل كالمعتزلة فان الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى انه عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن ترك العمل وحده اى مع انه اعتقد وأقر فهو فاسق اتفاقا الا انه عند جمهور المحدثين هو مؤمن فاسق وعند الخوارج هو كافر فاسق وعند المعتزلة هو فاسق خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر والخارج عن الايمان لا ينتفع بالايمان قال صاحب الكشاف فى معنى الآية ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات اومقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا فى ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا لانا نعلم ان قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعدوا لاقاشقاء والهلاك انتهى كلامه فتمسك بظاهر الاية على ان مجرد الايمان بدون ان يكون فيه كسب خير ليس بنافع فلا يخلص صاحبه من الخلود فى النار (قوله وللمعتبر) اى ولمن اعتبر الايمان المجرد عن العمل بأن حكم عليه بانه يخلص صاحبه من الخلود فى النار تخصيص هذا الحكم وهو حكم عدم نفع الايمان بذلك اليوم فان الايمان الذى حكم عليه بانه لا ينفع اذا خصص بالايمان الحادث فى ذلك اليوم يكون الحكم بعدم نفعه مخصصا ايضا بواسطة تخصيص الايمان المعتبر فى ذلك الحكم ثم ان هذا التخصيص ليس مستندا الى مجرد الادعاء والتشهى بل هو مستند الى دليل وذلك لان كلمة أو لأحد الامرين او الامور فاذا وقعت فى سياق النفى تكون لعموم النفى كالنكرة على ماذكر فى قوله تعالى ولا تطع منهم آثما اوكفورا فقوله تعالى اوكسبت لما عطف على قوله آمنت الواقع فى سياق قوله

وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها

لم تكن كان المعنى لا ينفع الايمان نفسا انتفى عنها كل واحد من الايمان وكسب
الخير فى ذلك الايمان قبل ذلك اليوم ووجب ان يكون المراد بالايمان الذى حكم
عليه بعدم النفع هو الايمان الحادث بعد ذلك اليوم فحينئذ لادلالة فى الآية
على عدم نفع الايمان السابق على ذلك اليوم اذا كان عاريا عن فعل الخير والطاعة
حتى يقال انه تعالى سوى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان
وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا فى أن كل واحدة منهما خالدة
فى النار فسقط استدلال المعتزلة بها ولما ورد على هذا التأويل ان يقال تخصيص
الحكم المذكور بذلك اليوم وجعل كلمة أو لعموم النفى يستلزم ان يكون المعنى لا ينفع
الايمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا انتفى عنها كل واحد من الايمان السابق
وكسب الخير فيه فيكون ذكر انتفاء كسب الخير فى الايمان السابق لغوا لان انتفاء
نفس الايمان السابق يستلزم انتفاء كسب الخير فيه ضرورة اشار المصنف الى
جوابه بقوله وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين احدهما الايمان
السابق الذى اكتسب فيه العمل الصالح والآخر مجرد ذلك الايمان وتقرير
الجواب ان قوله تعالى اوكسبت فى ايمانها خيرا انما يكون لغوا اذا كان المقصود
مجرد بيان عموم النفى وليس كذلك بل المقصود بيان اشتراط النفع بأحد الامرين
فان هذا البيان انما يحصل بذكرهما جميعا بأن يقول يوم يأتى بعض آيات ربك
لا ينفع الايمان الحادث فيه نفسا خلت عن الايمان السابق المكتسب فيه الخير
وعن اصل ذلك الايمان ايضا فان هذا القول يدل على ان النفس لو لم تكن
خالية عن كل واحد منهما بل كانت متصفة بأحدهما ايهما كان نفعها ذلك
ونجاها من الخلود فى النار ولا شك انه يفهم منه اشتراط النفع بأحد الامرين
ويظهر فائدة قوله اوكسبت فى ايمانها خيرا (قوله والعطف على لم تكن)
عطف على قوله وحمل الترديد فيكون جوابا آخر عن حديث اللغو وتقريره
ان تخصيص الحكم المذكور بذلك اليوم على تقدير تسليم كونه مستلزما لذكر
مالافائدة فى ذكره انما يستلزمه على تقدير كون قوله اوكسبت عطفا على قوله
آمنت وليس كذلك بل هو معطوف على قوله لم تكن والمعنى لا ينفع الايمان
الحادث فى ذلك اليوم نفسا لم تؤمن من قبل اوآمنت بعد ظهور الآيات وكسبت
فى ايمانها الحادث خيرا كأنه قيل لا ينفع مجرد الايمان للنفس الموصوفة بانها
لم تؤمن من قبل فضلا عن ان تكتسب فى ايمانها خيرا او بانها آمنت بعد ظهور
الآيات وكسبت فى ايمانها الحادث خيرا واجيب عن تمسك المعتزلة ايضا بأن
الآية من باب اللف التقديرى اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان ان لم تكن
آمنت من قبل اوكسبت فيه فتوافق الآيات والاحاديث الشاهدة بأن مجرد الايمان

والعطف على لم تكن
بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها
الذى احدثته حينئذ وان
كسبت فيه خيرا (قل
انتظروا انا منتظرون)
وعيد لهم اى انتظروا
اتيان احد الثلاثة فانا
منتظرون له وحينئذ لنا
الفوز وعليكم الويل (ان
الذين فرقوا دينهم)
بددوه فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض وافترقوا
فيه قال عليه الصلاة
والسلام افترقت اليهود
على احدى وسبعين
فرقة كلها

فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ﴿ ١٤١ ﴾ اثنين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى

على ثلاث وسبعين فرقة
كلها فى الهاوية الا واحدة
وقرأ حمزة والكسائى هنا
وفى الروم فارقوا اى باينوا
(وكانوا شيعا) فرقا تشيع
كل فرقة اماما (لست منهم
فى شئ) اى فى شئ من
السؤال عنهم وعن تفرقهم
او عن عقابهم او انت برئ
منهم وقيل هو نهى عن
التعرض لهم وهو منسوخ
بآية السيف (انما امرهم
الى الله) يتولى جزآءهم (ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب (من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها) اى عشر
حسنات امثالها فضلا من
الله تعالى وقرأ يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على
الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير
حساب ولذلك قيل المراد
بالعشر الكثرة دون العدد
(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها) قضية للعدل
(وهم لا يظلمون) بنقص
الثواب وزيادة العذاب (قل
اننى هدانى ربى الى صراط
مستقيم) بالوحى والارشاد
الى ما نصب من الحجج
(دينا) بدل من محل

الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما)

ينفع ويورث النجاة من العذاب ولو بعد حين وهذا ماقاله القاضى ناصر الدين فى الانتصاب من ان الزمخشرى يروم ان يستدل بالآية على ان الكافر والعاصى فى الخلود سوآء حيث سوى فى الآية بينهما فى عدم الانتفاع بالايمان بعد ظهور الآيات ولايتم له فان هذا الكلام اشتمل على مايسمى فى علم البيان والبلاغة باللف واصل الكلام يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن مؤمنة قبل ايمانها بعد ولانفسا لم تكسب فى ايمانها خيرا قبل ماتكسبه من الخير بعد الا انه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا ايجازا وبلاغة واذا ثبت ان ذلك هو الاصل ظهر ان مايستفاد من الآية غير مخالف لقواعد اهل السنة فانا نقول لاينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير ان ارتفع الايمان المتقدم فى السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال اجدر من ان يدل له (قوله عليه الصلاة والسلام فى الهاوية) وهى من اسماء النار سميت به لكونها ذات هوى يسقط المجرمون فيها يقال هوى يهوى هويا اذا سقط (قوله شيعا) يقال شايعه يشايعه شياعا اى تبعه (قوله تعالى لست منهم) فى محل الرفع على انه خبر ان ومنهم خبر ليس وفى شئ متعلق بالاستقرار الذى تعلق به منهم اى لست منهم مستقرا فى شئ من تفريقهم ومن سائر احوالهم والحاصل ان قولك لست منى ولست منك يستعمل فى نفى الاتصال بين اثنين كما ان نحو انت منى وانا منك يستعمل فى اثبات الاتصال بينهما ونفى الاتصال انما يستفاد من القرآئن الخارجية فان المحق لكونه ضد المبطل لايتصل به وكذا من اتبع الحجج والبراهين لايتصل بمن تمسك بتقليد الآباء والاهوآء الباطلة (قوله عشر حسنات امثالها) يعنى ان ظاهره ان يقال عشرة امثالها بالحاق التاء لان الامثال جمع مثل وهو مذكر وقد تقرر ان ثلاثة الى عشرة اذا اضيف الى مذكر يجب الحاق التاء بالعدد نحو ثلاثة رجال الى عشرة رجال ولم يلحق التاء بالعشرة ههنا لان الامثال ليس مميزا للعشرة بل مميزها هو الحسنات والامثال صفة لمميزها روى ابو ذر رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال الحسنة عشر اوازيد والسيئة واحدة او أعفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره وقال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها وان لم يعملها واذا عملها فعشر امثالها وان هم بسيئة فلاتكتبوها فان عملها فسيئة واحدة فان قيل كفر ساعة يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ فما وجه المماثلة واجيب بأن الكافر على عزم انه لوعاش ابدا لبقى على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبدا عوقب بعقاب الابد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة (قوله قضية للعدل) توصيفه تعالى بالعدل لايقتضى ان يكون بعض الافعال

فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتي ونسكي) عبادتي كلها او قرباني او حجي (ومحياي ومماتي) وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لا شريك له) خالصة له لا اشرك فيها غيره (وبذلك) القول والاخلاص (امرت وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته (قل أغير الله ابغي ربا) فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) فلا ينفعني في ابتغاء رب سواه ما اتم عليه من ذلك (ولا تزر وازرة وزر اخرى) (مجازان)

بالنسبة اليه تعالى ظلما وقبحا فان كل ما سند اليه تعالى من الافعال حسن وصواب يتصرف في ملكه كيف يشاء الا انه تعالى لكمال قدرته واحاطة علمه وباهر حكمته وجلال ذاته وكبريائه لا يفعل الا ما له حكمة وفائدة جليلة فلينظر الانسان الى بدنه والى بدن العالم بأسره كيف احسن خلقه ووضع كل شئ من اعضائه المختلفة في موضع يليق به فقوله قضية للعدل لا يدل على انه مال الى الاعتزال بأن يفهم من كلامه ان الجزاء لو لم يكن مثل السيئة لما كان عدلا (قوله فيعل) قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قيما بفتح القاف وكسر الياء المشددة على انه صفة مشبهة من قام بمعنى القائم والمستقيم الا ان القيم ابلغ منهما باعتبار الزنة لكون زنته دالة على الثبوت وهما يدلان على التجدد والحدوث وان كان المستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة فان بناء الاستفعال لكثرة حروفه يفيد ما لا يدل عليه المجرد والقيم بكسر القاف وفتح الياء مخففة مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر والحول والشبع وصف به الدين مبالغة او بمعنى ذا قيم (قوله ملة ابراهيم عطف بيان لدينا) فان الملة والدين وان كانا عبارتين عما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا باتباعه الى اجل ثوابه الا ان الملة لما ذكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح فصلحت ان تكون عطف بيان للدين والملة من املال الكتاب اي املائه وما شرعه الله تعالى لعباده سمي ملة من حيث انه يدون ويملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى دينا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه اي جعله لهم سننا وطريقا (قوله عبادتي كلها) قال الزجاج النسك كل ما تقربت به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه في العرف الحج او الذبح قال مقاتل نسكي اي حجي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي ذبيحتي يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه وجمع بين الصلاة وبين النحر كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث فعلى هذا النسك كل ما به تقربت الى الله تعالى (قوله تعالى ومحياي ومماتي لله) اي حياتي وموتي حاصلان بخلق الله تعالى لا بمعنى انه يؤتى بهما لطاعة الله تعالى وخالصا لوجهه لان ذلك انما يكون فيما يكون لاختيار الانسان مدخل فيه فلذلك يجب ان يكون كون الصلاة والنسك لله مفسرا بكونهما واقعتين بخلق الله تعالى وذلك من ادل الدلائل على ان طاعة العبد مخلوقة لله تعالى هذا على تقدير ان يراد بهما الحياة والممات انفسهما واما على تقدير ان يكونا من قبيل ذكر المحل وارادة الحال فيكون المقصود من الكلام ارشاد الانام في صورة خطابه عليه الصلاة والسلام قال التفتازاني المحيا والممات

جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا وخلفاء الله فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء ﴿١٤٣﴾ الامم السابقة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس او ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن (انزل اليك) صفته (فلا يكن فى صدرك حرج منه) اى شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه

مجازان عما يقارنهما ويكون معهما من الايمان والعمل الصالح لانه المناسب للحكم عليه بكونه خالصا لوجه الله كالصلاة وسائر العبادات الا انه لا يكفى فى العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل يجب ان يؤتى بها مع تمام الاخلاص وانه تعالى لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه (قوله جواب عن قولهم) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الوليد بن المغيرة كان يقول اتبعوا سبيلى احمل اوزاركم فقيل ولا تزر وازرة اى لا تؤاخذ نفس آثمة باثم اخرى اى لا يؤخذ احد بذنب غيره تم ما يتعلق بسورة الانعام

سورة الاعراف مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله كتاب خبر مبتدأ محذوف) مبنى على ما اختاره من كون الفاظ التهجى مذكورة على نمط التعديد ومقدرة بالمؤلف من هذه الحروف فانها حينئذ تكون فى حيز الرفع على انها مبتدأ حذف خبره او خبر محذوف والتقدير هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا فحينئذ يكون كتاب جملة اخرى حذف منها المبتدأ وهو الضمير الراجع الى المؤلف من الحروف واما اذا جعل المص اسما للسورة او القرآن فحينئذ يكون المص مبتدأ وكتاب خبره كما صرح به (قوله فان الشاك حرج الصدر) لما فسر الحرج بالشك ومن المعلوم ان لفظ الحرج ليس حقيقة فيه فتعين كونه مجازا فيه احتاج الى بيان العلاقة بين المعنى الاصلى والمجازى وهى ان الحرج من لوازم الشك واللفظ المستعمل فى الملزوم مع عدم امكان ارادة المعنى الاصلى مجاز اذ لا يمكن ههنا ارادة حقيقة الحرج اذ لا معنى لتحرج القلب من نفس الكتاب او من نفس انزاله او من نفس اسناد انزاله الى الله تعالى فان كل ذلك متمثل فى القلب ومرتسم فيه فلا يحرج من الجزم بكونه منزلا من عند الله تعالى وانما المتصور ان يحرج القلب من عدم التيقن بكونه منزلا من عند الله تعالى فان الشاك فى الحكم لا يستقر فى قلبه احد طرفى النسبة فيضيق قلبه منه ومن فى قوله منه سببية اى لا يكن فى قلبك حرج بسببه وضمير منه يرجع الى الانزال المسند اليه تعالى المدلول من قوله انزلناه (قوله او ضيق قلب من تبليغه) فحينئذ يكون الحرج على اصل معناه ويقدر المضاف اى حرج من تبليغه فان الحرج حقيقة لا يختص بالاجسام والضيق

وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك (لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير

المكانى (قوله وتوجيه النهى اليه) مع ان الحرج ليس مما يؤمر و ينهى بالكون فى الصدر اوعدم الكون فيه والنهى من باب التهييج والالهاب ليداوم على اليقين و يزيد فيه كقوله فان كنت فى شك وقيل المراد نهى امته عن الشك لان الامر والنهى انما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والترك والحرج ليس كذلك الا انه لما قصد المبالغة فى نهى المخاطب عن كونه فى حرج عبر عن عدم كونه فى حرج بعدم كون الحرج فى صدره على طريق ذكر اللازم و ارادة الملزوم فان الكناية ابلغ من الصريح فان قولك لا ارينك ههنا ابلغ من ان يقال لاتكونن ههنا ولاتحضرن فيه فان عدم كون المخاطب فى ذلك المكان ملزوم لعدم رؤية المتكلم اياه فيه فعبر عن الاول بالثانى لكون نهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب فيه ابلغ فى نهى المخاطب عن الحضور فيه لكون النهى الاول كالبينة للثانى ولاشك ان اثبات الشئ ببينة ابلغ من مجرد الاثبات ومثله فى الامر قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فان ظاهره امر الكفار بأن يجدوا فى المؤمنين غلظة والمراد امر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار ولما كان وجدان الكفار غلظة فى المؤمنين لازما لغلظة المؤمنين عليهم و كان طلب المؤمنين اللازم ابلغ من طلب الملزوم عبر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك (قوله والفاء تحتمل العطف) واختلاف الجملتين خبرا او انشاء لفظا ومعنى يوجب كمال الانقطاع بينهما فلا يجوز عطف احداهما على الاخرى فلابد ان تؤول جملة لايكن حرج بالاخبار على معنى لاينبغى ان يكون حرج اوتؤول جملة انزل اليك بالانشاء على معنى تيقن بانزاله اليك من ربك فلايكن فى صدرك حرج وقوله فى تصوير الشرط المقدر اذا انزل اليك لتنذر فلايحرج صدرك اشارة الى ان جملة النهى وقعت معترضة بين العلة ومعلولها وحقها ان تتأخر عن قوله لتنذر الا انها قدمت عليه تنبيها على انه ينبغى ان يزيل الحرج عن صدره اولاثم يشتغل بالانذار فالفاء فى قوله فلا يكن لترتيب النهى على قوله انزل اليك لتنذر فان الكتاب لما كان منزلا من عند الله تعالى لحكمة الانذار به ينبغى ان لايشك فيه ولايخاف من تبليغه لان الله تعالى حينئذ يتكفل بحفظه ونصرته كأنه قيل هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن فى صدرك حرج لان من كان الله حافظا له وناصرا يقوى على ايقاع مطلوبه فاشتغل بالانذار والتبليغ والتذكير اشتغال الرجال الابطال ولاتبال بأحد من اهل الزيغ والعناد (قوله لانه اذا ايقن) علة وبيان لوجه كون اللام متعلقة بلايكن على ان يكون الحرج بمعنى الشك كأنه قيل تيقن بكونه منزلا من عند الله ليسجعك ذلك اليقين على الانذار وقوله

وكذا اذا لم يخفهم الخ على ان يكون الحرج بمعناه ويقدر المضاف فى منه كأنه قيل لا تخف من تكذيبهم اياك ليشجعك عدم الخوف المذكور على الانذار (قوله والجر عطفا على محل لتنذر) فان الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كى فانسبك منهما المصدر فكأنه قيل للانذار والتذكير فان ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير ثم انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ والانذار أمر الامة بمتابعته وقبول ما انزل اليه فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اى لا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم فى معصية الله وقرئ ولا تبتغوا بالغين المعجمة من الابتغاء كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا وعلى القراءتين ضمير من دونه يرجع الى الرب تعالى وهو متعلق بمحذوف لانه كان فى الاصل صفة لاولياء فلما قدم عليه انتصب حالا اى لا تتبعوا عظماءكم الذين تجعلونهم كالارباب حيث تتبعونهم فيما يحرمون ويحللون ويزينون لكم طرق الضلال عن الصراط المستقيم وهو كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا اى يطيعونهم فيما يأمرون وينهون (قوله وقيل الضمير فى من دونه لما انزل) بتقدير المضاف الى اولياء اى دين اولياء ولا يبعد ان يجعل الضمير لمصدر اتبعوا اى لا تتبعوا اولياء اتباعا كائنا من دون اتباع ما انزل (قوله اى تذكرا قليلا اوزمانا قليلا) يعنى ان قليلا معمول لقوله تذكرون على انه صفة مصدره المحذوف اوظرفه المحذوف (قوله وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون) لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فلابد ان يكون قليلا صفة زمان محذوف وذلك الزمان المحذوف فى محل الرفع على انه خبر مقدم وما المصدرية مع ما بعدها فى تأويل المصدر المرفوع على انه مبتدأ مؤخر والتقدير زمانا قليلا تذكركم اى لا يقع تذكركم الا فى بعض الاحيان (قوله قرأ حمزة الخ) يعنى انهم قرأوا بتاء واحدة وتخفيف الذال بحذف احد التاءين وقرأ ابن عامر يتذكرون بياء تحتانية بعدها تاء على انه تعالى خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام بأن هؤلاء الذين ذكروا بالخطاب السابق قليلا ما يتذكرون والباقون بتاء واحدة وتشديد الذال بادغام تاء التفعل فيها ثم انه تعالى لما امر الرسول بالانذار والتبليغ وامر القوم بالقبول والانقياد ذكر بعده ما فى تركه من الوعيد فقال وكم من قرية الآية وكم فيه خبرية للتكثير وفسرها المصنف بقوله وكثيرا المنصوب اشارة الى انها فى موضع النصب على الاشتغال باضمار فعل يفسره ما بعده ولابد ان يقدر الفعل متأخرا عن كم لان لها صدر الكلام والتقدير وكم من قرية اهلكنا اهلكناها ولو جعل كم فى محل الرفع بالابتداء وجعلت الجملة بعدها خبرها لكان له وجه فيكون التقدير وكثير

والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب اوخبر المحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا اوزمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى

(اهلكناها) اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بأتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (اوهم قائلون) عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها او عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسألن الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم

من القرى اهلكناها ثم انه قدر امرين احدهما الارادة ادلالة قوله تعالى فجاءها بأسنا على تقديرها اذ لو لم تقدر لزم ان يكون مجيء البأس بعد الاهلاك وعقيبه وليس كذلك بل الامر بالعكس والآخر الاهل واحتيج الى تقديره لان الاهلاك والبأس او البيات والقائلة لايليق الا بالاهل ولان التحذير والايعاد لايكون الا للمكلفين (قوله او اهلكناها بالخذلان) توجيه ثان لعطف قوله فجاءها على اهلكناها بالفاء التعقيبية وتقريره ان الاهلاك عبارة عن الخذلان لان الخذلان وعدم التوفيق سبب للهلاك فعبر بالمسبب عن سببه والمعنى خذلناهم ولم نوفقهم فجاءهم الهلاك والعذاب (قوله تعالى بياتا) يقال بات يبيت بيتا وبياتا وبيتوتة اذا دخل فى الليل قال الازهرى البيتوتة الاستراحة بالليل والقيلولة الاستراحة فى وسط النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وقيل هى نومة نصف النهار وقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يؤيد قول الازهرى لان الجنة لانوم فيها واو فى قوله تعالى اوهم قائلون للتنويع كأنه قيل اتاهم بأسنا تارة ليلا كقوم لوط وتارة وقت القيلولة كقوم شعيب ومعنى الآية انهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون (قوله وفى التعبيرين) احدهما التعبير عن الاعيان بلفظ المصدر وجعلهم نفس البيات وثانيهما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات (قوله اى دعاؤهم) فان الدعوى قد تجيء بمعنى الدعاء والتضرع ومنه ما حكاه الخليل اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين اى فى صالح دعائهم ومنه قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم والمعنى لم يكن دعاؤهم ربهم الا هذا القول لعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء وقد تجيء بمعنى الاستغاثة ومنه قول العرب دعوى هم بالكعب اى استغاثتهم فان اللام فى بالكعب لام استغاثة ووجه صحة هذا المعنى فى هذا المقام انهم كانوا يستغيثون من الله تعالى بتوسيط الاصنام بينهم وبين الله تعالى فلما جاءهم بأس الله ما كان استغاثتهم الا قولهم انا كنا ظالمين باستغاثتنا بالاصنام لعلمهم بانه لا يستغاث من الله تعالى بغيره وقد تجيء بمعنى الادعاء وهو المتعارف والمصدر حينئذ يكون بمعنى المفعول ويكون قولهم انا كنا ظالمين عبارة عن اعترافهم ببطلان مذهبهم ودينهم الذى كانوا عليه فقوله ما كانوا يدعونه تفسير لدعواهم وقوله من دينهم بيان ما والمعنى ما كان دينهم ومذهبهم الذى كانوا عليه الا الاعتراف ببطلانه (قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم) تهديد آخر على ترك متابعة ما انزله الله تعالى من القرآن والسنة والقائم مقام فاعل ارسل هو الجار والمجرور (قوله والمراد من هذا السؤال) جواب عما يقال المقصود من السؤال ان يخبر المسئول عن كيفية اعماله وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم كانوا يقرون بانهم كانوا ظالمين فما فائدة هذا السؤال وتقرير الجواب

فى القسم الثالث وهو الخير ان الذى ذبحه اهل الذبح ولم يسم عليه اصلا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه حرام مطلقا نظرا الى عموم الآية للاقسام الثلاثة والثانى انه حلال مطلقا وعليه الامام الشافعى فانه ذهب الى حل متروك التسمية سواء تركت عمدا وخطأ اذا كان الذابح اهلا للذبح وخصص الآية بالقسمين الاولين اى الميتة وماذبح على غير اسم الله بناء على ان التسمية على ذكر المؤمن وفى قلبه مادام مؤمنا فلا يتحقق منه عدم الذكر فلا يحرم من ذبيحته الا ما اهل به لغير الله ولانه تعالى جعل اكل مالم يذكر اسم الله عليه فسقا حيث قال وانه لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لايفسق بأكل ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية اذ لا يفسق المرء بفعل ماهو فى محل الاجتهاد فدل ذلك على ان المراد بما لم يذكر اسم الله عليه احد القسمين الاولين ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فان مجادلتهم انما كانت فى مسألتين مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين ما يقتله الصقر والكلب تأكلونه ومايقتله الله فلا تأكلونه ومسألة ماذبح على اسم غير الله من الاصنام حيث قالوا للمسلمين لكم اله ولنا آلهة ونحن نأكل ما تذبحون على اسم الهكم فلا تأكلون ماننذبحه على اسم آلهتنا فلما لم تكن مجادلتهم الا فى القسمين الاولين دل ذلك على خصوص النهى بهما ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وانما يكفر الانسان لو اطاع الكفار فى اباحة الميتة او المذبوح على اسم الصنم لا فى اكل متروك التسمية والقول الثالث انه حرام ان ترك اسم الله عمدا وحلال ان ترك سهوا واليه ذهب ابو حنيفة فانه قال الآية عامة للاقسام الثلاثة دالة على حرمتها الا ان متروك التسمية بالنسيان خارج عنها لوجهين احدهما ان الضمير فى قوله وانه لفسق يرجع الى ترك التسمية وهو اقرب فالاولى رجوع الضمير اليه ولاشك ان اهمال التسمية انما يكون فسقا اذا كان عمدا لان الناس خارج غير مكلف فيكون المعنى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عمدا فيكون التارك الناس خارجا عن الآية وثانيهما انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ترك التسمية نسيانه فقال كلوه فان تسمية الله تعالى فى قلب كل مؤمن فانه عليه الصلاة والسلام لم يجعل الناسى تاركا حيث جعل تسمية الله تعالى فى قلب كل مؤمن ولم يلحق به العامد لانه لما ترك التسمية عامدا صار كأنه نفى ما فى قلبه وهذا وجه قول المصنف وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان الان الموجود فى اكثر النسخ واول بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه والظاهر انه غلط من النساخين لان من ذهب الى تخصيص قوله تعالى مالم يذكر اسم الله عليه ليس ابا حنيفة وحده بل الذاهبون الى التخصيص هم الائمة المالكية والشافعية والحنفية الا انهم اخرجوا العامد والناسى جميعا عن عموم

الآية ولم يخرج ابو حنيفة الا الناسي بأن جعله في حكم الذاكر فلا يصح ان يقال انه اولى الآية بأحد القسمين الاولين لانه عمل بعمومها الاقسام الثلاثة وان كلمة او ليست في موقعها لان المقام مقام الواو الجامعة لان كل واحد من القسمين مراد بالآية عندهم (قوله والضمير لما) اى ضمير انه يرجع الى الموصول على تأويلين احدهما انه يجعل الموصول نفس الفسق مبالغة وثانيهما تقدير المضاف اى وان كله لفسق ولما جاز ان يرجع الى الاكل المدلول عليه بقوله لم يذكر وقوله تعالى ليجادلوكم متعلق بيوحون اى يوحون لاجل مجادلتكم قيل المراد من الشياطين هنالك ابليس وجنوده وهم وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه في اكل الميتة واكل ماذكر عليه غير اسم الله وقيل المراد بالشياطين مردة المجوس وباوليائهم مشركوا قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ومراسلة ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان مايذبحونه حلال وان مايذبحه الله تعالى حرام فجادل قريش بذلك اصحاب سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوقع في انفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت الآية اى وهي قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى وان مجوس فارس يوسوسون الى اوليائهم قريش ليجادلوكم في حق الميتة (قوله مثل به من هداه الله) اى الى الايمان والتوحيد وانقذه من ظلمة الكفر وجهالة الاشراك يعني ان قوله تعالى او من كان ميتا فأحييناه استعارة تمثيلية اذلا ذكر للمشبه صريحا ولادلالة حتى يكون من باب التشبيه دون الاستعارة وهذا كما تقول في استعارة الافرادية أيكون الاسد كالثعلب اى الشجاع كالجبان فكذا في الآية شبه المؤمن المهتدي بنور الحجج والآيات الى حياة المعرفة والايمان بمن كان ميتا فجعل حيا واعطى نورا يهتدي به في مصالحه فاطلق عليه التركيب المستعمل في المشبه به فقيل أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس فجعل القلب الخالي عن العرفان والايمان بمنزلة الميت وجعل نفس العرفان والايمان بمنزلة الحياة له وجعلت الحجج والآيات المؤدية الى الايمان بمنزلة النور الذي يهتدي به الى المطالب كما شبه الكافر المصر على الكفر والضلال بمن استقر في واد مظلم احاطت به الظلمة من جميع جوانبه فيبقى متحير الاخلاص له منها (قوله وقرأ نافع ويعقوب ميتا) اى بتشديد الياء على الاصل والباقون بالتخفيف ومن في قوله تعالى اومن كان ميتا مبتدأ وكمن خبره وهي موصولة ومثله في الظلمات جملة اسمية وقعت صلة للموصول وليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لامن الهاء في مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر والمعنى أهو كالذي صفته انه

والضمير لما يجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لاتأكلوا (والشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم) في استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي (أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (في الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن في الظرف لامن الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لايفارقها بحال (كذلك)

مستقر في الظلمات حال كونه متميزا فيها لا يفارقها بحال واستقراره في الظلمات على الوجه المذكور صفة عجيبة الشأن فلذلك شبه بالمثل وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده فاطلق عليه لفظ المثل واطلاق المثل على الصفة العجيبة الشأن كثير قال تعالى ولله المثل الاعلى وقال مثل الجنة التي وعد المتقون (قوله كما زين للمؤمن ايمانه) زينه الله له فاختاره على الكفر والضلال فقضاه الله تعالى له في الازل وخلقه فيه وقت اختياره اياه فاحياه به والكاف فيه صفة مصدر محذوف اي زينا للكافر تزيينا مثل ما زينا للمؤمن ايمانه فاحييناه به والفاعل المزين للفريقين هو الله تعالى عند اهل السنة لما سبق من ان الفعل يتوقف على حصول الداعي وحصوله لابد وان يكون بخلق الله تعالى والداعي عبارة عن العلم او الظن باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد وصلاح راجح فهذا الداعي لامعنى له الا هذا التزيين فاذا كان موجد هذا الداعي هو الله تعالى كان المزين لا محالة هو الله تعالى وصح ان يسند التزيين الى الشيطان باعتبار وسوسته والى الكفار باعتبار دعوتهم اليه وترغيبهم فيه والى الله تعالى باعتبار قضائه وخلقه لنفس الفعل وما يدعو اليه من دواعيه (قوله والآية نزلت في حمزة وابي جهل) روي عن ابن عباس ان اباجهل رمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بفرث والفرث السرجين مادام في الكرش فأخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من الصيد وبيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلقي ابا جهل فضرب رأسه بقوسه فقال ابوجهل اما ترى ماجاء به سفه عقولنا وسب الهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا رسوله فنزلت هذه الآية وعن مقاتل انها نزلت في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان اي صرنا كالفرسين المعدين للمراهنة على المسابقة والمراهنة المخاطرة والرهن هو الجعل المعطى للسابق قالوا منا نبي يوحى اليه والله لانؤمن به حتى يأتينا وحي كما يوحى اليه فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وكانا جميعا يؤذيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاحدهما فاستجيب له في عمر رضي الله تعالى عنه (قوله ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني) والتقدير جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا فيها فيتعلق الجار بنفس الفعل الذي قبله عن الزجاج انه قال انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على المكر والغدر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم وجعل الكاف في قوله وكذلك للتشبيه فكان المعنى كما جعلنا في مكة مجرميها اكابر ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا

كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين ماكانوا يعملون) والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل (وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (وما يشعرون) ذلك

فيها قال الواحدى فى تفسير الآية يعنى كما ان فساق مكة اكابرها كذلك جعلنا
فساق كل قرية اكابرها و رؤساءها المترفين و يجوز ان يكون فى كل قرية مفعولا
ثانيا قدم على الاول واكابر هو الاول و مجرميها بدلا من اكابر و يجوز ان يكون
مجرميها مضافا اليه لاكابر بأن يكون فى كل قرية متعلقا بجعلنا بمعنى مكنا واكابر
مجرميها مفعوله ولا يجوز ان يكون الجعل حينئذ بمعنى التصيير لانه يقتضى مفعولين
وعلى تقدير الاضافة لا يبقى للفعل مفعول ثان فلا يتم المعنى لانك اذا قلت جعلت
زيدا وسكت لم يفد الكلام حتى تقول رئيسا او ما اشبه ذلك و هذا وجه قوله
ان فسرنا الجعل بالتمكين وليت شعرى انه لم لا يجوز على تقدير الاضافة ان يكون
الجعل بمعنى التصيير و يكون قوله فى كل قرية مفعولا ثانيا قدم على الاول و يكون
اكابر مجرميها مفعولا اولا مؤخرا كما جاز ذلك فى قوله تعالى وجعلوا لله شركاء
فيكون المعنى جعلنا مستقرا فى كل قرية رؤساء فساقها واى حاجة الى ان يكون
الجعل بمعنى التمكين حينئذ وقوله تعالى ليمكروا فيها يدل على انه تعالى انما جعلهم
بهذه المثابة لانه اراد منهم ان يمكروا بالناس فهذا يقتضى ان يكون الخير والشر
كلاهما بارادة الله تعالى قال مجاهد طريق مكرهم انهم اجلسوا على طريق من
طرق مكة اربعة ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
و يخبروهم انه شاعر كاهن و نحو ذلك ثم انه تعالى لما بين ان فساق كل قرية
يكونون رؤساءها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم
والفسق وهو انه متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم قالوا لن نؤمن ولن نصدق حتى يوحى الينا و يأتينا جبريل عليه
السلام و يخبرنا ان محمدا صادق فيما ادعاه و ذلك يدل على انهم انما اصروا على
الكفر لتوغلهم فى الحسد و المكر لا لطلب الحجة والبرهان والافطريق العرفان
ليس منحصرا فى ان يأتى كل واحد منهم وحى على حدة وقال الضحاك اراد كل
واحد من اكابر مكة ان يخص بالوحى والرسالة كما اخبر الله تعالى عنهم فى قوله بل
يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة و روى ان الوليد بن المغيرة قال
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك
لانى اكبر منك سنا و اكثر منك مالا و ولدا فنزلت الآية قال الامام قوله تعالى
لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله فيه قولان الاول وهو المشهور
ان القوم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثانى ان المعنى واذا جاءتهم اية
من القرآن تأمرهم باتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك حتى
نؤتى مثل ما اوتى رسل الله كما قال مشركوا العرب لن نؤمن لك حتى تفجر لنا

(واذا جاءتهم اية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتى رسل الله) يعنى كفار
قريش لما روى ان ابا جهل
قال زاحمنا بنى عبد مناف
فى الشرف حتى اذا صرنا
كفرسى رهان قالوا منا نبى
يوحى اليه والله لا نرضى به
الا ان يأتينا وحى كما يأتيه
فنزلت (الله اعلم حيث
يجعل رسالاته) استئناف
للرد عليهم بأن النبوة ليست
بالنسب والمال وانما هى
بفضائل نفسانية يخص
الله بها من يشاء من عباده
فيجتبى لرسالته من علم انه
يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذى يضعها فيه وقرأ
ابن كثير و حفص عن
عاصم رسالته (سيصيب
الذين اجرموا صغار)
ذل و حقارة بعد كبرهم
(عند الله)

من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرأه اى كتابا من الله الى ابى جهل والى فلان وفلان على حدة وعلى هذا فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ان تأتيهم آيات قاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين كى تدل على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال قال المحققون والقول الاول اقوى لان قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته لايليق الا بالقول الاول وصاحب التيسير لم يذكر الا القول الاول ثم قال ومن غاية السفه ان يقال لرجل آمن فيقول لااؤمن حتى يجعلنى الله نبيا (قوله يوم القيامة) اشارة الى ان قوله تعالى عندالله منصوب بقوله سيصيب فتكون العندية مجازا عن حشرهم يوم القيامة بحيث استكبروا عن طاعته عليه الصلاة والسلام والايمان به ولما كان الحامل على تمردهم وعنادهم طلب العز والكرامة بين الله تعالى انه يعاملهم بضد مطلوبهم وهو الخزى العظيم والعذاب الاليم (قوله ويفسح فيه مجاله) عطف تفسير لقوله فيتسع له اى يفسح فى الصدر موضع جولان الاسلام يقال فسح المكان اى اتسع ويقال شرح الله صدره فانشرح اى وسع صدره لقبول الخير فتوسع وقيل الشرح الفتح والشرح البيان ايضا ولما امتنع ان يحمل توسيع الصدر على المعنى الحقيقى جعله المصنف كناية عن جعل النفس قابلة مهيأة لحلوله فيها مصفاة عن مايمنعه وينافيه وتوضيحه ان قدرة العبد صالحة للضدين لايترجح احد الضدين على الآخر بمجرد تلك القدرة والالزم ترجيح احد المتساويين على الآخر بلامرجح فلابد ان يحصل فى القلب داعية يميل القلب بسببها الى احد الطرفين وتلك الداعية لامعنى لها الا العلم اوالظن بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومنفعة راجحة فاذا حصل هذا المعنى فى القلب دعاه ذلك المعنى الى فعل ذلك الشئ وان حصل فى القلب العلم اوالظن بأن ذلك الفعل مشتمل على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وقد ثبت بالدليل ان حصول هذا الداعى لابد ان يكون من الله تعالى والالزم التسلسل وان مجموع القدرة مع الداعى يوجب الفعل اذا ثبت هذا فنقول يستحيل ان يصدر الايمان عن العبد الا اذا خلق الله فى قلبه اعتقاد أن الايمان راجح المنفعة زائد المصلحة واذا حصل فى القلب هذا الاعتقاد مال القلب الى الايمان وحصل فى النفس رغبة شديدة فى تحصيله وهذا هو انشراح الصدر للايمان بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلا واذا حصل فى القلب انه سبب للمفسدة العظيمة فى الدين والدنيا وانه يوجب المضار الكثيرة فعند هذا ينفر القلب عنه نفرة شديدة وهذا هو المراد من انه تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا فصار تقدير الآية من اراد الله منه الايمان قوى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان وجعل قلبه قابلا لحلول الايمان مهيأ لحلوله به

يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم اوجزاء على مكرهم (فمن يرد الله أن يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه

صافيا خاليا عما يمنعه وينافيه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقوى
دواعيه الى الكفر (قوله واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه)
قيل لما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم بأن قيل له كيف يشرح الله
الصدر فقال عليه الصلاة والسلام يقذف نورا فيه حتى ينفسح وينشرح فقيل له
هل لذلك من امارة الخ ووجه كونه اشارة الى ما ذكر من ان شرح الصدر كناية
عن تقوية الدواعي وتهيئة القلب لقبول الايمان وحلوله فيه انه عليه الصلاة
والسلام عبر عما خلقه الله تعالى في القلب من اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة
زائد المصلحة بالنور المقذوف في القلب وجعل النفرة عن الدنيا والرغبة في الآخرة
امارة تخلق تلك الداعية في القلب وقذف ذلك النور فيه لان من امن بالله
ورسوله وكتابه يعلم يقينا ان الحياة الدنيا لعب ولهو سريعة الزوال وان الآخرة
هي دار القرار وان منفعة الدنيا ليست الا ان يتوسل بها الى تحصيل الحياة
الابدية فلاجرم يتجافى عن دار الغرور وتقوى رغبته في دار الخلود ويستعد للموت
قبل نزوله (قوله وقرأ ابن كثير ضيقا) اي بسكون الياء والباقون بتشديد
الياء المكسورة وكلاهما بمعنى نحو سيد وسيد وميت وميت بأن يكون اصل الكلمة
التشديد ثم خففت ويحتمل ان يكون الضيق بفتح الضاد وسكون الياء مصدر
ضاق يضيق مثل باع يبيع بيعا وصف به الصدر على احد الاوجه الثلاثة المذكورة
في المصدر الواقع وصفا للجثة نحو رجل عدل وهو حذف المضاف اوالمبالغة
اووقوعه موقع اسم الفاعل اي يجعل صدره ذا ضيق اوضائقا اونفس الضيق
مبالغة وحرجا بفتح الراء وكسرها هو المتزايد في الضيق فهو اخص من الاول
فكل حرج ضيق من غير عكس فعلى هذا المفتوح والمكسور بمعنى واحد يقال
رجل حرج وحرج وفرق الزجاج والفارسي بينهما فقال المفتوح مصدر والمكسور
اسم فاعل واختاره المصنف حيث جعل المفتوح مصدرا وصف به على احد
الاوجه الثلاثة المتقدمة ونصبه على القراءتين اما على أنه صفة لضيقا واما على انه
مفعول ثان لجعل وقد تعدد المفعول كما يتعدد خبر المبتدأ فكما جاز تعدد الخبر قبل
دخول نواسخ الابتداء عليه فكذا يجوز تعدده بعد دخولها وما في قوله تعالى
كأنما يصعد كافة مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية كهي في قوله انما توفون
(قوله وقرأ ابن كثير يصعد) اي بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد اي
ارتفع وابو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد وبعدها الف اصلها يتصاعد اي
يتعاطى الصعود ويتكلفه فادغم التاء في الصاد تخفيفا والباقون يصعد بتشديد
الصاد والعين دون الف بينهما مضارع تصعد اي تكلف الصعود والاصل
يتصعد فادغم كما في قراءة شعبة وهذه الجملة التشبيهية يحتمل ان تكون مستأنفة

واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك)

اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه ﴿ ١٠٩ ﴾ عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع
الظاهر موضع المضمر
للتعليل (وهذا) اشارة الى
البيان الذى جاء به القرآن
او الى الاسلام او الى ما سبق
من التوفيق والخذلان
(صراط ربك) الطريق
الذى ارتضاه الله او عادته
وطريقه الذى اقتضته
حكمته (مستقيما) لاعوج
فيه او عادلا مطردا وهو
حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة
(قد فصلنا الآيات لقوم
يذكرون) فيعلمون ان القادر
هو الله تعالى وان كل
ما يحدث من خير او شر
فهو بقضائه وخلقه وانه
عالم باحوال العباد حكيم
عادل فيما يفعل بهم (لهم
دار السلام) دار الله
اضاف الجنة الى نفسه
تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم
فيها سلام (عند ربهم)
فى ضمانه او ذخيرة لهم
عنده لا يعلم كنهها غيره
(وهو وليهم) مواليهم
او ناصرهم (بما كانوا
يعملون) بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم
(ويوم يحشرهم جميعا)

شبه بها اى بايرادها حال من جعل الله صدره ضيقا حرجا بحال من يطلب الصعود
الى السماء المظلة اوالى مكان مرتفع وعر كالعقبة الكؤود بمعنى انه فى نفوره
من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما ان صعود السماء لا يستطاع فكذا
الاسلام بالنسبة اليه والمعنى يشق عليه الايمان كما يشق عليه الصعود الى السماء ويحتمل
ان يكون حالا من الضمير المستكن فى ضيقا او حرجا قال الامام فى كيفية هذا التشبيه
وجهان الاول كما ان الانسان اذا كلف الصعود الى السماء ثقل ذلك التكليف
عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته عنه فكذلك الكافر يثقل عليه
الايمان وتعظم نفرته عنه والثانى ان يكون التقدير ان قلبه يتباعد عن الاسلام
ويتقاعد عن قبول الايمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الارض الى السماء
(قوله كما يضيق صدره) اشارة الى ان الكاف فى قوله تعالى كذلك تفيد تشبيه
شئ بشئ وانها ههنا التشبيه بجعله الرجس عليهم بجعله اياهم ضيق الصدر
اى كما يجعل صدورهم ضيقة يجعل الرجس عليهم (قوله وهو حال مؤكدة)
اى ليست قيدا يتقيد بها عاملها ويتبين بها هيئة تعلق العامل بذى الحال
كالمتنقلة بل هى امر لازم لمضمون الجملة التى قبلها فصار مضمون الحال كأنه عين
مضمون الجملة المتقدمة مؤكدا له كالتصديق فانه لازم لحقية القرآن وكذا
الاستقامة فانها لازمة للمشار اليه من صراط الله تعالى فصارت كل واحدة منهما
كأنها عين مضمون ما قبلها مؤكدة له فجعلت مؤكدة له بهذا الاعتبار الا ان الصراط
ان كان بمعنى العادة والطريقة جاز ان يجعل مستقيما حالا مقيدة لان العادة لا يلزم كونها
مطردة فقوله الطريق الذى ارتضاه الله ناظر الى كون هذا اشارة الى البيان
او الاسلام وقوله او عادته ناظر الى كونه اشارة الى التوفيق والخذلان (قوله
تعالى قد فصلنا الآيات) اى ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها
بآخر لقوم يتعظون بها وقوله لهم دار السلام يحتمل ان يكون جملة مستأنفة
فلا محل لها كأن سائلا سأل عما اعد الله لهم فقيل لهم ذلك ويحتمل ان يكون حالا
من فاعل يذكرون اى حالا مقدرة ويحتمل ان يكون وصفا لقوم وعند ربهم
حال من دار السلام والعامل فيها الاستقرار فى لهم والعندية اما كناية عن وعدها
والتكفل بها او عن ادخارها وان ذلك المدخر لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان معنى
العندية القرب ومعلوم ان ذلك القرب ليس بالمكان والجهة بل بالشرف والعلو
والرتبة فلا يعرف العباد كنهه (قوله او متوليهم) عطف على قوله مواليهم
بمعنى محبهم يعنى ان الولى ان كان بمعنى المحب او الناصر كان الباء للسببية اى يحبهم
وينصرهم بسبب اعمالهم وان كان بمعنى متولى الامور والمتصرف فيها فالباء للملابسة
اى متولى امورهم ومتكفل بمصالحهم ملتبسا بجزاء اعمالهم على حذف المضاف

وهو الجزاء قال الحسن بن الفضل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق وفى الآخرة بالجزاء
(قوله نصب باضمار اذكر) فقوله يامعشر الجن على هذا الوجه فى موضع
الحال بتقدير القول اى واذكر يوم نحشرهم قائلين يا معشر الجن وان جعل
الظرف منصوبا بالقول المضمر فلايحتاج الى تقدير عامل آخر ليعمل فى جملة
النداء والتقدير ونقول يوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن فعلى هذا التقدير يكون
القائل هو الله تعالى كما انه هو الحاشر لجميعهم وروى عن الزجاج انه قال تقدير
الكلام ويوم نحشرهم جميعا يقال لهم يا معشر الجن قدر العامل فيهما القول
المبنى للمفعول حتى يكون القائل غير الحاشر لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع
الكفار بدليل قوله تعالى فى حق الكفار ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم فقوله
يامعشر الجن على هذا التقدير فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وقرأ حفص ويوم
نحشرهم بياء الغيبة باسناد الفعل الى ضمير الرب فى قوله تعالى عند ربهم والباقون
بالنون لما ذكر الله تعالى ان المتذكرين المتعظين بالقرآن وآياته لهم دار السلام
عند ربهم بين حال اضدادهم بقوله ويوم نحشرهم جميعا الآية لتكون قصة
اهل الجنة مردوفة بقصة اهل النار وليكون الوعيد مذكورا بعد الوعد والمعشر الجماعة
التى تضبطهم جهة واحدة وحصل بينهم معاشرة ومخالطة ويجمع على معاشر
(قوله اى من اغوآئهم) قدر المضاف لان الجن لايقدرون على الاستكثار
من نفس الانس لان القادر على ايجاد الجسم واحيائه وتكميله بالعقل وسائر القوى
ليس الا الله فوجب ان يكون المعنى قد اضللتم خلقا كثيرا من الانس او كثرتم الاتباع
من الانس حيث اتبعوكم فى الدنيا وحشروا معكم فى العقبى وهذا تبكيت الجن
وتوبيخهم على اضلال الانس واغوآئهم ويتضمن تبكيت الانس على اتباعهم
الجن والقبول منهم فلما بكت كل واحد من الفريقين حكى الله تعالى جواب الانس
بقوله وقال اولياؤهم اى اولياء الشياطين الذين اطاعوهم حال كونهم من الانس ويجوز
ان يكون من الانس لبيان جنس الاوليا لان اولياء الشياطين جنسان انس وجن
والتقدير وقال اولياؤهم الذين هم من الانس اعترافا باتباعهم الشهوات وتضييع
اعمارهم فى الانهماك باستيفاء اللذات الفانية والحظوظ العاجلة ربنا استمتع
بعضنا ببعض اى استمتع الانس بالجن والجن بالانس اما انتفاع الانس بالجن فمن حيث
ان الجن كانوا يدلونهم على انواع الشهوات وما يتوصل به اليها ويسهلون
طريق تحصيلها عليهم واما انتفاع الجن بالانس فمن حيث ان الانس اطاعوهم
ولم يضيعوا سعيهم والرئيس المطاع ينتفع بانقياد اتباعه له وقيل استمتاع الانس
بهم ان الرجل كان اذا سافر وامسى بارض قفر وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد
هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن

نصب باضمار اذكر او نقول
والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقرأ حفص
عن عاصم وروح
عن يعقوب يحشرهم بالياء
(يا معشر الجن) يعنى
الشياطين (قد استكثرتم
من الانس) اى من اغوآئهم
واضلالهم او منهم بأن
جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود (وقال اولياؤهم
من الانس) الذين اطاعوهم
(ربنا استمتع بعضنا ببعض)
اى انتفع الانس بالجن بأن
دلوهم على الشهوات وما
يتوصل به اليها والجن
بالانس بأن اطاعوهم
وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم
كانوا يعوذون بهم
فى المفاوز وعند المخاوف
واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون
على اجارتهم (وبلغنا
اجلنا الذى اجلت لنا) اى
البعث وهو اعتراف
بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب
البعث وتحسر على حالهم
(قال النار مثواكم)

واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسان اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منه للجن وذلك ان الانس كانت تقول للجن قد سدتم الانس فالجن تنتفع باعتراف الانس بسيادتهم ورياستهم وقدرتهم على اجارتهم اياهم والاجارة الانقاذ والتخليص يقال اجاره الله من العذاب اى انقذه وفى الدعاء اللهم أجرنا من النار وايد صحة هذا الوجه قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واعرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى قد استكثرتم من الانس يأباه لان من يقول من الانس اعوذ بسيد هذا الوادى قليل وقيل قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض كلام الانس خاصة يقولون استمتع بعضنا ببعض آخر منا لان استمتاع الانس بالجن وبالعكس امر قليل نادر لا يكاد يظهر واما استمتاع بعض الانس ببعض فهو امر ظاهر شائع فوجب حمل الكلام عليه ولم يلتفت المصنف اليه لان الكلام بهذا المعنى لا يصلح جوابا للتبكيت المذكور (قوله منزلكم اوذات مثواكم) الاول على ان يكون المثوى اسم مكان بمعنى مكان الاقامة والثانى على ان يكون مصدرا ميميا ولما لم يصح حمل الاقامة على النار قدر المضاف اى النار ذات اقامتكم واسم المكان لما لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل ناصب الحال معنى الاضافة (قوله الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير) فقد روى انهم ينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون من العوى يقال عوى الكلب اى صاح ويطلبون الرد الى الجحيم فيكون قوله الا ماشاء الله مستثنى من مضمون الجملة التى قبله وهى قوله النار مثواكم خالدين فيها كأنه قيل يخلدون فى عذاب النار الأبد كله الا الاوقات مشيئة الله تعالى ان ينقلوا من النار على ان ما فى قوله الا ماشاء الله مصدرية ويقدر مضاف كما فى آتيك خفوق النجم (قوله وقيل الا ماشاء قبل الدخول) اى قيل انه مستثنى متصل من مضمون ماقبله ايضا الا ان المستثنى من اوقات الخلود ليس الأوقات الواقعة بعد دخول النار ليفهم خروج الكفار من النار وعلى التقديرين لا يستلزم قوله الا ماشاء الله خروج الكفار من النار وعدم خلودهم فيها بل الاوقات الواقعة بعد الحشر قبل الدخول وهو وقت المحاسبة فان اولياء الشياطين من الانس لما اعترفوا يوم الحشر والحساب بما فعلوا من استمتاع بعضهم ببعض اجيبوا فى ذلك الموقف بأن قيل لهم النار مثواكم خالدين فيها ولزم منه ان تكون النار موضع اقامتهم من ذلك الوقت الى الابد فاستثنى ماقبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا وقت امهالكم الى وقت الادخال (قوله حكيم فى افعاله) كاكرام المتذكرين بالآيات بدار السلام وكونه وليا لهم بالحراسة والنصرة والمعونة

منزلكم اوذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الا ماشاء الله) الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ماشاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا امهالكم (ان ربك حكيم) فى افعاله (عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض

وتخليد اولياء الشياطين فى النار وكاف التشبيه فى قوله تعالى وكذلك نولى تقتضى
شيأ تقدم ذكره ليشبه به ماذكر بعدها والتقدير كما كلنا عصاة الانس والجن حتى
استمتع بعضهم ببعض كذلك نكل بعضهم الى بعض فى الآخرة ليستعين
و يستنصر منه فلاينتفع به كما قال ابليس ماانا بمصرخكم وماانتم بمصرخى وقال
ادعوا شركاءكم واين شركاؤكم فالتولية على هذا من الولى بمعنى الناصر (قوله
او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم) فالولاية على هذا بمعنى التصرف
و يكون قوله كذلك اشارة الى التولية المدلول عليها بقوله نولى ولا يقصد به
التشبيه كما تقول عاتبه كذلك فيبين الله تعالى اولا ان الانس والجن يتولى بعضهم
بعضا و يتمتع بعضهم ببعض ثم بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال
وكذلك نولى الآية (قوله اواولياء بعض وقرناءهم) جمع ولى بمعنى القريب
والقرين يقال وليه يليه وليا بكسر العين فى الماضى والغابر اذا قربه ودنا منه
فالجنسية سبب الانضمام فى الدنيا والآخرة فان الارواح الخبيثة تنضم الى مايشاكلها
فى الخبث وتحشر معه كما كانت تنضم اليه فان كل واحد منهما يهتم بشأن
من يشاكله فى النصرة والمعونة والتقوية وقيل نولى اى نسلط بعضهم على بعض
على ان التولية بمعنى التصرف روى الكلبى فى تفسيرها ان الله تعالى اذا اراد بقوم
خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وروى مالك
بن دينار قال جاء فى بعض كتب الله تعالى انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى
فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلاتشغلوا
انفسكم بسب الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم (قوله الرسل من الانس
خاصة) اختلفوا فى انه هل كان من الجن رسول اولا فقال الضحاك من الجن
رسل كالانس وتعلق بظاهر هذه الآية وبآية اخرى وهى قوله تعالى وان
من امة الاخلا فيها نذير ويؤيده قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فانه
يدل على ان طبع البشر لايوافق طبع الملك فلايتيسر بينهما الافادة والاستفادة
فلذلك وجب فى حكمة الله تعالى ان يجعل رسول الانس من الانس ليكمل
الاستئناس وهذا السبب حاصل فى الجن فوجب ان يكون رسول الجن من الجن
ايضا وذهب اكثر العلماء الى انه ماكان من الجن رسول البتة وانما كانت الرسل
من بنى آدم الا انه لم ينقل عنهم حجة تدل على ماذهبوا اليه سوى ادعاء الاجماع
وهو بعيد جدا لانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف الا ان يقال
مخالفة الضحاك خلاف وليس باختلاف فلاينافى انعقاد الاجماع واجاب المصنف
عن تمسك الضحاك بهذه الآية بانه تعالى جمع مجموع الانس والجن فى الخطاب
فقال يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهو لايقتضى الا ان يكون رسل

او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم

وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة ﴿ ١١٣ ﴾ بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك اولانه الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم او من جزائها او من اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على ﴿ ١٥ ﴾ المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سبق ﴿ رابع ﴾ ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (ان ما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لا محالة (وما انتم بمعجزين) طالبكم به (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم)

الفريقين بعضا من مجموع الفريقين فاذا كان الرسل من الانس فقط يصدق ان يقال ان رسل الفريقين بعض من مجموعهما فلا يلزم من الآية ان يكون رسول الجن من الجن فلا يصح ان يستدل بها عليه (قوله وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم) اى قيل فى جواب من تمسك بظاهر الآية انها تدل على ان الجن اتاهم رسل منهم ولا تدل على ان اولئك الرسل هم الذين اوحى اليهم بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام لجواز ان يكونوا رسل الرسل بأن تكون الرسل الموحى اليهم من الانس الا انه تعالى كان يلقى الداعية فى قلوب قوم من الجن الى استماع كلام الرسل فيستمعون كلامهم ويأتون قومهم من الجن ويخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين فاولئك الجن كانوا رسل الرسل فكانوا رسل الله تعالى والدليل عليه انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين فلهذا وبخ الله تعالى مجموع الفريقين بأن قال ماعذركم فى الكفر وقد اتاكم رسل منكم وقد قام الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل الى الثقلين وداع لكل واحد من الفريقين الى الايمان به وبالله واليوم الآخر (قوله وهو خبر مبتدأ محذوف) ولا يبعد ان يقال ان ذلك مبتدأ وان لم يكن خبره على حذف اللام اى ذلك الارسال لاجل ان لم يكن (قوله او ملتبسين بظلم او ظالما) على الاول يكون حالا من القرى وعلى الثانى يكون حالا اما من ربك او من الضمير فى مهلك (قوله مراتب) فسر الدرجات بالمراتب لانه لما فسر الكل بالمكلفين مطلقا سواء كانوا مؤمنين او كفارا لزم ان يفسر الدرجات بالمراتب لان الدرجات غلب استعمالها مطلقا فى الخير والثواب والكفار لا ثواب لهم (قوله من اعمالهم) على ان ما مصدرية ومما عملوا فى محل الرفع على انه صفات درجات وكذا على قوله من جزائها وما حينئذ موصولة والمضاف محذوف وعلى الثالث من للعلة (قوله على تغليب الخطاب) لدخول المخاطبين فى قوله ولكل درجات وقرأ العامة بياء الغيبة بناء على قوله ولكل (قوله الغنى ذو الرحمة) يجوز ان يكونا خبرين وان يكونا وصفين للمبتدأ وان يشأ يذهبكم خبرا وان يكون الغنى وصفا وذو الرحمة خبرا

على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن اوعلى ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) على ماكنت عليه من المصابرة ﴿١١٤﴾ والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بأن المهدد لايأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتفصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لايفلح الظالمون) وضع الظالمون موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم) روى انهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين

والجملة الشرطية خبرا ثانيا اومستأنفة (قوله على غاية تمكنكم) على ان تكون المكانة مصدرا بمعنى التمكن وهو القوة والاقتدار وقدتكون المكانة بمعنى المكان وهو موضع الكون كالمقام والقامة بمعنى موضع القيام ثم جعل المكانة بمعنى المكان مجازا عن الجهة والحالة التى يكون الانسان عليها وما فى الآية يجوز ان يكون بهذا المعنى اى اعملوا على جهتكم وحالتكم التى انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة على مكانتك يافلان اى اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه ومن قرأ على مكانتكم بالافراد اراد الجنس ومن جمع نظر الى اضافتها الى جماعة المخاطبين وقد علم ان لكل واحد منهم مكانة على حدة (قوله مجمعا عليه) اى عازما يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه قال تعالى فأجمعوا امركم (قوله وتسجيل بأن المهدد لايأتى منه الا الشر كالمأموربه) يريد ان الامر للتهديد من قبيل الاستعارة تشبيها للشر المهدد عليه بالمعنى المأمور به الواجب الذى لابد ان يكون (قوله بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار) يعنى ان الدار والعاقبة وان اطلقتا الا ان المراد بالدار هذه الدار اى الدنيا وبالعاقبة العاقبة الحسنى واشار به الى دفع مايقال قوله تعالى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار يدل على ان العصاة ليس لهم عاقبة الدار وليس كذلك قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة القصص وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار هى العاقبة المحمودة بدليل قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن بين عقبى الدار بجنات ثم قال فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان المراد بالدار الدنيا وخاتمتها لابد ان تكون اما بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر واجاب بانه تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة وماعد فيها للمتقين وجعل الدنيا دار الكسب والعناء وجعل الآخرة دار الرحمة والغناء فرزاق فيها التعب والشقاء فانما هو تحريفه ماكلف به من الهدى فتبين بهذا ان العاقبة الاصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وكلمة من ان جعلت استفهامية تكون فى محل الرفع على الابتداء ويكون قوله تكون مع اسمه وخبره فى محل الرفع خبرا لها ويكون فعل العلم معلقا عنها بالاستفهام وان جعلت (موصولة)

موصولة وهو الظاهر فهي في محل النصب على انها مفعول يعلمون وهو هنا متعد الى واحد لكونه بمعنى تعرفون (قوله وشيأ منهما لآلهتهم) اشارة الى ان تقدير الكلام كما قاله الزجاج جعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد وهو قوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا والشركاء من الشركة لامن الشرك ويجوز ان يكون من الشرك اى الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وانما اضافوها الى انفسهم لاعتقادهم اياها كذلك وسمى آلهتهم شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم وجعلوها شركاء لانفسهم فيها فاضافة شركائنا اما الى المفعول اى الذى شاركونا فى اموالنا واما الى الفاعل اى الذين اشركناهم فى اموالنا من المتاجر والزروع والانعام وغيرها (قوله ثم ان رأوا الخ) بيان لمعنى وصول ماعينوه لله الى شركائهم وعدم وصول ماعينوه للاوثان الى الله تعالى روى عن مقاتل انه قال ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة لها وان كان بالعكس قالوا لابد لآلهتنا من نفقة فاخذوا نصيب الله واعطوه للسدنة فذلك قوله تعالى فما كان لشركائهم يعنى من نماء الحرث والانعام فلا يصل الى الله اى لا يصل الى الجهة التى كانوا يصرفون نصيب الله تعالى اليها اى الى المساكين والاضياف وقالوا لو شاء الله زكى نصيب نفسه وان زكا ماعينوه لله ولم ينم نصيب الآلهة بدلوا ذلك النامى الذى عينوه لله وجعلوه لآلهتهم وانفقوه على سدنتها وهو قوله تعالى وما كان لله فهو يصل الى شركائهم اى يصل الى الجهة التى كانوا يصرفون نصيب الشركاء اليها ثم انه تعالى ذم هذا الفعل بقوله تعالى ساء ما يحكمون وكيف يحمد فعل من اخترع من عند نفسه بزعمه الباطل مالم يأمر الله به ولاسيما اختراعه ان يشرك مع الخالق فيما خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم يرجحه عليه قبح الله تعالى اولا طريقة المشركين فى انكارهم البعث والقيامة ثم ذكر من جهالاتهم المبنية على ضعف عقولهم هذا الفعل ليعرف الناس ضلالتهم ولا يلتفت الى كلامهم احد (قوله حكمهم هذا) يعنى ان ما يحكمون فاعل ساء وحكمهم مخصوص بالذم اى بئس الشئ الذى يحكمون حكمهم هذا كأنه قيل بئس الحكم حكمهم ثم انه تعالى حكى عنهم جهالة اخرى وهى ان شركاءهم زينوا لهم قتل اولادهم فاطاعوهم فى ذلك فقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم والكاف فيه منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى زين لهم الشركاء قتل اولادهم تزيينا مثل تزيين ذلك الفعل القبيح قيل ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ نعتا غير مشار به الى ماقبله فيكون المعنى وهكذا زين قرأ العامة زين مبنيا للفاعل ونصب قتل على انه مفعول زين وجر اولادهم بالاضافة ورفع

وشيأ منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ماعينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا الكسر كالود (ساء ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم)

شركائهم على انه فاعل زين وهى قرآءة واضحة المعنى والتركيب وقرأ ابن عامر زين على بناء المفعول ورفع قتل على انه مفعول ما لم يسم فاعله ونصب اولادهم على انه مفعول المصدر وجر شركائهم على اضافة المصدر اليه وهذه القرآءة صحيحة متواترة لا يصح ان يطعن فيها لان ابن عامر أعلى القرآء السبعة سندا واقدمهم هجرة اما علو سنده فانه قرأ على ابى الدرداء وواثلة بن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن ابى سفيان والمغيرة المخزومى وروى انه قرأ على عثمان نفسه وناهيك به واما قدم هجرته فانه ولد فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابن هشام بن عمار احد شيوخ البخارى اخذ عن اصحاب اصحابه وفضائله كثيرة وانما ذكرنا هذا تنبيها على خطأ من رد قرآءته ونسبه الى اللحن واتباع مجرد الرسوم فقط قالوا ان التقدير حينئذ زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم لكنه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول به وهو الاولاد فانه مفعول المصدر قال ابو على الفارسى وهو قبيح قليل فى الاستعمال ولكنه قد جاء فى الشعر كما انشده ابو الحسن الاخفش

فزججتها بمزجة * زج القلوص ابى مزادة

اى زج ابى مزادة القلوص الزج الطعن والمزجة بكسر الميم الرمح القصير وابى مزادة كنية رجل والقلوص الشابة من النوق واضيف القتل فى هذه القرآءة الى الشركاء وان لم يتولوا ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكأنهم فعلوا ذلك (قوله بالوأد ونحرهم لآلهتهم) متعلق بقتل الاولاد والوأد دفن الابنة فى القبر وهى حية يقال وأد بنته يئدها وأدا اذا دفنها فى القبر وهى حية وكان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر او من التزوج او من السبى واختلف فى المراد بالشركاء فقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم امروهم بأن يقتلوا اولادهم خشية العيلة وسميت الشياطين شركاء لانهم اتخذوهم شركاء لله فأطاعوهم فى معصية الله تعالى ولهذا اضيفت اليهم كما فى قوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون واشار المصنف الى القولين فى بيان الشركاء بقوله من الجن او من السدنة وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم وهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل اولادهم فكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله يروى ان عبد المطلب كان قد رأى فى المنام انه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذ الا الحارث فنذر لئن ولد له عشرة نفر لينحرن احدهم لله تعالى على الكعبة فلما تموا عشرة اخبرهم بنذره فاطاعوه وكتب كل واحد منهم اسمه فى قدح فخرج على عبد الله فأخذ الشفرة لينحره فقامت

بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن او من السدنة وفاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله

قريش من اندتها فقالوا لا نفعل حتى ننظر فيه فانطلقوا به الى عرافين والعراف الكاهن اى رفعوا الامر الى جماعة كهنة فقالوا قربوا عشرة من الابل ثم ضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم واذا خرجت على الابل فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فقربوا الابل فقربوا عشرا فخرجت على عبد الله فزادوا عشرا عشرا فخرجت فى كل مرة على عبد الله الى ان قربوا مائة فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا ابن الذبيحين يريد اباه واسمعيل عليه الصلاة والسلام (قوله وهو ضعيف فى العربية) اشارة الى ان الفصل بالمفعول ليس بضعيف فى نفسه بل هو حسن ويدل على حسنه ورود القرآن عليه والطريق اثبات حسن التراكيب بوقوعها فى القرآن لا اثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه فى غيره قال الكرمانى قرآءة ابن عامر وان ضعفت فى العربية للفصل بين المضاف والمضاف اليه فقوية فى الرواية عالية انتهى وذهب صاحب المفتاح الى تطبيق هذه القرآءة بقاعدة اهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف اليه من الاول واضمار المضاف فى الثانى والتقدير قتلهم اولادهم قتل شركائهم والثانى بدل من الاول بناء على ان تخطئة الثقات والفصحاء ابعد من ذلك قال صاحب الانتصاف طاعنا فى صاحب الكشاف لقد ركب المصنف فى هذا الفصل عمياء وتاه فى تيهاء وانا ابرأ الى الله تعالى وابرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل ان القرآء ائمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأبه اجتهادا لا نقلا ولا سماعا فلذلك غلط ابن عامر فى قرآءته هذه واخذ يبين وجه غلطه بانه اعتمد فى ذلك على رسم مصحف الشام الذى ارسله عثمان رضى الله تعالى عنه اليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء فاستدل بذلك على انه مجرور وتعين عنده نصب اولادهم بالقياس اذ لا يضاف المصدر الى امرين معا فقرأه منصوبا لذلك وقوله المصنف يريد به صاحب الكشاف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة وابدال الشركاء منه وكان ذلك اولى مما ارتكبه يعنى ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذى لا يسمع فى الشعر فضلا عن النثر فضلا عن الكلام المعجز وهذا كله كما ترى ظن من الزمخشرى ان ابن عامر قرأ قرآءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه ولم يعلم الزمخشرى ان هذه القرآءة بنصب الاولاد والفصل بين المضاف والمضاف اليه مما نعلم ضرورة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها على جبريل كما انزلها عليه كذلك ثم تلاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرأون بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى

وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة * زج القلوص ابى مزادة

ابن عامر فقرأها ايضا كما سمعها وهذا معتقد اهل الحق فى جميع الوجوه السبعة انها متواترة جملة وتفصيلا عن افصح من نطق بالضاد اى عن افصح العرب فان النطق بحرف الضاد مختص بلغة العرب فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول امثاله ممن لحن ابن عامر ثم قال قرآءة ابن عامر هذه لا تخالف القياس النحوى وذلك لان الفصل بين المضاف و المضاف اليه وان كان عسيرا الا ان المصدر اذا اضيف الى معموله فهو مقدر بأن مع الفعل وبهذا التقدير عمل فاضافته الى معموله وان كانت محضة لكنها تشبه غير المحضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر و بين المضاف اليه بالظرف كما فى قول الشاعر ۞ لله در اليوم من لامها ۞ يريد لله در من لامها اليوم وقوله ۞ لانت معتاد فى الهيجا مصابرة ۞ يريد لانت معتاد مصابرة فى الهيجاء وهى الحرب وهذه الامثلة والشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف وانما ادرجتها انا فى اثناء كلامه لتوضيح المقام وقد جاء الفصل بينهما فى قوله

هما اخوا فى الحرب من لا اخاله ۞ اذا خاف يوما نبوة فدعاهما

يريد هما اخوا من لا اخاله فى الحرب وقد جاء الفصل بينهما بغير الظرف ايضا على قلة كالفصل بالندآء فى قوله

وفاق كعب بجير منقذلك من ۞ تعجيل مهلكة و الخلد فى سقر

يريد وفاق بجير يا كعب و قول الآخر

اذا ما ابا حفص اتاك رأيتها ۞ على شعر كل الناس يعلو قصيدها

يريد اذا ما اتاك يا ابا حفص وقد جاء الفصل بينهما بالنعت ايضا كقول معاوية يخاطب به عمرو بن العاص

نجوت وقد بل المرادى سيفه ۞ من ابن ابى شيخ الاباطح طالب

يريد من ابن ابى طالب شيخ الاباطح فشيخ الاباطح نعت لابى طالب فصل به بين ابى و بين طالب وقول الآخر

ولئن حلفت على يديك لاحلفن ۞ بيمين اصدق من يمينك مقسم

يريد لاحلفن بيمين مقسم اصدق من يمينك فاصدق نعت لقوله بيمين فصل به بين يمين و بين مقسم و بالجملة اذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر و بين المضاف اليه فلا اقل من ان يتميز المصدر عن غيره لما بيناه من انفكاكه فى التقدير وعدم توغله فى الاتصال بان يفصل بينه و بين المضاف اليه بما ليس اجنبيا عنه فكأنه ذكر ان مع الفعل ثم قدم المفعول على الفاعل وقال ابو شامة فى شرح الشاطبية ولا بعد فيما استبعده اهل النحو من جهة المعنى و ذلك انه قد عهد

تقدم المفعول على الفاعل المرفوع لفظا فاستمرت له هذه المرتبة مع الفاعل المرفوع تقديرا فان المصدر لوكان منونا لجاز تقديم المفعول على فاعله نحو اعجبني ضرب عمرا زيد فكذا في الاضافة ثم قال وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجر ومجروره مع ان شدة الاتصال بينهما اكثر من شدته بين المضاف والمضاف اليه كقوله فبما نقضهم ميثاقهم فبما رحمة فصل بكلمة ما بين الباء الجارة ومجرورها ولا التفات الى قول من زعم انه لم يأت في الكلام المنثور مثله لانه ناف ومن اسند هذه القرآءة مثبت والاثبات مرجح على النفي بالاجماع ولو نقل الى هذا الزاعم عن بعض العرب انه استعمله في النثر لرجع اليه فما باله لايكتفي بناقل القرآءة عن التابعين عن الصحابة (قوله وقرئ بالبناء للمفعول) اى قرئ زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم برفع قتل لقيامه مقام الفاعل وجر اولادهم بالاضافة ورفع شركاؤهم على انه فاعل فعل مقدر تقديره زينه شركاؤهم فهو جواب لسؤال مقدر كأنه قيل من زينه لهم فقيل شركاؤهم كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال اى يسبحه رجال وقول الشاعر ❊ ليبك يزيد ضارع لخصومة ❊ واللام في قوله تعالى لكثير من المشركين متعلقة بزين وكذلك اللام في قوله ليردوهم فان قيل كيف يصح تعلق حرفي جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد من غير بدلية ولاعطف اجيب بأن معناهما مختلف فان الاولى للتعدية والثانية للعلية ثم ان كان التزيين من الشياطين فاللام على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فهي لام العاقبة فان الشيطان يفعل التزيين وغرضه بذلك الارداء فالتعليل فيه واضح واما السدنة فانهم لم يزينوا لهم ذلك لاجل اهلاكهم ولكن لما كان مآلهم الى الارداء اتى باللام الدالة على العاقبة والمآل وعلل التزيين بشيئين الارداء والتخليط وهو ادخال الشبهة عليهم في امر دينهم فان اللبس بفتح اللام مصدر لبس عليه يلبس بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ومعناه ادخل عليه الشبهة وخلط عليه قال اهل السنة قوله تعالى ولو شاء ربك مافعلوه يدل على ان ما فعله المشركون فهو بمشيئة الله تعالى وقالت المعتزلة انه محمول على مشيئة الالجاء اى لو شاء ربك ان يلجئهم على ان لا يفعلوه لتركوه جبرا (قوله حجر) قرأ الجمهور بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بمعنى المحجور والممنوع وقرئ حجر بالضم والسكون وقرئ حرج بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم قيل أصله حرج بفتح الحاء وكسر الراء (قوله لايحجون على ظهورها) فان من حج وجب عليه ان يلبي ويذكر اسم الله فكنى بذكر اللازم عن الملزوم وقيل لا يركبونها لفعل الخير فانه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير

وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ماوجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه) ما فعل المشركون مازين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افترآءهم اومايفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لايطعمها الامن نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرمت ظهورها) يعني البحائر والسوآئب والحوامي (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها (افترآء عليه) نصب على المصدر

لان ماقالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له والجار متعلق به او بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه او بدله (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوآئب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سوآء وتأنيث ﴿ ١٣٠ ﴾ الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر بن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعراء او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (بغير علم)

(قوله لان ماقالوه تقول عليه) اى كذب يقال تقول عليه اى كذب يعنى انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله تعالى امرهم به فيكون افترآء مصدرا من غير لفظ العامل لان القول المحكى عنهم افترآء على الله تعالى فيكون من قبيل قولهم قعد القرفصاء ويجوز ان يكون مصدر الفعل المقدر من لفظه اى افتروا ذلك افترآء (قوله والجار) اى قوله عليه متعلق بقالوا لا بافترآء لان المصدر المؤكد لا يعمل سوآء ذكر مع الفعل او بدونه وكذا المصدر الذى يكون للنوع او العدد فانه لا يعمل ايضا (قوله او على الحال) عطف على قوله على المصدر اى قالوا ذلك حال افترآئهم وهى تشبه الحال المؤكدة لان هذا القول المخصوص لا يكون قائله الا مفتريا فعلى هذا يجوز ان يتعلق الجار بقوله افترآء وكذا على تقدير كون افترآء منصوبا على المفعول له بمعنى قالوا ذلك لاجل الافترآء على البارى تعالى (قوله وتأنيث الخالصة) مع كونها مرفوعة على انها خبر ما الموصولة حملا على المعنى ثم حمل على لفظها فى قوله ومحرم على ازواجنا مع انه معطوف على خالصة وهما عبارتان عن شئ واحد قرأ حفص عن عاصم وان يكن ميتة بتذكير الفعل ونصب ميتة وقرأ ابو بكر عن عاصم وابن عامر وان تكن بتاء التأنيث والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر ميتة بالرفع والباقون بالنصب فأبو بكر لما نصب ميتة اسند تكن الى ضمير ما وانث الفعل نظرا الى كون ما عبارة عن الاجنة واما ابن عامر فانه لما رفع ميتة على انها فاعل تكن اسند الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى لان الميتة تقع على الذكر والانثى من الحيوان فجاز تأنيث الفعل المسند الى ظاهرها باعتبار اللفظ وجاز تذكيره باعتبار المعنى هذا على قرآءة من رفع ميتة بتكن على ان كان تامة اى وان وجدت ميتة او حدثت واما من نصب ميتة فانه يسند الفعل الى ضمير ما فيذكر باعتبار لفظ ما ويؤنث باعتبار معناها فيكون ميتة خبر كان الناقصة فقوله ولذلك اى ولكون ما فى معنى الاجنة وافق عاصم مع انه نصب ميتة على انها خبر كان الناقصة فيكون اسمها مستترا فيها راجعا الى ما فأنث تكن اعتبار المعنى ما (قوله او التاء فيه للمبالغة) كما فى نحو علامة وراوية بمعنى كثير العلم ورواية الشعر وليست (للتأنيث)

للتأنيث ولذلك وقع خبر المذكر وهو عطف على قوله نهى كقوله اوهو مصدر
اى على وزن فاعلة كالعاقبة والعافية واذا قيل انها مصدر كان ذلك على حذف مضاف
اى ذو خلوص او على وقوع المصدر موقع اسم الفاعل نحو رجل عدل اى
عادل او جعلها نفس الخلوص مبالغة فذكر التأنيث خالصة ثلاثة اوجه
الاول اعتبار المعنى والثانى ان التاء فيها ليست للتأنيث وانما هى للمبالغة
فى الوصف كما فى راوية ونسابة والثالث انه مصدر بمعنى ذى خلوص
(قوله لخفة عقلهم) يعنى ان انتصاب سفها على انه مفعول له وبغير علم صفة
سفها اى يقتلون للسفه المجامع لجهل انه تعالى هو الرازق ويجوز نصبه على
الحال اى ذوى سفه ويؤيده قرآءة سفهاء او على انه مصدر لفعل مقدر اى
سفهوا سفها او على انه مصدر من غير لفظ عامله لان هذا القتل سفه قال الامام
ذكر الله تعالى فيما تقدم قتلهم اولادهم وتحريمهم مارزقهم الله ثم انه تعالى
ذكر هذين الامرين فى هذه الآية وبين ما لزمهم على هذا الحكم وهو الخسران
والسفاهة وعدم العلم وتحريم مارزقهم الله تعالى والافترآء على الله والضلال
وعدم الاهتدآء فهذه امور سبعة وكل واحد منها سبب تام لاستحقاق الذم
اما الخسران فلأن الولد نعمة عظيمة من الله تعالى على العبد فمن سعى فى ابطاله
فقد خسر خسرانا عظيما يستحق بذلك الابطال الذم العظيم فى الدنيا
والعقاب العظيم فى الآخرة وكذا كل واحد من البواقى من اعظم المنكرات
والقبائح الموجبة للذم والتوبيخ قال المفسرون نزلت الآية فى ربيعة ومضر وبعض
من العرب وغيرهم كانوا يدفنون البنات احياء مخافة السبى والفقر والحمية من
التزويج روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان رجلا من اصحابه كان
لايزال مغتما بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام مالك تكون محزونا فقال
يارسول الله انى قد أذنبت فى الجاهلية ذنبا فأخاف ان لايغفر لى وان أسلمت فقال
عليه الصلاة والسلام اخبرنى عن ذنبك فقال يارسول الله انى كنت من الذين
يقتلون بناتهم فولدت لى بنت فشفعت الى امرأتى ان اتركها فتركتها حتى
كبرت وادركت وصارت من اجمل النساء فخطبوها فدخلت على الحمية فلم
يحملنى قلبى على ان ازوجها او اتركها فى البيت بلا زوج فقلت للمرأة انى اريد ان
اذهب الى قبيلة كذا فى زيارة اقربائى فابعثيها معى فسرت بذلك وزينتها
بالثياب والحلى واخذت على المواثيق بأن لا اخونها فذهبت بها الى رأس
بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية انى اريد ان القيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت
تبكى وتقول يا ابى اى شئ تريد ان تفعل بى فرحمتها ثم نظرت فى البئر فدخلت
على الحمية فالتزمتنى وجعلت تقول يا ابى لا تضيع امانة امى فجعلت مرة انظر

خفة عقلهم وجهلهم
بأن الله رازق اولادهم
لاهم ويجوز نصبه على
الحال او المصدر (وحرموا
مارزقهم الله) من البحائر
ونحوها (افترآء على الله)
يحتمل الوجوه المذكورة
فى مثله (قد ضلوا وما كانوا
مهتدين) الى الحق
والصواب

الى البئر ومرة انظر اليها وأرجها فغلبني الشيطان وأخذتها فالقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر يا ابي قتلتني فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه وقال لو امرت ان اعاقب احدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك بما فعلت ثم انه تعالى لما فرغ من شرح احوال الاشقياء وتهجين طريقتهم والتنبيه على جهلهم وخفة عقولهم عاد الى اقامة الدليل على تقرير التوحيد وكمال القدرة والحكمة تهديدا للعصاة بعظيم قهره وعقابه وتثبيتا للمطيعين على ملازمة طاعته فقال وهو الذى انشأ جنات معروشات وقد سبق ذكر هذا الدليل في هذه السورة بقوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فالآية المتقدمة ذكر فيها خمسة انواع وهي الزرع والنخل وجنات من اعناب والزيتون والرمان وذكر في هذه الآية هذه الخمسة بأعيانها لكن على خلاف ذلك الترتيب وذكر في الآية المتقدمة انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه فأمر هنالك بالنظر في احوالها والاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم وذكر في هذه الآية كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فاذن في الانتفاع بها وامر بصرف جزء منها للفقرآء فالذى حصل به الامتياز بين الآيتين انه هنالك امر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم وهو مقدم على الاذن في الانتفاع لان الاستدلال على الصانع يحصل به سعادة ابدية والانتفاع يحصل به سعادة جسمانية سريعة الانقضاء والاول اولى بالتقديم (قوله تعالى انشأ جنات) اى خلقها يقال نشأ الشئ نشأة اذا ظهر وارتفع وانشأه الله انشاء اى اظهره ورفعه ويقال عرش يعرش ويعرش عرشا اى بنى بناء من خشب وبئر معروشة وكروم معروشات والعريش عريش الكرم واعترش العنب العريش اعتراشا اذا علاه قال الامام في قوله تعالى معروشات وغير معروشات اقوال الاول ان المعروشات وغير المعروشات كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لا يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا والثاني ان المعروشات العنب الذى يجعل له عروش وغير المعروشات كل ما نبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ والثالث ان المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم او ما يجرى مجراه وغير المعروشات ما لا يحتاج اليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع ونحوهما من الاشجار والبقول ورابعها ان المعروشات ما يحصل في البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويعرشونه وغير المعروشات ما أنبته الله تعالى

(وهو الذى انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في الجبال والبرارى (والنخل والزرع مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او النخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر)

وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط (انه لا يحب المسرفين) لا يرتضى فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات اى وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا

فى البرارى والجبال وهو قول المصنف ماغرسه الناس فعرشوه وافرد النخل والزرع بالذكر وهما داخلان فى الجنات لما فيهما من الفضيلة على سائر ماينبت فى الجنان والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التى يقتات بها (قوله وان لم يدرك) اشارة الى فائدة التقييد بقوله اذا اثمر وهى اباحة الاكل منه قبل ادراكه وبعده قيل وفائدته اباحة الاكل اى استبيحوا اكله اذا اثمر ولا تحرموه كتحريم المشركين بقولهم هذه انعام وحرث حجر قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب اخراجه كان الظاهر ان يحرم على المالك تناوله قبل اخراج حق المساكين لمكان شركتهم فيه فقال اذا اثمر اباحة للتناول قبل اخراج الحق (قوله لا الزكاة المقدرة) اى المفروضة وهى العشر فيما سقى بماء السماء ونصف العشر فيما سقى بالكلفة كما سقى بالقرب والداليه حمل الحق على الحق الخالى سوى زكاة الخارج لما ذكره روى عن مجاهد انه قال اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه شيأ قبل لقط السنبل فاذا درسته وذريته فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته اى عشره وفى الكشاف المراد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر (قوله والامر بايتائها يوم الحصاد) اى مع ان الحب يوم الحصا فى السنبل وابو حنيفة رحمه الله جعل الآية مسوقة لايجاب العشر فاستدل بها على وجوه العشر فى الثمار حيث قال انه تعالى ذكر العنب والزرع والنخل والزيتون والرمان ثم قال وآتوا حقه يوم حصاده فدل ذلك على وجوب الزكاة فى هذه الخمسة والحصد فى اللغة عبارة عن القطع فيتناول الكل فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان العشر واجب فى القليل والكثير استدلالا بهذه الآية وقال الاكثرون لا يجب الا اذا بلغ خمسة اوسق للحديث (قوله كقوله ولا تبسطها كل البسط) فان من اعطى كل ماله للفقرآء ولم يبق الى عياله شيأ مسرف مجاوز حد الاعطاء لانه قد جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول روى ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة فقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شيأ فكره الله ذلك وانزل قوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين (قوله ما يحمل الاثقال) ذكر فى تفسير كل واحد من الحمولة والفرش وجهين الاول ان الحمولة ما يحمل الاثقال والفرش ما يفرش للذبح او يتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش واصله من قبيل التسمية بالمصدر والثانى ان الحمولة الكبار التى تصلح للحمل عليها والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل لانها دانية من الارض بسبب صغر اجرامها مثل الفرش المفروش عليها والفرش هى الارض المفروش عليها (قوله كلوا مما احل لكم منه) يعنى ان الحرام رزق كالحلال والله تعالى انما اباح أكل

ما معه آخر من جنسه او جد وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين) ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى والمعنى انكار ان يحرم الله من جنس الغنم شيأ (نبئوني بعلم) امر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيأ من ذلك (ان كنتم صادقين) في دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين)

بعض ما رزقه وهو الحلال وقالت المعتزلة انه تعالى امر بأكل الرزق ومنع من اكل الحرام فهو ينتج ان الرزق ليس بحرام وقال الزجاج في خطوات ثلاثة اوجه ضم الطاء وفتحها واسكانها ومعناه طرق الشيطان اى لا تسلكوا الطريق الذي سوله لكم الشيطان (قوله او مفعول كلوا) اى كلوا مما رزقكم الله ثمانية ازواج او هو مفعول فعل دل عليه كلوا تقديره كلوا ثمانية ازواج والضأن معروف وهو ذو الصوف من الغنم والكبش الذكر من هذا النوع والنعجة الانثى منه والمعز والشعر من الغنم والتيس الذكر منه والعنز الانثى وهي الماعزة (قوله وهو بدل) يعني ان اثنين بدل من ثمانية ازواج جيء به للتفسير والبيان قال ابو البقاء اثنين بدل من ثمانية وقد عطف عليه بقية الثمانية ويحتمل ان يكون منصوبا بانشأ مقدرا وهو قول الفارسي وقرئ اثنان بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله ومن الضأن متعلق بما نصب اثنين والضأن يحتمل ان يكون اسم جنس ويجمع على ضئين نحو كلب وكليب ويحتمل ان يكون جمع ضائن وضائنة كتاجر وتاجرة وتجر وصاحب وصاحبة وصحب وراكب وراكبة وركب والجمهور على تسكين همزة الضأن وقرئ بفتح الهمزة وهو جمع تكسير ضائن كما يقال خادم وخدم وحارس وحرس * وقرأ ابن كثير من المعز بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان في جمع ماعز وقد تقدم ان فاعلا يجمع تارة على فعل نحو تاجر وتجر وعلى فعل اخرى نحو خادم وخدم ويجمع ايضا على معزى وبه قرأ أبي قال امرؤ القيس

اذا ما لم تكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

(قوله فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة) كالحامي فانه اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا انه قد حمى ظهره وكالوصيلة فان الشاة كانت اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها (قوله واناثها تارة اخرى) كالبحيرة والسائبة فانه اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وكانوا اذا ولدت النوق البحائر والسوائب فصيلا حيا حرموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال وان ولدت فصيلا ميتا اشترك الرجال والنساء في لحم الفصيل ولا يفرقون بين الذكر والاناث في حق الاولاد فلما قام الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن قالوا يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونها فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انكم حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله تعالى هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم

كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم (ام) كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها (ام كنتم شهداء)

امن قبل الذكورة ام من قبل الانوثة فعينوا ولم يتكلموا فلو قالوا جاء التحريم بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور وان قالوا بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل على الكل واما تخصيص ما اشتملت عليه الارحام بالولد الخامس اوالسابع او ببعض دون بعض فمن اين ذلك قال الامام هذا ما طبق عليه المفسرون في تفسير هذه الآية وهو عندي بعيد جدا لان لقائل ان يقول هب ان هذه الانواع الاربعة اعني الضأن والمعز والابل والبقر محصورة في الذكور والاناث الا انه لايجب ان تكون علة تحريم ما حكموا بحرمته محصورة في الذكورة والانوثة بل علة تحريمه كونه بحيرة اوسائبة اووصيلة اوحاميا ونحو ذلك من الاعتبارات وكما انا اذا قلنا انه تعالى حرم بعض الحيوانات لاجل الاكل لايرد علينا ان يقال ان ذلك الحيوان ان حرم لكونه ذكرا وجب ان يحرم كل حيوان ذكر وان كان قد حرم لكونه انثى وجب ان يحرم كل حيوان انثى ولما لم يكن هذا الكلام لازما علينا فكذا هذا الوجه الذي ذكره المفسرون في تفسير هذه الآية ثم قال والاقرب عندي فيه وجهان احدهما ان يقال ان هذا الكلام ماورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعترفون بشرعة شارع فكيف تحكمون ان هذا يحل وهذا يحرم وثانيهما ان حكمهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي مخصوص بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانعام الاربعة فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في الاقسام الثلاثة وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم على التعيين (قوله بل اكنتم) يعني ان ام منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الاستفهام الاول الى ما هو أهم منه وادخل في انكار زعمهم ومذهبهم فانهم لما انكروا النبوة رأسا ولم يمكنهم ان يقولوا شهدنا الله وسمعنا منه انه حرم علينا هذه الازواج تعين انهم انما حكموا بذلك افترآء على الله وهو ظلم فلذلك فرع قوله فمن اظلم (قوله اوعمرو بن لحي) فانه هو الذي غير شريعة اسمعيل عليه الصلاة والسلام والاقرب ان يكون المراد بقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى كل من اتصف بهذا لافتراء لان اللفظ عام وكذا العلة الموجبة لهذا الحكم فالتخصيص تحكم محض (قوله لايهدي القوم الظالمين) من وضع الظاهر موضع المضمر اي لايهدي اولئك المشركين اي لا ينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقالت المعتزلة في تفسيره اي لايهديهم الى ثوابه قيل لما بين الله تعالى فساد طريق اهل الجاهلية في تحليل بعض المطعومات وتحريمها قالوا فما المحرم اذا فنزل قل يا محمد لا اجد فيما اوحي الى طعاما محرما على آكل يأكله الا ان يكون الطعام المحرم ميتة فالاستثناء متصل

بل أكنتم حاضرين مشاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لاتؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة الموسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الى) اي في القرآن او فيما اوحي الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة) الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرآءة ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله (او دما مسفوحا)

(قوله عطف على أن مع ما في حيزه) اى على قرآءة ابن عامر فانه
جعل كان تامة ورفع ميتة فلم يتأت له ان يجعله معطوفا على ميتة فتعين له
ان يجعله معطوفا على المستثنى بخلاف قرآءة العامة فانه يكون معطوفا على
خبر كان الناقصة عندهم والظاهر ان الاستثناء على قرآءة ابن عامر يكون
منقطعا لان المستثنى على قرآءته كون والمستثنى منه عين (قوله فان الخنزير
اولحمه قذر) رجح عود الضمير الى الخنزير حيث قدمه في الذكر لكونه اقرب
المذكورين ولان التحريم المضاف الى الخنزير ليس مختصا بلحمه بل شحمه
وشعره وعظمه وسائر ما فيه كله حرام فاذا عاد الضمير الى الخنزير أفاد الكلام
هذا المقصود وان عاد الى لحمه لا يكون في الكلام تعرض لتحريم ما عدا
اللحم الا انه جاز عوده الى اللحم ايضا لكونه اهم مافيه فانه اكثر ما يقصد من
الحيوان المأكول لحمه فالحل والحرمة يضافان اليه اصالة والى غيره تبعا (قوله
عطف على لحم خنزير) اى الا ان يكون الطعام فسقا مهلا به لغير الله جعل
العين المحرمة عين الفسق مبالغة في كون تناولها فسقا ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له والعامل فيه قوله أهل فقدم عليه مفصولا به بين حرف العطف وهو
او بين المعطوف وهو جملة اهل وتكون هذه الجملة معطوفة على يكون اى
لااجد طعاما محرما الا ما اهل لغير الله به فسقا (قوله والآية محكمة) اى غير
منسوخة بل هي ونحوها من النصوص المحرمة كل واحد منها رافع للحل الاصلي
في حق مانص على تحريمه وبقي مالم ينص على تحريمه على الحل الاصلي فيحكم
على حله بالاستصحاب وهو الحكم بثبوت الشئ في الزمان الثاني بناء على ثبوته
في الزمان الاول يعني قد تقرر انه لاطريق الى معرفة الحل والحرمة الا ان اوحى الله
تعالى الى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه تعالى لما امره ان يقول لا اجد فيما
اوحي الى محرما الا هذه الاربعة التي اولها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها
لحم الخنزير ورابعها الفسق وهو الذى اهل به لغير الله ثبت انه لايحرم الا هذه
الاربعة ومن المعلوم ان من المطعومات امورا محرمة غير هذه الاربعة ثبتت حرمة
بعضها بالكتاب كالخمر والربا الحاصل في معاوضة المطعومات وكالخبائث قال
تعالى ويحرم عليهم الخبائث اى المستقذرات والنجاسات وكالمنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وحرمة بعضها بالسنة كحرمة اكل
كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فان حرمتهما ثبتت بنهيه عليه
الصلاة والسلام عن اكلهما فان كانت النصوص المحرمة لهذه المذكورات ناسخة
لحكم هذه الآية وهو انحصار المحرم من المطعومات في هذه الاربعة لزم القول
بكون خبر الواحد ناسخا للكتاب وهو لا يجوز لان القاطع لايدفع بالظن فوجب

عطف على ان مع ما في
حيزه اى الا وجود ميتة
اودما مسفوحا اى مصبوبا
كالدم في العروق لا كالكبد
والطحال (اولحم خنزير
فانه رجس) فان الخنزير
اولحمه قذر لتعوده اكل
النجاسة اوخبيث مخبث
(اوفسقا) عطف على لحم
خنزير وما بينهما اعتراض
للتعليل (أهل لغير الله به)
صفة له موضحة وانما سمى
ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله في الفسق
ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له لأهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه
راجع الى ما رجع اليه
المستكن في يكون (فمن
اضطر) فمن دعته الضرورة
الى تناول شئ من ذلك (غير
باغ) على مضطر مثله
(ولاعاد) قدر الضرورة
(فان ربك غفور رحيم)
لا يؤاخذه والآية محكمة
لانها تدل على انه لم يجد
فيما اوحى الى تلك الغاية
محرما غير هذه وذلك لاينافي
ورود التحريم في شئ
آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب
بخبر الواحد ولا على حل
الاشياء غيرها الا مع
الاستصحاب

ان يقال ان قوله تعالى لا اجد للحال فيكون مدلول الآية بيان انحصار المحرمات
في وقت الاخبار فيما ذكر من الامور الاربعة فيكون ما بقي من تلك الامور باقيا على
الاباحة الاصلية في ذلك الوقت فيكون تحريم ذوات الانياب والمخالب من السباع
بعد ذلك الوقت رفعا للحكم الاصلي لا للحكم الشرعي و اعلم ان هذه السورة مكية
فبين الله في هذه السورة المكية انه لا يحرم الا هذه الاربعة ثم اكد هذا بأن قال في سورة
النحل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم وكلمة انما تفيد الحصر فقد حصلت لنا آيتان مكيتان
تدلان على حصر المحرمات في هذه الاربعة ثم ذكر تعالى في سورة المائدة وهي
سورة مدنية احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم وأجمع المفسرون على
ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو ما ذكره بعد هذه الآية بقليل و هو قوله
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ثم قال و المنخنقة
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء اقسام
الميتة الا انه تعالى اعادها بالذكر لانهم كانوا يحكمون عليها بالتحليل ثم بين
في سورة البقرة وهي سورة مدنية ايضا انه لا يحرم الا هذه الاربعة فقال انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت
هذه الآية المدنية مطابقة لقوله قل لا اجد فيما اوحي الى محرما الا كذا وكذا
في الآية المكية فثبت ان الشريعة من اولها الى آخرها كانت مستقرة على
انحصار المحرمات في هذه الاربعة فان قيل هذا الحصر يقتضي تحليل النجاسات
و المستقذرات مع انها محرمة لقوله تعالى في آية اخرى و يحرم عليهم الخبائث فانه
يقتضي تحريم كل الخبائث و النجاسات و يقتضي ايضا تحليل الخمر و المنخنقة
ونحوهما مع انها محرمة بالآيات المدنية فالآيات المحرمة لهذه الاشياء تكون
ناسخة للآية الدالة على انحصار المحرمات في تلك الاربعة و بعد ما كانت
منسوخة لا تبقى دليلا على حل ما عدا تلك الاشياء الاربعة و كونها منسوخة
ينافي ما يدل عليه توافق الآيات المكية و المدنية من انحصار المحرمات
في هذه الاربعة واستقرار الشريعة على ذلك الانحصار والجواب ان الآية الدالة
على حرمة الخبائث و النجاسات وعلى حرمة المنخنقة ونحوها ليست ناسخة لهذه
الآية الدالة على الانحصار لان قوله تعالى في هذه الآية او لحم خنزير فانه رجس
يدل على ان حرمة لحم الخنزير معللة بكونه رجسا نجسا فهذا يقتضي ان تكون
النجاسة علة لتحريم الاكل فوجب ان يكون كل نجس محرما اكله فلا يتنافى تلك
الآية و كذا لا ينافيها آية المنخنقة و ما بعدها لان جميعها داخل تحت الميتة
المحرمة بهذه الآية ولا تنافيها الآية المحرمة للخمر ايضا لانه تعالى قال في حقها
انها رجس من عمل الشيطان فتدخل تحت قوله فانه رجس ولا تنافيها الآية

المحرمة للربا ونحوه ايضا لان تلك الآية تخصص عموم هذه الآية كأنه قيل
الذى اجده فيما اوحى الى هى هذه الاربعة وماعداها محللة الاما ورد النص على
تحريمه فان حاصل قولنا لا محرم سوى الاربعة هو ان ماعداها ليست بمحرمة
فاثبات محرمات اخر تخصيص له لا نسخ ويجوز تخصيص عام الكتاب بخبر الواحد
والجمع ثم انه تعالى بين بقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية انه
حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة وهى نوعان الاول انه تعالى
حرم عليهم كل ذى ظفر والثانى ما ذكره بقوله ومن البقر و الغنم حرمنا عليهم
شحومهما (قوله كل ماله اصبع) وذوات الاظلاف وهى البقر والغنم والظباء
لا اصبع لها فهى محللة لهم سواء كان مابين اصابعه منفرجا كانواع السباع
والكلاب والسنانير اولم يكن منفرجا كالابل والنعام والاوز والبط وعن عبد الله
بن مسلم انه قال ذو الظفر كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب ثم
قال كذلك قال المفسرون قال وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وقيل هو كل
مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير كالابل والنعام والاوز والبط وفى الكواشى
الظفر للانسان وغيره هو ما يكون فى طرف الايدى والارجل ثم سمى بعض
خفا وبعض حافرا وبعض مخلبا وبعض ظفرا وفى الكشاف وذو الظفر ماله اصبع
من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم فعم
التحريم كل ذى ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقال الامام حمل الظفر على الحافر بعيد من وجهين الاول ان الحافر لا يسمى
ظفرا الا على سبيل الاستعارة والثانى انه لو كان الامر كذلك لوجب ان يقال انه تعالى
حرم عليهم كل حيوان له حافر وذلك باطل لان الآية تدل على ان الغنم والبقر مباحان
لهم مع حصول الحافر لهما واذا ثبت هذا فنقول وجب حمل الظفر على المخالب
والبراثن لان المخالب آلات لجوارح الطير فى الاصطياد والبراثن آلات للسباع
فى الاصطياد قال الاصمعى البراثن من السباع والطير بمنزلة الاصابع من الانسان
والمخلب ظفر البراثن كذا فى الصحاح وعلى هذا التقدير يدخل فيه انواع السباع والكلاب
والسنانير ويدخل فيه الطيور التى تصطاد لان هذه الصفة تعم هذه الاجناس
وتقديم قوله تعالى وعلى الذين هادوا على عامله وهو حرمنا يفيد الاختصاص
عند اكثر العلماء كالزمخشرى والامام الرازى وفى الظفر لغات اعلاها ضم الظاء
والفاء وهى قرآءة الجمهور وقرئ ظفر بسكون الفاء وهى تخفيف لمضمومها
وقرئ ظفر بكسر الظاء والفاء وظفر بكسر الظاء وسكون الفاء وكل واحدة
من هذه اللغات تجمع على اظفار وفيه لغة خامسة وهى اظفور وتجمع على
اظافير (قوله تعالى ومن البقر والغنم) الظاهر انه متعلق بما بعده والتقدير
وحرمنا على الذين هادوا من البقر والغنم شحومهما ولو قيل من البقر والغنم

كل ماله اصبع كالابل
والسباع والطيور وقيل
كل ذى مخلب وحافر وسمى
الحافر ظفرا مجازا ولعل
المسبب عن الظلم تعميم
التحريم (ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما)
الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط
(الا ما حملت ظهورهما

والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم ﴿١٤٧﴾ المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لاعلم لنا انك انت علام الغيوب اوعلى الرسل اليهم ماكانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم (والوزن) اى القضاء اووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذي هو الوزن (الحق)

انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريعا وتوبيخا وكذلك الرسل يسألون مع العلم بانهم لايصدر منهم التقصير البتة ليظهر عدم تقصيرهم في تبليغ ما جاؤه من الرسالة ويلحق التقصير كله بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم من جميع موجبات التقصير ويتضاعف الخزي والاهانة في حق الكفار (قوله والمنفي) جواب عما يقال كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم وبين قوله تعالى فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان وقوله ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون وتقرير الجواب ان السؤال قديكون لاجل الاستعلام والاستفادة وقديكون لاجل التوبيخ والاهانة والمنفي هوالاول دون الثاني وايضا يوم القيامة يوم طويل ومواقفه كثيرة وانهم لايسألون عن الاعمال في موقف الحساب لان كتبهم وجوارحهم تبين جميع ذلك ولكنهم يسألون في بعض مواقف العقوبة عن الدواعي التي دعتهم الى المعاصي وعن الصوارف التي صرفتهم عن الطاعة زيادة لهم في عقوبتهم وتقريعهم (قوله والوزن اى القضاء) في تفسير وزن الاعمال قولان الاول ماورد في الخبر ان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها امابأن تصور اعمال المؤمن بصورة حسنة وتصور اعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة اوتوزن الصحف التي كتبت فيها اعمال العباد والقول الثاني وهو قول مجاهد والضحاك والاعمش ان المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا الى هذا القول وحمل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع في اللغة فان العدل في الاخذ والاعطاء لايظهر له اثر الا بالكيل والوزن في الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الاعمال ويراد القضاء بالعدل في امر المجازاة عليها ويعبر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقا لظهور العدل ويقوي ذلك ان الرجل اذا لم يكن له قدر ولاقيمة عند غيره يقال ان فلانا لايقيم لفلان وزنا قال تعالى فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا (قوله فيخرج له بطاقة) وهو رقعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن قيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب روى عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الباطل ان يخف (قوله يومئذ خبر المبتدأ) يعني ان قوله تعالى والوزن مبتدأ ويومئذ خبره والحق صفة للوزن اى الوزن الحق اى العدل يوم يسأل الله الامم والرسل اى كائن اومستقر

فى الفوز لما استوجب الذم بترك السجود فى الحال (قوله جواب من حيث المعنى) لا من حيث اللفظ فان جواب ما منعك ان يقال منعنى كذا الا ان ما استأنف به من الاخبار بفضله على آدم بناء على شرف عنصره بالنسبة الى عنصر آدم يفهم منه ما يكون جوابا لما منعك كأنه قال الذى منعنى من السجود هو انى افضل منه لان اصلى و عنصرى نار واصل آدم طين و النار افضل من الطين و شرف الاصول يوجب شرف الفروع وكون الاشرف مأمورا بخدمة الادنى يقبح فى العقول اما كون النار افضل من الطين فلان النار مشرق علوى لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات و الطين مظلم سفلى كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن مجاورة السموات فهذا تقرير شبهة ابليس فى امتناعه عن امتثال امر الله تعالى ونقول فى الجواب ان الخبيث ظن ان النار افضل من الطين مطلقا ولم يعلم ان الفضل لما فضله الله و قد فضل الطين على النار من وجوه منها ان جوهر الطين يقتضى الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعى لآدم بعد السعادة التى سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الله الاجتباء والتوبة و الهداية وجوهر النار يقتضى الخفة و الطيش والحدة و الارتفاع و هو الداعى لابليس بعد الشقاوة التى سبقت له الى الاستكبار و الاصرار فاورثه الله اللعنة و الشقاوة ولان التراب سبب حياة الاشجار والنباتات والنار سبب هلاكها ولان التراب يكون فيه ومنه ارزاق الحيوان واقواتهم ولباس العباد و زينتهم وآلات معاشهم و مساكنهم والنار لا يكون فيها شئ من ذلك وايضا النار وان حصل فيها بعض المنفعة فالشر كامن فيها واما التراب فالخير والبركة كامن فيه كلما قلب ظهرت بركته وخيره فاين احدهما من الآخر وايضا فالله تعالى اكثر ذكر الارض فى كتابه الكريم و ذكر منافعها من جعلها مهادا و فراشا و بساطا وقرارا وكفاتا للاحياء والاموات ودعا عباده الى التذكر بها والنظر فى عجائب ما اودع فيها ولم يذكر النار الا فى معرض العقوبة والتخويف والعذاب الا فى موضعين ذكرها بانها تذكرة لنار الآخرة ومتاع للمقوين اى المسافرين النازلين فى القواء وهى الارض الخالية اذا نزل المسافر فيها تمتع بالنار فى منزله فاين هذا من اوصاف الارض التى اودع الله فيها من المنافع والمعادن والانهار والثمرات والحبوب والاقوات واصناف الحيوان والنبات ما لم يودع فى النار شيأ منها واما قوله من كانت مادته افضل فهو افضل فالجواب عنه ان فضيلة الاصل والمادة لا تستلزم فضيلة الفرع والصورة لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء لا تستتبعها فضيلة الاصل والمادة وانما الفضيلة لمن فضله الله

جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قيل المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا (خلقتنى من نار وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطه وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية

تعالى الا ترى انه يخرج الحى من الميت والجاهل من العالم والكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة كما فى الزناد والظلمة من النور فدل ذلك على ان الفضيلة لا تحصل الا بفضل الله تعالى وتفضيله لا بسبب فضيلة الاصل والجوهر والفضيلة لمن اطاع ربه ولو كان عبدا حبشيا والخسة والحقارة لمن عصى ربه ولو كان شريفا قرشيا ومناط شبهته على تحسين العقل وتقبيحه ولا عبرة به عند المحققين روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال من قاس الدين بشئ من رأى قرنه الله مع ابليس (قوله وهو ملاكه) اى ما يكون من الفضل باعتبار الغاية كاختصاص آدم وتميزه بشرف العلم هو الذى يقوم به الفضل ويبنى عليه وملاك الامر وقوامه ما يقوم به الامر (قوله والآية دليل الكون والفساد) اى على تكون المواليد الثلاثة من العناصر والفساد اليها لاخفاء فى دلالة الآية على ان مادة خلقة آدم هى التراب ومادة خلقة ابليس هى النار الا ان دلالتها على كون العناصر الاربعة مادة تكون الانسان بل مادة تكون جميع المواليد الثلاثة على الوجه الذى يدعيه ارباب الفلسفة محل بحث فان الظاهر ان الآية لا دلالة لها عليه والمصنف ايضا لا يجزم بذلك كما يدل عليه عبارة لعل فى قوله ولعل اضافة خلق الانسان الخ (قوله من السماء او الجنة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله تعالى فاهبط منها يريد من الجنة وكان من سكان الجنة وكانوا فى جنة عدن لا فى جنة الخلد وفيها خلق آدم وقيل معناه انزل من السماء لما روى انه وسوس اليهما وهو فى السماء فانها مكان المتواضعين فأخرجه الله تعالى من السماء الى جزائر البحر وعرشه فى البحر الاخضر فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق وقيل ضمير منها يرجع الى الصورة التى كان عليها لانه كان مشرق اللون ذا هيئة حسنة ومنظر بهى ووجه مليح فمسخ الى صورة قبيحة مظلمة (قوله ممن اهانه الله لكبره) فانه لما استكبر باباءه السجود واعلمه الله تعالى انه صاغر بذلك اراد الخبيث ان يمهله الله تعالى الى ان يبعث بنوا آدم من قبورهم كيلا يذوق الموت لانه لا موت بعد ذلك فلم يجب اليه بل أنظره الله تعالى الى النفخة الاولى حتى يموت الخلق كلهم فيموت مع من يموت لانه تعالى بين مدة المهلة فى موضع آخر وان لم يبينها فى هذه السورة حيث قال هنالك انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى وهو اليوم الذى يموت فيه الاحياء كلهم ويحتمل ان يكون مراد الخبيث بقوله انظرنى أخر عقوبتى الى يوم الجزاء ولا تؤاخذنى قبل يوم القيامة لا ان يبقيه الى يوم البعث وان لا يميته اصلا (قوله يقتضى الاجابة الى ما سأله) وان لا يميته اصلا بأن يبقيه

وهو ملاكه والذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء او الجنة (فما يكون لك) فما يصح (ان تتكبر فيها) فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق بأهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن اهانه الله لكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) امهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى اولا تعجل عقوبتى (قال انك من المنظرين) يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى اووقت يعلمه الله

حيا الى يوم البعث هذا على تقدير ان يكون مراد الخبيث الاحتمال الاول واما على الاحتمال الثانى فالظاهر انه تعالى اجاب الى ماسأله حيث أخر عقوبته الى يوم البعث (قوله انتهاء اجله فيه) بدل اشتمال من ضمير بعلمه (قوله بعد ان امهلتنى) مستفاد من الفاء و قوله لأجتهدن مستفاد من قوله لأقعدن فان مراد الخبيث به الاخبار بانه يجتهد و يواظب على اغوآء بنى آدم واضلالهم من غير فتور وتوان فى ذلك فان من اراد أن يبالغ فى تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مراده ويتوجه بكليته الى تحصيل مقصوده والاغوآء ايقاع الغى فى القلب والغى هو الاعتقاد الباطل والباء سببية وما مصدرية اى فبسبب اغوائك اياى بواسطتهم اسعى واجتهد فى اغوآئهم واضلالهم حسب طاقتى و مقدرتى حتى يفسدوا بسببى كما فسدت بسببهم لما رأى غواية نفسه بسببهم عزم على الاجتهاد فى اغوآئهم كما قال ودوالو تكفرون كما كفروا فتكونون سوآء (قوله فان اللام تصد عنه) اى تمنع عن ان يتعلق ماقبلها بما بعدها فان لام جواب القسم لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام فلا يتقدم معمول ما بعدها عليها فلا يقال والله زيدا لأضربن فهى متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتنى اقسم بالله لأقعدن اى فبسبب اغوائك اقسم وهمزة أغويتنى للصيرورة ومعناه صيرتنى غاويا وهذا التصيير اما من جهة التسمية بأن يكون اغوآء الله تعالى عبارة عن تسميته اياه غاويا ضالا اومن جهة حمله اياه على الغى بأن يخلق فيه الغى والجهل والاسناد على هذا التقدير حقيقى او من جهة انه تعالى كلفه بما غوى ابليس بسببه فانه تعالى لما أمره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر غيه وكفر فذلك الغى وان كان فعل الشيطان الا انه اسند اليه تعالى لكونه سببا له (قوله وقيل الباء للقسم) ولا يقسم الا بما هو عظيم الشأن جليل القدر والاغوآء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صح ان يقسم به كأنه قيل بقدرتك ونفاذ سلطانك فى لاقعدن لهم على الطريق المستقيم الذى يسلكونه الى الجنة بأن ازين لهم الباطل ومايكسبونه من المآثم ويدل على كونها قسمية قوله تعالى فى سورة ص فبعزتك لأغوينهم (قوله ونصبه على الظرف) والتقدير لأقعدن لهم فى صراطك الا ان الصراط ظرف مكان محدود فلا يصل اليه الفعل بنفسه بل لابد من فى تقول صليت فى المسجد وجلست فى الطريق ولا يقال صليت المسجد والبيت الذى استشهد به قد عده النحاة من ضرورات الشعر واول البيت

لدن بهز الكف يعسل متنه ❊ فيه كما عسل الطريق الثعلب

اى كما عسل الثعلب فى الطريق واللدن الرمح يصف رمحا باللين يقال عسل الرمح

انتهاء أجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما أغويتنى) اى بعد أن امهلتنى لاجتهدن فى اغوآئهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية وحملا على الغى اوتكليفا اغويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لاقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم (لأقعدن لهم) ترصدالهم كما يقعد القاطع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب ❊ وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم)

اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لايعلمون ولايقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولاتجد اكثرهم شاكرين)

اى اهتز واضطرب وعسل الذئب اسرع والضمير فى فيه للكف او للمتن وقوله كما عسل الطريق اى فى الطريق وقيل صراطك منصوب على اسقاط الخافض وهو على كقولك ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن (قوله اى من جميع الجهات الاربع) يعنى ان الشيطان اقتصر على ذكر هذه الجهات الاربع ومقصوده بيان انه مبالغ فى القاء الوسوسة غير مقتصر فى وجه من الوجوه الممكنة عبر عن مبالغته واجتهاده فى القاء الوسوسة بالاتيان من الجوانب الاربعة تشبيها لها باتيان العدو من هذه الجهات فان العدو اذا كان قويا شجيعا يأتى قرنه من جهة امامه فيبارزه عيانا وجهارا واذا كان مكارا يراقب غرة خصمه وغفلته يأتيه من جهة خلفه فيغتاله فجأة وخص هاتان الجهتان بكلمة من الابتدائية لانهما اغلب ما يجيئ العدو منهما فينال فرصته فصارتا كأنهما هما المأتى لاغير وخصت الجهتان الاخريان بكلمة عن الدالة على المجاوزة اشعارا بأن من اتى خصمه من جهة اليمين او الشمال فهو مجاوز عن المأتى الغالب لمجيئ العدو فان العدو قد يأتى منهما لامر دعاه الى الاتيان منهما وان لم يكونا مأتى اصليا وقدمت الايمان على الشمائل لكون جهة اليمين اقوى من جهة الشمال من حيث ان البطش والدفع انما يكون باليمين دون الشمال فمن يأتى من جهة اليمين اشجع واقدر ممن يجيئ من جهة الشمال والايمان والشمائل جمعا يمين وشمال وهما الجارحتان (قوله ولذلك) اى ولكون اتيانه من هذه الجهات استعارة تمثيلية لاجتهاده فى اضلال بنى آدم باى طريق يمكنه لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم اذ ليس فى جانب المشبه به الاتيان من هاتين الجهتين روى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فاوحى الله تعالى اليهم انه بقى للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى الفوق فى الدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة (قوله من قبل الآخرة) بأن يشكك فى امر الآخرة بأن يقول لابعث ولاحساب ولاجنة ولانار ومن قبل الدنيا بأن يزينها فى قلوبهم ويرغبهم فيها ليشتغلوا بها عما يسعدهم فى الآخرة فان الدنيا بين يدى الانسان فهو يشاهدها والآخرة تأتى بعد ذلك فهو يشغلهم بلذات الدنيا وطيباتها ويوقعهم فى الغفلة عن الآخرة وسعادتها والايمان كناية عن الحسنات التى هى اشرف حالى الانسان كالايمان التى هى اشرف طرفيه ومعنى الاتيان من جانب الحسنات ان يثبطهم عنها ويفتر سعيهم فى تحصيلها وينفرهم منها

والشمائل كناية عن السيئات التي هي اخس الحالتين كما ان الشمال اخس الطرفين والمراد من الاتيان من جهة السيئات ان يزينها لهم ويدعوهم اليها روى عن الاصمعي انه قال يقال هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة واذا كان بمنزلة دنيئة يقال هو عندنا بالشمال (قوله وانما قاله ظنا) جواب عما يقال من ان قول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبار عن الغيب فكيف عرف ابليس ذلك وتقرير الجواب ان ابليس لم يقل ذلك على علم ويقين حتى يقال انه كيف علم ذلك وانما قاله على سبيل الظن وبناء الامر على الامارة الدالة عليه فانه قد كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الخطيئات وقد علم ان طبع الانسان يميل اليها ويرغب فيها فغلب على ظنه انهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه ويقبلون قوله فيه فقال ذلك بناء على ظنه ولاسيما انه قد علم ان للنفس الانسانية تسع عشرة قوة كلها تدعو النفس الى اللذات الجسمانية والطيبات الشهوانية خمس منها هي الحواس الظاهرة وخمس اخرى هي الحواس الباطنة واثنتان منها قوتا الشهوة والغضب فقوة الشهوة موضوعة في الكبد وقوة الغضب موضوعة في البطن الايسر من القلب والقوى السبع منها هي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ومجموعها تسع عشرة وهي بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وترغبها في طلب اللذات البدنية والتي تدعو النفس الى عبادة الله تعالى والسعادة الروحانية هي قوة واحدة وهي قوة العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اقوى واكمل من استيلاء قوة واحدة ومن علم ان الامر كذلك يغلب على ظنه ان اكثر بني آدم يكونون طالبين لهذه اللذات الجسمانية معرضين عن معرفة الحق ومحبته وطلب مرضاته فلذا قال ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين وهذا مراد المصنف بقوله لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدد او مبدأ الخير واحدا وهو بيان سبب ظنه (قوله وقيل سمعه من الملائكة) اي الذين رأوا ذلك الحكم مكتوبا في اللوح المحفوظ او الملائكة الذين اخبرهم الله تعالى بذلك فقال ذلك على سبيل القطع واليقين (قوله مذؤوما مذموما) يعني ان الذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو اشد العيب والذأم العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤوم اذا عابه وحقره مثل سأله يسأله والذام العيب يقال منه ذامه يذيمه ذيما وذاما مثل باعه يبيعه بيعا فهو مذيم ومذوم مثل مكيل ومكيول بمعنى مذؤوم ومذموم قرأ الجمهور مذؤوما مدحورا بالهمزة على انهما حالان من فاعل اخرج عند من يجوز تعدد الحال لذي حال واحدة ومن لا يجوز ذلك فمدحورا عنده صفة لمذؤوما او هي حال من الضمير في الحال قبلها فتكون الحالان متداخلتين وقرئ مذوما بواو واحدة من دون

قطعيين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤوما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه

(لأملأن جهنم منكم اجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر
لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم فغلب المخاطب ﴿ ١٥٥ ﴾ (ويا آدم) اى وقلنا يا آدم (اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة) وقرئ هذى
وهو الاصل لتصغيره
على ذيا والهاء بدل
من الياء (فتكونا
من الظالمين) فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم
وتكونا تحتمل الجزم
على العطف والنصب
على الجواب (فوسوس
لهما الشيطان)
اى فعل الوسوسة
لاجلهما وهى فى الاصل
الصوت الخفى كالهينمة
والخشخشة ومنه
وسوس الحلى وقد سبق
فى سورة البقرة كيفية
وسوسته (ليبدى
لهما) ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا
بوسوسته ان يسوءهما
بانكشاف عورتهما
ولذلك عبر عنها بالسوءة
وفيه دليل على ان كشف
العورة فى الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح
مستهجن فى الطباع (ما ووري
عنهما من سوآتهما) ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا)

همز وهى تحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله مذؤوما على وزن مسئولا
فخففت همزته بأن القيت حركتها على الذال الساكنة قبلها وحذفت الهمزة
تخفيفا فصار مذوما مثل مسولا فى مسئولا وثانيهما ان يكون اسم مفعول من ذامه
يذيمه كباعه يبيعه وكان حقه ان يقال مذيم كبيع الا انه ابدلت الواو من الياء
كما قالوا مكول فى مكيل مع انه من الكيل والدحر الطرد والابعاد يقال دحره
يدحره دحرا ودحورا فقوله مدحورا اى مطرودا من الجنة ومن كل خير (قوله
على انه خبر لأملأن) اى خبر للوعيد الذى دل عليه بقوله لأملأن فان نفس
لأملأن لكونه جواب قسم محذوف يمتنع ان يكون مبتدأ مرفوع المحل فان
لمن تبعك اذا قرئ بكسر اللام يكون خبر امقدما لمبتدأ محذوف والتقدير لمن
تبعك منهم هذا الوعيد ودل على قوله هذا الوعيد قوله لأملأن جهنم لان
هذا القسم وجوابه وعيد فلما كانت الجملة القسمية بتمامها اى القسم مع جوابه
دليلا على المبتدأ المحذوف وسادا مسده نسب الى الدليل ما حقه ان يسند الى
المدلول فقال خبر لأملأن اعتمادا على فهم السامع (قوله او علة لاخرج)
كأنه قيل اخرج منها ملتبسا بها تين الصفتين والآية بعمومها
تدل على ان جميع اهل البدع والضلالات يدخلون جهنم الا من غفر الله
تعالى له وعفا عنه لدخولهم فى عموم من تبع ابليس (قوله واللام للعاقبة
لا للغرض) لان الخبيث لم يرد بوسوسته ظهور عورتهما وانما اراد بها ان يوقعهما
فى المعصية وان يسقطهما عما هما فيه من الكرامة والنعمة الا ان عاقبة تلك
الوسوسة لما ادت الى ظهور عورتهما كان ظهورها شبيها بالغرض فادخل
عليه لام العلة ويحتمل ان يكون لام الغرض بناء على انه رأى فى اللوح المحفوظ
اوسمع من بعض الملائكة انه اذا اكل من الشجرة بدت عورته وسقطت حرمته
وجاهه فوسوس اليه ليوقعه فى المعصية وليحصل له هذا الغرض ايضا وقوله
ان يسوءهما اى يحزنهما مضارع ساءه نقيض سره والحزن خلاف السرور وقوله
ولذلك اى ولكون انكشافها سبب المساءة والحزن عبر عنها بالسوءة للمبالغة
فى سببيتها للحزن وما فى قوله تعالى ما ووري موصولة بمعنى الذى فى محل النصب
على انها مفعول قوله ليبدى اى ليظهر الذى ستر عنهما وقوله ووري بواوين
صريحتين فعل ماض مجهول وارى فلما بنى للمفعول قلبت الف فاعل واوا لضمة

ماقبلها كما فى قوتل فاجتمع واوان الاولى فاء الفعل والثانية مبدلة من الف فاعل
واذا اجتمعت واوان فى اوله الكلمة وتحركت الثانية وجب ابدال الاولى همزة
للتخفيف نحواو يصل تصغير واصل وأواصل جمع مكسر واصل وان لم تحرك الثانية
جاز الابدال والابقاء على حالها كما فى هذه الآية وقد قرأ عبد الله اررى بابدال
الاولى همزة وقرآءة الجمهور ابقاء الواوين على حالهما وقرأ الجمهور سوءآتهما
بالجمع من غير نقل ولا ادغام والظاهر انه من وضع الجمع موضع التثنية
كراهة اجتماع تثنيتين كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقرئ سوآتهما بلفظ
الجمع ايضا الا انه نقل حركة الهمزة الى الواو قبلها ثم حذفت للتخفيف (قوله
الا كراهية ان تكونا) اشارة الى انه استثناء مفرغ من اعم المفعول له اى ما نهاكما
لامر ما الا كراهة ان تكونا ملكين بتقدير المضاف عند البصريين وقدره
الكوفيون الا ان لا تكونا وأوهمهما الخبيث بهذا الكلام انكما ان اكلتما منها
تكونان بمنزلة الملائكة او تكونان من الخالدين فرغبهما فى اكلها طمعا لحصول
احد الامرين لهما وقيل او هنا بمعنى الواو لان الترغيب فى مجموع الامرين
ادخل فى حصول غرض الخبيث من الوسوسة (قوله واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء) ووجه الاستدلال ان الملائكة لو لم تكن افضل من البشر
عندهما لما ارتكبا المنهى ليكتسبا تلك المرتبة واجيب عنه بأن رغبتهما فى الاكل
ليس لان يكونا ملكين حقيقة لان استحالة انقلاب الحقائق مركوزة فى العقول
فلا يتم الاستدلال بل انما كان رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة
من الكمالات المختصة بهم كلطافة البنية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة ونحوهما
كالقدرة والقوة وكونهما من سكان العرش والكرسى وفضل الملائكة من بعض
الوجوه لا يدل على فضلهم مطلقا لجواز ان يكون لنوع البشر فضائل اخر
راجحة على ما للملك فان قيل كيف طمع آدم فيما للملائكة مع انه شاهد الملائكة
متواضعين ساجدين له معترفين بفضله اجيب بانه يحتمل ان يكون الملائكة الساجدون له
ملائكة الارض فقط فطمع آدم عليه الصلاة والسلام فى ان يكون من ملائكة السموات
وسكان العرش والكرسى والملائكة المقربين وعلى تقدير ان يكون الساجدون له
جميع الملائكة يجوز ان يختصوا بفضائل ليست لآدم فرغب فى ان يكون له ايضا
تلك الفضائل وقيل ان آدم عليه الصلاة والسلام علم ان الملائكة لا يموتون الى
يوم القيامة ولم يعلم ذلك لنفسه فرغب فى ان يكون له من الخلود ما كان للملائكة
(قوله اقسم لهما) يعنى ان القسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن
اقسامه بزنة المفاعلة للدلالة على انه اجتهد فى القسم اجتهاد المقاسم المغالب
فيه (قوله وقيل اقسما له بالقبول) اى كما اقسم هو لهما انه لمن الناصحين فزنة

الا كراهة ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين)
من الذين لا يموتون
او يخلدون فى الجنة
واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم
ان الحقائق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما
فى ان يحصل لهما ايضا
ما للملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن
الاطعمة والاشربة وذلك
لا يدل على فضلهم مطلقا
وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين) اى اقسم
لهما على ذلك واخرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول

وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين ﴿ ١٥٧ ﴾ فأقسم لهما الى جعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا (وطفقا يخصفان) اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)

المفاعلة على بابها (قوله وقيل اقسما عليه) اى حلفاه على ان يقسم بالله انه لمن الناصحين بأن قالا له أتقسم بالله على انك من الناصحين فأقسم لهما بالله فخدعهما بذلك فان اللائق بحال المؤمن ان يخدع باليمين بالله تعالى لتمكن عظمة اسم الله تعالى فى قلبه فظاهر صيغة المقاسمة وان اقتضى تحقق الفعل من الجانبين والمحقق من احد الفاعلين ههنا نفس اليمين ومن الآخر الحمل عليها الا ان ذلك جعل مقاسمة على التغليب والنصح بذل المجهود فى طلب الخير خاصة وضده الغش مأخوذ من نصحه بمعنى اخلص له الود ومنه ناصح العسل اى خالصه (قوله اهبطهما بذلك من درجة عالية) وهى درجة الطاعة والانتهاء عما نهيا عنه الى رتبة سافلة وهى حالة المعصية بارتكاب المنهى فالتدلية ههنا معنوية لا حسية (قوله بما غرهما به من القسم) على ان الباء سببية والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله والتقدير بسبب غروره اياهما باليمين بالله كاذبا فكان ابليس اول من حلف بالله كاذبا وتعين ان سبب غروره اياهما هو القسم مستفاد من سياق الكلام لا من لفظ بغرور (قوله او ملتبسين بغرور) على ان الجار والمجرور حال من مفعول دلاهما (قوله اى يخصفان انفسهما) يعنى ان يخصفان متعد الى مفعول واحد وهو شيأ من ورق الجنة فلما نقل الى باب الافعال تعدى الى مفعولين اى يجعلان انفسهما خاصفتين عليهما من ورق الجنة وفى الآية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقولهما من قبح كشف العورة قيل الاولى ان يكون ضمير عليهما راجعا الى سوآتهما لانه من قبيل فقد صغت قلوبكما فى ان عبر عن المثنى بلفظ الجمع لعدم التباس المراد فجاز ان يرجع اليه ضمير التثنية ولا يجوز ان يرجع الى آدم وحواء لان ضمير عليهما فى محل النصب على انه مفعول يخصفان وقد تقرر فى النحو انه لا يجوز ان يكون ضميرا الفاعل والمفعول عبارتين عن شيء واحد فى غير افعال القلوب فان ضمير يخصفان عبارة عن آدم وحواء فلو كان ضمير عليهما ايضا عبارة عنهما لزم ان يحمل الكلام على ما لم يجوزه النحاة الا ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويكون التقدير يخصفان على بدنهما قيل كان لباس الجنة كالظفر فى اشد اللطافة واللين والبياض فلما اصاب آدم الخطيئة نزع ذلك عن بدنه وابقى منه الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر الى البدن (قوله وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم) فان قيل لا نسلم ان النهى فى قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة مطلق بل هو مقرون بما يدل على التحريم وهو قوله فتكونا من الظالمين والجواب ان الدليل على ما ذكره هو قوله تعالى

دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر ﴿١٥٨﴾ الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال اى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار وموضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم ﴿التقوى﴾ فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب

ألم أنهكما حيث رتب العتاب على مخالفة النهى مطلقا ولم اقل لكما لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (قوله دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر) لا نزاع فى ان ما لم يغفر من الذنب يعاقب عليه وانما النزاع فى ان الصغائر هل يجب ان تغفر اذا اجتنبت الكبائر اولا فالظاهر ان يطرح قوله ان لم تغفر وذنب آدم عليه الصلاة والسلام مع كونه صغيرة فانما صدر عنه قبل النبوة لان النبوة انما تكون للدعوة الى الحق ولا تتصور الدعوة قبل تحقق الامة وقد كثر حذف حرف النداء فى نداء الرب تعالى تعظيما له وتنزيها عما لا يليق بشأنه فان صورة النداء صريح فى الدلالة على معنى الامر والدعوة فان قولك يا زيد معناه تعال يا زيد او ادعوك يا زيد فحذف حرف النداء احترازا عن صورة الامر والدعوة فانه لما وسوس اليهما بقوله ما نهاكما الى آخره لم يقبلا منه عدل الى اليمين على ما قاله فلم يصدقاه ايضا فعدل بعد ذلك الى شئ آخر فكأنه تعالى اشار اليه بقوله فدلاهما بغرور وهو انه شغلهما باستيفاء اللذات حتى صارا مستغرقين فيها فنسيا النهى كما قال تعالى فنسى ولم نجد له عزما واما العتاب فلترك التحفظ عن اسباب النسيان وقوله وان لم تغفر لنا شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه فان القسم مقدر قبل حرف الشرط ولام التوطئة ونظيره قوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن (قوله اى خلقناه لكم) ضمن الانزال معنى الخلق كأنه قيل خلقنا لكم نازلا من السماء فان جميع ذلك انما يحدث بتدبيرات سماوية من حيث انه قضى وكتب فيها وان جميعها مطابق للقضاء الازلى والتقدير الالهى الواقع فى السماء فصار بذلك كأنه نازل من السماء وايضا جميع ما فى الارض انما يكون بالاسباب النازلة من السماء فصار ذلك كأنه نازل منها فلذلك عبر عن انزال اسبابه بانزال نفسه ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها ذكرت استطرادا لذكر ظهور سوآتهما والتجائهما الى خصف ورق الجنة عليها اظهارا للمنة فى خلق ما يسترون به عوراتهم التى انكشافها فى غاية القباحة ويوجب اقصى المذلة والمهانة (قوله ولباسا تتجملون به) فى الصحاح الريش والرياش بمعنى وهو اللباس الفاخر على مثال الحرم والحرام واللبس واللباس ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله انتهى فاللباس ما يلبس ليوارى العورة والريش ما يتجمل به من الثياب (قوله خشية الله) يعنى المفسرين اختلفوا فى لباس

التقوى فمنهم من حمله على المعنى المجازى ثم ان هذه الطائفة اختلفت فقال بعضهم لباس التقوى هو خشية الله وقيل هو الحياء وقيل هو الايمان وقيل هو السمت الحسن بناء على ان اللباس الذى يفيد التقوى ليس الا هذه الاشياء واللباس بأحد هذه المعانى اضيف الى التقوى للابسته لها من حيث كونه مفيدا لها اوناشئا منها ومنهم من حمله على معناه الحقيقى وهو لباس الحرب كالدرع والمغفر فانه يتقى به عن ضرر العدو وما يلبس اتقاء عن انكشاف العورة بين يدى الله تعالى ولما بين احسانه الينا اولا بانزال مايوارى العورة من اللباس وثانيا بانزال لباس التجمل ثم فضل اللباس الاول على الثانى بناء على انه وسيلة الى اقامة الفرض والثانى الى اقامة الامر المندوب وهو التزين عند حضور مواضع العبادات تعظيما لها ولاشك ان ما يكون وسيلة الى اقامة الفرض خير بالنسبة الى مايكون وسيلة الى اقامة المندوب صرح بخيريته رد الى زعم ان التعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت خير من الطواف كاسيا ومن قرأ ولباس التقوى مرفوعا جعله مبتدأ وجعل ذلك مبتدأ ثانيا وجعل خير خبر الثانى وجعل المبتدأ الثانى مع خبره خبر الاول ويكون الرابط اسم الاشارة لان النحاة اتفقوا على صحة كونه رابطة (قوله اوخير) عطف على قوله ذلك خير اى ويجوز ان يكون اسم الاشارة صفة للمضاف الى المعرف باللام وقد تقرر ان حق الموصوف ان يكون اخص من الصفة اومساويا لها بناء على انه المقصود بالنسبة ولا يجوز ان يكون المقصود اقل رتبة من غير المقصود واسم الاشارة اخص من المعرف باللام فبالاولى ان يكون اخص من المضاف الى المعرف باللام فكيف يكون صفة له اشار الى الجواب عنه بقوله كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه وتقريره ان اسم الاشارة ههنا فى تأويل المشار اليه اوالمذكور فجاز ان يقع صفة للمضاف الى المعرف باللام (قوله لايمحننكم) اى لا يوقعنكم فى المحنة والبلاء فانه لما بلغ بكيده الى ان قدر على ايقاع آدم فى الزلة المؤدية الى اخراجه من الجنة فبأن يقدر على امثال هذه المضار فى حق بنى آدم اولى فوجب عليهم ان يحترزوا عن قبول وسوسته (قوله تعالى كما اخرج) صفة مصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم وتأكيد الضمير المرفوع المتصل بهو فى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله ليس لصحة العطف اوجود الفصل بين المعطوفين بدون التأكيد فمجرد الفصل كاف فى صحة العطف فلا حاجة الى التأكيد فليس الآية نظير قوله تعالى اسكن انت وزوجك والقبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من جماعة شتى وطوائف مختلفة مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل قال تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا والقبيلة جماعة من اب واحد فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة

ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) اوخبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته اويتعظون فيتورعون عن القبائح (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لايمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بأن اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم اومن فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب

وقبيل الشيطان اصحابه وجنده (قوله تعالى من حيث لاترونهم) من فيه لابتدآء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم فى محل الجر باضافة حيث اليه والعدو الذى يراك ولاتراه شديد لايتخلص منه الا من عصمه الله قال ذوالنون ان كان هو يراك من حيث لاتراه فان الله يراه من حيث لايرى فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا ولم نكلف محاربة اعيانهم حتى يكون عدم رؤيتنا اياهم مانعا من محاربتهم بل انما كلفنا دفع وسوستهم بما علمنا الله تعالى من طريق دفعها قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون (قوله ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم فى الجملة الخ) اى فى بعض احوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الاصلية وهو جواب عما يقال من انه تعالى كيف قال من حيث لاترونهم مع ان حديث رؤية بعض الناس الجن مما يكاد يكون متواترا ومنه ماذكر فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وقوله عليه الصلاة والسلام اولئك جن نصيبين حين قال ابن مسعود رأيت رجالا كذا وكذا (قوله بما اوجدنا بينهم من التناسب) اى فى الخذلان والغواية فصار بعضهم قرين بعض فالاولياء جمع ولى ضد العدو ويقال منه تولاه اى اتخذه صديقا وخليلا وقوله او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم فالولى على هذا من ولى الرجل البيع ولاية وكل من ولى امر احد فهو وليه فان الشياطين لما حملوا الكفار على ماسولوا لهم صاروا بمنزلة من يتولى امورهم (قوله فعلة متناهية فى القبح) ليس المراد ان القوم كانوا يسلمون كون تلك الافعال فواحش ثم كانوا يزعمون ان الله تعالى امرهم بها فان ذلك لايقوله عاقل بل المراد ان تلك الاشياء كانت فى انفسها فواحش والقوم كانوا يعتقدون انها طاعات وان الله امرهم بها ولما ثبت كون تلك الافعال قبيحة منكرة ببيان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان الله لايأمر بالفحشاء والامر بهذا القول اشارة الى ان الشئ لما كان موصوفا فى نفسه بكونه من الفحشاء امتنع ان يأمر الله تعالى به وهذا يقتضى ان يكون ذلك الشئ فى نفسه فحشا مع قطع النظر عن تعلق النهى به واشار الى جوابه بقوله ولا دلالة فيه الخ وتقرير الجواب ان القبح يطلق على معنيين الاول كون الشئ قبيحا فى حكم الله تعالى بحيث يترتب عليه الذم آجلا والثانى كراهة الطباع السليمة وعدم الملاءمة للعقول المستقيمة ولا نزاع بيننا وبينكم فى القبح بالمعنى الثانى وانما النزاع فى القبح بالمعنى الاول والقبح بهذا المعنى يثبت بحكم العقل عند المعتزلة وعندنا لايثبت الا بالشرع ولا دلالة فى الآية على كونه عقليا سوآء ورد الشرع ام لا (قوله لظهور فساده) فان التقليد لو كان طريقا للعلم للزم حقية

﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ﴾ تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم فى الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا ﴿ انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لايؤمنون ﴾ بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية ﴿ واذا فعلوا فاحشة ﴾ فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ﴾ اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافترآء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله ﴿ قل ان الله لايأمر بالفحشاء ﴾ لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولادلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم

وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم
فقيل ومن اين اخذ آباؤكم ﴿ ١٦١ ﴾ فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا (أتقولون على الله مالا تعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافترآء على الله (قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (وأقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او أقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم (كما بدأكم) كما انشأكم ابتدآء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فأخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابتدآء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم الايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله)

الاديان والمذاهب المتناقضة المبنية على تقليد الاسلاف (قوله وقيل هما جوابا سؤالين) اى ليس كل واحد منهما جوابا واحتجاجا على صحة ارتكاب آبائهم اياها بل الاول احتجاج عليه والثانى احتجاج على صحة ارتكاب آبائهم اياها جعل الله تعالى قولهم والله امرنا بها حكما بما لايعلمون لانتفاء طريق علمهم بذلك لان طريق العلم بذلك منحصر فى امرين احدهما ان يسمعوا من الله تعالى ابتدآء من غير توسط رسول يبلغهم انه تعالى امرهم بذلك وثانيهما ان يعرفوا ذلك بواسطة الانبياء واصحاب الوحى الالهى وكل واحد من الامرين منتف فى حقهم اما انتفاء الاول فظاهر واما انتفاء الثانى فلانهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فان هذه المناظرة مع كفار قريش وهم كانوا منكرين لاصل النبوة واذا كان كذلك فلا طريق لهم الى العلم باحكام الله تعالى فكان قولهم والله امرنا بها قولا على الله بما لايعلمون وانه باطل (قوله تعالى واقيموا وجوهكم) ليس عطفا على قوله امر ربى والالزم عطف الانشاء على الاخبار بل هو معطوف على امر بتقدير قل اى وقل اقيموا والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل فكأنه قيل فى وقت كل صلاة او فى مكان كل صلاة (قوله وتوجهوا الى عبادته) كون اقامة الوجه عبارة عن التوجه بالاستقامة ظاهر واما كون المتوجه اليه هو العبادة فهو مستفاد من قوله عند كل مسجد لان التوجه بالاستقامة فى كل وقت صلاة او مكانها لايسبق الى الفهم منه بهذه العبارة سوى التوجه الى الصلاة وما يتوقف ادآؤها عليه واللفظ الجامع لها هو لفظ العبادة وقوله غير عادلين اى عن العبادة مستفاد من الاقامة ثم جوز ان يكون المراد بالتوجه اليه بالاستقامة هو القبلة والكعبة لان الذهن ينتقل من تلك العبارة الى هذا المعنى ايضا (قوله كما انشأكم ابتداء) فانه تعالى خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون احياء يوم القيامة احتج عليهم فى انكارهم البعث والاعادة بابتدآء الخلق اى ليس بعثكم باشد من ابتدآء خلقكم كما قال تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم وبدأ بالهمزة بمعنى انشأ واخترع (قوله وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم) روى عن ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا فمن خلقه فى اول الامر للشقاوة استعمله بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته الشقاوة فيبعث على مامات عليه ومن خلقه للسعادة استعمله بعمل اهل

السعادة وكانت عاقبته السعادة فيموت على مامات عليه اى ومن ابتدأ الله تعالى خلقه على الشقاوة صار اليها وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل عمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاوة كسحرة فرعون فانهم كانوا يعملون عمل الاشقياء فصاروا سعداء فى آخر اعمارهم روى سهل بن سعد انه عليه الصلاة والسلام قال ان العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانه ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كالتفسير لقوله كما بدأكم وفريقا الاول منصوب بهدى بعده وفريقا الثانى منصوب بفعل مضمر يفسره قوله حق عليهم الضلالة من حيث المعنى وتقديره واضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو احسن من تقديره وخذل لما فيه من ايهام الميل الى الاعتزال ولكونه اوفق لقوله حق عليهم الضلالة (قوله تعليل لخذلانهم) ويؤيد كونه للتعليل قراءة من قرأ انهم بفتح الهمزة وهى نص فى التعليل اى حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم مادعوا اليه بدون التأمل والتمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتداء الا انه تعالى يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى فى حصوله والمصنف لما قدر فعل الخذلان عاملا فى فريقا الثانى تحقق هنا امران ضلالة القوم وخذلان الله تعالى اياهم المؤدى الى ضلالهم فاتجه له ان يجعل قوله تعالى اتخذوا الى آخره تعليلا وتحقيقا لكل واحد منهما (قوله سواء فى استحقاق الذم) من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذى يظن انه فى دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله فى حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى صحة الدين بل لابد فيه من الجزم والقطع لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك (قوله ثيابكم لمواراة عوراتكم) الزينة وان كانت اسما لما يتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التى تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فأمرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه اوكله ❊ ومابدا منه فلا احله ❊

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب

تعليل لخذلانهم او تحقيق ضلالهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الاقوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولا تسرفوا)

بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشرة عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان ﴿١٦٣﴾ سرف ومخيلة وقال على ابن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولاتسرفوا (انه لايحب المسرفين) اى لايرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ما تزايد قبحه وقيل ماتعلق بالفروج (ماظهر منها وما بطن) جهرها وسرها (والاثم) وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق)

كما تعرينا عن الثياب فنزلت قال الكلبى الزينة ماوارى العورة عند كل مسجد لطواف اوصلاة وقال طاووس لم يأمرهم بالحرير اوالديباج ولكن كان اهل الجاهلية يطوف احدهم بالبيت عريانا فى ذلك نزلت هذه الآية وهذا قول جماعة المفسرين (قوله بتحريم الحلال) كتحريم البحيرة والسائبة وتحريم مااحله الله تعالى فى ايام الحج وقيل الاسراف التعدى فى الاكل والشرب الى الحرام والى مالا يحتاج اليه البدن فى قوامه (قوله مااخطأتك) اى ما جاوزتك (قوله سرف ومخيلة) نشر لقوله كل والبس والمخيلة والخيلاء الكبر (قوله وقال على بن الحسين) حكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على بن الحسين قد جمع الله تعالى الطب كله فى كلمة واحدة من كتابه قال وما هى قال ولاتسرفوا فقال النصرانى ولايؤثر عن نبيكم فى الطب شئ فقال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطب فى خبر واحد قال وماهو قال المعدة بيت الادوآء والحمية رأس كل دوآء وأعط كل بدن ماعودته فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا (قوله وانتصابها على الحال) والمعنى الطيبات كائنة اومستقرة للذين آمنوا فى حال كونها خالصة لهم يوم القيامة فقوله هى مبتدأ وللذين آمنوا خبره فيتعلق بالاستقرار المقدر وفى الحياة الدنيا متعلق بآمنوا وبالاستقرار الذى تعلق به للذين ومتعلق قوله يوم القيامة متعين وهو قوله خالصة لامتعلق له غيرها والمعنى الطيبات وان اشتركت الطائفتان فيها فى الدنيا فهى خالصة للمؤمنين فى الآخرة فان قلت اذا كانت الطيبات مشتركة بين الفريقين فى الدنيا فكيف قيل هى للذين امنوا فى الدنيا وهذه العبارة تؤذن باختصاصها لهم فى الدنيا ايضا والجواب ما اشار اليه المصنف بقوله بالاصالة وتقريره ان المراد بالاختصاص المدلول عليه بقوله للذين آمنوا ليس اختصاص اصل التناول منها لهم بل المراد اختصاص المقصودية بخلقها اصالة وبالذات لهم ثم انه تعالى لما بين ان الذين حرموه ليس بحرام بين بعده انواع المحرمات فقال قل انما حرم ربى الفواحش والفرق بينها و بين الاثم ان الاثم يعم جميع المعصية صغيرة كانت اوكبيرة والفاحشة مختصة بما فحش قبحه من الكبائر او بما يتعلق بالفروج ولما حرم الفواحش اردفها بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم ان التحريم مقصور على الفواحش وروى عن ابن عباس والحسن البصرى انهما قالا الاثم الخمر سميت الخمر اثما لكونها سببا للاثم الكبير لقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ولكنه لواريد بالاسم شرب الخمر فقط

لاشكل الحصر المستفاد من قوله تعالى انما حرم لانه تعالى قد حرم امورا غير ماذكر فى هذه الآية فالحق ابقاء الاثم على عمومه ولذلك ضعف المصنف هذا الوجه بقوله وقيل الخ قيل عليه كيف يراد به الخمر وقد كانت الخمر مباحة حين نزول هذه السورة لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما كان بالمدينة بعد وقعة احد وقد شربها جماعة من الصحابة يوم احد فماتوا شهدآء وهى فى اجوافهم ثم البغى والشرك والافترآء وان كانت داخلة تحت الفاحشة والاثم الا انها خصت بالذكر تنبيها على انها اقبح انواع الذنوب كما فى قوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال (قوله مؤكد له) لان البغى لايكون الا بغير الحق (قوله تهكم بالمشركين) لانه لايجوز ان ينزل برهان أن يشرك به غيره واذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر ذلك تهكما واستهزآء ومعلوم انه لابرهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل لاترى الضب بها ينجحر ❊ واكتفى عن ذكر هذا بما سبق فى آل عمران فى تفسير قوله تعالى اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا (قوله مدة اووقت لنزول العذاب بهم) يعنى ان الاجل هو الوقت المضروب لانقضاء المهلة وفسر الاجل المذكور فى هذه الآية بوجهين الاول ان المراد به مدة العمر فاذا انقطع ذلك الاجل وكمل امتنع وقوع التقديم والتأخير فيه والوجه الثانى ان الله تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين وهو تعالى لايعذبهم الا ان يبلغوا ذلك الوقت الذى يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فاذا جاء ذلك الوقت نزل ذلك العذاب لامحالة وهذا التفسير اوفق لقوله ولكل امة لانه لوكان المراد بالاجل المعنى الاول لكان الظاهر ان يقال ولكل واحد اجل والتفسير الاول اولى من الثانى لانه يقتضى ان يكون لكل امة من الامم وقت معين لنزول عذاب الاستئصال عليهم وليس الامر كذلك لان امتنا ليست كذلك فان قيل ان فسر الاجل بمدة العمر يكون المعنى اذا انتهت مدة عمر الشخص لايتقدم موت ذلك الشخص على مجيء اجله ولامعنى له لان كلمة اذا انما تدخل على مايقع فى المستقبل والجزآء المرتب عليه ثبوتا اوانتفاء يجب ان يكون ثبوته اوانتفاؤه مستقبلا بالنسبة الى تحقق مضمون الشرط والاستقدام متقدم على مجيء الاجل فكيف يترتب عليه فيكون الاخبار به لغوا بلا فائدة لانه اخبار بالضروريات التى لايجهل احد معناها فالجواب ان ماذكرته انما يلزم ان لوكان قوله ولايستقدمون معطوفا على قوله لايستأخرون واقعا فى حيز جزآء اذا وليس ذلك بواجب لجواز ان يكون ولايستقدمون كلاما مستأنفا جيء به للاخبار بانهم لاينقصون اجلهم المضروب لهم بل لابد من استيفائهم اياه كما انهم لايتأخرون عنه اقل زمان فان ساعة منصوب على الظرفية وهى مثل فى قلة الزمان واقل مايستعمل فى الامهال

متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافترآء عليه كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدتهم او حان وقتهم (لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اى لايتأخرون ولايتقدمون اقصر وقت اولايطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم اماياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى)

شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته) فمن تقول على الله مالم يقله او كذب ماقاله ﴿١٦٥﴾ (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا) اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة (في امم قد خلت من قبلكم) اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (في النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة) اى في النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار (قالت اخراهم) دخولا او منزلة وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لا تعلمون) مالكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء

يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقله (قوله شرط ذكره بحرف الشك) يعنى اتيان الرسل شرط جعل اداته كلمة ان المستعملة في الامور التى لا يتحقق وقوعها عند المتكلم وفي علمه فان جميع النحاة صرحوا بانها انما تستعمل في المعانى المحتملة المشكوكة التى لا جزم بوقوعها في اعتقاد المتكلم فلذلك لا تقع في كلام الله تعالى الا على طريق الحكاية او على ضرب من التأويل مثل سوق المعلوم في مقام المشكوك لنكتة تقتضيه بخلاف اذا فان الاصل فيها ان تستعمل فيما يكون وقوعه مجزوما به في اعتقاد المتكلم فالمناسب لهذا المقام ايراد كلمة اذا لكون الاتيان متعينا عند الله تعالى الا انه اورد حرف الشك للتنبيه على ما ذكره واصل اما ان ضمت كلمة ما الى ان الشرطية تأكيدا لما فيها من الدلالة على شرط التعليق والدلالة على زيادة العلم في المعلق عليه فان قولك اما تفعل معناه وجود الفعل بوجه من الوجوه والتزم ان يؤكد فعلها بالنون الثقيلة او الخفيفة لئلا تنحط درجة فعل الشرط عن حرفه ويتعاضدا في الدلالة على ارادة التأكيد لما بين الله تعالى احوال التكاليف وان لكل احد اجلا معينا بين ان من اتقى الله وخافه بأن اطاع رسوله الذى يقص آياته اى يبين فرائضه واحكامه التى شرعها لعباده او يتلو عليهم القرآن والاحاديث التى هى ايضا من آيات الله تعالى فلا خوف عليهم ولا حزن اذا خاف الناس وحزنوا اى لا يخافون مما يلحق العصاة في المستقبل ولا يحزنون على مافاتهم في الدنيا لاستغراقهم فيما لا عين رأت ولا اذن سمعت وان من لم يتق الله تعالى وكذب بآياته فانهم اصحاب النار وقوله تعالى منكم صفة لرسل وكذلك يقصون قدم الجار والمجرور على الجملة لكونه اقرب الى المفرد خاطب الله هذه الامة بقوله يابنى آدم امايأتينكم رسل بلفظ الجمع مع ان رسولهم خاتم الانبياء لا يأتيهم غيره فالظاهر ان يقال رسول بلفظ مفرد بناء على ان هذا الحكم غير مختص بهذه الامة وتصديقهم من ارسل اليهم من الرسل وتكذيبهم اياه بل هو يعم جميع بنى آدم ورسلهم ومن في قوله تعالى فمن اتقى يحتمل ان تكون شرطية

وقوله فلا خوف عليهم جوابها وان تكون موصولة وفلا خوف عليهم خبرها على
اسلوب قوله والذين كذبوا اولئك والمصنف اختار الثاني بشهادة قوله وادخال
الفاء في الخبر الاول وهو قوله تعالى فلا خوف عليهم دون الثاني وهو اولئك ولما
كانت هذه الجملة الاسمية مركبة من الموصول وصلته وخبره جواب الجملة الشرطية
احتيج في هذه الجملة وفي ماعطف عليها الى رابط يربطها بتلك الجملة ثم انه تعالى
لمابين عقوبة المستكبرين عظم جريمتهم التي استحقوا بها تلك العقوبة فقال
من اعظم ظلما ممن تقول على الله تعالى اى كذب عليه مالم يقله وكذب ماقاله
ويدخل في التقول عليه اثبات الشريك والصاحبة والولد له تعالى واسناد
الاحكام الباطلة اليه تعالى (قوله على الانفصال) اى قرأ بياء الغيبة على
طريق الانفصال عن خطاب الامة السائلة تضعيف عذاب المتبوعين وليس
المراد بقوله تعالى لكل ضعف تضعيف مايستحقه كل واحد لانه ظلم وما الله بظلام
للعبيد بل المراد تضعيف عذاب الضلال بأن يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد
(قوله ورتبوه عليه) عطف تفسير لقوله عطفوا كلامهم على جواب الله بين به
ان ليس المراد بالعطف العطف المتعارف والالزم ان يكون هذا الكلام مقول قال
وهو فاسد والمعنى ان القادة لما سمعوا قوله تعالى للسفلة لكل ضعف قالوا للسفلة
اى الاتباع كيف تطمعون ان يخفف عذابكم ويكون عذابنا ضعف عذابكم وما
كان لكم علينا من فضل من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال حتى تطمعوا
به ان يكون عذابكم اخف من عذابنا فانا ما ألجأناكم على الكفر بل كفرتم لكون
الكفر موافقا لهواكم كما كفرنا لذلك (قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا
الآية) من تمام وعيد الكفار والمراد بالآيات الدلائل الدالة على اصول
الدين واحكام الشرع كالدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم ووحدته
واستجماعه لجميع الصفات اللائقة بالالوهية من الصفات الثبوتية والسلبية
وكالدلائل الدالة على صحة النبوات وصحة امر المعاد وما يتعلق بهما
والمشركون يكذبون جميع ذلك ويستكبرون اى يترفعون بالباطل عن اتباعها
والعمل بمقتضاها وقرئ لا تفتح ولا يفتح بالتاء والياء بالتشديد والتخفيف وقرئ
ايضا لا تفتح بفتح التاء من فوق والتضعيف والاصل لاتتفتح بتاءين فحذفت
احداهما وابواب السماء على هذه القراءة مرفوع على الفاعلية قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما لاتفتح لاعمالهم ولا لدعائهم مأخوذ من قوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال السدى وغيره لا تفتح
لارواحهم ابواب السماء لانها خبيثة لا يصعد بها لتتصل بالملائكة بل يهوى
بها الى سجين وانما تفتح ابواب السماء لارواح المؤمنين كما ورد في الحديث ان

على الانفصال (وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان
لكم علينا من فضل)
عطفوا كلامهم على
جواب الله لاخراهم ورتبوه
عليه اى فقد ثبت ان
لا فضل لكم علينا وانا
واياكم متساوون في الضلال
واستحقاق العذاب
(فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون) من قول القادة
اومن قول الله للفريقين
(ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها) اى
عن الايمان بها (لاتفتح
لهم ابواب السماء)
لادعيتهم واعمالهم
اولارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم
لتتصل بالملائكة والتاء
في تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ
ابو عمرو بالتخفيف وحمزة
والكسائي به وبالياء لان
التأنيث غير حقيقي والفعل
مقدم وقرئ على البناء
للفاعل ونصب الابواب
بالتاء على ان الفعل للآيات
وبالياء على ان الفعل لله
(ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط)

روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب الى ان ينتهي بها الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فيهوى بها الى سجين وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل عليهم بركاتها وامطارها استدلالا بقوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر (قوله ماهو مثل في عظم الجرم وهو البعير) فان البعير اعظم الحيوانات واكبرها جثة عند العرب كما ان سم الابرة اضيق المسالك عندهم ولاشك ان دخول اعظم الاجرام في اضيق المسالك مستحيل والموقوف على المحال محال فكأنه قيل لايدخلون الجنة ابدا ومثله في المعنى قول من قال

اذاشاب الغراب اتيت اهلي ❊ وصار القار كاللبن الحليب

والبعير من الابل بمنزلة الانسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير وانما يقال له بعير اذا اجذع اى صار جذعا او جذعة بأن دخل في السنة الخامسة فان ولد الناقة يقال له اول مايخرج من بطن امه ولم يعرف ذكورته ولا انوثته سليل فان كان ذكرا يقال لها سقب وان كان انثى يقال لها حائل ثم هو حوار الى الانفطام وبعده فصيل الى سنة وفي الثانية ابن مخاض وبنت مخاض وفي الثالثة ابن لبون وبنت لبون وفي الرابعة حق وحقة وفي الخامسة جذع وجذعة وفي السادسة ثني وثنية وفي السابعة رباع ورباعية بالتخفيف وفي الثامنة سديس لهما وقيل سديسة للانثى وفي التاسعة بازل وبازلة يقال بزل البعير يبزل بزولا اى فطرنابه وانشق وفي العاشرة مخلف ومخلفة وليس بعد البزول والاخلاف سن والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا اربع اى دخل في السنة السابعة (قوله تعالى لهم من جهنم مهاد) جملة اسمية ومن جهنم حال من مهاد لانه لوتأخر عنه لكان صفة وجهنم لاينصرف للعلمية والتأنيث وقيل اشتقاقه من الجهومة وهي الغلظة يقال رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بهذا لغلظ امرها في العذاب والمهاد جمع مهد وهو الفراش وغواش جمع غاشية وهي كل مايغشاك اى يسترك وللنحاة في الجمع الذي على فواعل اذا كان منقوصا حذف لامه خلاف هل هو منصرف او غير منصرف قال بعضهم هو منصرف لانه قدزالت صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وقذال فانصرف وقال الجمهور انه غير منصرف والتنوين الذي فيه ليس تنوين التمكين بل هو تنوين العوض والمعوض عنه اللام والمصنف اجل في التفسير حيث قال والتنوين فيه بدل من الاعلال اما من الياء او من حركتها فان اصل نحو جوار وموال جواري وموالي استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء اكتفاء بالكسرة فانهم حذفوا الياء اكتفاء بالكسرة في المفرد فكان حذفها

اى حتى يدخل ماهو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسالك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لايكون وكذا مايتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظة من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين)

عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس (ونزعنا ما في صدورهم من غل) اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي كرم الله وجهه اني لأرجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجري من تحتهم الانهار) زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) لولا هداية الله وتوفيقه

في الجمع الذي هو اثقل اولى فلما حذفت الياء والحركة عوض التنوين عن الياء او عن الحركة وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه واما عند غيرهما فهو تنوين التمكين ومن قرأ غواش برفع الشين جعل الياء المحذوفة منسية غير معتبرة اصلا لا في حق الاعراب ولا في حق منع الصرف فأجرى الاعراب على ما قبلها لكونه آخر الكلمة عنده ومعنى الآية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (قوله عبر عنهم بالمجرمين تارة) يعني انه من باب وقوع الظاهر موقع المضمر للدلالة على ان تلك العقوبة الشديدة كانت لاستجماعهم هذه الاوصاف الذميمة المترتبة على تكذيبهم الآيات (قوله اعتراض للترغيب) فانه لما قصد بيان كون ماذكر من النعيم المقيم الذي قال عليه الصلاة والسلام في حقه مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مترتبا على الايمان والعمل الصالح قال قبل ذلك ان الايمان والعمل الصالح المؤديين الى النعيم المذكور انما كلفتم بهما على حسب ما في الوسع والامكان لا على بذل جميع ما يدخل تحت طاقة الانسان لتزداد رغبتهم فيهما قال الامام الوسع مايقدر الانسان عليه في حال السعة والسهولة لا في حال الضيق والشدة ويدل عليه ان معاذ بن جبل قال في تفسير هذه الآية الا يسرها لا عسرها واما اقصى الطاقة فانه يسمى جهدا لا وسعا وغلط من ظن ان الوسع بذل المجهود (قوله اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل) يعني ان النزع قلع الشيء عن مكانه والغل الحقد الكائن في الصدور ومعنى قلع ما كان لبعضهم على بعض في الدنيا من الاحقاد اخراج اسبابها من القلوب فان تلك الاحقاد انما نشأت من التعلق بالدنيا ومافيها وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليها من الاحقاد ومن جملة اسبابها ايضا ان الشيطان كان يلقي الوساوس الى قلوب بني آدم في الدنيا وقد انقطع ذلك في الآخرة من جهة ان الشيطان لما استغرق في عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوساوس في قلوب الانسان فلذلك صفت طبائع اهل الجنان عما كان بينهم في الدنيا مما ينافي لصفاء الجنان (قوله او نطهرها منه) اى ويجوز ان لا يكون المراد بنزع الغل نزع ما كان بينهم في الدنيا بنزع اسبابه بل يراد تطهير قلوبهم من الغل بحيث لا يعرض لهم الغل والحسد مما رأوا من تفاوت درجات اهل الجنة بحسب الكمال والنقصان حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا ينفعل عن انحطاط درجته عن درجة من فوقه ولا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية فان ذلك امر ممكن والله تعالى قادر عليه وقد وعد بازالة الحقد والحسد عن القلوب (قوله زيادة في لذتهم) يشعر بأن قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار كلام مستأنف سيق

لبيان انالهم حالة زائدة على ماحصل لهم من صفاء القلوب ويحتمل ان يكون حالا من ضمير صدورهم لما تقرر من ان انتصاب الحال من المضاف اليه جائز اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه ويكون العامل فى الحال هو العامل فى المضاف وجاز ذلك وان لم يكن الحال من هيئات المضاف بناء على ان المضاف والمضاف اليه لما كانا بمنزلة شئ واحد صارت هيئة المضاف اليه كأنها من هيئات المضاف قال مقاتل فى قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل وذلك ان اهل الجنة لما انتهوا الى باب الجنة اذاهم بشجرة ينبع من اصل ساقها عينان فيميلون الى احداهما فيشربون منها فيخرج الله منهم ماكان فى اجوافهم من غل وقذر فيطهر اجوافهم بذلك وهو الشراب الطهور المذكور فى قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يميلون الى العين الاخرى فيغتسلون منها فيطيب الله تعالى اجسامهم من كل درن وجرت عليهم النضرة فلا تشعث رؤسهم ولا تتغير وجوههم ولا تشحب اى لا تتغير اجسادهم ثم يبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها فينادونهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فلما استقروا فى منازلهم قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لدينه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله (قوله واللام لتأكيد النفى) اختيار لمذهب الكوفيين فانهم ذهبوا فى مثله الى ان لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان ويزعمون ان الفعل المنصوب بعد اللام لا باضمار ان بعد اللام وان اللام زائدة لتأكيد النفى وعند البصريين خبر كان محذوف ولام الجحود متعلق بذلك الخبر المحذوف وينتصب الفعل الواقع بعد اللام باضمار ان والتقدير وما كنا مريدين للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة وتقدير قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اى اعمالكم التى هى ثمرات ايمانكم (قوله على انها مبينة) اى جارية مجرى التفسير لقوله هدانا لهذا وكمال اتصال احدى الجملتين بالاخرى يمنع العطف وقوله تعالى لقد جاءت جواب قسم مقدر والباء فى قوله بالحق يجوز ان تكون للتعدية وان تكون للحال اى جاؤا ملتبسين بالحق يقوله اهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا واستقروا فيه والاغتباط والتبجح واحد وهو الفرح والسرور (قوله اذا رأوها من بعيد) يعنى ناداهم الملائكة بهذا القول وهو ان تلك التى رأيتموها الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا على ان تلك مبتدأ اشير بها الى ما رأوه من بعيد والجنة خبره واللام فيها للعهد (قوله او بعد دخولها) فيكون تلكم الجنة خبر مبتدأ محذوف اى هذه تلكم التى وعدتم بها فى الدنيا ولما كانت الاشارة الى الجنة الموعود بها فى الدنيا كان المشار اليه غائبا بعيدا فصحت الاشارة اليه بلفظ تلك ويجوز ان يكون

والام لتأكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ماكنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بأن ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة (ونودوا ان تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات (اورثتموها بما كنتم تعملون) اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم

وأن في المواضع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرالهم وانما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول اواجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة اوذم مرفوع اومنصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عماهو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح ماكان في المنتصبة كالحائط والرمح (وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار

تلكم الجنة مبتدأ حذف خبره اى تلكم الجنة التى اخبرتم عنها ووعدتم بها هى هذه وعلى التقديرين فالمنادى له بحسب الظاهر هوقول المنادى وهو الملائكة اوالله تعالى تلكم الجنة الا ان المنادى له بالذات والقصد الاصلى هوقوله اورثتموها بما كنتم تعملون فان اهل الجنة لما ذكر واما انعم الله به عليهم من هدايته اياهم الى ما يؤديهم الى هذه السعادة العظمى اثنى الله تعالى او الملائكة عليهم بحسن اطاعتهم لربهم بان ذكرانهم ورثوها باعمالهم فان قيل هذه الآية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله وقد قال عليه الصلاة والسلام ان يدخل احدكم الجنة بعمله وانما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله فاوجه التوفيق بينهما فالجواب ان العمل لايوجب دخول الجنة لذاته وانما يوجبه من حيث ان الله تعالى جعله بفضله علامة عليه ووعد بذلك فى مقابلته ايضا ولما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة فى الحقيقة ليس الابفضل الله تعالى (قوله وان فى المواضع الخمسة) من قوله ونودوا ان تلكم الجنة الى قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان أفيضوا فكلمة ان فى جميعها يحتمل ان تكون تفسيرية للمنادى له لان كل واحد من النداء والتاذين فى معنى القول والتأذين فى اللغة النداء والتصويت للاعلام وان تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الامر والشأن والجملة بعدها خبرها (قوله وشماتة) وهى الفرح ببلية العدو فان اصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيرونه كما قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون تشفيا لقلوبهم وزيادة تعذيب للكفار قيل فى وجه تيسر المناداة والمكالمة بين اهل الجنة والنار ان الجنة عالية وجهنم سافلة متسفلة فيكون اهل الجنة مشرفين على اهل النار مع ان بعدما بين الجنة والنار لايعلم مقداره الا الله كما قال تعالى فاطلع فرآه فى سوآء الجحيم فامكن لهم تقريع اهل النار وتحسيرهم بقولهم هل وجدتم ماوعد ربكم من سعادة من أطاعه وعقوبة من عصاه فان كل واحد منهما كان يحزنهم اشد الحزن ويوقعهم فى الحسرة فاطلق عليه الوعد لانه يستعمل فى الخير والشر مع ان بعضه هو الخير الجليل فى حق المؤمنين (قوله وهما لغتان) لما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم بفتح العين فقال انما النعم الابل قولوا نعم بكسر العين والفتح لغة اهل الحجاز وعامة العرب (قوله تعالى فاذن مؤذن) اى نادى مناد أسمع الفريقين بقوله لعنة الله على الظالمين اى على الكافرين دون المؤمنين وهو اخبار وقيل هو ابتداء لعن منه لهم وقوله بينهم منصوب باذن اى ان مؤذنا اوقع ذلك الاذان بينهم اى فى وسطهم ويبعد ان يكون معمول مؤذن لان التقدير يكون حينئذ ان ذمؤذنا من بينهم اذن بذلك الاذان (قوله تعالى ويبغونها)

(اى)

اى يطلبون لها اى لسبيل الله تغيرا وامالة الى الباطل بالقاء الشكوك والشبهات في دلائل الحق اوقع المؤذن لعنة الله على من كان موصوفا باربعة اوصاف الاول كونهم ظالمين والظلم وان كان يعم الفسق الا ان المراد به ههنا الكفر لان الظالم الذى وصف به موصوف بصفات ثلاث مختصة بالكفار والوصف الثانى كونهم صادين معرضين عن سبيل الله على ان يكون يصدون لازما بمعنى يعرضون لا ان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس يحوج الى تقدير المفعول والثالث كونهم طالبين امالة الدين الحق الى الباطل والرابع كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف (قوله يمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى) وكون السور المضروب بينهما مانعا من وصول اثر كل واحدة منهما الى الاخرى لا يستلزم كونه مانعا من اطلاع سكان احداهما على سكان الاخرى وسماع احدهما صوت الآخر وكلامه فان النشأة الآخرة لا تقاس بهذه النشأة والله تعالى قادر على كل شئ وقد ثبت ان الجنة فوق السموات وان الجحيم اسفل السافلين وبينهما بون بعيد الا ان احداهما لكونها في غاية الحسن والاخرى في غاية الشدة والقهر كان يصل اثر كل واحدة منهما الى الاخرى فلذلك جعل بينهما سور يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى والاعراف جمع عرف وهو اعالى السور وما ارتفع منه مثل عرف الديك قال الامام العرف كل عال مرتفع ومنه عرف الديك والفرس سمى عرفا لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه ثم قال ذهب الاكثرون الى ان المراد من الاعراف اعالى ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (قوله رجال طائفة من الموحدين) قال ابن عباس والمفسرون هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار ومنعتهم سيئاتهم من الجنة فيقومون على سور الجنة ثم يدخلهم الله الجنة برحمته وهم آخر من يدخل الجنة كذا في الوسيط وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار الا ان يغفر الله له ثم قرأ فمن ثقلت موازينه الآية ومن خفت موازينه الآية وان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح به ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة والنار فاذا نظروا الى يمينهم فرأوا الجنة قالوا سلام عليكم واذا نظروا الى يسارهم فرأوا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فيعطون نورا فيمشون به بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل امة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق ومنافقة فلما رأى اهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان

يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى (وعلى الاعراف) وعلى اعراف الحجاب اى على اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشاء

النور كان فى ايديهم فلم ينزع النور من بين أيديهم ومنعتهم سيئاتهم ان يمضوا بها فبقى فى قلوبهم الطمع اذلم ينزع النور من ايديهم فذلك قوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون وقال مجاهد اصحاب الاعراف اعراف اقوام رضى عنهم آباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون آبائهم فلم يدخلهم الله الجنة لان آباءهم اوامهاتهم غير راضين عنهم فلم يدخلهم الله الجنة كذا فى التيسير ثم دخلوا الجنة بعد ذلك وكانوا آخر اهل الجنة دخولا (قوله وقيل قوم علت درجاتهم) اى قيل ليس المراد بالرجال المستقرين على الاعراف الموحدين الذين قصروا فى العمل بل المراد بهم الاشراف من اهل الطاعة واهل الثواب ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال بعضهم انهم الانبياء اجلسهم الله تعالى على اعالى ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيامة ليكونوا مشرفين على اهل الجنة واهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقال بعضهم هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهداء فاعتقوا من النار بقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم ناس قتلوا فى سبيل الله منعهم الجنة معصيتهم آباءهم ومنعهم النار قتلهم فى سبيل الله والظاهر ان هؤلاء الشهداء من الذين ساوت حسناتهم سيئاتهم فلا يدخلون تحت اقوام علت درجاتهم فمراد المصنف من الشهداء ليس مثل هولاء الشهداء بل مراده بالشهداء هم الذين تميزوا من بين جميع اهل القيامة بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس على المنازل العالية والاماكن المرتفعة ليشاهدوا حكم الله تعالى فى اهل الموقف بمقتضى الفضل والعدل وقال بعضهم هم الملائكة الموكلون بأعالى هذا السور يميزون المؤمنين من الكفار قبل ادخالهم الجنة والنار واسم الرجال وان كان فى الاظهر لذكور بنى آدم فغير بعيد ان يطلق على الملائكة الذين يرون فى صورة الرجال كما اطلق على الجن فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فانهم سموا رجالا لكونهم فى صورة الرجال فان قيل هذه الوجوه باطلة لانه تعالى قال فى صفة اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون اى وهم يطمعون فى دخولها وهذا الوصف لايليق بالملائكة والانبياء والشهداء والجواب ان غاية ما فى الباب ان يتأخر دخولهم الجنة وذلك لاينافى كونهم اشراف اهل الموقف فانه يجوز ان يميزهم الله تعالى من اهل الجنة واهل النار ويجلسهم على تلك الاماكن المرتفعة ليشاهدوا احوال اهل الجنة فى الجنة واحوال اهل النار فى النار فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الاحوال ثم اذا استقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فحينئذ ينقلهم الله تعالى الى منازلهم العالية فى الجنة فعدم دخولهم الجنة فى اول الامر لاينافى كمال شرفهم وعلو درجتهم واما قوله تعالى وهم يطمعون فالمراد من هذا الطمع اليقين الاترى انه قال

وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء اوالشهداء اوخيار المؤمنين وعلمائهم اوملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة

تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا الطمع كان يقينا فكذا ههنا (قوله او من وسم على القلب) اى قلب المكان اصله بوسماهم (قوله وانما يعرفون ذلك بالالهام) يندفع به ما يقال نداء اصحاب الاعراف اهل الجنة وصرف ابصارهم الى اهل النار انما يكونان بعد دخول اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار واذا كانوا يشاهدونهما فى الجنة والنار فاى حاجة لهم الى سيماهم حتى يعرفونهم بها ووجه الاندفاع ان معرفتهم بسيماهم انما هو فى محفل القيامة يعرفونهم بها بالالهام او بتعليم الملائكة والنداء والصرف انما هما بعد دخولهم فى الجنة والنار وضمير الجمع فى قوله تعالى ونادوا وفيما بعد يرجع الى قوله رجال وقوله تعالى لم يدخلوها يحتمل ان يكون مستأنفا وقع جوابا لمن قال ما حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ويحتمل ان يكون حالا من فاعل نادوا او من مفعوله اى نادى اصحاب الاعراف حال كونهم غير داخلين الجنة او نادوهم حال كونهم غير داخلين (قوله حال من الواو على الوجه الاول) وهو ان يكون المراد باصحاب الاعراف الموحدين المقصرين فى العمل لان الطمع والرجاء يليق بهم وعلى الوجوه الباقية يكون حالا من مفعول نادوا لان رجاء دخول اهل الجنة لا يليق باشراف اهل يوم القيامة ولم يلتفت الى كون الطمع بمعنى اليقين لانه لا حاجة اليه مع امكان حمل اللفظ على المعنى الحقيقى فعلى هذا ينبغى ان يكون لم يدخلوها ايضا حالا من المفعول لئلا يتفكك النظم اى نادوا اصحاب الجنة حال كون اصحابها غير داخلين وهم طامعون وقوله اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم اشارة الى ان قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة جزاء شرط محذوف لدلالة قوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وانما قدر نظروا دون صرفت للاشعار بأن نظرهم الى اصحاب الجنة عن رغبة بخلاف اصحاب النار فان رؤيتهم اياهم تحتاج الى صارف يصرف ابصارهم اليهم ولذلك لم يذكر الشرط فى نداء اهل الجنة فتقدير الشرط فى ندائهم غير مطابق لما عليه الكتاب الكريم ثم ان اصحاب الاعراف لما تعوذوا بالله من شدة حال اصحاب النار نادوا رؤساءهم تبكيتا لهم وتوبيخا بأن قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم وهى شماتة بليغة وتبكيت عظيم لاولئك المخاطبين ثم ان اصحاب الاعراف يشيرون الى جماعة من ضعفاء المسلمين وفقرائهم مثل بلال وصهيب وسلمان ونحوهم فيقولون للمشركين على وجه الانكار أهؤلاء الذين اقسمتم اى حلفتم وانتم فى الدنيا لا ينالهم الله برحمة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم حين يخاف اهل النار ولا انتم تحزنون حين يحزنون فيكون قوله تعالى أهؤلاء الذين اقسمتم فى محل النصب بالقول المتقدم اى قالوا ما اغنى

ومن وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا) تعوذا بالله (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) كثرتكم او جمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة

عنكم وقالوا أهؤلاء الذين اقسمتم والمقول لهم هم الرجال من رؤساء الكفرة قال اصحاب الاعراف لهم ذلك زيادة تبكيت لهم و هو قول المصنف تمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة و يكون قوله ادخلوا الجنة مقول قول مقدر والمقول لهم اصحاب الاعراف والقائل هوالله تعالى اوالملائكة كما قال اوفقيل لاصحاب الاعراف الخ اوالقائل اصحاب الاعراف و المقول لهم ضعفاء المسلمين يقولون لهم ذلك ردا على الكفرة ما اقسموا به و هو قول المصنف اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة الخ (قوله و قيل لما عيروا) اى لما عير اصحاب الاعراف اهل النار بأن قالوا لاهل النار ما قالوا قال لهم اهل النار ان دخل او لئك الجنة فانتم لاتدخلونها فعيروهم بذلك واقسموا على ان الاصحاب الاعراف لايدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فيقول الله تعالى او تقول الملائكة الذين حبسوهم على الصراط لاهل النار أهؤلاء يعنى اصحاب الاعراف الذين اقسمتم يا اهل النار لاينالهم الله برحمة ثم يقول الله اوالملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون فيدخل اصحاب الاعراف الجنة (قوله وقرئ ادخلوا) على بناء المفعول ماضيا من باب ادخل وقرأ عكرمة دخلوا ماضيا مبنيا للفاعل ولما ورد ان كل واحدة من هاتين القراءتين على الغيبة فالمناسب لهما ان يقال لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فكيف قيل لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون اشار المصنف الى جوابه بقوله وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم يعنى ان الجملة المنفية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر وذلك القول المقدر منصوب على انه حال من فاعل دخلوا او ادخلوا (قوله لملائم الافاضة) فان الاصل فى الافاضة ان تستعمل فى الماء وما يجرى مجراه من المائعات فلما عطف مما رزقكم الله على قوله من الماء بكلمة اوكان المطلوب افاضة احد الامرين اللذين يتعلق بهما فعل الافاضة فناسب ان يحمل ما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الاشربة وان حمل على ما هو من جنس الاطعمة يكون الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع بقاء العاطف و يكون التقدير افيضوا علينا شيأ يسيرا من الماء وألقوا علينا شيأ يسيرا مما رزقكم الله من الطعام و مثله كثير فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

علفتها تبنا و ماء باردا ❊ حتى شتت همالة عيناها

يقال شتوت بموضع كذا اذا اقمت به فى الشتاء وهملت عينه اى فاضت ومثله

ياليت زوجك قدغدا ❊ متقلدا سيفا و رمحا

اى وحاملا رمحا ومثله

اذا ما الغانيات برزن يوما ❊ وزججن الحواجب والعيونا

﴿ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون ﴾ اى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة اوفقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار أقسموا أن اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة أهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم ﴿ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء﴾ اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار ﴿او مما رزقكم الله﴾ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة ومن الطعام كقوله علفتها تبنا و ماء باردا ﴿قالوا ان الله حرمهما على الكافرين﴾

منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) هل ينتظرون (الا تأويله) الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسي (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اى قد تبين انهم جاؤا بالحق

اى وكحلن العيون فان التزجيج وهو ترقيق المرأة حاجبها وتطويلها اياه لا يتعلق بالعيون روى ان قارئا قرأ قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله﴾ عند الاستاذ ابى على الدقاق فقال الاستاذ هؤلاء كانت شهوتهم ورغبتهم في الدنيا في الشرب والاكل فبقوا في الآخرة على هذه الحالة وهذا يدل على ان الرجل يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه (قوله منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف) يريد ان التركيب من قبيل الاستعارة التمثيلية لان التحريم تكليف وهم ليسوا في دار التكليف بأن شبه حالهم مع شراب الجنة وطعامها بحال المكلف مع ما حرم عليه في المنع عنه وكذلك قوله تعالى فاليوم ننساهم لان الله تعالى منزه عن حقيقة النسيان وكذلك وصفهم بالنسيان لانهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ولا عارفين به والنسيان انما يكون بعد المعرفة شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسى عبده من الخير ولم يلتفت اليه وشبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم بحال من عرف شيأ ونسيه وكثرت مثل هذه الاستعارات في القرءآن العظيم لان المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن ان يعبر عنها الا بما يماثلها من عالم الشهادة (قوله والتصدية) هو التصفيق والمكاء الصفير عبر عن نحو هذه الافعال القبيحة مما زين لهم الشيطان باللهو واللعب لكونها مما لا ينبغي ان يباشرها العاقل وعبر عن الكفرة بانهم اتخذوا امثالها دينا لانفسهم اى عادة وشأنا ويحتمل ان يكون دينهم مفعولا اول ويكون المعنى اتخذوا دينهم الذى شرع لهم ملعبة حيث جعلوه تابعا لاهوائهم حرموا ما شاؤا وحللوا ما شاؤا مع ان حقهم ان يتبعوا امر الله تعالى ويتدينوا بما شرع لهم غير متجاوزين حدود الله (قوله وكما كانوا) اشارة الى ان كلمة ما في قوله وما كانوا مصدرية مجرورة المحل عطفا على اختها المجرورة بالكاف التي هي في محل النصب على انها صفة مصدر محذوف اى ننساهم نسيانا كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم منكرين ان الآيات من عند الله تعالى ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اى فاليوم نتركهم لاجل نسيانهم وجحودهم ومعنى التعليل واضح في المعطوف والمعنى ان هذه التشديدات انما كانت لهم لانهم كانوا بآياتنا يجحدون (قوله مفصلة) اى حال كون تلك المعاني ذات فصول مختلفة او مميزا كل ما ورد منها في باب عما ورد في باب آخر (قوله عالمين) يعنى ان على علم حال من فصلنا ونكر علما للتعظيم وقوله تعالى هدى ورحمة يجوز ان يكون مفعولا له كما جاز كونه حالا اى فصلناه لاجل الهداية والرحمة للمؤمنين فانهم هم الذين اهتدوا به دون غيرهم ثم انه تعالى لما بين انه ازاح العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده

حال من كذب به فقال هل ينظرون الا تأويله اى الا عاقبة ما وعد الله فيه من البعث والنشور والحساب والعقاب ومجازاة كل نفس بما كسبت فان هذه الامور تأويل المواعيد المذكورة فى الكتاب من حيث ان تلك المواعيد تؤول اليها فان تأويل الشئ مرجعه ومصيره الذى يؤول ذلك الشئ اليه والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع والمعنى هل ينتظرون و يتوقعون الا عاقبته وما يؤول هو اليه فان قيل كيف يتوقعون و ينتظرون مع جحودهم وانكارهم اجيب عنه بانهم مع جحودهم اياه جعلوا بمنزلة المنتظرين له من حيث انه يأتيهم لا محالة ويحتمل ان يكون فيهم اقوام شكوا وتوقعوا فلهذا السبب انتظروا (قوله تعالى فهل لنا من شفعاء) لفظ شفعاء مبتدأ ومن زائدة فى المبتدأ ولنا خبره مقدم و يجوز ان يكون شفعاء فاعلا للجار و المجرور لاعتماد الجار على الاستفهام وقوله فيشفعوا منصوب باضمار ان فى جواب الاستفهام فقد عطف ما فى تأويل الاسم على الاسم الصريح اى فهل لنا من شفعاء فشفاعة منهم لنا وقوله اونرد مرفوع على انه جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية وهى هل لنا من شفعاء وقوله فنعمل منصوب على ما انتصب عليه فيشفعوا اى اوهل نرد فنعمل فيكون المسئول احد الامرين الخلاص من عذاب الآخرة بشفاعة الشفعاء اوازد الى الدنيا لاجل العمل الصالح وان قرئ اونرد بالنصب يكون معطوفا على قوله فيشفعوا فيكون جواب الاستفهام احد الامرين التخلص من عذاب الآخرة بشفاعتهم اوازد الى الدنيا لاجل العمل الصالح فيكون قوله فنعمل منصوبا بالعطف على قوله نرد ويحتمل ان يكون انتصاب نرد بناء على ان تكون كلمة او بمعنى الى ان كما فى قولك لالزمنك اوتعطينى حقى اى الى ان تعطينى حقى تجعل قضاء الحق غاية اللزوم فكذا الآية الكريمة فانهم يجعلون الرد الى الدنيا غاية لشفاعة الشفعاء ثم انه تعالى بين ان الذى طلبوه لا يحصل لهم البتة حيث حكم عليهم بانهم قد خسروا انفسهم ولو حصل لهم ما طلبوه لما حكم عليهم بذلك ولما قال وضل عنهم ما كانوا يفترون فى حقه بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (قوله اى فى ستة اوقات) جواب عما يقال اليوم عبارة عن الزمان الممتد من طلوع الشمس الى غروبها فقبل ان يخلق السموات والارض و الشمس والقمر كيف يتحقق اليوم حتى يجعل ستة ايام ظرفا لخلق السموات والارض (قوله و فى خلق الاشياء مدرجا) جواب عما يقال من ان خلقها دفعة واحدة ادل على كمال القدرة من خلقها فى ستة ايام واوفق لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون ولقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر يقال لمحه اى ابصره بنظر خفيف كذا فى الصحاح فما الحكمة فى خلقها مدرجا والجواب الثانى مبنى على ان خلق الملائكة ونحوهم من العقلاء المعتبرين مقدم على خلق السموات والارض فانه تعالى خلق هذه

(فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (اونرد) اوهل نرد الى الدنيا و قرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين الشفاعة اوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين اولامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذى كنا نعمل) جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره اوفى مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور

الاجرام مدرجا ليشاهدوا في كل حين وساعة حدوث شئ آخر على التعاقب والتوالي ويستعظموا كمال قدرة الخالق وعلمه وتخلق على سبيل التدريج اقوى في الدلالة عليه من الخلق دفعة لانه يتكرر على عقله ظهور الآثار المشتملة على الحكم والمصالح لحظة بعد لحظة فكان اقوى في افادة اليقين وتقرير الجواب الثالث انه تعالى خلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الامور وقد جاء في الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان (قوله استوى امره) اصل الاستواء في اللغة المساواة قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقال سويته فاستوى ويقال استوى من اعوجاج واستوى الشئ اى اعتدل وفلان سوى الخلق اى مستو معتدل والاسم منه السواء وهو العدل والاستواء بهذا المعنى لا يتعدى بعلى ولذا يستحيل في حقه تعالى ويقال بمعنى العلو والاستقرار نحو استوى على ظهر دابته اى استقر وتمكن عليه وبمعنى القصد الى الشئ نحو استوى الى السماء اى قصد وتوجه اليها وبمعنى الاستيلاء والظهور كما في قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق ❊ من غير سيف ودم مهراق

واستوى الرجل اذا انتهى شبابه والعرش تارة يطلق على سرير الملك قال تعالى نكروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش وتارة على العز والسلطنة قال الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ❊ بربيعة بن الحارث بن شهاب

يقال ذهب عرش فلان اى ذهب عزه وملكه ويطلق ايضا على كل ما علا فأظل ومنه عرش الكروم ولما استحال حمل الاستواء على التمكن والاستقرار وهو شغل المكان والحيز بالجلوس فيه وتفسير العرش بالسرير وتجويز الانتقال على الله تعالى كما يقوله المشبهة لتعاضد الادلة العقلية والنقلية على انه تعالى منزه عن سمات الحدوث والامكان فانه ليس كمثله شئ لتفرده بعلو الشان ذهب العلماء في حق هذه الآية الى قولين الاول القول بانا نقطع بانه تعالى منزه عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهذا القول هو المختار عند اهل السنة فانهم قالوا الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف فيجب على الرجل الايمان به وان يكل العلم بكيفية الاستواء الى الله عز وجل روى ان رجلا سأل مالك بن انس عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فأطرق رأسه مليا اى زمانا طويلا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب واجراؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فنخوض في تأويله على التفصيل والسؤال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا ثم امر به فاخرج وسئل بعض الاكابر ايضا عن تأويله فقال تأويله الايمان به والقول الثاني قول من قال

(ثم استوى على العرش) استوى امره

ان ظاهر الآية متشابه وحمل المتشابه على المحكم واجب واجراؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فنخوض في تأويله على التفصيل وفي تأويل الآية قولان ملخصا ان اشار المصنف اليهما بقوله استوى امره اواستولى اى استقر وجرى حيث شاء وكما يشاء وتوضيح الاول ما ذكره القفال وهو ان العرش في كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه وهذا نظير قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذى تكثر اضيافه كثير الرماد وليس المراد من مثل هذه الالفاظ ظاهر معناها وانما المراد تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا في الآية المراد من الاستواء على العرش نفاذ القدرة في مصنوعاته على حسب ارادته ومشيئته وجريان امره وتدبيره فيها وهو قول المصنف ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام فمحصول الآية انه تعالى اخبر انه خلق السموات والارض كما اراد وشاء من غير منازع ومدافع ثم اخبر انه بعد ان خلقهما استوى على الملك والتصرف كيف شاء ويدل على صحة هذا التأويل انه تعالى قال في سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر فان قوله يدبر الامر اجرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش وقال في هذه الآية ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا الآية وهذا يدل على ان قوله ثم استوى على العرش اشارة الى ما ذكرناه فان قيل اذا حملتم قوله تعالى ثم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك وجب ان يقال لم يكن الله تعالى مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض اجيب بانه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تخليقهما وتكوينهما لا انه كان مكونا وموجدا لهما باعيانهما فضلا عن ان يكون مدبرا ومتصرفا فيهما لان التصرف في الشئ انما يتأتى بعد تكوينه فاستواؤه تعالى على الملك وظهور تصرفه في هذه الاشياء انما يكون بعد خلقها (قوله اواستولى) اى ويحتمل ان يكون استوى بمعنى استولى كما في قوله قد استوى بشر على العراق اى استولى عليه وملكه فمحصول الآية انه تعالى خالق السموات والارض ومالك العرش وقال الامام الواحدى في الوسيط قوله تعالى ثم استوى على العرش اى اقبل على خلقه وقصد الى ذلك بعد خلق السموات والارض وهذا قول الفراء وابى العباس المبرد والزجاج انتهى ويؤيده قوله تعالى ثم استوى الى السماء

(اى عمد)

اواستولى ومن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه اوللتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه

وقيل الملك ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير ﴿ يطلبه حثيثا ﴾

اى عمد الى خلق السماء وان لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استوآء الشمس واستوآء الميزان فمعنى الآية على هذا خلق السموات والارض واستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ آخر ويرجع ضمير استوى على الخلق المدلول عليه بقوله خلق اى ثم استوى خلقه على العرش وانتهى عنده (قوله وقيل الملك) يقال ذهب عرش فلان اى زال ملكه وقد يؤول العرش في الآية بمعنى الملك اى ما استوى الملك الا له عز وجل (قوله يغطيه به) اى يغطي النهار بالليل بأن يأتي الليل على النهار ويغطيه بظلمته لانك اذ قلت غشي الليل النهار كان غشي ثلاثيا متعديا الى واحد وكان المعنى صار الليل ساترا للنهار فان قرآءة الجمهور يغشي بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين من أغشى فاذا نقلته الى باب الافعال صار متعديا الى اثنين وصار الفاعل مفعولا فصار الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وذلك لان المفعولين في هذا الباب متى صلح ان يكون واحد منهما فاعلا ومفعولا في المعنى وجب تقديم الفاعل معنى لئلا يلتبس المراد نحو اعطيت زيدا عمرا واما اذا لم يلتبس المراد كما في نحو اعطيت زيدا درهما فحينئذ يجوز الامران وهذا كما في الفاعل والمفعول الصريحين نحو ضرب موسى عيسى وضرب زيد عمرا والآية الكريمة من باب اعطيت زيدا عمرا لان كلا من الليل والنهار يصلح ان يكون غاشيا ومغشيا فوجب جعل الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وهذا الذى ذكرناه هو الذى تقتضيه القواعد النحوية الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلا يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون الليل غاشيا للنهار وان يكون النهار غاشيا لليل وقال الامام قوله يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون المراد يلحق الليل النهار والنهار الليل واللفظ يحتملهما معا وليس فيه تعيين والدليل على الثاني قرآءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه الى هنا عبارة الامام وفيه بحث وهو ان اللفظ لا يراد به مجموع المعنيين وانما يحتملهما على البدل فأى المعنيين يراد به يكون المعنى الآخر غير مذكور ويحتاج الى ان يجعل الكلام من قبيل سرابيل تقيكم الحر فكما لم يذكر البرد فيه للعلم به فكذا لم يذكر هنا ويغشى النهار الليل اختصارا للعلم به وان لم يذكر وقال سعد الملة التفتازاني في بيان كون اللفظ محتملا لهما يعني ان لفظ يغشى الليل النهار يحتمل معنى جعل الليل لاحقا بالنهار بأن يحمل على تقديم المفعول الثاني وهو الليل من قبيل غشيته الثوب ومعنى جعل النهار لاحقا بالليل بأن يكون المفعول الثاني هو النهار وفيه بحث لان جعل الليل لاحقا بالنهار يقتضي ان يكون الليل مفعولا اولا فكيف يجعله مفعولا ثانيا ويجعله من قبيل غشيته

اى ليس المراد ادعوه ذوى خوف من العقاب وذوى طمع فى الثواب لان اهل السنة ذهبوا الى ان من عبدودعا لاجل الخوف من العقاب والطمع فى الثواب لاتصح عبادته ولا دعاؤه وانما يصحان اوأتى المكلف بهما لمجرد انه تعالى امره وكلفه بطاعته بمقتضى الوهيته وانه ليس للعبد الاطاعة سيده ومولاه باتيان ما اوجبه عليه والاجتناب عما نهاه عنه فن اتى بهذه العبادات لاجل هذا الوجه صحت واما من اتى بها خوفا من العذاب اوطمعا فى الثواب وجب ان لاتصح لانه ما أتى بها تعبدا لمولاه وقضاء لحق الوهية مولاه وعبودية نفسه فلذلك فسر قوله تعالى خوفا وطمعا بقوله خائفين من ان يرد مافعلتم لوقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة مع الطمع فى قبوله تفضلا (قوله وتذكير قريب) مع ان القاعدة فى فعيل بمعنى فاعل ان لايستوى فيه المذكر والمؤنث كما ان القاعدة فى فعيل بمعنى مفعول ان يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل اسندالى ضمير المؤنث وهى الرحمة فينبغى ان تلحق به علامة التأنيث الا انه ذكر لتساويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال تعالى واقرب رحما اوالتشبيه قريب بفعيل الذى هو مصدر كالنقيض وهو صوت المحامل والرحال وفى الصحاح انقضت العقاب اى صوتت قال الشاعر تنقض ايدينا نقيض العقبان ❊ وكالنقيق وهوصوت الضفدع يقال نق ينق نقيقا اى صوت وكالضغيب وهو صوت الارنب يقال ضغبت تضغب ضغيبا والمصدر يلزمه الافراد والتذكير فى جميع الاحوال فحمل مايوازنه عليه (قوله اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره) فان القريب والبعيد اذا اريد بهما القريب فى النسب والبعيد فى النسب يجب تأنيثهما اذا وصف بهما المؤنث تقول فلانة قريبة منى او بعيدة اذا اريد قربها او بعدها منك فى النسب واما اذا اريد القرب اوالبعد فى المكان فحينئذ يجوز الامران التأنيث على الاصل يقال فلانة قريب وقريبة وبعيد وبعيدة والتذكير بناء على تقدير قولك فلانة قريب او بعيد انها فى مكان قريب او فى مكان بعيد او قريب مكانها منى و بعيد مكانها منى (قوله تعالى وهو الذى يرسل الرياح) متصل بقوله الذى خلق السموات والارض لما ذكر الله تعالى دلائل الوهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى وهو السموات والشمس والقمر والنجوم اتبعه بذكر مايدل عليها من العالم السفلى وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير نشرا بضم النون والشين جمع نشور بمعنى المنتشر فى النواحى وهوفعول بمعنى فاعل كصبور وصبر اى متفرقة وهى الرياح التى تهب من كل ناحية والنشر التفريق ومنه نشر الثوب ضد طواه او بمعنى المنشور المفرق كالركوب بمعنى المركوب وهومنصوب حال من الرياح وقرأ ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف نشر بضمتين كما قالوا رسل فى رسل وكتب

وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم اولانه صفة محذوف اى امر قريب اوعلى تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول اوالذى هو مصدر كالنقيض اوالفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة (نشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات اومفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرأ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات اوللبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته

والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب ﴿ ١٨٧ ﴾ فى اقتفائه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم (أفلا تتقون) عذاب الله وكأن قومه كانوا اقرب من قوم نوح بالذلك قال (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك فى سفاهة) متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) اى فى مساكنهم او فى الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد ابن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم فى الخلق بسطة)

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله ❊ ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وقيل عم واعمى بمعنى خضر واخضر وقيل عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق واوار يد الحدوث لقيل عام كما يقال فارح وضائق وهو معنى قوله والاول ابلغ لدلالته على الثبات (قوله والمراد به الواحد منهم) اى من قبيلة عاد وعاد فى الاصل اسم الاب الكبير وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت به القبيلة واتفقوا على ان هودا ما كان اخاهم فى الدين واختلفوا فى انه هل كانت هناك قرابة اولا قال الكلبى انه كان واحدا من تلك القبيلة وقال آخرون انه ما كان من تلك القبيلة الا انه لما كان من جملة بنى آدم لا من الملائكة والجن نسب اليهم بالاخوة والمعنى انا بعثنا الى عاد واحدا من جنسهم وهو البشر ليكون انسهم به وفهمهم كلامه اكثر قيل ان هودا اسم عربى وفيه بحث لانه حكى ان اهل اليمن تزعم ان يعرب بن قحطان بن هود هو اول من تكلم بالعربية وبه سميت العرب عربا فعلى هذا يكون هودا عجميا اسم رجل وانما صرف لما ذكر فى اخواته من نحو لوط ونوح (قوله استأنف به ولم يعطف) اشارة الى الفرق بين ما ذكر من قصة نوح وهود عليهما السلام حيث قيل فى الاول فقال وفى الثانى قال بغير عاطف وهو انه اشير فى الاول الى ان دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تتأخر عن ارساله وانه باشر الدعوة قبيل الارسال وفى الثانى جعل الكلام جواب سائل (قوله وكأن قومه كانوا اقرب) اى الى اجابة الدعوة واتباع الحق حيث اطلق الملأ المعاندين من قوم نوح ووصف المعاندين من قوم هود بقوله الذين كفروا فانه كان فى اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فانه اسلم وكان يكتم ايمانه بخلاف قوم نوح فانه لم يؤمن منهم احد كذا فى الكشاف وفيه نظر لقوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقال ايضا وما آمن معه الا قليل فلذلك عدل المصنف عن تلك العبارة ويحتمل ان يكون مراد صاحب الكشاف انه لم يؤمن من اشرافهم احد او لم يؤمن حال مخاطبة نوح قومه احد منهم وان آمن بعد ذلك آحاد قليلة منهم بخلاف قوم هود فانه آمن بعض الملأ منهم حال المخاطبة اعلم ان عادا قوم كانوا ينزلون اليمن بالاحقاف وهو رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد افسدوا فى الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التى آتاهم الله عز وجل اياها وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها

صنم يقال له صداء و صنم يقال له صمود و صنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هود انبيا وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فأمرهم ان يوحدوا الله تعالى و يكفوا عن ظلم الناس وغير ذلك فكذبوه وقالوا من اشد منا قوة فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم الى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم يعظمون مكة واهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لان أباهم عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبرى رجل من عاد فلما حبس المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم الى مكة فليستسقوا فبعثوا قيل بن عنز و جلهمة بن الخيبرى ومرثد ابن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه مع اشراف اخر ومع كل واحد منهم رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة لقوا معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر و تغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى واصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما ادرى كيف اصنع بهم استحيى ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنوا انه ضيق على مقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا و عطشا فشكا ما كان من امرهم الى قينتيه الجرادتين وهما جاريتان اسم احداهما وردة والاخرى جرادة فقيل جرادتان على التغليب فقالتا قل شعرا نغنيهم اياه لايدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم ✽ لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا ✽ قد امسوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو ✽ به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهمو بخير ✽ فقد امست نساؤهمو عياما
وان الوحش يأتيهم جهارا ✽ ولا تخشى لعادى سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم ✽ نهاركمو وليلكمو التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ✽ ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم

(فاستسقوا)

فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال

عصت عاد رسولهم فأمست ❊ عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود ❊ يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد ❊ فابصرنا الهدى وجلا العماء
وان اله هود هو الهى ❊ على الله التوكل والرجاء

فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود فقام قيل وهو رأس وفد عاد مع اصحابه فقالوا فى دعائهم اللهم أعط قيلا ماسألك واقض سؤلنا مع سؤله وقال قيل فى دعائه يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب ياقيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا ❊ لايبقى من آل عاد احدا ❊ فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بأمر ربها اى كل شئ مرت به فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الاهلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة فكان مايصيبه ومن معه من الريح الاما تلين بها الجلود وتلتذبها الانفس روى عن على رضى الله تعالى عنه ان قبر هود بحضرموت فى كثيب احمر وقيل بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل فى تلك البقعة ويروى ان النبى من الانبياء كان اذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه الى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا (قوله قامة وقوة) اى يحتمل ان يكون المراد بسطة الجسم فى الخلقة من حيث طول القامة وعظم الجثة ومن حيث القوة فان القوى والقدر متفاوتة كتفاوت مقادير الاجساد ويحتمل ان يراد الفضيلة فيهما حيث لم يبين جهتها (قوله لكى يفضى بكم ذكر النعم) بل لابد من العمل وشكر النعم بها والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون (قوله اما المجئ من مكان اعتزل به عن قومه) بأن كان له مكان يعبد فيه ربه معتزلا عن قومه كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد بحراء فلما اوحى اليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل ان يكون مرادهم أجئتنا

قامة وقوة (فاذكروا آلاء الله) تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا) استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا فى التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجئ فى أجئتنا اما المجئ من مكان اعتزل به عن قومه اومن السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع)

من السماء كما يجيء الملك استهزاء به عليه الصلاة و السلام لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة ويحتمل ان لا يريدوا به حقيقة المجيء بل يريدوا به القصد كأنهم قالوا قصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (قوله قد وجب او حق) على ان يكون وقع مجازا على طريق اطلاق المسبب على السبب او باعتبار مايؤول اليه حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان الرجس لم يقع وقت استعجالهم اياه واعلم ان هودا عليه الصلاة والسلام لما دعا قومه الى ان يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة الاصنام فسفهوه وكذبوه ولم يلتفت الى كلماتهم الجفاء ولم يقابل سفاهتهم بالسفاهة بل اجابهم بالكلام الصادر عن الحلم والحكمة ولم يزد على ان قال ياقوم ليس بي سفاهة دل ذلك على ان ترك الانتقام اولى كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما ثم ادعى رسالته من رب العالمين ناصحا لهم أمينا في جميع ما اخبرهم به ثم استدل على وجوب تخصيص العبادة لله تعالى بأن بين ان نعم الله عليهم كثيرة عظيمة وصريح العقل يدل على ان ليس للاصنام شيء من النعم على الخلق لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء اصلا فكيف يستحق ان يعبد الخلق اياها والعبادة نهاية التعظيم فلا يستحقها الا رب العالمين ومولى نعمهم فأفحمهم بهذه الحجة القاطعة اليقينية فلم يبق لهم سوى التمسك بتقليد الآباء فتمسكوا به قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا واستعجلوا ماخوفهم به من الوعيد اللاحق بهم على تقدير اصرارهم على ماهم عليه حيث قال أفلا تتقون فقالوا فائتنا بما تعدنا به فقال عليه الصلاة والسلام قد وقع ما استعجلتم به ثم انكر عليهم مجادلتهم معه في حق عبادتهم اسماء لامسميات لها فانهم يسمون الاصنام بالالهة مع ان معنى الالهية معدوم فيها ويسمونها بالعزى مشتقا من العزة ولاعزة لها اصلا وكذا سائر الاسماء التي يسمون بها الاصنام فان جميعها اسماء مخترعة اطلقت على ما لا يستحق ان يسمى بها (قوله واستدل به على ان الاسم هو المسمى) لان القوم انما يجادلون ويدعون حقية عبادة المسميات وهو عليه الصلاة والسلام انما يذمهم ويبطل منهم هذه الدعوة فلولا ان عبادة الاسماء متحدة مع عبادة المسميات لما توجه الذم والابطال عليهم بانها اسماء سميتموها فينبغي ان تكون الاسماء بمعنى الاشياء المسميات وان الاسم عين المسمى واستدل به ايضا على ان اللغات توقيفية غير اصطلاحية لانها لو كانت اصطلاحية لما توجه الذم والابطال عليهم بتسميتهم الاصنام آلهة من غير توقيف من قبل الله تعالى على تلك التسمية وضعفهما ظاهر اذلايخفى ان الاسماء هي الدوال والمسميات مدلولاتها وذم القوم على مجادلتهم في الاسماء لا يستلزم الاتحاد

قدوجب اوحق (عليكم) اونزل عليكم على ان المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان) اى في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى امابانزال آية اونصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لايؤيد قوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر (فانتظروا) لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد ونزول العذاب (اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه) في الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)

أي استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان
روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج
فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر
وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ﴿١٩١﴾ ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيى أن يكلمهم فيه مخافة
أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما فيسقي أرض عاد إن عادا * قد أمسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود عليه الصلاة والسلام
والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا (وإلى ثمود) قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود
بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي أو باعتبار
الأصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى (أخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن
ماسخ بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة
على صحة نبوتي وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة

المذكور لأنه قد اشتهر في العرف أنه يقال لمن ليس فيه ما هو مدلول اسمه إنه اسم
مجرد لا معنى له فرجع الذم تسميتهم إياها بما لا يليق أن تسمى به فقوله في أسماء
سميتموها ليس معناه مسميات اتخذتموها معبودا باختراعكم حتى يقال إطلاق
الأسماء على تلك المسميات يدل على اتحادهما ولا أنكم أطلقتم هذه الأسماء
على تلك المسميات من غير توقيف وتعليم من الله تعالى بل بمجرد اصطلاحكم
حتى يستدل به على كون اللغات توقيفية (قوله أي استأصلناهم) لأن
دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم إهلاكهم من أولهم إلى آخرهم وهو الاستئصال
(قوله تعريض) إشارة إلى جواب ما يقال ما فائدة قوله وما كانوا مؤمنين بعد بيان
أنهم كذبوا بآيات الله يعني أن فائدته التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن
نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم
ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليعلم أن الهلاك تخصص المكذبين منهم ونجى الله
المؤمنين (قوله استئناف لبيانها) أي جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا
أين آيتك فقال هذه ناقة الله كأنه قال أنبئكم عليها وأشير إليها في كونها آية
أي علامة فإن قيل تلك الناقة كانت آية لكل أحد فلم خص أولئك القوم بكونها
آية لهم فالجواب أن نفس الناقة باعتبار خروجها بلا توسط الأسباب المعهودة
إنما تكون آية ومعجزة موجبة للإيمان بنبوته بالنسبة إلى من شاهدها وأما
بالنسبة إلى الغير فالآية الموجبة للإيمان هو إخبار الصادق بذلك أو الخبر المتواتر
ونحو ذلك فإن الآية الموجبة للإيمان بنبوة صالح مثلا بالنسبة إلينا هو إخبار الله
تعالى وإخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا خروج الناقة من الحجر (قوله
تعالى ولا تمسوها بسوء) أي لا تصيبوها سوءا على أن الباء في قوله بسوء
للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة أي لا تمسوها حال مصاحبتكم للسوء

ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله
تعظيما لها او لانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى ارض الله)
العشب (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر
وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض)
ارض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن
والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح ﴿١٩٢﴾ وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال
المقدرة او المفعول
على ان التقدير بيوتا من
الجبال او تنحتون بمعنى
تتخذون (فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا فى الارض
مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا) عن الايمان
(من قومه للذين
استضعفوا) اى للذين
استضعفوهم واستذلوهم
(لمن آمن منهم) بدل من
الذين استضعفوا بدل
الكل ان كان الضمير لقومه
وبدل البعض ان كان
للذين وقرأ ابن عامر وقال
الملأ بالواو (أتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه)
قالوه على الاستهزاء (قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون)
عدلوا به عن الجواب
السوى الذى هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من (فلم يفرعوا)
ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين
استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه
معلوما مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان برضاهم
(وعتوا عن امر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله
فذروها (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة)

(قوله على ان التقدير بيوتا من الجبال) اى على ان يكون انتصاب الجبال
بنزع الخافض او على تضمين تنحتون معنى ما يتعدى الى مفعولين اى تتخذون
الجبال بيوتا بالنحت اى تصيرونها بيوتا بالنحت وقوله تعالى مفسدين
حال مؤكدة لان معناها مفهوم من عاملها فان العيث والعثى
اشد الفساد اى لا تبالغوا فى الافساد قيل المراد منه النهى عن عقر الناقة والاولى
ان يحمل على ظاهره وهو المنع من كل انواع الفساد (قوله وبدل البعض
ان كان للذين) فيكون المستضعفون ضربين مؤمنين وكافرين كأنه قيل
قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء (قوله
عدلوا به عن الجواب السوى) يعنى ان السؤال عن ارسال صالح عليه الصلاة
والسلام وانه هل هو مرسل من ربه اولا فالجواب السوى المطابق له ان يقال
نعم او انه مرسل لكنهم عدلوا عنه الى الاخبار عن انفسهم بانهم مؤمنون به
وبما ارسل به تنبيها على ان ارساله امر معلوم محقق حيث اوردوه صلة
للموصول فكأنهم قالوا لا كلام فى ارساله انما الكلام فى الايمان به
فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من اسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب
بغير ما يترقبه (قوله فلذلك) اى فلاجل ان قول المؤمنين انا بما ارسل به
مؤمنون فيه تنبيه على ان ارساله امر معلوم وانما الكلام فى الايمان به عدل الكفرة
عن الجواب المطابق له وهو ان يقولوا انا بما ارسل به كافرون الى قولهم انا بالذى آمنتم
به كافرون لانهم لو قالوا انا بما ارسل به كافرون لدل على ان ارساله مسلم عندهم
كما دل عليه قول المؤمنين فعدلوا عنه وقالوا انا بالذى آمنتم به كافرون كأنهم قالوا ليس
ارساله معلوما مسلما وليس هنا الا دعواه وايمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون والحاصل
ان المؤمنين جعلوا ارساله امرا محكما مقررا وفرعوا عليه ايمانهم به واما الكفرة

الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا
لاتفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم ﴿١٩٣﴾ فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها
الكاثبة وقال له أخرج من
هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فأخذ عليهم
صالح مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
فى العظم فآمن به جندع
فى جماعة ومنع الباقين من
الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم
ورباب بن صعر كاهنهم
فمكثت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فترفع
رأسها من البئر حتى تشرب
كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادى فتهرب
منها انعامهم الى بطنه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم
وزينت عقرها لهم عنيزة ام
غنم وصدقة بنت المختار
فعقروها واقتسموا لحمها فرقى (٢٥) سقبها جبلا اسمه قارة فرغا (رابع) ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فأنجاه الله الى ارض
فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا

فلم يفزعوا على ارسالها كما فزع عليه المؤمنون بل فرحوا لكفرهم على ايمان المؤمنين
(قوله الزلزلة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة يقال رجف الشئ
يرجف رجفا ورجفانا اذا تحرك او الرجفة الصيحة التى زلزلت بها الارض واضطربوا لها
كذا فى الكشاف وطعن قوم من الملاحدة فى قصة هلاك ثمود قائلين بأن الفاظ
القرآن قد اختلفت فى حكاية هذه الواقعة حيث قيل فى موضع فأخذتهم
الرجفة وفى موضع آخر الصيحة وفى موضع آخر بالطاغية وزعموا ان ذلك يوجب
التناقض ولا تناقض فيها ولا منافاة بينها لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه
لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحد
منهما واما الطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية
والتاء للمبالغة كما فى نسابة وعلامة فمعنى قوله تعالى فأهلكوا بالطاغية معناه فاهلكوا
بسبب طغيانهم (قوله ناقة مخترجة جوفاء وبراء) فى الكشاف المخترجة التى
شاكلت البخت وفى الاساس ناقة مخترجة اذا اخرجت على خلقة الجمل
من اخترجه بمعنى استخرجه والجوفاء واسعة الجوف والوبراء الكثيرة الوبر والعشراء
الناقة التى اتى عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض
والمخاض الحوامل من النوق واحدتها خلفة ويقال للفصيل اذا استكمل الحول
ودخل فى الثانية ابن مخاض ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا
وقوله فتمخضت الصخرة اى تحركت والنتوج الناقة التى ادركت الوقت الذى
تنتج فيه والغب ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما وقوله ثم تتفحج اى تفرج ما بين
رجليها بتقديم الحاء على الجيم يقال افحج الرجل احلوبته اذا فرج ما بين رجليها
ليحلبها وكانت تصيف اى تقيم بالصيف من قولهم صاف بالمكان اى اقام به
الصيف وشتوت بموضع كذا اى اقمت به فى الشتاء (قوله فرغا) اى صوت
وضج يقال رغا البعير يرغو رغوا اذا ضج والرغاء صوت ذوات الخف (قوله
اذ انفجت الصخرة) اى انفتحت من الفج وهو الطريق الواسع بين الجبلين يقال
فجحت ما بين رجلى افجه فجا اذا فتحت فلما انفجت الصخرة فدخلها السقب بعد
مارغا ثلاثا قال صالح عليه الصلاة والسلام لكل رغوة اجل يوم تمتعوا فى داركم

ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوالجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت و وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم عليه الصلاة والسلام فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم مع من اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وألقوا انفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة و الى الارض مرة لايدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صائح و صوت كل شئ له صوت فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الاهلك كما قال الله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين فان قيل ان من شاهد خروج الناقة من الصخرة وشاهد ايضا ان الماء الذى كان شرب الكل اولئك القوم فى احد اليومين كان شربا لتلك الناقة الواحدة و شاهد ايضا ان القوم يملأون جميع اوانيهم بلبنها فيشربون ويدخرون مافضل عن حاجتهم وشاهد مع جميع ذلك علامات نزول العذاب الشديد فى آخر الامر وكل واحدة منها معجزة قاهرة تلجئ المكلف الى الايمان فهل يحتمل ان يبقى العاقل مع هذه الاحوال مصرا على كفره فالجواب ان يقال انهم قبل ان شاهدوا نزول العذاب كانوا مصرين على الكفر والتكذيب كسائر من أصر على الكفر بعد مشاهدة المعجزات الباهرة واما بعد ماشاهدوا علامات نزول العذاب فقد خرجوا عند ذلك عن التكليف فلم تكن توبتهم مقبولة بعد ذلك (قوله ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين) لان فاء التعقيب تدل على انه حصل هذا التولى بعد جثومهم ولما ورد ان يقال قوله لهم ياقوم لقد ابلغتكم الآية خطاب مع اولئك وخطاب الاموات لايجوز اجاب عنه بجوابين الاول ان صالحا عليه الصلاة والسلام خاطبهم بعد كونهم جاثمين كما خاطب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قتلى بدر فقيل له عليه الصلاة والسلام أتتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ماانتم باسمع منهم ولكنهم لايقدرون على الجواب والثانى ان الرجل قد يخاطب صاحبه وهو ميت ويقول له يااخى قد نصحتك وبذلت جهدى فى ارشادك فلم تقبل نصحى ولم تمتنع عما كنت فيه حتى ألقيت نفسك فى الهلاك وفائدة مثل هذا الكلام تسلية قلبه عاطرا عليه من التحير والاحتراق ببلية صاحبه فان ارتكاب الصيحة يخف عليه بمثل هذا الكلام (قوله والجملة) وهى قوله ماسبقكم بها من احد استئناف مقرر للانكار اى ليست جوابا لسؤال بل جئ بها للتوبيخ بعد الانكار فكونها مستأنفة عبارة عن كونها جملة مبتدأة لقصد التوبيخ انكر عليهم اولا بقوله

(فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا اوذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم (ولوطا) اى وارسلنا لوطا (اذقال لقومه) وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من احد من العالمين) مافعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله أتأتون الفاحشة

وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) ﴿١٩٥﴾ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم) اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اي من الفواحش (فانجيناه واهله) اي من آمن به (الا امرأته) استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وامطرنا عليهم مطرا) اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم امطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه

اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها ويجوز ان تكون جوابا لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (قوله وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ) لكونه مؤكدا بان ولام الابتداء بعد كونه مصدرا بهمزة الانكار وقوله شهوة وقع في موقع الحال فانه يدل على التوبيخ سواء جعل مفعولا له او مصدرا بمعنى مشتهين اوتابعين للشهوة (قوله اضراب عن الانكار) يعني انه اضراب بمعنى الانتقال من القصة المذكورة الى قصة اخرى هي اتم من الاولى من غير ان يقصد ابطال الاولى انكر عليهم اولا تجاوزهم عن الحد في هذه الفاحشة ثم اضرب عنه الى الاخبار عما اداهم الى ارتكابها والى الذم على جميع معايبهم كأنه قيل بل ليس المنكر منكم هذه الفعلة القبيحة فقط بل منشأ ذلكم الاسراف والتجاوز عن الحد في جميع الامور فان جميع معايبهم يرجع الى التجاوز عما امروا به وهو المراد بالاسراف ثم جوز ان لا تكون بل للاضراب عن المذكور بل تكون اضرابا عن الشيء المحذوف وهو انهم زعموا ان لهم عذرا في ذلك الانكار فاجيبوا بانه لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف والتجاوز عن الحد ذهب الامام الشافعي رحمه الله الى ان اللواطة توجب الحد وقال ابو حنيفة لا توجبه بل يعزر فاعلها واصحاب الامام الشافعي اختلفوا في حد اللائط فقال بعضهم يرجم محصنا كان او غير محصن وكذا المفعول به ان كان محتملا وقال بعضهم ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن ادب وحبس واحتج الاولون عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى ان يرد الناسخ ولم يرد في شرع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينسخه فوجب الحكم ببقائه وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه احرق رجلا حين عمل عمل قوم لوط بالنار وقد احرقهم ابن الزبير في زمانه روي ان سبعة اخذوا في زمان ابن الزبير في لواط فسأل عنهم فوجد منهم اربعة احصنوا فخرج بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا وحد الثلاثة وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه (قوله وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين) اشارة الى ان مدين اسم قبيلة وهم اولاد مدين بن ابراهيم خليل الله ولو كان اسم بلد كما قيل لوجب ان يقدر المضاف

و يقال وارسلنا الى اهل مدين وقوله شعيب بن ميكيل منصوب على انه مفعول
ارسلنا (قوله يريد المعجزة التى كانت له) لانه انما امر قومه بعبادة الله تعالى
ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته اليهم فلابد له ان يدعى النبوة ومن المعلوم
ان مدعى النبوة لابد له من اظهار المعجزة والا لكان متنبئا فهذه الآية دلت على
انه حصلت له معجزة دالة على صدقه واما ان تلك المعجزة من اى الانواع كانت
فليس فى القرءآن دلالة عليه كما يحصل فى القرءآن دلالة على كثير من معجزات
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قال صاحب الكشاف ومن معجزات شعيب انه
حين دفع الى موسى غنمه دفع اليه عصا فتلك العصا صارت تنينا دافعا عن غنمه
بأن ابتلعت التنين الكائن فى المرعى ومن معجزاته ايضا ولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها والدرع جمع ادرع وهو من الخيل
والشياه ما اسود رأسه وابيض سائر جسده والانثى درعاء مثل احمر حمراء حمر
ووقوع عصا آدم عليه الصلاة والسلام على يده فى المرات السبع وغير ذلك
من الآيات فهذه كلها كانت قبل نبوة موسى فكانت معجزات لشعيب لان المعجزة
مايكون مسبوقا بدعوى الرسالة وهذا الكلام مبنى على اصل مختلف فيه بين
اصحابنا وبين المعتزلة وذلك انه يجوز عندنا ان يظهر الله تعالى على يد
من سيصير نبيا ورسولا فى المستقبل انواع الخوارق ويسمى ذلك ارهاصا وعند
المعتزلة لا يجوز ذلك فالاحوال التى حكاها صاحب الكشاف
من قبيل الارهاصات لنبوة موسى عندنا وعند المعتزلة معجزات لشعيب لما
ان الارهاص لايجوز عندهم واعترض المصنف عليه بأن ماروى من الاحوال
متأخر عن هذه المقالة فكيف يصح من شعيب ان يقول فى حقها قدجاءتكم بينة
بلفظ الماضى وباحتمال كونها كرامة لموسى اوارهاصا لنبوته بل هو المتعين لانه قد
روى ان موسى عليه الصلاة والسلام انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه ولان
ذلك لم يكن فى معرض التحدى (قوله اى آلة الكيل) وهى المكيال وهو
جواب لما يقال كيف قيل اوفوا الكيل والميزان مع ان الكيل مصدر قولك كلت
الطعام كيلا والميزان اسم آلة فالظاهر ان يقال فأوفوا المكيال والميزان
كما فى سورة هود والفاء فى قوله فأوفوا لترتيب الامر بالايفاء وايجابه على مجيئ
البينة وثبوت النبوة والشريعة وانتفاء العذر فى عدم اتباعها (قوله وانما
قال اشياءهم للتعميم) لم يرض بأن يراد بالاشياء الاعيان المستحقة بعقد المبايعة
بقرينة ما سبق حيث امر بايفاء المكيال والميزان ثم اكد ذلك الامر بالنهى عن
ضده وهو البخس والتطفيف فى الكيل والوزن فيكون تقدير الكلام ولاتبخسوا
الناس اشياءهم فى المبايعات بناء على ان التأسيس خير من التأكيد لاسيما

(قال ياقوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره قدجاءتكم
بينة من ربكم) يريد المعجزة
التى كانت له ليس فى القرءآن
انها ماهى وماروى من
محاربة عصا موسى عليه
السلام التنين وولادة
الغنم التى دفعها اليه الدرع
خاصة وكانت الموعودة له
من اولادها ووقوع عصا
آدم عليه السلام على يده
فى المرات السبع متأخر
عن هذه المقاولة ويحتمل
ان تكون كرامة لموسى
اوارهاصا لنبوته (فأوفوا
الكيل) اى آلة الكيل على
الاضمار اواطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على
على المعاش لقوله (والميزان
كما قال فى سورة هود فأوفوا
المكيال والميزان ويجوز
ان يكون الميزان مصدرا
كالميعاد (ولاتبخسوا الناس
اشياءهم) ولاتنقصوهم
حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل
والحقير والقليل والكثير

(اذا كان)

وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيأ ﴿ ١٩٧ ﴾ الا مكسوه (ولا تفسدوا في الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها)

اذا كان الحمل على النفي أكيد هو قويا على اخراج العام عن عمومه فالظاهر ان يكون المعنى لا تبخسوا الناس اشياءهم مطلقا نهاهم اولا عن البخس في الكيل والوزن ثم نهاهم عن البخس والمكس في كل شئ كأخذ الرشى و المؤن الديوانية والمراسم السلطانية والغصب والسرقة وقطع الطريق وانتزاع اموال الناس بالحيلة (قوله وقيل كانوا مكاسين) اى عشارين من المكس وهو ما يأخذه العشار او ملحين على البائع في طلب الزيادة من قولهم مكس في البيع يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة (قوله بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء الخ) احتاج الى تقدير المضاف وجعل الاضافة بمعنى في لان اصلاح نفس الارض وافسادها لا يتعلق بها قدرة الانسان واختياره فلا تتعلق مصلحة شرعية بالنهى عن افسادها بل الذي ينبغي ان يتعلق به التكليف هو اصلاح ما يقع فيها من الامور الفاسدة واصلاحها وافسادها بكون حدود الشرع واحكامه محفوظة مرعية فيما بينهم ومضيعة غير مرعية فلذلك فسر الافساد بالكفر والحيف والاصلاح باقامة حدود الشرع واحكامه (قوله ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا) اى سواء كانت الزيادة زيادة في امور الدنيا اوزيادة فيما عند الله تعالى من الثواب والدرجات فان الخطاب وان كان مع الكفرة الا ان العمل بما ذكر خير لهم مطلقا ان عملوا به مؤمنين بالله تعالى وباحكامه وهذا على تقدير ان تكون الاشارة بقوله ذلك الى جميع ما ذكر من قوله يا قوم اعبدوا الله الآية فان لفظ ذلك وان وضع للاشارة الى الواحد الا ان المشار اليه ههنا ايضا واحد وهو العمل بما ذكر فيكون ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلأن من اشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والامانة والوفاء يكون محبوبا بينهم ويرغبون في المعاملة معه فيكثر ماله وقدره واما في الآخرة فلكونه جامعا بين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله تعالى وقوله او في الانسانية الخ على تقدير ان تكون الاشارة الى ما ذكر من اتمام الكيل والميزان وترك البخس والافساد ويكون قوله ان كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لى في قولى فلا تكون الخيرية حينئذ بمعنى الزيادة مطلقا لان القوم كفرة ولم يفرض ايمانهم ليستحقوا ثواب الآخرة والاحدوثة ما يتحدث به وحسن الاحدوثة عبارة عن الذكر الجميل في الدنيا فان قلت الخيرية فيما ذكر من الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال تتوقف حينئذ على تصديقهم الناصح في قوله وهم ليسوا كذلك اجيب بأن قوله ان كنتم مؤمنين ليس شرطا للخيرية بل لفعلهم ما ذكر من الامور كأنه قيل فاتوا به ان كنتم مصدقين (قوله بكل طريق) الباء فيه للالصاق لان القعود ملصق بالمكان وفعل القعود

بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل) يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله (من آمن به)

لقال وتصدونهم وتوعدون
عاعطف عليه فى موقع
الحال من الضمير فى تقعدوا
(وتبغونها عوجا)
وتطلبون لسبيل الله
عوجا بالقاء الشبه او وصفها
للناس بانها معوجة
(واذكروا اذ كنتم قليلا)
عددكم او عددكم (فكثركم)
بالبركة فى النسل او المال
(وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين) من الامم قبلكم
واعتبروا بهم (وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذى
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا) فتربصوا (حتى
يحكم الله بيننا) اى بين
الفريقين بنصر المحقين
على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين
(وهو خير الحاكمين)
اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه (قال
الملأ الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من
قريتنا او لتعودن فى ملتنا)
اى ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم من القرية
او عودكم فى الكفر وشعيب
عليه الصلاة والسلام
لم يكن فى ملتهم قط لان
الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم

كما يتعدى بباء الالصاق يتعدى ايضا بكلمة على وبكلمة فى فيقال قعد على مكان كذا وفى مكان كذا لاستعلاء القاعد على ذلك المكان وحلوله فيه وقوله توعدون وتصدون وتبغون احوال اى لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر الموعود به لتذهب النفس كل مذهب (قوله او بكل صراط على الاول) يعنى على تقدير ان يراد بقوله عن سبيل الله الصراط الذى قعدوا عليه من طرق الدين يكون ضمير به راجعا الى قوله بكل صراط اى تصدون عنه من آمن به على اعمال الفعل الثانى وحذف مفعول الاول وهو مختار البصريين ولو اعمل الاول لوجب اضمار مفعول الثانى على المختار حتى قال بعضهم لا يجوز حذفه الا فى ضرورة الشعر ولو اضمر لقيل وتصدونهم لكن لم ينزل القرآن هكذا فعلم ان من آمن ليس مفعول توعدون (قوله تعالى واذكروا) اما ان يكون مفعوله محذوفا فيكون الظرف المذكور بعده معمولا لذلك المفعول اى اذكروا نعمة الله عليكم فى ذلك الوقت واما ان يجعل نفس الظرف مفعولا به والاول هو الاوفق لقول المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ان اذ واذا حقهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة اى لا يجوز التصرف فيهما بأن يجعل نصبهما على المفعول به اوغيره ولما ورد عليه ان اذ وقع بدلا من اخا عاد فى قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه فيكون مفعولا به اجاب عنه بأن البدل محذوف والتقدير اذكر الحادث اذ كان كذا فلما حذف الحادث اقيم الظرف مقامه وقوله قبيل هذا او واذكر لوطا واذ بدل منه ذكره نقلا عن القوم غير مختار عنده (قوله وشعيب لم يكن فى ملتهم قط) جواب عما يقال كيف خاطبوا شعيبا عليه الصلاة والسلام بالعود فى الكفر واجابهم ايضا بالعود فى الكفر ولا يصح ذلك الا اذا كان كافرا قبل ذلك الوقت لان العود عبارة عن الرجوع الى ما كان عليه من الحال الاول والانبياء لا يجوز عليهم الصغائر فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر وتقرير الجواب ان العود فى الكفر حكم على الذين معه فانهم دخلوا فى الايمان بعد كفرهم وانما عد نفسه من جملتهم تغليبا للجماعة على الواحد وعاد قد تستعمل بمعنى صار فحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر فلا تكتفى بمرفوع بل تفتقر الى خبر منصوب فلو كان المعنى ههنا او لتصيرن فى ملتنا بعد ان لم تكونوا فيها لزال الاشكال من غير احتياج الى اعتبار التغليب وقد جعله المصنف بمعنى صار فى سورة ابراهيم حيث قال العود فى قوله تعالى او لتعودن فى ملتنا بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ولم يتعرض له فى هذه الآية بناء على انه لا يلائمه قوله بعد اذ نجانا الله

فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (سحابا ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت) ﴿ ١٨٣ ﴾ لاجله اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به الماء) بالبلد اوبالسحاب اوبالسوق اوبالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية (من كل الثمرات) من كل انواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات والى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة (والذى خبث) كالحرة والسبخة (لايخرج الانكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لايخرج نباته الانكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الانكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذانكد ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها

فى كتب فيكون تخريجه واعرابه كما ذكر فى اصله ويقال انشر الله الروح فنشرت اى احياها فحييت كذا فى الوسيط وقرأ الاخوان نشرا بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرات اومنشورات اوذات نشر وقيل انه مصدر مؤكد على غير لفظ عامله لتقاربهما معنى وقرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين على انه جمع بشير اصله بشر بضمتين نحو قليب وقلب ورغيف ورغف ثم اسكنت الشين للتخفيف كما فى نشر ويؤيدها قوله تعالى يرسل الرياح مبشرات اى تبشر بالمطر وقرئ بشرا بضم الباء والشين على الاصل وقرئ بشرا بفتح الباء وسكون الشين على انه مصدر بشر ثلاثيا وقع موقع الحال اى باشرات اومنصوب على انه مفعول له اى للبشارة وقرئ بشرى على وزن رجعى وهو ايضا مصدر كما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر رضى الله عنه حاج فقال عمر لمن حوله مابلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه الجواب بشئ فبلغنى الذى سأل عنه عمر من امر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح وانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها (قوله فان الصبا) وهى ريح تهب من موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور الريح التى تقابل الصبا والشمال الريح التى تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التى تقابل الشمال وهى التى تدر السحاب اى تستحلبه (قوله تعالى حتى اذا اقلت) غاية لقوله يرسل وأقلت اى حملت ورفعت من أقللت كذا اى حملته بسهولة ومن رفع الشئ وحمله بسهولة لاشك انه يراه قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة (قوله بالبلد) على ان ضمير به لاقرب المذكور والباء ظرفية وجعلها المصنف للالصاق اى فانزلنا فى ذلك البلد الميت الماء وعلى تقدير كون الضمير للسحاب اوالسوق المدلول عليه بقوله سقناه اوالريح تكون الباء سببية اوللآلة كما فى كتبت بالقلم والبلد كل موضع من الارض عامرا كان اوغير عامر خاليا اومسكونا والطائفة منها بلدة والجمع بلاد ❊ والحرة ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التى لاتنبت شيأ ونكد بكسر الكاف ينكد بالفتح نكدا اشتد وضاق ورجل نكد اى عسر (قوله وقرئ يخرج) على بناء المفعول ورفع نباته لقيامه

مقام الفاعل وهو البلد وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر ونكدا بسكونها وهو مخفف نكد بالكسر مثل كتف وكتف فيكون النظم هكذا والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا فيكون الا نكدا مفعول يخرج (قوله والآية مثل) اى استعارة تمثيلية شبه الله المؤمن بالارض الكريمة التربة والكافر بالارض السبخة وشبه نزول القرآن بنزول المطر فان الارض الكريم التربة اذا نزل عليها المطر يحصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة وان نزل عليها المطر لم يحصل فيها من النبات الا النزر القليل فكذلك الروح الطاهر النقى من شوائب الجهل والاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القرآن ظهرت فيه انواع الطاعات والمعارف والاخلاق الحميدة والروح الخبيث الكدر وان اتصل به نور القرآن لم تظهر فيه المعارف والاخلاق الحميدة فان الارواح قسمان منها ما يكون فى اصل جوهره طاهرا نقيا مستعدا لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون غليظا كدرا بطئ القبول للمعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة كما ان الاراضى منها ما تكون طيبة نقية ومنها ما تكون فاسدة سبخة وكما انه لا يمكن ان يتولد فى الاراضى السبخة تلك الازهار والثمار التى تتولد فى الاراضى الطيبة فكذلك لا يمكن ان يظهر فى النفس البليدة الكدرة من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة مثل ما يظهر فى النفوس الطاهرة الصافية واذا كانت احوال النفوس مختلفة اختلافا جوهريا ذاتيا لا يمكن ازالته ولا تبديله امتنع من النفوس الغليظة المائلة بالطبع الى افعال الفجور ان تصير نفسا مشرقة بالمعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فتكليف مثل هذه النفس بتلك المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة جار مجرى تكليف ما لا يطاق فثبت بهذا البيان ان السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه وان النفس الطاهرة يخرج نباتها من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة باذن ربها والنفس الخبيثة لا يخرج نباتها الا نكدا قليل الفائدة والخير كثير الفضول والشر (قوله ولا تكاد تطلق هذه اللام) اشارة الى انها قد تطلق بدون قد نادرا كما فى قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر ❊ لنا موا فما ان من حديث ولا صالى

يعنى طرقت الحبيبة فاستشعرت خوفا من الرقباء الذين يتحدثون او يبيتون فى السمر مصطلين فحلفت لها حلفة فاجر اى كاذب او فاجر ان القوم نيام ليس هنا حديث لا نتفاء المحدث اى ذو حديث ولا مصطلى بالنار (قوله لانها مظنة التوقع) ضمير انها للام المذكورة يعنى ان الجملة القسمية لا تساق الا لتأكيد الجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت الجملة القسمية مظنة لمعنى التوقع للجملة المقسم عليها لان احتياجها الى الاقسام عليها دليل تردد المخاطب فى مضمونها

وتكررها (لعلهم يشكرون) نعمة الله فيشكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها القدار ... الى قومه) جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس

وتوقعه لحصول مضمونها عند سماعه كلمة القسم كما اذا ذكرت صريحا اوضمنا
بان دل عليها بلام الجواب (قوله اول نبي بعده) خبر قوله ونوح بن لمك يعني
ان نوحا عليه الصلاة والسلام اول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وبعث
ادريس بعد شيث عليهما الصلاة والسلام وقال القرطبي هو اول نبي بعث بعد
آدم عليهما الصلاة والسلام بتحريم البنات والخالات والعمات وكان نجارا
بعثه الله الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس وهو ابن اربعين سنة
(قوله وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ) اى على انه صفة
تابعة للفظ اله فان من فيه زائدة وموضعه رفع اما بالابتداء واما بالفاعلية الا ان تابعه
جعل تابعا للفظه والجمهور جعلوه تابعا لمحله وقرئ بالنصب على الاستثناء فان
حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا واذا جعلت قوله من اله مبتدأ فلك في الخبر
وجهان اظهرهما انه لكم والثاني محذوف اى مالكم من اله في الوجود غير الله
ولكم على هذا تخصيص وتبيين قال الواحدي في الكلام حذف وهو خبر ما لانك
اذا جعلت غيره صفة لقوله اله لم يبق لهذا النفي خبر ففي الكلام حذف خبره
ويكون التقدير مالكم من اله غيره في الوجود وقال الامام اتفق النحويون على
ان قولنا لا اله الا الله لابد فيه من اضمار والتقدير لا اله في الوجود الا الله او لا اله لنا
الا الله (قوله اى الاشراف) الملأ الجماعة الا انه خص الاشراف والرؤساء
بهذا الاسم لانهم الذين يملأون صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ
الابصار من روآئهم وهو المنظر الحسن (قوله بالغ في النفي) يعني ان المناسب
لقولهم لنراك في ضلال ان يقال ليس في ضلال الا انه عليه الصلاة والسلام اجابهم
بقوله ليس بي ضلالة مبالغة في نفي الضلال عنه لانه نفى ان يلتبس به ضلالة
واحدة فضلا عن ان يحيط به الضلال فلو قال لست ضالا لم يؤد هذا المعنى
(قوله كما بالغوا في الاثبات) حيث قالوا لنراك في ضلال بتنكير الضلال للتعظيم
ووصفوه بقوله مبين (قوله استدراك باعتبار ما يلزمه) اى ما يلزم النفي البالغ
للضلال وهو كونه على هدى في الغاية وحق الاستدراك ان يتوسط بين كلامين
متنافيين فلما نفى عن نفسه العيب الذي وصفوه به وصف نفسه باشرف الصفات
الممكنة في حق البشر وهو كونه رسولا من رب العالمين ثم ذكر ما هو المقصود
من الرسالة وهو امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة فقال ابلغكم وكان الظاهر
ان يقال يبلغكم وينصح لكم ويعلم الا انه روعي الضمير السابق الذي للمتكلم فقال
ابلغكم والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضمير متكلم او مخاطب
ان شئت تراعي الضمير السابق وهو الاكثر وان شئت تراعي الاسم الظاهر فتقول

اول نبي بعده بعث وهو
ابن خمسين سنة او اربعين
(فقال يا قوم اعبدوا الله)
اى اعبدوه وحده لقوله
تعالى (ما لكم من اله غيره)
وقرأ الكسائي غيره بالكسر
نعتا او بدلا على اللفظ
حيث وقع اذا كان قبل اله
من التي تخفض وقرئ
بالنصب على الاستثناء
(اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم) ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي
الى عبادته واليوم يوم
القيامة او يوم نزول
الطوفان (قال الملأ من
قومه) اى الاشراف فانهم
يملأون العيون روآء (انا
لنراك في ضلال) في زوال
عن الحق (مبين) بين (قال
يا قوم ليس بي ضلالة) اى
شئ من الضلال بالغ
في النفي كما بالغوا في الاثبات
وعرض لهم به (ولكني
رسول من رب العالمين)
استدراك باعتبار ما يلزمه
وهو كونه على هدى كأنه
قال ولكني على هدى
في الغاية لاني رسول من
الله (ابلغكم رسالات ربي
وانصح لكم واعلم من الله
ما لا تعلمون) صفات لرسول
او استئناف ومساقها على
الوجهين لبيان كونه رسولا

وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بهاما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم الدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لاعلم لكم بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة اوموعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لوشاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لايعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه فأنجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (في الفلك) متعلق بمعه او بأنجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات (والى عاد اخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لأخاهم

انا رجل افعل كذا ورجل يفعل كذا (قوله وقرأ ابو عمرو ابلغكم) بنقل بلغ الى باب الافعال للتعدية وجمع رسالة والحال ان له رسالة واحدة باعتبار انواعها من الامر والنهي والوعظ والانذار والقصص اولتعددها بحسب اختلاف اوقاتها اولارادة رسالاته ورسالة من قبله من اجداده من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرفهم انواع تكاليف الله تعالى واوامره ونواهيه واما النصيحة فهو ترغيبهم في الطاعة وتحذيرهم من المعاصي وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه قال الفراء العرب لاتكاد تقول نصحتك وانما تقول نصحت لك ويجوز ان يقال نصحتك الآن في زيادة اللام دلالة على امحاض النصح لهم (قوله من جملتكم) اى متصل بكم نسبا فانهم لما تعجبوا من ارسال البشر انكر عليهم نوح عليه الصلاة والسلام بأن قال لهم ماينفي وجه تعجبهم فقال لهم انه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يأمر عبيده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولايجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك لا يليق بحجاب الكبرياء وينتهي الى حد الالجاء وهو ينافي التكليف ولايجوز ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان عدم الجنسية يمنع ماهو المقصود من الرسالة كما ذكر في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فتعين ان تكون تلك الواسطة من نوع الانسان ثم ان كان ذلك الرسول ممن يعرفه المرسل اليهم بنسبه ويعلمون تفاصيل احواله يكون ذلك أدخل في استئناسهم به وقبولهم منه فان المرء يأنس بما هو به اعرف وبظاهر احواله اعلم وبما يقتضي السكون اليه ابصر (قوله متعلق بمعه) اى متعلق بالاستقرار الذى تعلق به الظرف اى والذين استقروا معه في الفلك (قوله او بأنجيناه) فحينئذ يجوز ان تكون كلمة في سببية اى انجيناه بسبب الفلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام دخلت امرأة النار في هرة (قوله او حال من الموصول او من الضمير في معه) فحينئذ يتعلق بمحذوف اى كائنين في الفلك او كائنا فيه (قوله عمي القلوب) اى عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعمين جمع عم اصله عمي على وزن خضر فأعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال رجل عم وقيل عم في البصيرة واعمى في البصر قال زهير

(وأعلم)

وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله (قال اولو كنا كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او أتعيدوننا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا ﴿١٩٩﴾ بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا (وما يكون لنا) وما يصح لنا (ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم اطماعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون (وسع ربنا كل شئ علما) اى احاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اواظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالة بهداكم اولفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) فى مدينتهم (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين

(قوله وعلى ذلك) اى على اعتبار التغليب فانه عليه الصلاة والسلام يريد بقوله ان عدنا فى ملتكم عود قومه الا انه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه ازلا وابدا اجراء لكلامه على حكم التغليب (قوله وهو بمعنى المستقبل) لما جعل الجملة قضية شرطية اكتفى عن جوابها بذكر ما يدل عليه ورد ان يقال كيف يصح ان يجعل قوله قد افترينا على الله كذبا جواب الشرط معلقا عليه مع ان هذا الترتيب يقتضى ان يكون مضمونه ماضيا بالنسبة الى زمان وقوع مضمون الشرط والمعلق بالشرط لا يجوز ان يكون وقوعه سابقا على وقوع الشرط وانما قلنا ان مقتضى التركيب ذلك لان كلمة ان لا تقلب الماضى المصدر بقد ولا التقدم على الشرط فكيف اذا اجتمع الامر ان فظهر ان الافتراء الماضى لا تعلق له بالعود ولا سبيل الى الحمل على معنى ان عدنا ظهر انا قد افترينا البتة لان المقصود من الآية بيان انهم لا يعودون الى الكفر بأن يقولوا انا ان عدنا افترينا على الله كذبا لكنا لا نفترى على الله كذبا فلا نعود قطعا ولوحمل على معنى ان عدنا ظهر افتراؤنا لكان المانع من العود الى الكفر ظهور الافتراء لا هو نفسه وظاهر ان هذا المعنى غير مستقيم فى هذا المقام فأشار الى جوابه بأن قوله قد افترينا بمعنى المستقبل عبر عنه بلفظ الماضى تنزيلا للافتراء المرتب على العود منزلة الواقع للمبالغة فى الامتناع عن العود وادخل عليه كلمة قد لتقريبه من الحال واشار الى جواب آخر عنه بقوله وقيل انه جواب قسم محذوف وضعفه لكونه لا يدفع الاشكال المذكور الا بجعل الماضى بمعنى المستقبل تنزيلا له منزلة الواقع وتقريبا الى الحال حتى كأنه قيل والله لقد افترينا الآن ان هممنا الخ لانه اولم يجعل بمعنى المستقبل لما صح تقييده بالشرط فكان اعتبار القسم ضائعا فى دفع الاشكال (قوله وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته) اى بمشيئة الله تعالى كما ذهب اليه اهل السنة وذلك لان معنى الآية ليس لنا ان نعود الى ملتكم الا ان يشاء الله ان يعيدنا الى تلك الملة وتلك الملة كفر فكان هذا تجويزا من شعيب عليه الصلاة والسلام ان يعيدهم الى الكفر قال الواحدى لم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام

واجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام وكان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا مايقول يامقلب القلوب و الابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك و قال يوسف عليه الصلاة و السلام توفنى مسلما واستدل اهل السنة بهذه الآية على مذهبهم بوجه آخر وهو انه عليه الصلاة و السلام قال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فدل على ان المنجى من الكفر هو الله تعالى ولو كان الايمان يحصل بخلق العبد لكان العبد هو المنجى نفسه وهو خلاف قوله بعد اذ نجانا الله منها واجاب المعتزلة عنه بوجوه منها ما ذكره المصنف من انه عليه الصلاة و السلام اراد بذلك حسم طمعهم من العود بتعليقه بالمحال كما يقال لاافعل ذلك الااذا ابيض القار وشاب الغراب فعلق شعيب عليه الصلاة و السلام عوده الى ملتهم بما علم انه لايكون اصلا (قوله وللتنبيه على هذا) اى على مناط خسران الدارين وهو تكذيب الانبياء لا تصديقهم واتباعهم كرر الموصول فان كون المبتدأ موصولا يشعر بعلية الصلة للحكم المذكور بعدها فينتفى الحكم عند انتفائها وقوله واستأنف بالجملتين اى ابتدأبهما فان كل واحدة من الجملتين كلام مبتدأ لتمام حكايتهم عند قوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين فان الملأ لما قالوا لاشياعهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون رد الله عليهم بقوله فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ولما فرع كلامه بأخذهم بطريق الاستئصال على قولهم المؤدى الى الهلاك على الوجه المذكور لم يبق شئ مما يتعلق ببيان حالهم فلا جرم كان قوله الذين كذبوا شعيبا كلاما مبتدأ مستأنفا جئ به للمبالغة فى الرد عليهم بتخصيص العذاب و الخسران بالمكذبين وان المصدقين بمعزل عنه (قوله قاله تأسفا) اى لاعلى طريق المكالمة مع الاموات حقيقة فان الظاهر انه انما تولى عنهم بعد ما نزل العذاب بهم اذلا فائدة فى خطابهم والاسى شدة الحزن من اسى يأسى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر كرضى يرضى وآسى بناء المتكلم وحده على وزن افعل وفسر الآية بوجهين الاول انه اشتد حزنه على هلاك قومه ثم انه عزى نفسه بانهم هم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر فقال منكرا على نفسه مالى احزن على هلاك قوم استحقوا الهلاك والثانى انه لم يحزن على هلاكهم وانما قال ماقاله اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم فان الاستفهام للانكار اى لاآسى عليهم (قوله تعالى وما ارسلنا فى قرية من نبى) لما بين الله تعالى جواب احوال هؤلاء الانبياء واحوال ما جرى على امهم كان من الجائز ان يظن انه تعالى ما انزل عذاب الاستئصال الا فى زمن هؤلاء الانبياء فقط فبين فى هذه الآية ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وبين العلة التى بها يفعل ذلك والمراد بالقرية مجتمع

وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ ءاسى بامالتين (وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا ويتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر

القوم قرية كانت اومدينة (قوله ومنه اعفاء اللحى) اى توفيرها وتكثير شعرها واللحى بالضم والكسر جمع لحية وقوله من نبى فيه حذف واضمار فان من نبى موصوف حذف صفته اى من نبى كذب او كذبه اهلها روى عن الزجاج ان البأساء كل ما نالهم من شدة فى احوالهم والضراء ما نالهم من الامراض وقيل على العكس فالمعنى انهم متى نالهم شدة قالوا ليس هذا بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل ولم يكن ما نالنا من البأساء والضراء عقوبة من الله تعالى بل هو من عادات الزمان بأهله فمرة يحصل لهم الشدة والضراء ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم لم يرجعوا عن دينهم بما مسهم من الضراء فبين الله تعالى انه ازال عذرهم وازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك فأخذهم الله بغتة وهم لايشعرون بنزول العذاب ليكون ذلك اعظم فى الحسرة والحكمة فى حكاية هذا المعنى ان يحصل الاعتبار لمن سمع هذه القصة وعرفها (قوله أفأمن اهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة) جعل الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة لدخولها على ماذكر قبلها ولم يلزم بطلان صدارة الهمزة اذ لم يتقدمها شئ من الكلام الذى دخلت هى عليه وتعلق معناها بمعموله غاية الامر انها توسطت بين الكلامين المتعاطفين لافادة انكار وقوع الثانى عقيب الاول وعادة صاحب الكشاف فى مثلها ان يقدر المعطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف وههنا لم يقدر بينهما شيأ فيختار كل واحد منهما بحسب اقتضاء المقام وسياق الكلام والمقصود بقوله تعالى أفأمن اهل القرى انكار ان يقع بعد اخذ قوم شعيب امن اهل القرى ان يجيئهم البأس بياتا او يجيئهم البأس ضحى من غير اعتبار ترتيب بينهما فبالضرورة كان عطف الجملة الاولى بالفاء والثانية بالواو ودخلت الهمزة لافادة انكار ان يقع بعد ذلك الاخذ هذان الامنان (قوله والمعنى أبعد ذلك امن اهل القرى) اشارة الى ان الفاء فى قوله افأمن للتعقيب مع التسبيب اذ بعد مشاهدة مافعل بأهل تلك القرى يستبعد الامن من العاقل ولما لم يكن بين هذا الامن والامن المعطوف عليه بالواو معنى التعقيب كان ذلك موضع الواو ليدل على كون مجموعهما عقيب الاول واهل القرى فى قوله افأمن اهل القرى هم اهل مكة وماحواليها وفى الجملة هم من بعث اليهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واما وجه وقوع الاعتراض فبين لانه يؤكد ماذكره من ان الاخذ بغتة مرتب على اضداد الايمان والتقوى ولو عكس لانعكس الامر ومنه يظهر ان جعل اللام للجنس هنالك اولى ليؤكد اعتراض المعطوف والمعطوف عليه ويشملهما على السوآء (قوله بيتا) على ان يكون بياتا بمعنى تبييتا

ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل مامسنا (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله وماارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (أفأمن اهل القرى) عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك امن اهل القرى (ان يأتيهم بأسنا بياتا) تبييتا

ويتصب على انه مفعول متعلق لقوله يأتيهم لان التبييت نوع من الاتيان يقال بيت العدو اذا أوقع بهم ليلا والاسم منه البيات (قوله اووقت بيات) على ان يكون بمعنى البيتوتة ومنصوبا على الظرفية بتقدير المضاف (قوله اومبيتا اومبيتين) على ان يكون بمعنى التبييت ومنصوبا على انه حال من الفاعل اومن المفعول فان البأس مبيت وهم مبيتون (قوله اوالمستتر في بياتا) على ان يكون بياتا حالا بمعنى مبيتين فانه حينئذ يحتمل ضمير اهل القرى فيكون الحالان متداخلتين كقوله ضحى فانه منصوب على الظرف الزمانى فالانسب في بياتا ان ينتصب على الظرفية ليطابق قرينه (قوله يلهون) بصرف الهم بما لاينفع لافي امر الدين ولافي امر الدنيا (قوله اويشتغلون) اي بامور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب (قوله تقرير لقوله أفأمن) جواب عما يقال لم رجع الى العطف بالفاء وكان الانسب ان يستمر على طريقة العطف بالواو ليكون في حيز أوأمن فيستفاد انكار وقوعه بعد اخذهم فاى حاجة الى استئناف الفاء وقصد ترتب هذا الامن على حدة وتقرير الجواب ان هذا الامن ليس أمنا آخر بل هو تقرير لمجموع قوله افأمن جمعا بعد التفريق قصدا الى زيادة التحذير والانذار فيكون ضمير أفأمنوا للموجودين في عصر النبوة المشار اليهم بقوله افامن اهل القرى لالجميع اهل القرى الهالكة المشار اليهم بقوله ولو ان اهل القرى والباقية المبعوث اليهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان المقصود تهديد الموجودين (قوله ومكر الله استعارة) فان اصل المكر اظهار المحبوب واخفاء المكروه شبه الله استدراج العبد بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والغي بالمكر فان ذلك اضرارلهم من حيث لايشعرون وان شئت قلت المكر اضرار احد من غير ان يشعر به والفاء في قوله فلايأمن مكر الله متعلق بمحذوف فكأنه قيل فما أمنوا خسروا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وانما عدى باللام مع ان فعل الهداية يتعدى الى مفعوله الاول بنفسه لانه ضمن معنى التبيين والمتبادر من كلامه ان التضمين معتبر في كل واحدة من القرآءتين فيكون مفعوله على قرآءة الياء محذوفا اى اولم يبين لهم هذا الشأن الطريق المستقيم قال النحرير التفتازانى الظاهر ان اعتبار التضمين انما هو على قرآءة النون حيث ذكر المفعول الثانى وهو ان لونشاء واما على قرآءة الياء فهو من قبيل تنزيل المتعدى منزلة اللازم بمعنى اولم يفعل الهداية لهم ولاحاجة الى تقدير المفعول الثانى نقل عن استاذ عصره وفريد دهره المولى المعروف بخضر بك چلبى رحمه الله ان التنزيل منزلة اللازم يمكن ان يكون بالنسبة الى احد المفعولين مع ذكر المفعول الآخر كما يمكن

اووقت بيات اومبيتا اومبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز اوالمستتر في بياتا (أوأمن اهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر اوبالسكون على الترديد (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون من فرط الغفلة اويشتغلون بما لا ينفعهم (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لايحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها) اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم)

أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو عطف على يهد ومن قرأه بالنون

جعله مفعولا (ونطبع
على قلوبهم) عطف
على ما دل عليه أولم يهد
أي يغفلون عن الهداية
أو منقطع عنه بمعنى ونحن
نطبع ولا يجوز عطفه على
أصبناهم على أنه بمعنى
وطبعنا لأنه في سياقه
جواب لو لإفضائه إلى نفي
الطبع عنهم (فهم
لا يسمعون) سماع تفهم
واعتبار (تلك القرى)
يعني قرى الأمم المار ذكرهم
(نقص عليك من أنبائها)
حال إن جعل القرى خبرا
ويكون إفادته بالتقييد بها
وخبر إن جعلت صفة
ويجوز أن يكونا خبرين
ومن للتبعيض أي نقص
بعض أنبائها ولها أنباء
غيرها لا نقصها
(ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا
ليؤمنوا) عند مجيئهم بها
(بما كذبوا من قبل) بما
كذبوه من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على
التكذيب أي فما كانوا
ليؤمنوا مدة عمرهم بما
كذبوا به أولا حين جاءتهم
الرسل ولم تؤثر فيهم قط
دعوتهم المتطاولة
والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي

بالنسبة إلى المفعول المضمر كما صرح به السيد في اقرأ باسم ربك فالقراءتان
متساويتان في اعتبار التضمين والتنزيل ويمكن الفرق بين القراءتين بأن قصد
التعلق إلى المفعول الثاني دليل ظاهر على القصد إلى المفعول الأول لا سيما
عند ذكر ما يصلح مفعولا أول أعني الذين يرثون بخلاف قراءة الياء إذ لا قصد
إلى التعلق بشيء أصلا فيها (قوله أن الشأن) إشارة إلى أن أن في قوله أن لو نشاء
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (قوله عطف على ما دل عليه أولم يهد)
فإنه استفهام بمعنى الإثبات جيء به إنكارا لتماديهم في الغفلة وتقاعدهم
عن النظر والاعتبار كأنه قيل قد بين لهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء
ذنوبهم وينبغي للعاقل أن يحترز عن اقتراف الذنوب لكنهم يغفلون عن الهداية
ونطبع على قلوبهم (قوله لأنه في سياقه جواب لو) علة لكونه بمعنى طبعنا
فإن كلمة لو للماضي وإن دخلت على المستقبل وقوله لإفضائه علة لقوله ولا يجوز
فإن قوله ونطبع لو كان معطوفا على جواب لو لزم انتفاء الطبع عنهم فإن كلمة
لو تفيد انتفاء جملتيها واللازم باطل لقوله تعالى فهم لا يسمعون أي يصرون
على عدم القبول ولقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فإنه ظاهر الدلالة
على أن الوارثين والمورثين كلاهما من أهل الطبع (قوله يعني قرى الأمم
المار ذكرهم) وهم أمة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قص الله بعض أنبائهم
تنبيها لهذه الأمة على وجوب الاحتراز عن مثل حالهم فإنهم اغتروا بطول
الإمهال مع كثرة النعم فتوهموا أنهم على الحق فطغوا وبطروا وعصوا رسلهم
(قوله حال إن جعل القرى خبرا) أي إن جعل تلك مبتدأ مشارا بها إلى ما بعدها
والقرى خبرها يكون نقص عليك في موضع النصب على الحالية أي قاصين
كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية ورد أن يقال الكلام الخبري إنما يساق
لفائدة المخاطب وما الفائدة في أن يشار إلى جنس القرى أو إلى الأفراد المعهودة
منها ويحكم عليها بأنها القرى وهل هو إلا مثل قولك هذا زيد لمن يعلم أنه زيد
أشار إلى جوابه بقوله ويكون إفادته بالتقييد بها يعني أن المعلوم عند المخاطب
هو كون المشار إليه محكوما عليه بكونه قرى مطلقا أي من غير ملاحظة تقييده
بأنه تعالى قص بعض أنبائها وبتقييده بذلك حصلت الفائدة كما حصلت بالتقييد
بالصفة في قولك هو الرجل الكريم إلا أن إفادة قولك تلك القرى إذا كان منوطا
بتقييده بالحال لزم أن لا يكون مفيدا إذا جعل قوله نقص خبرا بعد خبر لانعدام
التقييد الذي جعل مناط الفائدة ويمكن أن يقال انتفاء المناط المخصوص
لا يوجب خلو الكلام عن الفائدة لجواز حصول الفائدة بأمر آخر كتعريف
الخبر بلام العهد فإنك إذا أشرت إلى قرى وحكمت عليها بأنها القرى وأردت

والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته حالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر (وما وجدنا ﴿٢٠٤﴾ لاكثرهم) لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين
(من عهد) من وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما
عهد الله اليهم فى الايمان
والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجج او ما عهدوا
اليه حين كانوا فى ضر
ومخافة مثل لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من
الشاكرين (وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين) اى
علمناهم من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام
الفارقة وذلك لا يجوز
الا فى المبتدأ والخبر
او الافعال الداخلة عليهما
وعند الكوفيين ان للنفى
واللام بمعنى الا (ثم بعثنا
من بعدهم موسى) الضمير
للرسل فى قوله ولقد جاءتهم
رسلهم او للامم
(بآياتنا) يعنى المعجزات
(الى فرعون وملئه
فظلموا بها) بان كفروا
بها مكان الايمان الذى
هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا
موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر ككسرى
لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن ريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) اليك (والراد)
وقوله ؛ حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) انه جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالتباس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر *

القرى الكاملة فى شأنها حصلت الفائدة لا محالة كما فى قوله تعالى ذلك الكتاب
وانما يخلو الكلام عن الفائدة ويحتاج الى اعتبار تقييده بالحال اذا كان
تعريف القرى للجنس اى مع قطع النظر عن كونها قرى كاملة فى شأنها
(قوله والدلالة) تفسير لتأكيد النفى فان نفى الفعل مع لام الجحود
ابلغ من نفيه بدونها اما عند البصريين فلأن تقدير الكلام عندهم
فما كانوا مريدين للايمان ونفى ارادة الفعل ابلغ من نفى نفس الفعل فان
البصريين يجعلون خبر كان محذوفا ويجعلون هذه اللام متعلقة بذلك الخبر
المحذوف ويجعلون الفعل بعدها منصوبا باضمار ان واما عند الكوفيين فان
اللام للتأكيد واللام مع التأكيد ابلغ منه بلا تأكيد والكاف فى قوله تعالى كذلك
منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع الذى طبع الله على
قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا
(قوله والآية اعتراض) اى قوله فما وجدنا الى قوله لفاسقين اعتراض
ان كان الضمير فى قوله اكثرهم للناس وان كان الضمير للامم المذكورين فلا يكون
اعتراضا بل يكون من تتمة الكلام السابق وهذا تصريح بأن الاعتراض لا يجب
ان يتوسط بين الكلامين بل قد يقع فى آخر الكلام (قوله وكان اصله
حقيق على ان لا اقول) بكلمة على التى هى حرف جر داخلة على ياء المتكلم وهى
قرآءة نافع واما قرآءة العامة فهى حقيق على ان لا اقول بكلمة على التى هى حرف
جر داخلة على ان وما فى حيزها جعل المصنف قرآءة العامة كقرآءة نافع فى المعنى
بناء على ان الاصل قول الحق حقيق على اى واجب لان الحقيق بمعنى الجدير
لا يتعدى بعلى بل يتعدى بالباء فقلب اللفظ فصار انا حقيق على قول الحق
واحتيج الى توجيه هذه العبارة بأن مدلولها ان موسى حقيق واجب على قول
الحق ولا معنى له لان الفعل اوالترك يجب على الرجل ولا يجب الرجل على الفعل
اوالترك فلذلك حملها على القلب قيل حمل الكلام على القلب وان جاز الا انه
انما يصح اذا تضمن نكتة ولا نكتة هنا حتى قيل ان اصحابنا يخصون القلب
باقتضاء الضرورة حمل الكلام عليه فينبغى ان ينزه القرآن عنه وللناس فيه
ثلاثة مذاهب الجواز مطلقا والمنع مطلقا والتفصيل بين ان يفيد معنى بديعا
فيجوز اولا فيمتنع وذهب المصنف الى انه فصيح عند اتضاح المراد والامن
من الالتباس كما فى البيت واول البيت

ويلحق خيل لا هوادة بيننا * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

اولان ما لزمك فقد لزمته اولاغراق ﴿١٠٥﴾ فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون

والمراد بالخيل هنا الرجالة والهوادة الصلح والضيطار الرجل الضخم الذى لا غناء عنده
يقع عنده وقياس جمعه الضياطير الا انه عوض الياء عن المدة كبياطرة فى بيطار
والجمع عندهم من صفة الجمع وهى صفة ذم والمعنى ونشق الضياطرة بالرماح فقلب
لوضوح المراد (قوله اولان ما لزمك فقد لزمته) يعنى انه قال انى حقيق
واجب على قول الحق بناء على انه جعل وجوبه على قول الحق مجازا عن لزومه له
بعلاقة اللزوم فان الواجب ومن يجب عليه بينهما ملازمة فعبر عن لزومه للواجب
بوجوبه على الواجب وفيه مبالغة حسنة (قوله اولاغراق) اى المبالغة
فى وصف نفسه بالصدق حيث بنى كلامه على الاستعارة المكنية المبنية على
التخييل شبه فى نفسه القول الحق بالعاقل الذى يسعى ويجتهد فى ان يكون قائله
شخصا معينا وجعل اثبات لازم المشبه به دليلا على ذلك التشبيه المضمر فانه
اثبت للقول الحق ان يجب عليه ان لا يرضى الا بمثل هذا ناطقا به وفى قوله ان اكون
انا قائله اشارة بأن الحقيق وان استند الى موسى عليه الصلاة والسلام فالمعنى على
اسناده الى وصفه اعنى صدقه قول الحق به (قوله التى هى وطن آبائهم)
وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما صار ملك مصر مشى اليه اقاربه
من الارض المقدسة ثم انه عليه الصلاة والسلام لما توفى وانقرضت الاسباط
غلبهم فرعون وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب
فلما جاء موسى عليه الصلاة والسلام اراد ان يرجع بهم الى مقامهم الاصلى
الذى هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف عليه
الصلاة والسلام مصر واليوم الذى دخل فيه موسى اربعمائة عام (قوله
فأحضرها عندى) يعنى ان الاتيان والمجيء وان كانا بمعنى الا ان بينهما فرقا
باعتبار المبدأ والمنتهى والحاصل ان ظاهر الكلام طلب حصول الشئ على
تقدير الحصول ولا معنى له فأجاب ببيان مغايرة المطالبة للحصول وهذا مراد من قال
السؤال على اتحاد الشرط والجزاء فان مبدأ المجيء هو جناب المرسل ومنتهى
الاتيان هو المرسل اليه (قوله اشعر) يقال رجل اشعر اى كثير شعر الجسد
وفغرفاه اى فتحه واحدث اى استطلق بطنه فى ثيابه حتى دام به [illegible]
ولم يكن احدث قبل ذلك ذكر فى الوسيط انه قام به بطنه فى ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه
بعد ذلك حتى هلك وصف العصا ههنا بكونها ثعبانا وهو العظيم الهائل الخلق
وفى موضع آخر بقوله كأنها جان والجان من الحيات الخفيف الضئيل الخلق
فكيف الجمع بين هاتين الصفتين اجاب صاحب الكشاف عنه فى غير هذا الموضع
بجوابين احدهما انه جمع لها بين الصفتين بين كبر الجثة كالثعبان وبين خفة الحركة
وسرعة المشى كالجان والثانى انها فى ابتداء امرها تكون كالجان ثم تعاظم

انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به (حقيق) معنى ... وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من ارسلك (فأت بها) فأحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون

يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه

و يتزايد جسمها الى ان تصير ثعبانا ولما كان انقلاب جسم العصا ثعبانا امرا ممكنا فى ذاته وثبت انه تعالى قادر على جميع الممكنات لزم القطع بكونه تعالى قادرا على قلب العصا ثعبانا نقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم انى ادرأبك فى نحره واعوذبك من شره واستعينك عليه فاكفنيه بما شئت فحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وحول ما فى قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمنه الله ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت (قوله تعالى للناظرين) متعلق بمحذوف لانه صفة لبيضاء وقول صاحب الكشاف انه متعلق ببيضاء اراد به التعلق المعنوى لا لتفسير الاعراب اى انه من تتمته (قوله قيل قاله هو واشراف قومه الخ) اى قيل فى التوفيق بين هذه الآية وبين قوله فى سورة الشعراء قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم حيث اسند القول فى هذه السورة الى الملأ وفى سورة الشعراء اسند الى فرعون ووجه التوفيق ان هذا القول لما صدر عنه وعن قومه على سبيل التشاور فى امره صح اسناده الى كل واحد من الفريقين فلذلك اسند فى هذه السورة الى قومه وفى تلك السورة الى نفسه وقوله فماذا تأمرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ خاطبوا بذلك فرعون وحده تعظيما له كما تخاطب الملوك بصيغة الجمع وان يكون من كلام فرعون على اضمار قول اى فقال لهم فرعون فماذا تأمرون ويكون كلام الملأ قدتم عند قوله يريد أن يخرجكم من ارضكم قال ابن عباس ما الذى تشيرون به على كذا فى الوسيط ويؤيد كونه من كلام فرعون قوله تعالى قالوا أرجه ولما كان السحر غالبا فى ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان فى النهاية من علم السحر وانه جعل ذلك وسيلة الى طلب الملك والرياسة فلذلك قالوا يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره (قوله واصله أرجئه) اى بهمزة ساكنة وهاء مضمومة وفى هذه الكلمة ست قراآت فى المشهور المتواتر ثلاث مع الهمزة وثلاث بدونها اما الثلاث التى مع الهمزة فأولاها قرآءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر أرجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو باشباع ضمة الواو وثانيتها قرآءة ابى عمرو أرجئه كما تقدم الا انه لم يصلها بواو وثالثتها قرآءة ابن ذكوان عن ابن عامر أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير ان يصلها بياء اى من غير اشباع كسرة الهاء واما الثلاث التى بلا همزة فأولاها قرآءة حمزة وحفص أرجه بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا

أوفى تحت ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء فى جبلته روى انه عليه الصلاة والسلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه اوتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون) فماذا تشيرون فى ان نفعل (قالوا أرجه واخاه وأرسل فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى أخر امره واصله أرجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو

على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير وأرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسمعيل والكسائي وما قرأه في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان ﴿ ٢٠٧ ﴾ الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي في كل مكان رفعه وفي يونس واوليه اتفاقهم عليه في الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعدما ارسل الشرط في طلبهم (قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ماذا قالوا اذجاؤ وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال ألقوا) اكراما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا اعين الناس) بأن خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) في فنه روي انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان ألق عصاك) فألقاها فصارت حية

وقفا وثانيها قراءة الكسائي وورش عن نافع أرجهي بهاء متصلة بياء حذفت لام الفعل وهي الياء علامة للجزم واتصل الفعل بالضمير المنصوب وثالثها قراءة قالون عن نافع أرجه بهاء مكسورة دون ياء وهذا الفعل يستعمل مهموزا وغير مهموز وكل واحدة منهما لغة مشهورة يقال ارجأت الامر اي أخرته وقرئ وآخرون مرجؤن لأمر الله اي مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ومنه سميت المرجئة مثل المرجعة ورجل مرجئ مثل مرجع هذا اذا همزت فان لم تهمز قلت مرج مثل معط ويقال ارجيت واخطيت وتوضيت بلا همز وقرئ قوله تعالى ترجي من تشاء بالهمز وعدمه (قوله على قراءة ابن كثير) فان الاصل في هاء الضمير عنده اذا كانت ضمير الواحد المذكر وكانت مضمومة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بواو واذا كانت مكسورة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بياء سواء كان ذلك الساكن حرف علة او حرفا صحيحا فالمضمومة نحو فعلوهو وشروهو فاجتباهو فبشرهو ومنهو وعنهو ونحو ذلك والمكسورة نحو لاخيهي وابيهي واليهي وفيهم ونحو ذلك (قوله فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه) علل سكون الهاء في ارجه بعلتين تقرير الاولى ان اسكان هاء الضمير عند من قرأها ساكنة انما يكون اذا تحرك ما قبلها بحيث لم يتخلل بينهما حرف ساكن نحو ضربته بسكون الهاء وههنا قد تخلل بينهما ساكن نظرا الى الاصل الا انه شبهت الهاء المنفصلة عن الحركة بالمتصلة بها نظرا الى صورة الكلمة بعد حذف لام الفعل وتقرير الثانية ان اصل الكلمة ارجي بياء ساكنة فحذفت الياء علامة للجزم ثم اقيم هاء الضمير مقامها فلما حلت محل الياء الساكنة اسكنت وكذا في يؤده ونوله ونصله ونؤته منها فان حمزة وعاصما في رواية ابي بكر قرآ هذه الضمير فيها ساكنة لقيامها مقام اللام الساكنة المحذوفة وعبر المصنف عن هذا المعنى بقوله وجعل جه كابل يعني ان جه وان كان على صورته الآن اصل الكلمة ارجئه حذفت لام الكلمة وقيمت الهاء مقامها فكسيت كسوتها التي هي السكون (قوله ارسل الشرط) وهم اعوان الامير (قوله الى ما هو ابلغ) فان نكون نحن الملقين ابلغ من ان نلقي لاشتمال الاول على زيادة

(فاذاهي تلقف ما يأفكون) ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها ﴿٢٠٨﴾ اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفي طه والشعراء (فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (والقي السحرة ساجدين) لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذي اراد اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله او بموسى (اي برب)
والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام

الربط بين المسند والمسند اليه (قوله فاذاهي تلقف) قرأ العامة تلقف بتشديد القاف من تلقف يتلقف والاصل تتلقف بتاءين فحذفت احداهما وقرأ حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف على وزن علم يعلم يقال لقفت الشيء القفه لقفا ولقفانا وتلقفته اتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فأكلته وابتلعته وفي التيسير انهما ابتلعت جميع ماصنعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا رأسه في السماء وأحد شقيه في الارض ثم ابتلع ما كان من سحرهم حتى ماترك في الوادي من سحرهم شيأ وانكشف الناس وولوا هاربين والثعبان على اثرهم فداس بعضهم على بعض بقدر سبعين ألفا وقيل ان فرعون كان في خيمته اذ أقبل الثعبان في اثر الحيات حتى اقتحم الى فرعون في خيمته فقام فرعون عن سريره ونزل بالارض وكان اعرج ولم يعرف ذلك لا يؤخذ فانه مشى سبع خطوات فعرفوا بذلك انه اعرج ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان مايصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا ان ذلك من امر الله تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ذليلين مقهورين اى غلب فرعون وملأه واتباعه لا السحرة فانهم انقلبوا اعزاء بعزة الايمان قبل ما ألقوه اى السحرة كان عصيا جوفا فيها الزيبق فلما اصابها حر الشمس تحركت وخيل الى موسى انها تسعى اليه فأوجس في نفسه خيفة منها وذلك خوف طبيعي فلا ينافي كونه على ثقة ويقين بأن القوم لن يغلبوه وان الله تعالى سيبطل ماصنعوا ويحتمل ان يكون خوفه من وقوع التأخير في ظهور حجته على سحرهم (قوله جعلهم ملقين) كأنه جواب عما يقال قوله تعالى وألقى السحرة يدل على ان غيرهم ألقاهم ساجدين وهو رب العالمين وافعال العباد وان كانت حاصلة بخلق الله تعالى وايجاده الا ان الغالب الشائع فيها اسنادها الى من قامت هي به لا الى من اوجدها فكان الظاهر ان يقال وخروا ساجدين فلم جعلوا ملقين وتقرير الجواب انهم وان سجدوا باختيارهم الا انهم جعلوا ملقين للتنبيه على قوة الدليل الموجب للعرفان والايمان بحيث الجأهم ذلك الدليل الى التذلل والسجود او للتنبيه على ان حكمة الله تعالى الجأتهم اليه بأن خلق في قلوبهم داعية قوية لم يتمالكوا معها الا على السجود ليقلب ما دبره فرعون لابطال امر موسى عليه الصلاة والسلام على نفسه حتى يكون صاغرا ذليلا بتدبيره او انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في شدة الخرور وسرعته حين مشاهدة المعجزة القاهرة بحال من ألقي (قوله لئلا يتوهم انهم ارادوا به)

بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار (قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى (فى المدينة) فى مصر ﴿٢٠٩﴾ قبل ان تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم اجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام وقيل انه فعل بهم ما وعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما (٢٧) الغالبون (وقال الملأ من قوم (رابع) فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة

اى رب العالمين فرعون لانه يزعم ويقول انا ربكم الاعلى ولا يندفع التوهم الا بعطف هرون على موسى لان فرعون كان قد ربى موسى صغيرا فلما قالوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون وآمنوا بالله تعالى (قوله بتحقيق الهمزتين) اى من غير ادخال الف بينهما وبعد الهمزتين الف مبدلة من الهمزة التى هى فاء الكلمة ابدلت الفا لسكونها بعد همزة مفتوحة فان اصل هذه الكلمة أأأمنتم بثلاث همزات الاولى للاستفهام والثانية همزة افعل والثالثة فاء الكلمة فالهمزة الثالثة يجب قلبها الفا والاولى محققة بلا خلاف ولا خلاف الا فى الثانية وقرأ حفص امنتم بهمزة واحدة بعدها الالف المبدلة من فاء الكلمة وهذه القرآءة تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ وتحتمل الاستفهام الانكارى ولكنه حذف اداة الاستفهام لدلالة السياق عليها وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير فى رواية البزى عنه أأمنتم بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين بين والالف المبدلة من الفاء ولما رأى فرعون ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام عند اجتماع الناس فى المجمع العظيم خاف ان يصير ذلك حجة قوية على صحة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام فقال هذا الكلام تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان (قوله أفض علينا صبرا يغمرنا) معنى الافراغ فى اللغة الصب يقال درهم مفرغ اذا كان مصبوبا فى قالب غير مضروب واصله من افراغ الاناء وهو صب ما فيه بالكلية اى الى ان يفرغ الاناء فانه من الفراغ ويقال فاض الماء يفيض فيضا وفيضوضة اى كثر حتى سال على ضفة الوادى والضفة بالكسر جانب النهر وضفتاه جانباه وغمره الماء اى علاه وتفسير الافراغ بالافاضة مبنى على السعة والكثرة وتوصيف الصبر بكونه غامرا مستفاد من مفهوم الافراغ ومن تنكير صبرا فكأنهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر وتمامه وقوله كما يفرغ الماء اشارة الى ان قولهم افرغ استعارة تبعية وصبرا قرينة شبه انزال الصبر وكثاره عليهم بافراغ الماء فى الفيضان والغمر لان افراغ الماء هو صبه بالكلية من الاناء فيكون غامرا لما يصب عليه ثم قيل افرغ بدل انزل واكثر على الاستعارة التبعية وعلى الوجه الثانى يكون الصبر استعارة اصلية مكنية وافرغ تخييلية شبه الصبر بالماء فى انه مطهر من الاوزار كما ان الماء مطهر من الاحداث وجعل ايقاع الافراغ عليه قرينة الاستعارة بالكناية لان الافراغ انما يستعمل فى الماء (قوله قيل انه فعل بهم ما وعدهم) لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فعل ذلك

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك ﴿٢١٠﴾ كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) ومعبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ آلهتك اي عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس (قالوا) اي بنو اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم (قوله) ويستخلفكم في الارض) تصريح بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم

بهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وايضا قوله تعالى حكاية عنهم ربنا افرغ علينا صبرا يدل على انه كان قد نزل بهم بلاء شديد حتى طلبوا من الله تعالى ان يصبرهم عليه وايضا هو مبالغة في تحذير القوم عن قبول دين موسى عليه الصلاة والسلام وان كانت الآية ساكتة عن انه فعل بهم ذلك اولم يفعل ومما يدل على انه لم يفعل بهم ذلك انهم سألوا الله تعالى ان يتولى توفيهم من غير ان يسلط عليهم اعداءهم حيث دعوا بقولهم وتوفنا مسلمين والظاهر انه تعالى استجاب لهم دعاءهم هذا ثم ان فرعون كان كما رأى موسى عليه السلام بعد هذه الواقعة خافه اشد الخوف فلذلك لم يتعرض له وما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله ولم يرض القوم بذلك حتى حملوه على اخذ موسى وحبسه حيث قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه واذا افسدوا عليهم دينهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك والاستيلاء على ملكك قرأ الجمهور ويذرك بياء الغيبة ونصب الفعل اما بالعطف على قوله ليفسدوا فان فرعون اذا تركهم على ماهم عليه ولم يمنعهم منه كان ذلك مؤديا الى تركه وترك آلهته فيصير كأن فرعون تركهم لذلك ويحتمل ان يكون الفعل منصوبا على جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء كقول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين وبين تركهم اياك وعبادة آلهتك اي لا يمكن وقوع ذلك على ان الاستفهام للانكار ولا يلزم ان يكون للانكار فان المضارع ينتصب بأن مقدرة بعد الواو الدالة على المعية بشرط ان يكون قبلها احد الاشياء الستة ومنها الاستفهام كما اذا قلت هل تعينني واكرمك فان المسئول عنه اجتماع الامرين اعني الاعانة والاكرام (قوله كأنه قيل يفسدوا ويذرك) يريد انه من قبيل العطف على التوهم كأنه توهم جزم يفسدوا في جواب الاستفهام فعطف عليه بالجزم بناء على ان جواب الاستفهام كثيرا ما يكون مجزوما بان مقدرة نحو ائتني ازرك فلو لم يذكر اللام في ليفسدوا لجاز ان يكون مجزوما في جواب الاستفهام ويكون ويذرك ايضا مجزوما بالعطف عليه فهذا الجائز قد توهم واقعا فانجزم المعطوف لذلك كما في قوله تعالى فأصدق وأكن بجزم أكن فان أصدق منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض الجاري مجرى العرض والتمني الا انه نزل منزلة المجزوم في جواب التحضيض مع ترك الفاء فعطف عليه اكن بالجزم كأنه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب أصدق وأكن (قوله اي عبادتك) على ان الالهة مصدر بمعنى العبادة

استخلفون بأعيانهم او باولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر و كفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار و المياه ﴿ ١١٣ ﴾ والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه و يؤرخ ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب و بلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (الا انما طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم

(قوله وقد روى الى آخره) حقق الله تعالى ما وعد لهم من اهلاك عدوهم حيث اغرق فرعون وقومه الا انه انما استخلفهم فى ديارهم واموالهم فى زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون (قوله فيرى ما تعملون) النظر قد يراد به الفكر الذى يفيد العلم وهو على الله تعالى محال وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئى لكى يراه وهو ايضا محال فى حقه تعالى فلذلك حمل النظر ههنا على الرؤية اى فيرى ما تعملونه بوقوعه منكم لان الله تعالى لا يجازى العبيد على ما يعلمه فيهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم (قوله يتشاءموا بهم) فان التطير التشاؤم فى قول جميع المفسرين فاصل يطيروا يتطيروا ادغمت تاء التفعل فى الطاء ولما كان التطير هو التشاؤم بالاخلاق كان المناسب ان يفسر الطائر بالشؤم كما نقل عن الازهرى انه قال العرب تسمى الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم ببارحها ونعيق غرابها وباخذها ذات اليسار اذا أثاروها وكانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وتتبرك بالسانح والسانح من الطير ما يجئ من جهة يمين الانسان ويجوز الى جهة يساره فلا يمكن رميه حتى ينحرف الرمى اليه وقال رؤبة السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل ان كثيرا من اهل الجاهلية كان اذا اراد الحاجة ذهب الى الطير فى وكرها ينفرها فاذا اخذت يمينا مضى الى حاجته وهذا هو السانح عندهم واذا اخذت شمالا رجع وهذا هو البارح عندهم فنهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك بقوله اقروا الطير على وكناتها الوكنة موقع الطير حيث ما وقعت والجمع وكنات ووكنات ووكن وقال عليه الصلاة والسلام من رجعه التطير عن حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة ذلك يارسول الله قال ان يقول احدكم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضى الى حاجته فلما جعلوا الطائر امارة ودليلا على الشؤم وهو ضد اليمن سمى الشؤم طائرا وطيرا تسمية للمدلول باسم الدليل هذا وجه ما نقل عن الازهرى وهو المنقول عن ابن عباس ايضا حيث قال قوله ألا انما طائرهم عند الله يريد به ان شؤمهم من قبل الله تعالى اى انما جاءهم الشر بقضاء الله تعالى وحكمه فسر الطائر هنا بالشؤم الذى هو سبب ما نال الانسان من الشر واليه اشار المصنف بقوله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته وبقوله او سبب شؤمهم الخ بتقدير المضاف والمعنى على تقديرين

(وقالوا مهما) أصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزآئدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزآئية ومحلها الرفع على الابتدآء او النصب بفعل يفسره (تأتنا به على ايما شئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على ﴿ ٢١٢ ﴾ زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن ك بمؤمنين) اى لتسحر بها عيننا وتشبه علينا والضمير به وبها ذكرلما قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده عتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم غشى اماكنهم وحروثهم ن مطرا وسيل وقيل لجدرى وقيل الموتان وقيل لطاعون (والجراد والقمل) يل هو كبار القردان وقيل ولاد الجراد قبل نبات جنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا لاثة ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من يته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم كانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل ها قطرة وركد على اراضيهم منعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل

كل ما يصيبهم من خير وشر فهو بقضاء الله تعالى و تقديره وحكمه ومشيئته قال الفرآء وقد تشاءمت اليهود بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا منذ اتانا وكثرت اموتانا ثم أعلم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان طيرتهم باطلة فقال لا طيرة ولا هام وكان عليه الصلاة والسلام يتفاءل ولا يتطير واصل الفأل الكلمة الحسنة وكانت العرب مذهبها فى الفأل والطيرة واحد فأثبت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الفأل وابطل الطيرة والفرق بينهما ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية فالكلمة التى تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوا (قوله الذى يصوت به الكاف) اى يتلفظ به من يكف غيره يعنى ان اصل مهما مه التى بمعنى اكفف دخلت على ما الشرطية كأنهم قالوا اكفف ما تأتنا به من آية فالامر كذا وكذا وعلى التقديرين اى سواء كان اصلها مه مع الشرطية او ما الشرطية مع ما الزآئدة هى اسم شرط يجزم فعلين ومحلها نصب بفعل يفسره تأتنا اى ايما شئ تحضرنا تأتنا به اورفع على الابتدآء اى اى شئ تأتنا به وضمير به على التقديرين يرجع الى لفظ مهما وقيل لا تركيب فيها هنا بل كأنهم قالوا مه ثم قالوا ما تأتنا به وليس بشئ لان ذلك قد يأتى فى موضع لا زجر فيه ولان كتابتها متصلة ينفى كون كل كلمة منهما مستقلة وقوله من آية بيان لمهما لانها هى هى فى المعنى ولما قال القوم لموسى عليه الصلاة والسلام مهما تأتنا به من آية فهو سحر ونحن لا نؤمن بها من اليد والعصا وغيرهما فان كل ذلك لا حقيقة له فلا نؤمن به وكان عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولمن بعدهم آية وعبرة فأرسل الله تعالى عليهم ما ذكره من الآيات المفصلات عن انس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اهلك الجراد اللهم اقطع دابر الجراد اللهم اقتل كبارهم واهلك صغاره وافسد بيضه وخذ بافواهه عن معايشنا وارزقنا انك سميع الدعاء وعن ابى هريرة قال قال رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم فى صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم كذا فى رواية (الوسيط)

فيه منها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك لساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك

الوسيط وروى مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم والقمل قيل هو الدبا اى الجراد قبل ان يطير لكونها لم ينبت لها اجنحة بعد وقيل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وهو قول الحسن فان القمل دواب سود صغار وقيل هى القردان وقيل هى دواب تشبهها اصغر منها والطوفان فعلان من الطواف لانه يطوف حتى يعم وغالب استعماله فى الماء الكثير وقيل الطوفان من كل شئ ما كان كثيرا محيطا مطبقا بالجماعة من كل جهة كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف والموتان بالضم موت يقع فى الماشية يقال وقع فى المال موتان كذا فى الصحاح وقد فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالموت تارة وبأمر من الله تارة وتلا قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (قوله آيات نصب على الحال) اى ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها علامات مبينات او مفصلات اى فصل بعضها عن بعض بزمان يمتحن فيه احوالهم هل يقبلون الحجة او يستمرون على المخالفة (قوله يعنى العذاب المفصل او الطاعون) يعنى ان الرجز اسم للعذاب ثم انهم اختلفوا فى العذاب ما المراد به هنا فقال بعضهم انه عبارة عن الانواع الخمسة المذكورة من العذاب النازل بهم وقال سعيد بن جبير المراد بالرجز ههنا الطاعون وهو عذاب سادس من جملة ما اصابهم فمات به من القبط سبعون الف انسان فى يوم واحد فتركوا غير مدفونين ورجح القول الاول بناء على ان حمل اللفظ على المعلوم اولى من حمله على المشكوك فيه عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على بنى اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا كذا فى المعالم (قوله بعهده عندك) على ان تكون ما مصدرية وان يكون المراد بالعهد النبوة وسمى النبوة عهدا اما لان الله تعالى عاهد نبيه على ان يكرمه بها وعاهد النبى ربه على ان يستقل بأعبائها اى ثقلها بلا كلفة ولا تعب كأنه يعده قليلا او لما فيها من الكلفة بالقيام بأعبائها فيكون العهد مستعارا للنبوة تشبيها لها من حيث اعتبار معنى الكلفة والاختصاص فى كل منهما كما يكون الاختصاص بين المتعاهدين ولانها حقوقا تحفظ كما تحفظ العهود وهو من العهد الذى يكتب للولاة كأن النبوة منشور من الله تعالى بتولية من اكرمه بها كذا فى الكشف (قوله او بالذى عهده اليك) اى اوصاه اليك وامرك به على ان تكون ما موصولة وتكون الباء للسببية والتوسل كما فى قولك اطلب حاجتك بما قدمت من الطاعات والمعنى ادع الله فى ان يكشف الرجز عنا متوسلا بالعهد الذى عهده اليك وهو ان تدعوه بهمك ومطلوبك فيجيبك فيه فيكون الجار والمجرور مع متعلقه فى موضع النصب على انه حال من ضمير ادع (قوله وهو صلة

لادع) يعنى ان قوله بما عهد على تقدير ان تكون ما مصدرية يكون متعلقا بقوله ادع تعلقا معنويا بان تكون الباء فيه للقسم فى السؤال ويسمى قسم الاستعطاف والاستعطاف طلب العطف وهو ما يكون جوابه جملة طلبية كما فى قوله بحياتك اخبرنى فيكون ادع لنا جواب القسم كأنه قيل اقسمنا بحق ماعندك ادع لنا (قوله او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم) فيه بحث لان الظاهر ان ليس المراد بالتعلق ههنا التعلق اللفظى وهو تعلق حرف الجر بعامله لان الباء حينئذ باء قسم الاستعطاف فلا تتعلق لفظا بقوله اسعفنا بل هو جواب قسم الاستعطاف فتتعلق به معنى ولاشك ان قوله ادع يصلح جوابا لذلك القسم فاى حاجة الى اعتبار الحذف وجعل ادع دليلا على المحذوف والاسعاف قضاء الحاجة يقال اسعفته بحاجته اى قضيتها وعدى بالى لتضمنه معنى الايصال واعلم انه تعالى بين ما كانوا عليه من المناقضة القبيحة لانهم تارة يكذبون موسى عليه الصلاة والسلام واخرى عندالشدآئد يفزعون اليه فزع الامة الى نبيها ويسألونه ان يسأل ربه دفع ذلك العذاب عنهم وذلك يقتضى انهم سلموا كونه نبيا مجاب الدعوة ثم بعد زوال تلك الشدآئد يعودون الى تكذيبه والطعن فى نبوته زاعمين انه انما يصل الى مطالبه بسحره فهم يناقضون انفسهم بهذه الاقاويل وقوله تعالى الى اجل متعلق بكشفنا ويرد على ظاهره ان ما دخلت عليه لما يترتب جوابه على ابتدآء وقوعه وذلك يقتضى ان يكون النكث مرتبا على ابتدآء الكشف وذكر الغاية ينافى كونه مرتبا على ابتدآء الوقوع الا انه قيد الكشف بقوله الى اجل وحد معين من الزمان ليعلم انهم وان كشف عنهم العذاب بسبب الدعاء لكن لم يكشف ذلك عنهم مطلقا فى جميع الازمان لاصرارهم على ما هم عليه من الكفر والعناد بل انما يكشف عنهم الى اجل معين وعند مجيئ ذلك الاجل يعذبهم الله تعالى لامحالة او يهلكهم ولا يلزم من تقييده بقوله الى اجل ان يكون النكث منهم بعد موتهم اوغرقهم لان النكث انما هو فاجئ ابتدآء وقوع الكشف لا الكشف المنتهى الى اجله والتقييد انما ذكر لبيان ان الكشف ليس المراد منه ارتفاع الرجز عنهم بالكلية (قوله فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث) اى بادروه ولم يؤخروه عن ابتدآء وقوع الكشف مبنى على ما قطعه ماذهبوا اليه من ان ما يلى كلمة لما من الفعلين يجب ان يكون ماضيا لفظا او معنى فجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدر وكلا الامعنين اعنى لما واذا معمول له ولما ظرفية واذا مفعول به والنكث النقض واصله من نكث الصوف ليغزل ثانيا فاستعير لنقض العهد بعد احكامه وابرامه كما فى خيوط الاكسية اذا نكثت بعد ما ابرمت وهذا من احسن الاستعارات (قوله فأردنا الانتقام منهم) اى بسبب انهم نكثوا العهد كلما كشفنا عنهم

او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك اوقسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذا هم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فأردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم فى اليم) اى فى البحر الذى لا يدرك قعره

وقيل جثته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم ﴿ ٢١٥ ﴾ (مشارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشام ومصر ملكها بنوا اسرآئيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرآئيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بما صبروا) بسبب صبرهم على الشدآئد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفى النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون

العذاب ولم ينتهوا عن كفرهم وغوايتهم وبلغوا الاجل الموقت لهلاكهم فاغرقناهم اردنا الانتقام منهم والانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب (قوله وقيل جثته) اى قيل فى تفسير اليم انه لجة البحر ومعظم مائه (قوله وعدم فكرهم فيها) اشارة الى جواب ما يقال الغفلة كالنسيان ليست من الافعال الاختيارية للانسان فكيف يصح ان يذم بها وتقرير الجواب ان المراد بالغفلة ههنا الحالة الشبيهة بها وهى الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها ولا شك ان الانسان يستحق الذم بسببها فعلم من الآية انه يجب على الانسان النظر فى آيات الله تعالى والتفكر فيها والا لما ذمهم بان غفلوا عنها وذلك يدل على ان التقليد طريق مذموم (قوله وقيل الضمير) اى فى قوله عنها للنقمة والمعنى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين وكأن هذا القائل انما ذهب الى ما ذهب اليه مع كونه خلاف الظاهر بناء على انه تخيل ان الغفلة عن الآيات عذر لهم من حيث ان الغفلة ليست من كسب الانسان (قوله تعالى مشارق الارض) مفعول ثان لأورثنا وقوله التى باركنا فيها نعت لمشارق ومغارب واختلفوا فى معنى مشارق الارض ومغاربها فبعضهم حمله على مشارق ارض الشام ومصر ومغاربهما لانها هى التى تحت حكم فرعون وقيل ارض مصر لانها ارض القبط وقيل ارض الشام بقرينة توصيفها بقوله التى باركنا فيها لان المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بأرض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من جملة بنى اسرآئيل داود وسليمان وقد ملكا الارض كلها (قوله ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته) فسر كلمة الله تعالى بوعده اياهم بالنصر والتمكين وفسر تمامها بمضيها وانتهائها الى الانجاز وانما كان الانجاز تماما للوعد لان الوعد بالشئ يبقى كالشئ المعلق واذا حصل الموعود به فقد تم ذلك الوعد وكمل كما انه اذا حصل المعلق عليه يتم المعلق وينقضى (قوله بعد مهلك فرعون) الظاهر ان البعدية فيه رتبية فان عبور الجم الغفير البحر العميق من غير ان يبتل قدم احد أعظم آية فى اهلاك عدوهم (قوله وقيل من لخم) وهو حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية وعن الزمخشرى انه قبيلة بمصر والكاف فى قوله تعالى كما لهم آلهة فى محل النصب على انها صفة لآلهة وما كافة للكاف التشبيه عن العمل الا انها دخلت هنا على الجملة مع ان حق

بالكسر (قالوا يا موسى اجعل لنا آلها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون)
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا ﴿٢١٦﴾ من الآيات الكبرى عن العقل (ان هولاء)
اشارة الى القوم (متبر)
مكسر مدمر (ماهم فيه)
يعنى ان الله يهدم دينهم
الذى هم عليه و يحطم
اصنامهم ويجعلها رضاضا
(و باطل) مضمحل
(ما كانوا يعملون) من
عبادتها وان قصدوا
بها التقرب الى الله تعالى
وانما بالغ فى هذا الكلام
بايقاع هؤلاء اسم ان
والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين فى الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان
الدمار لاحق لما هم فيه
لامحالة وان الاحباط الكلى
لازب لما مضى عنهم تنفيرا
و تحذيرا عما طلبوا (قال
أغير الله ابغيكم آلها) اطلب
لكم معبودا (وهو فضلكم
على العالمين) والحال انه
خصكم بنعم لم يعطها غيركم
وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم من امثالهم بما لم
يستحقوه تفضلا بأن
قصدوا ان يشركوا به
اخس شئ من مخلوقاته
(واذ انجيناكم من آل
فرعون) واذكروا صنيعه
معكم فى هذا الوقت
وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل
فرعون او منهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء او العذاب

حرف الجر ان يجر الاسم المفرد (قوله و صفهم بالجهل المطلق) حيث
لم يذكر مفعوله اما للاطلاق والتعميم اولاجرائه مجرى اللازم واكده بأن وتوسط
قوم وجعل ما هو المقصود بالاخبار وصفا له ليكون كالمحقق المعلوم (قوله
مكسر مدمر) التبار الهلاك وتبره تتبيرا اى كسره واهلكه و هؤلاء متبر ماهم
فيه اى مكسر مهلك والدمار الهلاك يقال دمره تدميرا و دمر عليه بمعنى كذا
فى الصحاح و يقال لكسارة الذهب تبر لتكسرها و لتهالك الناس عليها
و رضاض الشئ فتاته و كل شئ كسرته فقد رضضته (قوله بايقاع
هؤلاء اسم ان) فانه من حيث كونه من اسماء الاشارة يفيد تمييز المسند اليه
اكمل التمييز ومن حيث كونه مما يشار به الى البعيد يفيد التحقير وجعل
تمييز المشار اليه ذريعة الى تحقيره ابلغ فى التحقير وجعل المسند اليه اسم اشارة
مع افادته كمال التمييز ينبه عند تعقيب المشار اليه بالوصف على انه جدير بما
يرد بعد اسم الاشارة لاجل ذلك الوصف و هو العكوف ههنا فيكون الدمار
والاحباط الكلى لازمين لهم كلزوم سببهما الذى هو العكوف (قوله والاخبار
عما هم فيه بالتبار الخ) اشارة الى ان ما موصولة وهم فيه جملة اسمية صلة
الموصول وعائده والموصول مع صلته فى محل الرفع على الابتداء ومتبر خبره
وقدم عليه ليؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار و حال عملهم ليست
الا البطلان فهم لايعدونهما وهما لهم ضربة لازب (قوله اطلب لكم)
اشارة الى ان قوله ابغيكم بمعنى ابغى لكم يقال بغيت فلانا شيأ و بغيت له قال تعالى
يبغونكم الفتنة اى يبغون لكم اجاب موسى عليه الصلاة والسلام القوم بأن
حكم عليهم بالجهل وعلى ماهم فيه بالتبار وعلى عملهم بالبطلان وعدم النفع
فى الدنيا والدين ثم تعجب من حالهم على وجه الانكار و التوبيخ فقال أغير الله
ابغيكم الها وغير منصوب على انه مفعول به لابغيكم و قوله الها اما تمييز لغير
او حال والتقدير ابغى لكم غير الله بجهة كونه معبودا او حال كونه معبودا ويجوز
ان يكون الها هو المفعول به لابغيكم ويكون غير حالا منه والاصل ابغى لكم
الها غير الله على ان غير الله صفة لا له فلما قدمت صفة النكرة عليها انتصبت
حالا (قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب) اى يعذبونكم بأشد العذاب
يقال سامه خسفا اذا اولاه ظلما وقيل يسومونكم اى يطلبونكم لكن الطلب
متعد الى واحد فلابد من تضمين فعل يتعدى الى اثنين و هو التكليف اى

يطلبونكم مكلفين اياكم سوء العذاب (قوله نعمة او محنة عظيمة) فان البلاء يطلق على كل واحدة منهما قال تعالى و بلوناهم بالحسنات و السيئات و فيه لف و نشر فان البلاء النعمة على تقدير ان تكون الاشارة الى الانجاء و المحنة على تقدير ان تكون الى العذاب (قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ليس ثلاثين ظرفا لواعدنا لان الوعد ليس فى الثلاثين بل هو المفعول الثانى لواعدنا فانه متعد الى مفعولين فان قلت كيف يجوز ان يكون ثلاثين ليلة مفعولا به مع ان الموعود يجب ان يكون فعل الواعد والزمان ليس بفعل واحد ممن قام به المواعدة فانه قد روى ان الله تعالى لما اهلك فرعون وسأله موسى انزال الكتاب امره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما ثم يأتى الطور ووعده ان فعل ذلك ينزل عليه التورية ووعد موسى عليه الصلاة و السلام ربه ان يصوم تلك المدة فيأتى الطور فالموعود من احد الجانبين انزال التورية و من الآخر الصوم واتيان الطور ونفس الثلاثين ليس بموعود فكيف يكون مفعولا به فنقول لابد فى الكلام من اعتبار الحذف ولابد ان يكون المحذوف متضمنا لكل واحد مما وعده الله تعالى و وعده موسى عليه الصلاة والسلام واشار اليه صاحب الكواشى بقوله وفيه حذف اى تمام ثلاثين او مكث ثلاثين انتهى فانه تعالى وعده تمام ثلاثين و انقضاءها لانزال الكتاب و وعده موسى عليه الصلاة والسلام اتيان الطور قال المفسرون كانت تلك الثلاثون ذا القعدة امره الله تعالى ان يصوم فيها ليكلمه و يكرمه بما يتمه له امر نبوته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فصامهن ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر كره ان يكلم ربه و ريح فمه ريح فم الصائم فتناول شيأ من نبات الارض فمضغه فأوحى الله تعالى اليه لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه اما علمت ان ريح فم الصائم احب الى من ريح المسك وامره بصيام عشرة ايام من ذى الحجة ولما انقضى ذو القعدة بكماله مع عشر ذى الحجة تم اربعون ليلة فعلى هذا يكون كلام الله تعالى له يوم النحر و فى مثله اكمل الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم دينه حيث قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فانه نزل بعد العصر من يوم عرفة عام حجة الوداع وهو عليه الصلاة والسلام واقف بعرفة وقال الامام ابو الليث فى تفسيره ويقال ان الثلاثين كانت ذا الحجة بكمالها و العشر عشر المحرم فتكون المناجاة فى يوم عاشوراء والله اعلم والخلوف بالضم تغير رائحة الفم مصدر خلف من باب نصر و اشار المصنف بنقل هذه الرواية الى جواب ما يقال ما الحكمة فى تفصيل الاربعين ههنا الى الثلاثين والعشر مع الاقتصار على الاربعين فى سورة البقرة حيث قيل فيها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وتقرير

نعمة او محنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين روى انه عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فأمره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه اى فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله التوراة عليه فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (واصلح)

الجواب ان الحكمة فى التفصيل ههنا الاشارة الى ان اصل المواعدة كان على صوم الثلاثين و زيادة العشر كانت لازالة الخلوف و ماذكره فى سورة البقرة من مواعدة الاربعين فهو بيان الحاصل و جمع بين العددين و قوله و قيل امره بأن يتخلى الخ جواب آخر عن ذلك و تقريره فصل الاربعين الى مدتين لكون ماحل فى احدى المدتين مغايرا لماحل و وقع فى الاخرى فان المدة الاولى عينت لان يتجرد فيها لما يتقرب به الى الله تعالى والمدة الثانية عينت لان يفوز فيها بكرامة مولاه قال الامام الفرق بين الميقات و الوقت ان الميقات ماقدر فيه عمل من الاعمال و الوقت ما وقت لشئ قدرام لاو يوافقه قول المصنف فى تفسير قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اى حدا يوقت به الدنيا و تنتهى عنده اوحدا للخلائق ينتهون اليه ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوى الحجى ليشهدوا له على مايشاهدونه من اكرام الله تعالى اياه ففعل واستخلف اخاه هرون على قومه وقال له كن خليفتى على قومى واصلح امرهم وسر فيهم بالسيرة الصالحة التى لا فساد فيها ونبههم على ما اخلفهم عليه من الايمان والاخلاص العبادة لله تعالى (قوله مايجب ان يصلح) على ان يقدر له مفعول وما بعده على ان يجرى مجرى اللازم قال الامام الواحدى نقلا عن المفسرين رحمهم الله لما اراد الله تعالى ان يكلم موسى اهبط الى الارض ظلمة سبعة فراسخ فلما دنا موسى عليه الصلاة و السلام الى الظلمة طرد عنه شيطانه و طرد هوام الارض ونحى عنه ملكاه ثم كلمه الله تعالى وكشطت له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهوآء و رأى العرش بارزا و كان بعد ذلك لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور و لم يزل على وجهه برقع حتى مات و قالت له امرأته انا ما رأيت منك وجهك مذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت ادع لنا ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله تعالى عليه وسلم ناجى موسى ربه بمائة الف واربعين الف كلمة فى ثلاثة ايام كلها وصايا فكان فيما ناجاه ان قال له ياموسى لم يتصف المتصفون بمثل الزهد فى الدنيا و لم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتى اما الزاهدون فى الدنيا فابيحهم جنتى حتى يتبوأوا فيها على اطيب عيش وارغده واما الورعون عما حرمت عليهم فانه اذا كان يوم القيامة لم يبق عبد الا ناقشته الحساب الا الورعين فانى اجلهم واكرمهم وادخلهم الجنة

مايجب ان يصلح من امورهم اوكن مصلحا (ولاتتبع سبيل المفسدين) و لا تتبع من سلك سبيل الافساد ولاتطع من دعاك اليه (ولماجاء موسى لميقاتنا)

بغير حساب واما الباكون من خيفتي فاورثت لهم الرفيق الاعلى لايشار كون فيه (قوله اوقتنا الذى قتناه) اشارة الى ان الميقات اضيف اليه تعالى لمناجاة موسى وانزال الكتاب عليه كقوله تعالى ان اجل الله لآت لانه ثبت بتأجيله (قوله وفيما روى الخ) اختيار لما ذهب اليه اهل السنة والجماعة من ان كلام الله تعالى صفة ازلية قائمة بذاته تعالى مغايرة لهذه الحروف والاصوات وان تكليمه تعالى هو ان يسمع بعض المخلوقين كلامه القديم بلا صوت وحرف يسمعه من جميع الجهات بلاجهات ولهذا خص موسى عليه الصلاة والسلام باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر وكما لايبعد رؤية ذاته تعالى مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون صوتا ولاحرفا وقالت المعتزلة كلام الله تعالى عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة القائمة بالجسم المباين لذاته تعالى وتكليمه عبارة عن ان يخلق الكلام بالمعنى المذكور منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح (قوله ارنى نفسك) يريد ان ثانى مفعولى ارنى محذوف حذف مبالغة فى الادب حيث لم يواجهه بالتصريح بالمفعول الا انه تعالى لما كلمه وقربه نجيا عظم شوقه الى مشاهدة ذاته المقدسة فلذلك لم يصبر عن سؤال الرؤية وقوله بأن تمكننى من رؤيتك الخ جواب عما يقال النظر فى قوله أنظر اليك اما ان يكون عبارة عن الرؤية اوعن مقدمتها التى هى تقليب الحدقة الى جانب المرئى طلبا لرؤيته وعلى التقدير الاول يكون المعنى ارنى نفسك حتى اراك وهذا فاسد لان الشئ لا يكون غاية لنفسه وعلى التقدير الثانى يكون المعنى ارنى حتى اقلب الحدقة الى جانبك وهذا فاسد لوجهين احدهما انه يقتضى اثبات الجهة والثانى ان تقليب الحدقة الى جانب المرئى مقدمة الرؤية وقد جعل كالنتيجة عن الرؤية وذلك فاسد وتقرير الجواب ان النظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب ليس خلق الرؤية فيه حتى يلزم كون الشئ غاية لنفسه بل المطلوب ان يمكنه من الرؤية وان يتجلى له بطريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فلا اشكال (قوله ولذلك) اى لكونه تعالى جائز الرؤية فى الجملة اجاب الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام حين سأل الرؤية بنفى كونه فاعلا للرؤية لابنفى اصل الرؤية ولو لم يكن جائز الرؤية لاجابه بنفى اصل الرؤية بأن يقول لن أرى (قوله وجعل السؤال لتبكيت قومه الخ) جواب عما ذكره المعتزلة فى تأويل الآية لكون ظاهرها مخالفا لما ذهبوا اليه من امتناع الرؤية قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه الصلاة والسلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله تعالى وصفاته وما يجوز عليه ومالايجوز عليه وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك بعض الحواس

اوقتنا الذى وقتنا له واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع هذا الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين (قال رب أرنى انظر اليك) أرنى نفسك بأن تمكننى من رؤيتك او تجلى لى فأنظر اليك وأراك وهو دليل على ان رؤيته جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى اولن اريك اولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ فى الرآئى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لوكانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبههم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولاتتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولاتتبع سبيل المفسدين

وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فتعالى ان يكون في جهة وكيف يكون عليه الصلاة والسلام طالبا لرؤيته تعالى وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبة الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عندالله تعالى باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا باستحالته ويزجروا عن طلبه فلذلك قال رب أرني انظر اليك الى هنا كلامه فالمصنف اجاب عنه بأن الرؤية لو كانت ممتنعة اوجب على موسى اقامة الدلائل القاطعة على انه تعالى لاتجوز رؤيته وان يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال ولما لم يذكر شيأ من تلك الدلائل البتة مع ان ذكرها كان فرضا متعينا ظهر انه تعالى جائز الرؤية والا لكان موسى عليه الصلاة والسلام تاركا للواجب وترك الواجب لايجوز على الانبياء (قوله والاستدلال بالجواب على استحالتها) وتقرير الاستدلال ان يقال هذه الآية تدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام لايرى الله البتة لا في الدنيا ولا في القيامة لما نقل عن اهل اللغة ان كلة لن للتأبيد ومتى ثبت هذا ثبت ان احدا لايراه البتة ومتى ثبت هذا ثبت ان الله تعالى يمتنع ان يرى والمصنف اجاب عنه بمنع كل واحدة من المقدمات الثلاث اما المقدمة الاولى فمنعها بأن لن تراني لايدل على ان لايراه ابدا لما ذكره الامام الواحدي من ان كون كلة لن للتأبيد دعوى باطلة على اهل اللغة وليس يشهد بصحتها كتاب معتبر ولانقل صحيح قال اصحابنا والذي يدل على فساده قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ومنع باقي المقدمات ظاهر (قوله اوجهالة بحقيقة الرؤية) فانها وان كانت عبارة عن الادراك بالباصرة بعد النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته وان الادراك بالحاسة انما يكون اذا كان المدرك في جهة لكن ذلك انما يستلزم امتناع الرؤية اذا كانت الحاسة والقوة التي فيها باقيتين على هذه الحالة وذلك غير لازم لجواز ان يخلق الله في الحاسة قوة بها يتمكن من رؤية ما ليس في جهة اي من ادراكه عند النظر وفتح العين وتقليب الحدقة فان الرائي ليس هذا العضو المخصوص ولا القوة الحالة فيه بل شئ آخر يستعين في الرؤية بهما اي يخلق الله تعالى فيهما ما تستعد به النفس لمشاهدة المرئي (قوله استدراك يريد ان يبين به الخ) المقصود بيان وجه اتصال هذا الاستدراك

والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذلا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لايراه ابدا وان لايراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة اوجهالة بحقيقة الرؤية (قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) استدراك يريد ان يبين به انه لايطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن

بما قبله وذلك انه تعالى لما نفى ان يرى موسى اياه في الحال نفيا مؤكدا فان لن لتأكيد نفي ماسأل عنه والسؤال انما وقع في تحصيل الرؤية في الحال فكان قوله لن تراني نفيا للحال المطلوب استعظم امر الرؤية وبين ان احدا لايقوى على رؤية الله تعالى الا اذاقواه الله تعالى بمعونته وتأييده وامره ان ينظر الى الجبل لكشف هذا المعنى فان الجبل مع صلابته لما ظهر له اثر التجلي لم يطق ذلك بل اندك وتفرق فكيف بطبيعة الانسان الذي يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذي العظمة والجلال المطلق الذي لايوصف كبرياؤه وجلاله فكأنه قيل فان لم يستقر الجبل فانك لاتطيق رؤيتي (قوله والجبل قيل جبل زبير) قيل هو اعظم جبل بمدين وقوله دكا مصدر وقع موقع المفعول به بمعنى مدكوكا اى مدقوقا يقال دككت الشيء ادكه دكا اذا دققته عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تجلى ربه للجبل صار لعظمته ستة اجبل فوقعت ثلاثة منها بالمدينة احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة ثور وثبير وحرا (قوله ظهر له) تفسير لقوله تعالى تجلى للجبل وقوله عظمته واقتداره وامره تفسير لقوله ربه بتقدير المضاف عن ابن عباس ظهر نور ربه للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر ثور وقيل ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقيل ما تجلى الاقدر الخنصر وتصدى اقتدار الله تعالى للجبل اى تعرضه له عبارة عن تعلق قدرته وارادته بدكه قال صاحب الكشاف أنظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الآية ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه الوصمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ❊ وجماعة حمر لعمري مؤكفه

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ❊ شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قوله المتسمين من الاتسام يقال اتسم بالشيء اذا صار موسوما به معلما وقوله المتسمين من التسمي مطاوع التسمية يقال تسمى به اى صار مسمى به والبلكفة القول بأن الرؤية بلا كيف ومؤكفة اى مشدود عليها الاكاف وهو البرذعة والشنع بالضم جمع شنعة اسم من الشناعة ولقد عورض ما انشده وانشأه من الهذيان فقيل

لجماعة كفروا برؤية ربهم ❊ ولقائه حمر لعمري مؤكفة

هم عطلوا عن الصفات وعطلوا ❊ عند القتال فيالها من متلفة

والجبل قيل جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لاسنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء بالتشديد (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول مارأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين) مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لاترى في الدنيا (قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع (برسالاتي)

هم نازعوه الخلق حتى اشركوا ❀ بالله زمرة حاكة واسا كفه
هم غلقوا ابواب رحمته التي ❀ هي لا تزال على المعاصي موكفه
لهمو قواعد في العقائد رذلة ❀ ومذاهب مجهولة مستنكفه
يبكى كتاب الله من تأويلهم ❀ بدموعه المنهلة المستوكفه
وكذا احاديث النبي دموعها ❀ منهم على الخدين غير منكفه
فالله امطر من سحاب عذابه ❀ وعقابه ابدا عليهم اوكفه

(قوله يعني اسفار التوراة) اى كتب التوراة ومجلداتها وألواحها وهو جمع سفر وهو الكتاب يقال سفره اى كتبه فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشئ المرسل به الى الغير فينبغي ان يقدر المضاف اى بتبليغ رسالتي ويجوز ان يراد بها المصدر اى بارسالي اياك وفي التيسير قوله تعالى برسالاتي وبكلامي يعني بأن ارسلتك بما ارسلت اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والاحكام والمواعظ وبأن كلمتك بلا واسطة ويرد على هذا التأويل بأن يقال كيف اصطفاه على الناس بالرسالة مع ان كثيرا من الناس ساواه في الرسالة ويجاب عنه بانه تعالى بين انه خصه من دون الناس بمجموع امرين وهو الرسالة مع التكليم من غير واسطة وهذا المجموع لم يحصل لغيره وانما قال على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى قال القرطبي ودل هذا على ان قومه لم يشاركه احد منهم في التكليم ولا احد من السبعين الذين اختارهم لان اصطفاءه بما ذكر تنصيص على تخصيصه به قال صاحب الكشاف لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام ارني انظر اليك طلبا لرؤيته وانما قاله تبكيتا لهؤلاء الذين ألحوا عليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم قال فان قلت فهلا قال ارهم ذاتك ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة اذا ارادوا ان يرى موسى ربه فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد وقال الامام اختلفوا في انه تعالى كلم موسى وحده او كله وكلم اقواما آخرين فظاهر الآية يدل على الاول لان قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص موسى بهذا التشريف والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه وقال القاضي بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله تعالى لان الغرض من احضارهم ان يخبروا قوم موسى عما يجري هنالك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام وعن ابن عباس انه قال جاء موسى ومعه السبعون فصعد موسى الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله تعالى موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع

يعني اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي (وبكلامي) وبتكليمي اياك (فخذ ما آتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا له في الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ)

موسى صر بر القلم عظم شوقه فقال رب ارنى انظر اليك الى هنا كلام الامام والله اعلم (قوله بدل من الجار والمجرور) يعنى ان كل شئ فى محل النصب على انه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه فتكون كلمة من فيه مزيدة لا تبعيضية ولم يجعلها ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعولا به لانه ليس له كثير معنى ولم يجعل موعظة مفعولا له وان كانت شرائط النصب حاصلة لان الظاهر ان تفصيلا عطف عليه وظاهر انه لامعنى لقولك كتبناله من كل شئ لتفصيل كل شئ (قوله بأحسن مافيها الخ) اشارة الى جواب ما يقال من انه تعالى لما تعبد بكل ما فى التوراة وجب ان يكون الكل حسنا وقوله يأخذوا بأحسنها يقتضى ان يكون فيها ماليس بأحسن وانه لايجوز الاخذ به وهو متناقض واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان ما فى التوراة من التكاليف متفاوت منه ما هو احسن ومنه ما هو حسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر وكل واحد منها وان كان مشروعا حسنا فى حكم التوراة الا انه تعالى امرهم بطريق الندب ان يأخذوا بالافضل فانه اكثر ثوابا كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ولايرد ان يقال انه تعالى لما امر بالاحسن فقد منع عن الاخذ بالحسن وذلك يقدح فى كونه حسنا لانا نقول انما امرهم بالاخذ بالاحسن على طريق الندب فيزول التناقض والاشكال والوجه الثانى ان التكاليف التى تعبد الله بأخذها يدخل تحتها الواجب والمندوب والمباح واحسن هؤلاء الثلاثة الواجبات والمندوبات فكان الاخذ بهما احسن وان كان الاخذ بالمباح حسنا مشروعا ايضا والوجه الثالث ان بناء افعل ههنا ليس للزيادة على ما اضيف اليه بل هو للزيادة المطلقة بأن يقصد تفضيل المفضل على كل ما سواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده فيكون اضافته لمجرد التخصيص والتوضيح كاضافة نحو العالم والحسن مما لا تفضيل فيه فالمأمور به من الاخذ هو الاخذ بما هو البالغ فى الحسن مطلقا وهو المأمور به مما اشتملت التوراة عليه فان التوراة مشتملة على الامر والنهى والمأمور به احسن من المنهى عنه لا على معنى ان بينهما اشتراكا فى الحسن وان احدهما ازيد من الآخر فيه ضرورة انه لاحسن للمنهى عنه بل على معنى ان المأمور به ابلغ فى الحسن من المنهى عنه فى القبح كما يقال الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى الحر من الشتاء فى البرد والمعنى ان لحر الصيف حدة ولبرد الشتاء حدة وحدة حر الصيف اكثر واشد من حدة برد الشتاء فكذلك لحسن المأمور به مرتبة ولقبح المنهى عنه مرتبة ومرتبة حسن المأمور به اعلى واولى من مرتبة قبح المنهى عنه قال صاحب الكشاف فى سورة مريم الصيف احر من الشتاء

بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من الموعظة وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده وشقها بأصابعه وكان فيها التوراة او غيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) اى بأحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء (ساريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم

من وجيز كلامهم يريدون به ان الصيف ابلغ فى حره من الشتاء فى برده وتحقيقه
ان تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد اذليس ذلك مما يرتاب
فيه ذو حس بل هو راجع الى تفضيل كثرة الحرارة وقوتها على كثرة البرودة
وقوتها فلما اريد بأحسنها المأمور به لكونه ابلغ فى الحسن من المنهى عنه
فى القبح كان اللازم ان لايجوز الاخذ بالمنهى عنه ولاتناقض فيه وقوله تعالى
يأخذوا الظاهر انه مجزوم جوابا للامر فى قوله وأمر قومك ولابد من تأويله
لان الواجب فى مثله انحلال الجملتين الى شرط وجزاء وكون ماهو فى معنى الجزاء لازما لما
هو فى معنى الشرط وليس الامر فيما نحن فيه كذلك لانه لايلزم من امره اياهم بذلك
ان يأخذوه بدليل عصيان بعضهم له فى ذلك وقيل الجزم على اضمار اللام
تقديره ليأخذوا وقوله بأحسنها الظاهر ان الباء فيه زائدة واحسنها مفعول به
والتقدير يأخذوا احسنها كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (قوله
وقرئ سأوريكم) بواو خالصة بعد الهمزة بمعنى سأبين لكم من اوريت
الزند اى اخرجت ناره فقوله سأوريكم بمعنى سأنير وسأبين لكم لتتبينوا (قوله اى
يتكبرون بما ليس بحق) يشعر بأن تكبر المحق على المبطل ليس مما يذم به
صاحبه كما اشتهر من ان التكبر على المتكبر صدقة والحق ان التكبر بالحق صفة
مختصة بالله تعالى لانه الذى له القدرة والفضل الذى ليس لغيره فهو الجدير
بأن يكون متكبرا فالتكبر صفة مدح فى حق الله تعالى وصفة ذم فى حق ماسوى الله
عز وعلا والمفهوم من الآية ان الذين يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم الصلاة
والسلام استكبارا او طلبا للعلو والرياسة فى الارض بغير الحق يصرفهم الله
تعالى بان يطبع على قلوبهم عن التفكر فى آياته المنصوبة فى الآفاق والانفس
عقوبة لهم على استكبارهم فلا يعتبرون بآيات الافاق كخلق السموات والارض
وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبر والبحر وانواع النبات والحيوان
ولا بآيات الانفس حتى يستدلوا بها على وجود الصانع الحكيم القادر على
اثابة المطيع وعقاب العاصى ليكون ذلك الاعتبار باعثا لهم على الرغبة فى طاعته
والاجتناب عن معصيته فثبت بذلك انه تعالى يمنع عن الايمان ويصد عنه
بان يطبع على قلوب المتكبرين ويصرفهم عن التفكر فى الدلائل الموجبة
للتوحيد والايمان وقالت المعتزلة لايمكن حمل الآية على انه تعالى يصرف
المتكبرين الموصوفين بانهم ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وبأنهم ان يروا سبيل
الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا عن الايمان لانه تعالى
علل الصرف المذكور باتصافهم بالاوصاف المذكورة المستلزمة للكفر ولاشك
ان العلة متقدمة على الحكم فلا يكون الصرف عن الايمان الذى هو خلق

وقرئ سأوريكم بمعنى
سأبين لكم من اوريت
الزند وسأورثكم ويؤيده
قوله واورثنا القوم الذين
استضعفوا (سأصرف
عن آياتى) المنصوبة
فى الآفاق والانفس
(الذين يتكبرون فى الارض)
بالطبع على قلوبهم فلا
يتفكرون فيها ولايعتبرون
بها وقيل سأصرفهم عن
ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلائها او باهلاكهم
(بغير الحق) صلة يتكبرون
اى يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الباطل او حال
من فاعله (وان يروا كل
اية) منزلة او معجزة
(لايؤمنوا بها) لعنادهم
واختلال عقلهم بسبب
انهماكهم فى الهوى
والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول (وان يروا سبيل
الرشد لايتخذوه سبيلا)
لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرأ حمزة والكسائى الرشد
بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلاثتها لغات كالسقم
والسقم والسقام (وان
يروا سبيل الغى يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين)
اى ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم

الكفر فيهم عقوبة متفرعة على الكفر الحاصل فلذلك قالوا فى تفسير الآية سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله تعالى الا علو الحق وانتكاس الباطل وابدى المصنف ان يكون المراد بالصرف الصرف عن التفكر فى الآيات بجعلهم مطبوعى القلوب بقوله تعالى وان يروا كل آية لايؤمنوا بها بل يقولون مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان من لم يتأثر بكل آية كيف يقال فى حقه سأصرفه عن ابطالها بل اضطره الى ان تعود عليه بالاذلال او بالاهلاك (قوله وعدم تدبرهم) عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيها لمن اعرض عن الشئ بمن غفل عنه (قوله ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر) عطف من حيث المعنى على ما فهم من تقريره وهو ان يكون ذلك مبتدأ والجار والمجرور خبره ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول به لفعل محذوف اى فعلنا ذلك لهذا السبب (قوله تعالى ولقاء الآخرة) اما من اضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف او من اضافته الى الظرف بتقدير فى والفاعل والمفعول محذوفان اى لقائهم الموعود فى الدار الآخرة (قوله الاجزاء اعمالهم) لان نفس ما كانوا يعملونه لايجزونه وانما يجزون بمقابلته (قوله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر) اى بكسر الحاء واللام وتشديد الياء كدلى وعصى جمعى دلو وعصا اصلهما دلو وعصو قلبت الواو الاخيرة ياء لوقوعها طرفا بعد ضمة فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت عين الكلمة وان كانت مضمومة فى الاصل لتصح الياء ثم لك بعد ذلك فيه وجهان ترك الفاء على ضمها واتباعها للعين فى الكسرة وهذا مطرد فى كل جمع على فعول من معتل اللام سواء كانت لامه واوا كما فى عصى ودلى او ياء كما فى حلى وثدى فى جمع حلى وثدى اصلهما حلوى وثدوى نحو فلوس فى جمع فلس والحلى اسم لما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ حليهم بفتح الحاء وسكون اللام على التوحيد اقامة لاسم الجنس مقام الجمع (قوله من بعده من حليهم) كل واحد من حرفى الجر متعلق باتخذ وجاز ان يتعلق حرفا جر متحدا اللفظ بعامل واحد لاختلاف معنييهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ويجوز ان يكون من حليهم متعلقا بمحذوف على انه حال من عجلا لانه لو تأخر عنه لكان صفته اى عجلا كائنا من حليهم فلما قدم عليه انتصب حالا منه وجعل جسدا بدلا من عجلا اولى من جعله نعتاله او عطف بيان لان الجسد ليس مشتقا فلا ينعت به الا بتأويل وعطف البيان فى النكرات قليل او ممتنع عند الجمهور والجسد اسم لجسم يكون له لحم ودم

وعدم تدبرهم الآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سأصرفه ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى ولقائهم الدار الآخرة او ما وعدالله فى الآخرة (حبطت اعمالهم) لاينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الاجزاء اعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الميقات (من حليهم) التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر للاتباع كدلى ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها

وقرئ جؤار اى صياح (ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى ألم يروا حين
اتخذوه الها انه لا يقدر على
كلام ولا على ارشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوا
انه خالق الاجسام والقوى
والقدر (اتخذوه) تكرير
للذم اى اتخذوه الهـا
(وكانوا ظالمين) واضعين
الاشياء فى غير مواضعها فلم
يكن اتخاذ العجل بدعا
منهم (ولما سقط فى ايديهم)
كناية عن اشتداد ندمهم
فان النادم المتحسر يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على البناء
للفاعل بمعنى وقع العض
فيها وقيل معناه سقط الندم
فى انفسهم (ورأوا) وعلموا
(انهم قد ضلوا) باتخاذ
العجل (قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا) بانزال التوبة (ويغفر
لنا) بالتجاوز عن الخطيئة
(لنكونن من الخاسرين)
(وقرأهما حمزة والكسائى
بالتاء وربنا على النداء) (ولما
رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا) شديد
الغضب وقيل حزينا (قال
بئسما خلفتمونى من بعدى)
فعلتم بعدى حيث عبدتم
العجل والخطاب للعبدة
او قمتم مقامى فلم تكفوا
العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة

اوجثة لا روح لها والسامرى رجل من قرية يقال لها سامرة وكان رجلا مطاعا
فى قوم موسى وكانوا قد سألوه الها يعبدونه فجمع ذلك الحلى فصاغ لهم
من ذلك الحلى عجلا ثم اختلف الناس فقال قوم قد اخذ كفا من تراب حافر
فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فألقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما
ودما فظهر فيه خوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى
وقال اكثر المفسرين من المعتزلة كان قد جعل ذلك العجل مجوفا وجعل فى جوفه
انابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت
الريح تدخل فى تلك الانابيب ويظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل
ثم قيل انه ما خار الا مرة واحدة وقيل كان يخور كثيرا فاذا خار سجدوا له واذا سكت
رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يخور ولا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى
(قوله وقرئ جؤار) بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح (قوله كناية عن
اشتداد ندمهم) وجعله كناية لا مجازا لعدم المانع عن ارادة الحقيقة والايدى
على هذا حقيقة لان السقوط فى اليد الذى هو عض اليد من لوازم النادم
المتحسر فكنى بذكر اللازم عن الملزوم واصل الكلام سقط فوهم فى ايديهم
اى وقع لان من اشتد ندمه يعض يده ثم حذف الفاعل واسند الفعل وهو سقط
الى الجار والمجرور نحو مر بزيد وقال الزجاج معناه سقط الندم فى قلوبهم
ونفوسهم وعبر عن وقوع الندم فى القلب بسقوطه فى اليد لان اليد لكونها جارحة
عظيمة يتوسل بها الى عامة الافعال من الطاعات والمعاصى يسند اليها ما لم
يكن لها مدخل فى مباشرته وتحصيله نحو اتسعت يد فلان وضاقت يده كقوله
تعالى ذلك بما قدمت يداك وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد وايضا تجعل
اليد محلا لما لا يحل فيها البتة نحو حصلت الاصحاب والعبيد والاماء
فى يده فشبه ما يحصل فى النفس والقلب بما يحصل فى اليد فى التحقق والظهور
والتمكن من الانتفاع به فاطلق عليه انه فى اليد على سبيل الاستعارة التمثيلية
وهذا الندم والاستغفار المبنى على العلم بانهم قد ضلوا فارتكبوا
معصية الله تعالى كان بعد رجوع موسى اليهم وتحقق خطائهم وضلالهم
بالبراهين القاطعة (قوله شديد الغضب وقيل حزينا) يعنى ان الاسف
صفة مشبهة كالزمن ومعناه شديد الغضب يقال آسفنى فأسفت اى اغضبنى
فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال السدى والكلبى الاسف
الحزين ثم قيل ان غضبه لله تعالى وتأسفه على ما كان منهم من عبادة العجل
والكفر بالله تعالى حصل عند مجيئه من الطور الى قومه من حيث انه انما عرف
حالهم عند ذلك وقيل بل كان عارفا بذلك قبل مجيئه اليهم وهو اقرب لقوله

(تعالى)

تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وهو انما كان راجعا الى قومه قبل وصوله اليهم عالما بهذه الحادثة بسبب انه تعالى اخبره في حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل بقوله فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان من ذلك متأسفا على ما كان منهم وفسر قوله تعالى بئسما خلفتموني من بعدي بقوله بئسما فعلتم بعدي اى بعد ما مضيت على انه يقال خلفه بما يكره اذا عمل بعده ذلك العمل كما يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي (قوله تفسير المستكن في بئس) فان الفاعل في باب نعم وبئس اذا كان مضمرا يجب ان يفسر بنكرة موصوفة لونها وفسر ههنا بقوله ما خلفتموني ولا يجوز ان يكون ما خلفتموني فاعل بئس لان فاعله يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف باللام وهو ليس واحدا منهما فتعين ان يكون الفاعل مضمرا ولا يضمر الفاعل فيه الا بشرط التفسير ومفسره قوله ما خلافة في وقوله ومعنى من بعدي جواب عما يقال مامعنى قوله من بعدي بعد قوله خلفتموني اجاب عنه بان معناه من بعد انطلاقي على ان يكون الخطاب لعبدة العجل وقوله او من بعد ما رأيتم مني الخ على تقدير ان يكون الخطاب لهرون واتباعه المؤمنين (قوله أتركتموه غير تام) يريد ان الامر واحد الاوامر وانه بمعنى المأمور به وهو ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام اربعين يوما حافظين لعهده وما وصاهم به من التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى حتى يأتيهم بكتاب الله المشتمل على المواعظ والاحكام وان العجلة عن الشيء عبارة عن تركه غير تام انكر على قومه في عدم اتمامهم ما امرهم الله به من ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام الى ان يجيئهم من غير ان يغيروا شيأ مما تركهم عليه واصل العبارة أعجلتم عن امر ربكم الا انه اسقط الخافض وعدى الفعل بنفسه على سبيل الاتساع وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه كأنه قيل اسبقتم امر ربكم غير متمين اياه بأن فعلتم ما بدا لكم قال الامام معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول اوقاته قال ابن عباس أعجلتم امر ربكم اى ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الكلبي أعجلتم اى سبقتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم اى لو جاز ان يعبد العجل تقربا الى الله بعبادته لامر الله تعالى به فلم عبدتموه قبل ان يأتيكم به امر من الله (قوله او أعجلتم وعد ربكم) على ان الامر واحد الامور وعبارة عن وعد الاربعين ومعنى سبقهم الميعاد وعدم صبرهم له انهم عدوا كل واحد من عشرين يوما وعشرين ليلة يوما كاملا وجعلوا المجموع اربعين يوما فلما لم يرجع موسى عليه الصلاة والسلام عند مضي عشرين يوما

تفسير المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه (أعجلتم امر ربكم) أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد أنبيائهم (وألقى الالواح)

طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام (واخذ برأس اخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه

بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرآئيل (قال ابن ام) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن امي بالياء فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله اوتشبيها بخمسة عشر (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفعل بي مايشمتون بي لاجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) معدودا في عدادهم بالمؤاخذة اونسبة التقصير (قال رب اغفر لي) ما صنعت بأخي (ولأخي) ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه

(وأدخلنا في رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وانت ارحم الراحمين) فأنت ارحم بنا منا على انفسنا (ان الذين (والمراد) اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ما امرهم به من قتل انفسهم (وذلة في الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزي المفترين) على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات (وآمنوا)

قالوا قد مضى الاربعون ولم يرجع فقدروا انه قد مات فوبخهم موسى على ذلك بقوله اعجلتم ميعاد ربكم بناء على الزعم الفاسد وما انتظروه كما وعده الله تعالى فبادرتم الى تغيير دين الله تعالى (قوله طرحها) اى ألقاها على الارض القاء عنيفا حتى تكسرت قال الامام ولقائل ان يقول ليس في القرآن الا انه القى الالواح واما انه ألقاها بحيث تكسرت فليس في القرآن وانه لجرآءة عظيمة على كتاب الله تعالى ومثله لايليق بالانبياء ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح فدل ذلك على انها لم تتكسر ولا شيء منها بل انه اخذها بأعيانها ومن قال بأن ستة اسباعها رفعت الى السماء فلا بد له من دليل ولم اجد مايدل عليه الا ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى ان قومه قد ضلوا فلم يكسر الالواح فلما عاين ذلك كسر الالواح (قوله توهما) لان تقصير الانبياء حقيقة في كف قومهم عن ارتكاب الكفر والوقوع فيه لايجوز (قوله اوتشبيها بخمسة عشر) وانما قال تشبيها لان ابن ليس بمركب مع ام حقيقة حتى يكون حركة كل واحد من الاسمين حركة بناء بل هو مضاف الى امي فحركته حركة اعراب ولما حذفت ياء المتكلم من لفظ امي بني على الفتح تشبيها لهذا التركيب الاضافي بتركيب خمسة عشر (قوله مايشمتون بي لاجله) هو بفتح الياء والميم على وزن يعلمون يقال شمت به شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية وشماتة العدو اشد من كل بلية قال الشاعر ۞ والموت دون شماتة الاعدآء ۞ وتشميت العاطس وتسميته بالشين والسين الدعاء له بالخير وقيل الشين اعلى اللغتين (قوله تعالى اتخذوا العجل) المفعول الثاني من مفعولي الاتخاذ محذوف والتقدير اتخذوا العجل الها معبودا قال الامام وللمفسرين في هذه الآية طريقان الاول ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادة العجل ويرد عليه ان تلك الاقوام تاب الله عليهم بسبب ان قتلوا انفسهم توبة على ذنبهم فاذا تاب الله عليهم فكيف يمكن ان يقال في حقهم سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا والجواب عنه ان ذلك الغضب انما حصل في الدنيا لا في الآخرة وهو ان الله تعالى امرهم بأن يقتلوا انفسهم

والمراد بقوله وذلة فى الحياة الدنيا هوانهم فدعضوا وذلوا ثم قال فان قيل السين فى قوله سينالهم للاستقبال فكيف يحمل هذا على حكم الدنيا قلنا هذا الكلام حكاية عما اخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل واخبره فى ذلك الوقت ان سينالهم غضب من ربهم وذلة فلما قال الله تعالى ذلك لموسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يتوب القوم بقتلهم انفسهم صح ان تدخل سين الاستقبال على الحكم المتعلق بالدنيا والطريق الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل ابناؤهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم نسب اتخاذ العجل اليهم مع انه فعل آبائهم بناء على قاعدة العرب فانهم يعيرون الابناء بقبائح افعال الآباء ثم حكم عليهم بانهم سينالهم غضب من ربهم فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا نحو الجلاء والنفى عن الاوطان وضرب الجزية ويجوز ان يكون التقدير ان الذين اتخذوا العجل اى الذين باشروا ذلك سينالهم اى سينال اولادهم على حذف المضاف لدلالة الكلام عليه والظاهر ان قول المصنف وهو ما امرهم به من قتل انفسهم يقتضى ان يراد بهم المباشرون وقوله وهو خروجهم من ديارهم حال ابنائهم ولعله حمل قوله الذين اتخذوا العجل على ما يتناول الاصول والفروع (قوله واشتغلوا بالايمان) حمل الايمان على الثبات عليه والعمل بمقتضاه لان الاصل الايمان مقدم على التوبة والايمان المتأخر عنها هو الايمان الكامل الذى ينزل الايمان المقرون بالمعاصى عنده منزلة العدم (قوله سكن) حمل السكوت على المعنى المجازى لان السكوت الحقيقى الذى هو قطع الكلام لا يتصور من الغضب وهو من بديع الاستعارة بالكناية شبه الغضب بانسان يغرى موسى عليه الصلاة والسلام ويقول له قل لقومك كذا وكذا والق الالواح وخذ برأس اخيك ثم يقطع الاغراء ويترك الكلام ويمكن ان يشبه سكون الغضب بسكوته فيكون استعارة تبعية (قوله اخذ الالواح التى ألقاها) اشارة الى ان الالواح المأخوذة هى الالواح المذكورة فى قوله وألقى الالواح وان شيأ منها لم ينكسر ولم يبطل وان ما يروى من ان ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس كذلك بل انه قد كان وضعها فى موضع ليتفرغ لما قصده له لا رغبة عنها فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها فعلى هذا قوله تعالى وفى نسختها معناه وفيما نسخ وكتب فيها نقلا من اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا كتبت كتابا من كتاب حرفا بعد حرف قلت نسخت ذلك الكتاب كأنك نقلت ما فى الاصل الى الكتاب الثانى وقوله وفى نسختها هدى جملة اسمية فى محل النصب على انه حال من الالواح ورحمة عطف على هدى وقوله للذين متعلق بمحذوف لانه صفة لرحمة اى ورحمة كائنة للذين يرهبون ربهم وهم مبتدأ ويرهبون خبره والجملة

واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا (اخذ الالواح) التى ألقاها

(وفي نسختها) وفيما نسخ فيها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة) روى انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة ى الصاعقة او رجفة جبل فصعقوا منها (قال ب لو شئت اهلكتهم ن قبل واياى)

صلة الموصول ولربهم مفعول يرهبون واللام فيه مقوية للفعل لانه لما تقدم معموله ضعف فتقوى باللام كما في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فان اللام تكون مقوية حيث كان العامل مؤخرا او فرعا نحو فعال لما يريد ويحتمل ان تكون اللام للعلة ويكون مفعول يرهبون محذوفا اى يرهبون معصية الله او عقابه لاجل ربهم لا رياء ولا سمعة (قوله وقيل فيما نسخ منها) مبنى على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما ألقى موسى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فأعاد الله الالواح وفيها نقش ما فى الاولى ولم يرض المصنف بهذا القول لان الظاهر ان تعريف الالواح فى قوله اخذ الالواح للعهد والمعنى اخذ الالواح التى ألقاها والحال ان فى تلك الالواح هدى ورحمة وحمل الكلام على معنى انه اخذ الالواح والحال ان فيما نسخ ونقل منها هدى بعيد (قوله اى من قومه) اختار يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر يقال اخترت زيدا من الرجال ثم يتسع ويحذف الجار ويوصل الفعل بنفسه وقد يحذف المفعول الثانى رأسا فيقال اخترت زيدا وقومه مفعول ثان وسبعين اولهما والتقدير واختار موسى سبعين رجلا من قومه والاختيار افتعال من لفظ الخير كاصطفى من الصفوة يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره قيل فيه دليل على ان كلهم لم يعبدوا العجل قال الكلبى اختار سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل فلم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الميقات واختلفوا فى هذا الاختيار هل هو للخروج الى ميقات الكلام وسؤال موسى ربه بقوله رب ارنى انظر اليك او للخروج الى موضع آخر فقال بعض المفسرين انه للخروج الى ميقات الكلام وطلب الرؤية وهو الذى اختاره المصنف وقيل المراد من هذا الميقات غير ميقات الكلام وطلب الرؤية بل هو ميقات وقته الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ليأتى فيه بسبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا عما كان من القوم من عبادة العجل فان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا امره الله تعالى ان يجمع سبعين رجلا ويحضروا موضعا يظهرون فيه تلك التوبة فلما فارج موسى معهم وكانوا فى اسفل الجبل اخذتهم الرجفة اى زلزلة الجبل وقيل زلزلة ابدانهم فماتوا قيل فى سبب الرجفة ان هؤلاء السبعين وان كانوا ما عبدوا العجل الا انهم فارقوا عبدة العجل عند اشتغالهم بعبادة العجل وقيل انهم ما بالغوا فى النهى عن عبادة العجل فلذلك اخذتهم الرجفة وقيل بل لكفرهم بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لا بسؤال الرؤية بل بسؤال الرؤية جهرة

اى مقابلة وهى تشبيه وهو كفر واما اصل الرؤية فهو ثابت وقيل المراد بهذا الميقات ماروى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى قالوا هو الذى قتل هرون فاختار موسى سبعين رجلا وذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى وقال ما قتلنى احد ولكن توفانى الله تعالى فأخذتهم الرجفة هنالك والرجفة الارتعاد والحركة الشديدة وفسرها المصنف بقوله اى الصاعقة لقوله تعالى فى سورة البقرة فى حق السبعين الذين اختارهم موسى للميقات واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك اى لاجل قولك بأن الله تعالى اعطاك التوراة وكلمك ولن نقر بأنك نبى حتى نرى الله جهرة اى عيانا فأخذتهم الصاعقة اى ماتصعقون منه وتموتون وهى نار جاءت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث فهذه الآية تدل على ان الرجفة والصاعقة شئ واحد وان رجفة ابدانهم متفرعة على الصاعقة (قوله تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى مارأى او بسبب آخر) فالمعنى ليت مشيئتك تعلقت باهلاكنا قبل وقوع هذه الواقعة لكى لا نراها وهذا التمنى انما يستفاد من لو بحسب المقام والافلو اذا كان للتمنى لايحتاج الى الجواب فان مفعول المشيئة محذوف ههنا اى لو شئت هلاكنا وقوله اهلكتهم جواب لو والاكثر ان يجاب باللام ولم يأت جواب لو مجردا عن اللام الا ههنا وفى قوله لو نشاء اصبناهم وقوله لو نشاء جعلناه اجاجا عن مقاتل قال لما اخذتهم الرجفة كان موسى عليه الصلاة والسلام يبكى ويقول يارب ما اقول لبنى اسرآئيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم ولم يبق معى رجل واحد منهم لو شئت أمتهم واياى معهم من قبل ان يصحبونى ليعاين بنوا اسرآئيل ما اصاب خيارهم ولا يتهمونى (قوله اوعنى به الخ) اى ويجوز ان لايكون المراد تمنى الهلاك بسبب آخر قبل هذه الواقعة بل يكون المراد دعاء الترحم عليهم بأن يبعثهم ويردهم الى قومهم سالمين فلما دعا موسى عليه الصلاة والسلام وتضرع كشف الله عنهم تلك الرجفة والاستفهام فى قوله أتهلكنا يجوز ان يكون على بابه اى أتعمنا بالاهلاك ام تخص السفهاء منا وقيل لايجوز ان يظن موسى عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم فيجب ان يجعل الاستفهام بمعنى النفى بمعنى انك ما تهلك من لم يذنب بذنب غيره كما تقول أتهين من يخدمك اى لا تفعل ذلك ونقل محى السنة عن المبرد انه قال قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الاستفهام استعطاف اى لا تهلكنا وارحمنا اذ قد علم موسى ان الله تعالى

تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى مارأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك

(أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او وجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) القائم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا (وارحمنا وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا انفسنا او أملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابى اصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (دعاء)

اعدل من ان يأخذ احدا بجرم غيره (قوله تعالى منا) فى محل النصب على انه حال من السفهاء ويجوز ان يكون للبيان والمراد بما فعله السفهاء طلب رؤية الله تعالى عيانا فى ميقات مكالمة موسى ربه على الطور والسبعون اختارهم موسى لميقات المكالمة وطلب التوراة وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة والاعتذار عنها قال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم الرجفة وقلقوا ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة فظن موسى عليه الصلاة والسلام انهم عوقبوا باتخاذ بنى اسرائيل العجل فقال سائلا مستفهما أتهلكنا بما فعل السفهاء من عبادة العجل قال الواحدى ضمير هى فى قوله ان هى الا فتنتك راجع الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هى الا هند والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اى اختبارك وابتلاؤك اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فثبتوا على الحق (قوله وتبدلها بالحسنة) وكل من سواك انما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او للثواب الجزيل اولرقة الجنسية فى القلب واما انت فتغفر ذنوب عبادك لالطلب غرض وعوض بل لمحض الفضل والكرم فلا جرم انت خير الغافرين (قوله تعالى واكتب لنا) اى واثبت لنا واقسم وذكر الكتابة لانها ادوم وقيل اى وفقنا فى الدنيا للحسنات التى يكتبها لنا الحفظة (قوله ويحتمل ان يكون) اى ان يكون هدنا بكسر الهاء فان هاد يهيد لما كان متعديا جاز ان يبنى للفاعل والمفعول بخلاف هاد يهود فانه لازم فلا يبنى للمفعول الا ان هدنا بضم الهاء جاز ان يكون مبنيا للمفعول من هاد يهيد فاذا بنيته للمفعول تقول هيد يهاد كما تقول عيد المريض يعاد اصله عود بضم العين وكسر الواو فبعضهم ينقل كسرة الواو الى العين ثم يقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فيقول عيد وبعضهم يحذف كسرة الواو فيقول عود وقد تقرر فى الصرف ان مجهول قال فيه ثلاث لغات قول وقيل والاشمام وان قول لغة ضعيفة لثقل الضمة والواو وقوله انت ولينا يفيد الحصر اى لا ولى لنا ولا ناصر الا انت والمتوقع من الولى والناصر امران احدهما دفع الضرر والثانى تحصيل النفع ودفع الضرر مقدم على تحصيل النفع فلذلك بدأ بدفع الضرر حيث قال فاغفر لنا وارحمنا فان المغفرة عبارة عن اسقاط العقوبة والرحمة عبارة عن ايصال الخير فان الفاء فيه سببية ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ولما حكى الله تعالى

دعاء موسى ذكر بعده ما كان جوابا لموسى فقال تعالى قال عذابي اصيب به
من اشاء اى انى اعذب من اشاء تعذيبه والتعذيب متعلق بمشيئتى وليس لاحد
على اعتراض لان الكل ملكى ومن تصرف فى خالص ملك نفسه فليس
لاحد ان يعترض عليه واما رحمة الله تعالى فانها تعم الكل فى الدنيا لانه ما من
مسلم ولا كافر الا وعليه آثار نعمته ورحمته فى الدنيا فبها يتعيشون وفيها ينقلبون
لان الكافر يرزق ويدفع عنه البلاء لسعة رحمة الله فيعيش بها فاذا صارا الى
الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كما لستضيئ بنور غيره اذا ذهب صاحب السراج
بسراجه بقى فى الظلمة فتكون للمؤمنين خاصة فى الآخرة وذلك قوله تعالى
فسأكتبها للذين يتقون اى سأجعلها فى الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصى
عبر عن الجعل والاثبات بالكتابة لكونها أدوم واثبت قال القشيرى خص بالعذاب
من يشاء وعم بالرحمة كل شئ وفيه مجال لآمال العصاة فانهم وان لم يكونوا
مطيعين فهم داخلون تحت قوله كل شئ روى انه لما نزل قوله تعالى ورحمتى
وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فقال الله عز وجل فسأكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمناها اليهود والنصارى
وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدى الزكاة فاستلبها تعالى من ابليس
واليهود والنصارى فجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول
النبى الامى وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه رسول بالنسبة اليه تعالى
ونبى بالنسبة الى امته وامى من حيث كونه على صفة امة العرب فان اكثرهم
لا يكتبون ولا يقرأون ولا يحسبون والمشهور فى الفرق بين الرسول والنبى
ان الرسول من اوحى اليه كتاب مختص به مؤيدا بالمعجزات القاطعة والنبى من له
معجزة قاطعة سواء كان صاحب كتاب ام لا فهو اعم من الرسول وكونه عليه
الصلاة والسلام اميا من جملة معجزاته فانه عليه الصلاة والسلام لو كان يحسن
الخط والقرآءة لصار متهما بانه ربما طالع فى كتب الاولين فحصل هذه العلوم
من تلك المطالعة فلما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الاولين
والآخرين من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات الباهرة روى انه عليه
الصلاة والسلام اجتاز فى طريقه برجل من اليهود يمرض ابنا له فسأل اليه فقال
يا يهودى هل تجدوننى عندكم مكتوبا فى التوراة فأومأ اليه اليهودى برأسه بعلمه
انهم لا يجدونه عندهم مكتوبا فى التوراة فقال له ابن اليهودى والله يا رسول الله
انهم يجدونك مكتوبا فى التوراة ولقد طالعت وان فى يده لسفرا من التوراة يقرأ
فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما رآك ستره عنك فانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكان آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى

(فسأكتبها) فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرآئيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصي
(ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشيء منها
(الذين يتبعون الرسول النبي) مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض
او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة
الى العباد (الامي) الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كماله ﴿٣٢٤﴾ علمه مع حاله احدى معجزاته (الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) لي (واتبعوا النور الذي انزل معه) اي مع نبوته يعني
القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون (الاخروية)
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك
السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذي اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح

نحبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه
قال الراوي فخلنا بين اليهودي وبينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا
(قوله فسأثبتها في الآخرة) على ان تكون السين للتأكيد وقوله منكم حال
مبينة لقوله تعالى للذين يتقون كأنه قيل فأكتبها للذين الموصوفين
بهذه الصفات منكم خاصة يا بني اسرآئيل بشهادة قوله الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فان هذه الصفة مختصة بهم (قوله
او كالربا والرشوة) اشارة الى انه يجوز ان يراد بالطيبات والخبائث
ما يستطيبه الطبع ويستلذ به وما يستخبثه الطبع وينفر عنه فتكون الآية
دليلا على ان الاصل في كل ما يستطيبه الطبع الحل وفي كل ما يستخبثه الحرمة
الا لدليل منفصل ويجوز ان يراد بهما ما طاب في حكم الشرع وما خبث
فـ اول الآية حينئذ ان ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو
حرام (قوله اي مع نبوته) فيكون معه متعلقا بأنزل حالا من الضمير فيه اي
انزل مصاحبا لنبوته وهو جواب عما يقال ما معنى قوله انزل معه وانما انزل معه جبريل
عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يتعلق باتبعوا فيكون ظرفا لاتبعوا فكأنه قيل
واتبعوا القرآن مع اتباع منن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون
حالا من فاعل اتبعوا اي اتبعوا القرآن مصاحبين له عليه الصلاة والسلام
في متابعته فكما انه عليه الصلاة والسلام يتبع القرآن فكونوا معه في اتباعه
(قوله ومضمون الآية) وهي قوله تعالى عذابي اصيب به من اشاء الى قوله
اولئك هم المفلحون جواب دعاء موسى وهو قوله انت ولينا فاغفر لنا الى آخر الآية
فانه عليه الصلاة والسلام دعا لنفسه ولبني اسرآئيل بمغفرة الذنوب والخطيئات
وبالرحمة وكرامة الدارين لان المغفرة هي اسقاط العقوبة والرحمة ايصال
الخير واكد سؤال الاول بقوله وانت خير الغافرين وفصل سؤال الرحمة الى استدعاء
الرحمة الدنيوية بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة والى استدعاء الرحمة

الاخروية بقوله وفي الآخرة وتقرب اليه تعالى في تحصيلها بقوله انا هدنا اليك فلما كان حاصل مسألته دفع العذاب وتحصيل الرحمة الدنيوية والاخروية اجابه تعالى بقوله عذابي اصيب به من اشاء فكأنه قيل اما حديث العذاب فيتعلق بمشيئتي لاقدرة لأحد على دفعه ولا اعتراض علي واما الرحمة الدنيوية فهي عامة للمؤمن والكافر والبر والفاجر واما الاخروية فمخصوصة بالموصوفين بالتقوى وايتاء الزكاة وبالايمان بجميع الآيات ومتابعة الرسول النبي الامي صلى الله عليه وسلم وهذه الاوصاف انما تجتمع في الموجودين في زمان نبوته عليه الصلاة والسلام ممن آمن به من بني اسرآئيل كما اشار اليه المصنف بقوله خاصة منكم يابني اسرآئيل فان قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انما يتحقق في حقهم واما من كان وجودهم قبل زمان نبوته عليه الصلاة والسلام فان اتباعهم لا يمكن قبل وجوده وبعثته فان قيل الرحمة الاخروية لو اختصت ببني اسرآئيل الموجودين في زمانه عليه الصلاة والسلام للزم ان لاتثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك فالجواب ان هذا الاختصاص ليس معناه ان الرحمة الاخروية لا تتجاوز الى غيرهم اصلا بل المراد باختصاصها بهم بحسب الاضافة والنسبة الى طائفة اخرى وهي من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من بني اسرآئيل الموجودين في زمانه فان قيل الضمير في قوله تعالى فسأكتبها راجع الى الرحمة المذكورة والرحمة المذكورة هي الرحمة العامة الواسعة كل شيء وكيف تختص بجماعة معينين والجواب ان الرحمة المذكورة هي الرحمة المطلقة التي اخبر عنها بانها عامة في الدنيا مختصة في الآخرة وانما ذكر اختصاص الرحمة بهذه الطائفة في جواب موسى ليتخلص من قصته الى ذكر سيد المرسلين ومدحته وانه من الخاصات الفائقة والتعليقات الرائقة ولاسيما قد عقبه بقوله فالذين آمنوا به وعزروه وقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فان قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا لنفسه ولبني اسرائيل بالمغفرة والرحمة والجواب بان العذاب لجماعة والرحمة لجماعة كيف يطابق دعاءه عليه الصلاة والسلام قلت انه مطابق له على وجه يشتمل على ترهيب بني اسرائيل وترغيبهم اما ترهيبهم فلأن قوله عذابي اصيب به من اشاء توبيخ لهم على كفرهم بآيات الله وطلبهم الرؤية جهرة وقد عرض بذلك اي بكفرهم بالآيات في قوله بآياتنا يؤمنون واما ترغيبهم فبقوله فسأكتبها لانهم لما سمعوا ان الرحمة الاخروية لمن آمن من اعقابهم بجميع آيات الله كان ترغيبا لهم في الايمان بالآيات والعمل الصالح واذا تقرر هذا ظهر كون مضمون الآية جوابا لدعاء موسى عليه الصلاة والسلام (قوله بيان لما قبله) وهو صلة الموصول يعني قوله لا اله الا هو بدل من الصلة قبله وفيه بيان انها لان من ملك العالم كان هو الاله

منصوب او مرفوع او مجرور اخبره (لا اله الا هو) وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره وفي (يحيي ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه الصلاة والسلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه

وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعني بني اسرائيل (امة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين او بكلمة الحق (وبه) وبالحق (يعدلون) بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) اي قوم موسى وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتي عشرة) مفعول ثان لقطع

المنفرد بالالوهية فلا يكون له محل من الاعراب كالصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا اله الا هو سيق لبيان اختصاصه بالالوهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة الا الاله (قوله وانما عدل عن التكلم) فان مقتضى قوله اني رسول الله ان يقال فآمنوا بالله وبي الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات المذكورة فان الضمير لا يوصف ولا يوصف به والصفات المذكورة داعية الى الايمان اما كونه نبيا فظاهر واما كونه اميا فلما مر انه معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام (قوله في خطط الضلالة) اي في دآئرتها جمع خطة بكسر الخاء وهي الارض التي يخطها الرجل لنفسه بأن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه قد اختارها ليبنيها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة (قوله والمراد بها الثابتون على الايمان) في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ولم يزيغوا عن الحق كما زاغ عبدة العجل والذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقيل المراد بها الذين ادركوا نبينا عليه الصلاة والسلام من بني اسرائيل وآمنوا به كعبد الله بن سلام وابن صوريا ونحوهما واورد عليه انهم كانوا قليلين في العدد ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل المراد بها قوم وراء الصين وذلك ان بني اسرائيل لما كفروا وقتلوا انبياءهم وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم سربا في الارض وجعل امامهم المصابيح تضيء لهم بالنهار فاذا أمسوا ونزلوا اظلم عليهم السرب فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح ومعهم نهر من ماء يجري واجرى الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض بأقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوا وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا من اجل انه ليست لهم ذنوب وهم متمسكون بالاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة فهم في منقطع من الارض لا يصل احد منا اليهم ولا منهم الينا وانهم كبني اب واحد ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ليلة المعراج اني احب ان ارى القوم الذين اثنى الله عليهم فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذاهبا وست سنين راجعا ولكن سل ربك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأمن جبريل عليه والسلام فأوحى الله الى جبريل ان اجبه الى ماسأل فركب البراق فخطى خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وسألوه من انت فقال انا النبي الامي

(فقالوا)

فقالوا انت الذى بشر بك موسى عليه الصلاة والسلام فمن معك قال وتورونه قالوا ثم قال هذا جبريل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم قلت ولم ذلك قالوا ذلك اجدر أن نذكر الموت صباحا ومساء قال ارى بنيانكم مستويا قالوا لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهوآء قال فمالى لا ارى لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق من انفسنا فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا قال فمالى ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فيأخذ كل رجل منا مايكفيه ويدع الباقى لاخيه قال فمالى ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون سرورا بما قبض عليه من التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فهم لايدرون على اى دين يقبض قال فاذا ولد لكم ذكر فما ذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى عليه الصلاة والسلام اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر قال أفتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد ولو فعل ذلك احد لحصبته السماء من فوقه وخسفت به الارض من تحته قال أفتربون قالوا انما يربى من لايؤمن برزق الله قال أفتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما يذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال الكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم شريعته و الصلوات الخمس وعلمهم الفاتحة وسورا من القرآن قيل انهم كانوا يسبتون فأمرهم ان يتركوه وان يجمعوا وقيل انهم قالوا يارسول الله ان موسى اوصانا فقال من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى السلام عليهم الصلاة والسلام (قوله فانه متضمن معنى صير) يعنى ان قطع انما يتعدى الى واحد فان ابقى على اصل معناه يكون انتصاب اثنتى عشرة بالحالية لا بالمفعولية لانه حال من مفعول قطعناهم اى فرقناهم معدودين بهذا العدد وان جعلناه متضمنا معنى صير يكون مفعولا ثانيا له (قوله وتأنيثه) يعنى ان اثنتى عشرة سوآء جعل مفعولا ثانيا لصيرناهم اوحالا من مفعول قطعناهم عبارة عن قوم موسى فحقه ان يقال اثنى عشر الا انه انث اسم عددهم نظرا الى ان القوم فى معنى الامة اوالقطعة وتمييز اثنتى عشرة محذوف حذف للعلم به تقديره اثنتى عشرة امة او فرقة واسباطا بدل من ذلك التمييز وانما قلنا ان التمييز محذوف ولم نجعل اسباطا مميزا له لوجهين الاول ان الاسباط لو كان مميزا لكان العدد مذكرا لان الاسباط جمع سبط وهو مذكر فكان ينبغى ان يقال اثنى عشر اسباطا والثانى ان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا واسباطا جمع فلا يصلح ان يكون مميزا له وجوز ان يكون اسباطا تمييزا له بناء على ان كل فرقة من الفرق المتقطعة

فانه متضمن معنى صيرا وحالاوتأنيثه للحمل على الامة اوالقطعة (اسباطا) بدل منه ولذلك جمع اوتمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (امما) على الاول بدل بعد بدل اونعت لاسباط وعلى الثانى بدل من اسباطا (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) اى فضرب

فانبجست وحذف للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف

عليه الفعل فى ذاته (منه
اثنتا عشرة عينا قد علم كل
اناس) كل سبط (مشربهم
وظللنا عليهم الغمام) ليقيهم
حر الشمس (وانزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا) اى
وقلنا لهم كلوا (من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون)
سبق تفسيره فى سورة البقرة
(واذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية) باضمار اذكر
والقرية بيت المقدس
(وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا) مثل ما فى سورة
البقرة معنى غير ان قوله
فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب
سكناهم للاكل منها ولم
يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره
ثمة او بدلالة الحال عليه
واما تقديم قوله قولوا على
وادخلوا فلا اثر له فى المعنى
لانه لم يوجب الترتيب وكذا
الواو العاطفة بينهما
(نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد
المحسنين) وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما
اخرج الثانى مخرج
الاستئناف للدلالة على انه
تفضل محض ليس
فى مقابلة اما امروا به

من بنى اسرآئيل ليس سبطا واحدا بل اسباطا لان السبط ولد الولد فلو قيل قطعناهم
اثنى عشر سبطا لكان المعنى اثنى عشر ولد ولد وليس المراد ذلك بل المراد اثنتا عشرة
قبيلة اسباطا فحذف ما هو المميز حقيقة وهو القبيلة واقيم صفته وهو اسباطا
مقامه واعرب باعرابه والاسباط فى بنى اسرآئيل كالقبائل فى العرب وهو تعالى لما
اخرجهم من ارض مصر ودخلهم البرية جعلهم اثنتى عشرة فرقة قبائل
شتى ليكون امر كل سبط متعرفا من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى فيما
يحتاج اليه من تعرف احوالهم ويسهل عليه جمعهم ويعلم كل فريق مرجعهم
فى امورهم وانحصار الفرق فى اثنتى عشرة فرقة لانهم كانوا من اثنى عشر رجلا
من اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام فانعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز
لتنتظم احوالهم ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج ثم ذكر ما انعم به عليهم
فى التيه اذا احتاجوا الى ما يشربونه قال المفسرون عطش بنوا اسرآئيل
فى التيه فقالوا يا موسى من اين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى اى سأل الله
ان يسقيهم الماء فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس
وكان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر أن يحمله معه وقيل كان يضعه
فى مخلاته احتياطا من الفقد ان لانه كان مأمورا بضرب حجر معين كذا فى الكشف
فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين
(قوله فانبجست) يقال بجست الماء فانبجس اى فجرته فانفجر وبجس الماء بنفسه
يجس يتعدى ولا يتعدى فالانبجاس والانفجار سوآء وقيل الانبجاس خروج الماء
بقلة والانفجار خروجه بكثرة فطريق الجمع بين هذه الآية وما فى سورة البقرة
ان الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وقيل كان فى ذلك الحجر اثنتا عشرة
حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول
الى اهلها فذلك قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم
(قوله تعالى وما ظلمونا) فيه اختصار لان هذا الكلام انما يحسن ذكره لو انهم
تعدوا ما امرهم الله به واصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم ومعلوم ان المكلف اذا
ارتكب المحظور فهو ظالم لنفسه واشتقاق القرية من قريت اى جمعت والمقراة
الحوض الذى يجمع فيه الماء ويقال لبيت النمل قرية لانه يجمع فيه النمل
وسميت البلدة قرية لاجتماع اهلها فيها والمراد بالباب باب القرية وقيل باب
القبة التى يتعبد فيها موسى وهرون وحطة فعلة من الحط كالردة من الرد والحط
وضع الشئ من اعلى الى اسفل كوضع الحمل من ظهر الدابة والمراد بالحطة ههنا
المغفرة وحط الذنوب وقيل انهم اصابوا خطيئة باباءهم على موسى دخول الارض
التى فيها الجبارون ولاجل تلك الخطيئة تاهوا فى تلك المفازة اربعين سنة عقوبة

انهم على ابائهم على موسى عليه الصلاة والسلام دخول مدينة الجبارين وكانت المفازة بحيث يتيه اى يتحير من سار فيها فاراد الله ان يغفر لهم فقال لهم قولوا حطة اى قولوا مسألتنا حط ذنوبنا عنا او أمرك حطة قال فى الكشاف اى شأنك يا ربنا ان تحط ذنوبنا وقيل معناه امرنا حطة اى نحط ونترك فى هذه القرية ونقيم بها (قوله وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء) اى المضمومة وفتح الفاء والباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء وقرأ ابو عمرو خطاياكم على لفظ قضاياكم من غير همزة وابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء من غير الف على التوحيد ونافع كذلك الا انه على الجمع والباقون على الجمع وكسر التاء كذا فى التيسير (قوله وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف) اى حيث جئ به مرفوعا ولم يعطف على ما هو مجزوم جوابا الامر لانه لو عطف عليه مجزوما لفهم ان اثابة المحسن مسببة عن امتثال ما امروا به كما ان مغفرة المسئ مسببة عنه وليس الامر كذلك بل الامتثال توبة للمسئ وسبب لمغفرته بخلاف اثابة المحسن فانها محض تفضل (قوله فبدل الذين ظلموا منهم قولا) فى الكلام حذف لان بدل يتعدى الى اثنين الى احدهما بالباء وهو المتروك والى الآخر بغير الباء وهو المأخوذ والتقدير فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غيره والظاهر ان الذى امروا به ان يقولوا لفظا يؤدى ما يؤديه لفظ حطة لا ان يقولوا هذه اللفظة بعينها والمراد انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به روى انهم قالوا حنطة مكان حطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب عفو الله ورحمته الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا ولو جاؤا بلفظ آخر يفيد معنى ما امروا به مثل ان يقولوا مكان حطة نستغفرك ربنا ونتوب اليك او اللهم اغفر لنا او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به والرجز فى الاصل ما يعاف وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفا (قوله للتقرير والتقريع) اى ليس المقصود من السؤال استعلام ما لم يعلمه السائل لانه عليه الصلاة والسلام قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحى بل المقصود ان يحملهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يقروا بقديم كفرهم ومخالفة اسلافهم الانبياء بارتكاب المعاصى والمعنى قل لهم الم يكن كذا وكذا حتى يصدقوك ويفتضحوا بذلك ومع ذلك يتضمن هذا السؤال اظهار معجزة لهم فان الانسان قد يقول لغيره أليس الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير بانه عالم بتلك الواقعة غير غافل عنها فانهم كانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة عليهم فاطلع الله تعالى نبيه عليها لتكون من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام ولما كان عليه الصلاة والسلام رجلا

وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ان عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسألهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك معجزة لك عليهم (عن القرية)

عن خبرها وما وقع بأهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله

بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون (امة منهم) جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم وهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) (نبلوهم)

اميا لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ومع ذلك ذكر هذه القصة على وجهها من غير تفاوت ولا زيادة ولا نقصان تعين انه عليه الصلاة والسلام انما علم ذلك بالوحى فكان اخباره بذلك معجزة وبرهانا دالا على صدقه فى دعوى النبوة (قوله عن خبرها) قدر المضاف لان المسئول عنه ليس نفس القرية بل خبرها وماوقع بأهلها وقوله تعالى اذ يعدون فى السبت يجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة اى كانت حاضرة البحر وقت عدوانهم وتجاوزهم عما حد لهم من تعظيم يوم السبت وان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وفى تقييد العامل بتحقق مضمونه فى ذلك الوقت اشارة الى ان القرية خربت بعد ذلك الوقت وجاز ان يكون منصوبا بالمضاف المقدر اى واسئلهم عن خبر القرية اذ يعدون وجعله بدل اشتمال من ذلك المضاف محل بحث لان اذ لا يتصرف فيها ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول كلمة من عليها لان البدل على نية تكرار العامل ولا يتصرف فيها الا بأن يضاف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ كان كذا (قوله وقرئ يعدون) بفتح العين وتشديد الدال وهى تشبه قرآءة نافع وهى تعدوا فى السبت والاصل تعتدوا فادغمت التاء فى الدال لقرب المخرج وقرئ يعدون بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من اعد يعد اعدادا اذا هيأ فانه روى انهم كانوا مأمورين فى يوم السبت بالعبادة فتركوها وهيأوا آلات الصيد (قوله اذ تأتيهم ظرف ليعدون) اى عدوا اذ اتتهم لان اذ لما مضى فيصرف المضارع الى الماضى (قوله ويؤيد الاول) اى يؤيد كون السبت مصدرا امران الاول قرآءة اسباتهم على لفظ المصدر والثانى قوله تعالى ويوم لا يسبتون اى ويوم لا يفعلون عمل يوم السبت من تعظيمه بترك الصيد والاشتغال بالعبادة فان يوم لا يسبتون فى مقابلة يوم سبتهم ولا يسبتون من السبت الذى هو مصدر لا من السبت الذى هو اسم اليوم فيكون سبتهم ايضا مصدرا ليتحقق مقابلة الفعل بترك الفعل يقال اسبتت اليهود اى دخلت فى يوم السبت وسبتت اى قامت بأمر سبتها وعملت فيه ما يعمل فى السبت ويقال ايضا سبت علاوته سبتا اذا ضرب عنقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده والجمع اسبت وسبوت وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت واصابه برص فلا يلومن الا نفسه (قوله تعالى كذلك نبلوهم) مستقبل بمعنى الماضى اى ابتلاهم مثل هذا الاختبار الشديد بفسقهم وعصيانهم بالله فيكون تمام الكلام على هذا عند قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك وتكون الكاف فى موضع النصب

نبلوهم اى بلوناهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الذى وقع بهم فى امر الحيتان
قال المفسرون ان اليهود امروا بتعظيم السبت وحرم عليهم فيه الصيد فاذا
كان يوم السبت شرعت ودنت لهم الحيتان ينظرون اليها فاذا انقضى السبت
ذهبت فلم ترالى السبت المقبل بلاء ابتلوا به بفسقهم وتجاهرهم بالمعاصى عقوبة
لهم وروى عن الامام ابى منصور ابتلاهم الله تعالى بذلك النهى ليرى الخلق المطيع
منهم والعاصى وان ذلك الامام نقل عن آخرين انهم قالوا ابتلاهم بذلك لما كانوا
يفسقون فى السر ليكون فسقهم وتعذيبهم ظاهرا عند الخلق كما كان ظاهرا عند الله
لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعدى وقيل تمام الكلام عند قوله
كذلك والمعنى ويوم لا يسبتون لاتأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذى تأتيه يوم
السبت ثم استأنف فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون والكاف على هذا فى موضع
النصب بالاتيان اى لاتأتيهم مثل ذلك الاتيان وهو الاتيان شرعا وظاهر النظم يدل
على ان الباء متعلقة بقوله نبلوهم الا ان المصنف جعلها متعلقة بيعدون نظرا الى
ان كون الاعتداء بالفسق سببا لتعذيبهم بارتكاب مانهوا عنه اقرب من كونه
سببا للابتلاء بذلك البلاء (قوله محترمهم) اى مستأصلهم ومطهر الارض
منهم يقال اخترمهم الدهر وتخرمهم اى اقتطعهم واستأصلهم (قوله قالوه
مبالغة) جواب عما يقال كيف يصح من الصلحاء ان يقولوا لم تعظون مع
ان الظاهر منه ان يكون انكارا للوعظ والنهى عن المنكر واجب وانكار النهى
عن المنكر معصية بعيدة من الصلحاء وتقرير الجواب ان الصلحاء لم يقولوا ذلك انكارا
لوعظهم وانما قالوه اما مبالغة فى بيان عدم انتفاعهم بالوعظ اوسؤالا عن علة
موعظة قوم شأنهم الاعراض عن القبول والاستخفاف بالوعظ
والانهماك فى الضلال حتى اشرفوا بذلك على ان يهلكهم الله تعالى
او يعذبهم عذابا شديدا ثم بين انه يحتمل ان يقول ذلك بعض الصلحاء والمجتهدين
فى الوعظة والنهى عن المنكر لبعض آخر او ان يقوله من ارعوى وامتنع عن
الموعظة بعد الاجتهاد البليغ فيها لمن لم يرعو منهم عنها فعلى الاول اهل القرية
تكون فرقتين فرقة مذنبة صادوا السمك وفرقة صلحاء وعظوا الفرقة المذنبة
ونهوهم وهذه الفرقة تقاولوا فيما بينهم بذلك وعلى الثانى تكون اهل القرية
ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقتان صالحتان اجتهد كل واحدة منهما فى موعظة
الفرقة المذنبة ثم ان احدى هاتين الفرقتين ارعوت عن موعظة الفرقة المذنبة
ليأسهم من القبول والاخرى لم ترعو عنها وقالت الفرقة الساكتة من هاتين
الفرقتين للاخرى لم تعظون (قوله وقيل المراد) اى بقوله تعالى واذ قالت
امة منهم اى قالت طائفة من الفرقة الهالكة للفرقة الصالحة حين وعظوهم

محترمهم (او معذبهم عذابا شديدا) فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لاينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم اوقول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لاننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لايحصل الا بالهلاك (فلما نسوا)

لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم فعلى هذا تكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة وفرقة واعظة وتجيب الفرقة المذنبة وعاظهم بأن يقولوا لم تعظون قوما الى آخرها الا ان كون القائلين هم الموعوظون المذنبون خلاف ظاهر قوله تعالى معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ولذلك ضعفه المصنف والمعذرة اسم مصدر وهو العذر وقيل انها بمعنى الاعتذار والعذر التنصل من الذنب اى التبرى منه قرأ العامة معذرة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا معذرة وقرأ حفص عن عاصم بالنصب على انها مصدر فعل مقدر من لفظها اى اعتذرنا به معذرة او على العلة اى وعظناهم لاجل المعذرة ومعناه ان الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء العصاة عذرا الى الله ولعلهم يتقون الله ويتركون المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من الانسان (قوله تركوا ترك الناسى) يعنى قوله تعالى نسوا استعارة تبعية شبه تركهم عمدا لما وعظوا به بترك من تركه سهوا ونسيانا فاطلق عليه اسم النسيان استعارة تصريحية فاشتق منه نسوا وصير الى المجاز لتعذر الحمل على الحقيقة (قوله بعذاب بئيس) بفتح الباء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل رئيس اى بعذاب ذى بأس وهو الشدة وقرأ ابو بكر بيئس بفتح الباء وهمزة مفتوحة بعد الياء الساكنة وابن عامر بئس بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على انه صفة على وزن فعل اصله بئس بفتح الباء وكسر الهمزة فخفف كما فى كبد وكتف بأن قيل كبد وكتف ونافع بيس بكسر الباء من غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء او على انه فعل الذم نقل الى الاسمية فوصف به وقرئ بيّس بتشديد الياء كميت وريس اصله بيئس قلبت همزته ياء وادغم الياء فى الياء وبيس بياء ساكنة على التخفيف كهين فى هين وبائس على فاعل (قوله تكبروا عن ترك ما نهوا عنه) فسر العتو بالتكبر والتمرد والعناد وفى جميع ذلك معنى الاباء والاباء عن المنهى عنه انما يكون بالاطاعة ومعلوم ان الاطاعة لكونها لاتوجب العقوبة غير مراد ههنا فلذلك قدر المضاف والتكبر عن ترك المنهى عنه انما يكون بارتكابه الذى يوجب العقوبة (قوله كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) يعنى ان قوله تعالى قلنا لهم كونوا قردة ليس المراد به انه تعالى كونهم قردة بقول وكلام سمع يدل على طلب التكوين لان حمل الكلام على الامر بعيد من حيث ان المأمور بالفعل يجب ان يكون قادرا عليه والقوم ماكانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم قردة وايضا الامر بالكون ان كان حال وجود المكون فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذ لامعنى لان يؤمر المعدوم بأن يوجد بنفسه بل المراد انه تعالى مسخهم قردة بتعلق قدرته وارادته بذلك الا انه اخرج الكلام على طريق

تركوا ترك الناسى (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا
وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار
فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم (واذ تأذن ربك) اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب
عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم في الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب
وآمن (وقطعناهم في الارض امما) وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط

الاستعارة التمثيلية بأن شبه تأثير قدرة الله تعالى في مراده من غير توقف وامتناع
ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به
من غير امتناع وتوقف فيستعير قوله تعالى كونوا قردة من امر المطاع للمطيع
لتأثير قدرته في المكون وليس ثمة قول ولا امر ولا مأمور حقيقة (قوله والظاهر
يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا) اي الظاهر ان العذاب البئيس المذكور اولا
غير المسخ المذكور بعده وان القوم تمردوا مع نزول ذلك العذاب فمسخهم الله تعالى
قردة بعد ذلك وان جاز ان يكون قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه تكريرا للآية
الاولى وتفصيلا لها (قوله اي اعلم) والمعنى اذكر يا محمد اذ اعلم الله اسلافهم
على ألسنة انبيائهم انهم ان غيروا وبدلوا ولم يؤمنوا بالنبي الامي سلط الله عليهم
العرب يقاتلونهم الى ان يسلموا او يعطوا الجزية كذا في التيسير فضمير عليهم على
هذا ينبغي ان يرجع الى من وجد في عصره عليه الصلاة والسلام يعني ان تأذن
مثل توعد بمعنى اوعد الا ان الايذان قد يراد به التبيين والاعلام بالخبر وهو قوله
اي اعلم وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تأذن ربك اي قال ربك
وقد يراد به العزم على الامر وتصميم النية الجازمة القاطعة كقوله لا صيام لمن
لم يعزم الصيام من الليل اي لمن لم يقطعه بالنية وعزم الله تعالى على الامر عبارة
عن تقرر ذلك الامر في علمه وتعلق ارادته بوقوعه في الوقت المقدر له عبر عن
الارادة الجازمة والقصد المستحكم بالايذان لما فيه من معنى ايذان المريد نفسه
بفعل ما اراده لما شرح الله تعالى بعض فضائح اعمال اليهود وقبائح افعالهم
ذكر في هذه الآية انه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار وفرقهم في اطراف
الارض ونواحيها ولم يجعل منهم ملكا يجتمعون عنده ويمتنعون به عن قهر
من يعاديهم واستمر ذلك عليهم الى يوم القيامة (قوله الى يوم القيامة) متعلق
بقوله ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لان قوله واذ تأذن جار مجرى القسم
من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به وقوله ليسلطن على اليهود اشارة الى
ان ضمير عليهم لا يرجع الى ما يرجع اليه ضمير قوله فلما عتوا عما نهوا عنه لانهم
قد مسخوا قردة ثم هلكوا بعد ثلاثة ايام ولم يبق لهم نسل حتى يضرب عليهم
الذلة والصغار الى يوم القيامة بل هو راجع الى من اصر على اليهودية المغيرة
المخترعة من بني اسرائيل وقوله بعث الله عليهم بعد سليمان الخ يمنع ان يرجع الى
ما يرجع اليه ضمير قوله واسلافهم وهم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودعاهم الى شريعته وان اختاره الامام بناء على ان المقصود من هذه

الآية تخويف اليهود الذين كانوا فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وزجرهم عن البقاء على اليهودية لانهم اذا علموا بقاء الذل عليهم الى يوم القيامة انزجروا ولما اخبر الله تعالى فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام عن هذه الواقعة ثم شاهدنا ان الامر كذلك كان هذا اخبارا صدقا حقا عن الغيب وكان معجزا والخبر المروى فى ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول ولولا هذا التوجيه لكان ذلك الخبر الذى فرض صدقه مناقضا لهذه الآية فانهم فى وقت اتباعهم الدجال قد خرجوا عن الذلة والقهر (قوله واما مفعول ثان) ان جعل قطع بمعنى صير اوحال ان بقى على اصل معناه ومنهم الصالحون صفة لامما او بدل منه فيكون مفعولا ثانيا اوحالا من مفعول قطعناهم اى فرقناهم حال كونهم منهم الصالحون (قوله تقديره ومنهم ناس) اشارة الى ان منهم خبر مقدم ودون ذلك صفة موصوف محذوف وهو المبتدأ والتقدير ومنهم ناس اوقوم دون ذلك (قوله اى منحطون عن الصلاح) ايماء الى ان ذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله الصالحون الا انه حينئذ لابد من تقدير المضاف ليصح المعنى اى ومنهم دون اهل ذلك الصلاح ليعتدل التقسيم (قوله تعالى وبلوناهم) اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بنحو النعم والخصب والعافية وبنحو الجدب والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه الى طاعة ربهم فان كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب واما السيئات فللترهيب (قوله مصدر نعت به) يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته وخلفه فى قومه خلافة اى قام مقامه فى تدبير احوال قومه والخلف والخلف بسكون اللام وفتحها فى الاصل مصدر كالطلب والضرب نعت به من جاء بعد احد يقال هو خلف سوء من ابيه وخلف صدق اذا قام مقامه الا ان الاول يستعمل فى الطالح الردى والثانى فى الصالح السوى قال الشاعر

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وقيل خلف بسكون اللام اسم جمع لخالف كركب لراكب وتجر لتاجر وقال الاخفش هما سواء منهم من يحرك ومنهم من يسكن فيهما جميعا (قوله والمراد به) اى بالخلف الذين خلفوا من بعد اليهود الذين فرقهم الله تعالى فى الارض امما موصوفين بأن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك (قوله حطام هذا الشئ الادنى) الحطام ما تكسر من اليبس فسر به العرض بفتح العين والراء والمراد به جميع متاع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر واما العرض بسكون الراء فما خالف العين اعنى الدراهم والدنانير

واما مفعول ثان اوحال (منهم الصالحون) صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها (يأخذون عرض هذا الادنى) حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا

وهو من الدنو ومن الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكم وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفر لنا) لا نؤاخذ به ذلك ونتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اي في الكتاب (ان لا يقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق ومتعلق به اي بأن يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (أفلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) عطف على للذين يتقون وقوله أفلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره (انا لا نضيع اجر المصلحين)

عبر عن متاع الدنيا بالحطام لعدم بقائها وسرعة زوالها والأدنى تذكير الدنيا والمعنى يأخذون عرض هذه الدنيا وانما ذكر لانه لم يذكر الموصوف من نحو الدار والحياة فكأنه جعله وصفا لشئ او لمكان والمقام (قوله وهو من الدنو) وهو القرب سميت هذه الدار وهذه الحياة دنيا لدنوها وكونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اي قربت والدني القريب واما الدنيء بمعنى الدون فهو مهموز يقال دنأ الرجل دناءة اي صار دنيئا خسيسا لاخير فيه وقوله ورثوا الكتاب في محل الرفع على انه نعت لخلف ويأخذون حال من فاعل ورثوا ويحتمل ان يكون يأخذون مستأنفا اخبر عنهم بذلك (قوله وهو يحتمل العطف) اي قوله ويقولون يحتمل ان يكون معطوفا على يأخذون وان يكون حالا من فاعله الا ان علماء المعاني صرحوا بأن الجملة الحالية ان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها ويجب الاكتفاء بالضمير نحو لا تمنن تستكثر واجابوا عن قول من قال قمت واصك وجهه وقول من قال

فلما خشيت اظافيرهم ۞ نجوت وارهنهم مالكا

بانه مبني على حذف المبتدأ اي وانا اصك وانا ارهنهم فتكون الجملة اسمية فيصح دخول الواو واجاب بعضهم بان ما جاء في النثر من نحو قمت واصك شاذ وما جاء في النظم من نحو نجوت وارهنهم ضرورة فعلى هذا ينبغي ان يكون مراد من قال ان قوله ويقولون حال انه حال بتقدير وهم يقولون (قوله والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال وكتب الله عليهم في التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهو ما اوجبوا على الله تعالى من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الاصرار على الذنب وقيل ذكر في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة (قوله عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير) مع ان المعطوف خبرية والمعطوف عليه طلبية فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ونظيره قوله تعالى ألم نربك فينا وليدا ولبثت معناه قد ربيناك ولبثت ويجوز كونه معطوفا على ورثوا فيكون قوله ألم يؤخذ معترضا بينهما (قوله وقرأ نافع الخ) اي انهم قرأوا فلا تعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ووجه الخطاب التلوين والالتفات من الغيبة الى الخطاب فالمراد بالضمائر حينئذ شئ واحد ويحتمل ان يكون الخطاب لهذه الامة اي أفلا تعقلون انتم حال هؤلاء وتتعجبون من حالهم وعلى قراءة الغيبة يكون الضمير جاريا على ما تقدم من الضمائر وقرأ العامة والذين يمسكون بالتشديد من مسك بمعنى تمسك فان قيل قد يكون

بمعنى تفعل قال الامام الواحدى يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به وروى ابو بكر عن عاصم يمسكون مخففة وهو ردئ لانه لايقال امسكت بالشئ وانما يقال امسكت الشئ ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه قال عامة المفسرين نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب انتهى كلامه (قوله على تقدير منهم) يعنى ان الخبر الجملة لابد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ وذلك الرابط اما ضمير محذوف اعتمادا على دلالة الفحوى عليه اوالاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقال انالانضيع اجرهم الا انه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيها على انه تعالى لا يضيع اجرهم لاجل اصلاحهم (قوله وافراد الاقامة) اى بالذكر مع اندراجها فى التمسك بالكتاب فانها اعظم العبادات بعد الايمان للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس المتمسك به تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كما ذكر فى قوله من كان عدوالله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ونظائره مما يذكر فيه الخاص بعد العام (قوله اى قلعناه ورفعناه فوقهم) ذكر فعلين الاول منهما تفسير النتق وثانيهما هو الناصب لقوله فوقهم على الظرفية نقل الامام الرازى عن ابى عبيدة ان اصل النتق قلع الشئ من موضعه والرمى به يقال نتق ما فى الجراب اذا رمى به وصبه وامرأة ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها كانها ترمى بأولادها رميا فمعنى نتقنا الجبل اى قلعناه من اصله وجعلناه فوقهم وقال الامام الواحدى نتقنا الجبل فوقهم اى رفعناه باقتلاع له من اصله يقال نتقه ينتقه نتقا اذا قلعه من اصله فظهر بهذا ان قول المصنف اى قلعناه تفسير لقوله نتقنا الجبل وان الرفع غير داخل فى معنى النتق وان النتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله الا ان نتقنا لما لم يصلح ناصبا لقوله فوقهم ضمنه معنى فعل يمكن ان يعمل فيه وهو رفعنا او جعلنا كأنه قيل رفعنا الجبل فوقهم بنتقه وقلعه من مكانه فعلى هذا يكون فوقهم منصوبا بنتق لانه بمعنى رفع (قوله واصل النتق الجذب) يقال نتقت الغرب من البئر اى جذبته قيل الجبل هو الطور الذى سمع موسى عليه الصلاة والسلام وهو عليه كلام الله تعالى واعطى الالواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين فرسخا فى فرسخ وقيل هو الجبل الذى عند بيت المقدس قيل ان موسى لما اتى بنى اسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم وابوا ان يقبلوا ذلك فأمر الله الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من

على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابوبكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما اظلك (وظنوا) وتيقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن

سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وحرك لها رأسه قال القشيري رحمه الله فسبيل كل من اتى جبرا ان ينكص على عقبيه طوعا كذلك اهل الكتاب لما قبلوا الكتاب باجبار التكليف مالبثوا حتى قابلوه بالتحريف (قوله لانه لم يقع متعلقه) اى ما علق وقوع الجبل به وهو عدم قبولهم ما فى التوراة حيث قبلوه وسجدوا على انصاف جباههم (قوله اى اخرج من اصلابهم) اى من اصلاب بنى آدم الصلبية قيل هم مائة وعشرون ولدا من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كانت حواء تلد كل سنة ولدين ابنا وبنتا اخرج من اصلابهم نسلهم ثم اخرج من اصلاب نسلهم ذرياتهم ثم اخرج من اصلاب تلك الذرية ذرية وهكذا حتى اخرج جميع من هو كائن الى يوم القيامة اخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهر نسلا من نسل كما تتوالد الابناء من الآباء ولم يذكر ظهر آدم مع ان الذرية كما اخذت من ظهور بنى آدم اخذت من ظهر نفس آدم واخذ الميثاق من الجميع اعتمادا على انفهامه من الكلام كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب ولم يذكر نفس فرعون لان فى الكلام دليلا عليه ولما ذكر انه تعالى اخذ ميثاق بنى اسرائيل بنتق الجبل فوقهم وبما جمع لهم من دلائل السمع ودلائل العقل ذكر بعد اخذ الميثاق عليهم اخذ الميثاق على الكل تقريرا للحجة على جميع المكلفين والمصنف اشار الى هذا القول بقوله لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر الخ قال الامام فى تفسير هذه الآية قولان مشهوران الاول وهو مذهب المفسرين واهل الاثر انه تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة على ماذكره المفسرون من الآثار الواردة فى هذا المعنى ثم قال والمعتزلة اطبقوا على انه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجوا على فساده بوجوه منها ان اخذ الميثاق لا يمكن الا من العاقل فلو اخذ الله الميثاق من اولئك لكانوا عقلاء ولو كانوا عقلاء واعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب ان يتذكروا فى هذا الوقت انهم اعطوا الميثاق قبل دخولهم فى هذا العالم لان الانسان اذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فانه لا يجوز مع كونه عاقلا ان ينساها نسيانا كليا بحيث لا يتذكر منها شيأ ومنها ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم وتلك الذريات المأخوذة من ظهور بنى آدم لا يكون كل واحد منها عالما فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من البنية اللحمية والدموية واذا كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول

لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا (ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولا تتركوه كالناسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم (واشهدهم على انفسهم ألست بربكم) اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل

تخليق آدم الى آخر قيام القيامة لاتحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال
انهم حصلوا بأسرهم دفعة واحدة فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام ومنها
ان فائدة اخذ الميثاق اما ان تكون بأن يصير ذلك الميثاق حجة عليهم فى التمسك
بالايمان فى ذلك الوقت اوان يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا
والاول باطل لانعقاد الاجماع على انهم بسبب ذلك القدر من الميثاق
لايصيرون مستحقين للثواب والعقاب والمدح والذم وكذا الثانى لانهم لما
لم يذكروا ذلك الميثاق فى الدنيا فكيف يصير ذلك حجة عليهم فى التمسك
بالايمان ثم قال والقول الثانى فى تفسير هذه الآية قول اصحاب النظر وارباب
المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك
بانهم كانوا نطفا فأخرجها الله تعالى واودعها ارحام الامهات وجعلها علقا
ثم مضغا حتى جعلهم بشرا سويا خلقا كاملا وكان ذلك فى ادنى مدة كما يموت
الكل فيها عند النفخة الاولى ويحيى الكل فيها عند النفخة الثانية وكما انه تعالى
علم آدم اسماء الاشياء كلها فيها ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم
من دلائل وحدانيته وغرائب صنعته فبالاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وان
لم يكن هنالك قول باللسان ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا
اوكرها قالتا أتينا طائعين وقول من قال قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل
من يدقنى فان الذى ورآئى ما خلانى ورآئى ❊ وقول الشاعر ❊ امتلأ الحوض
وقال قطنى ❊ ثم قال هذا القول الثانى لاطعن فيه البتة وانه لاينافى صحة القول
الاول واجاب عن قول من قال لوصح القول بأخذ الميثاق اوجب ان يتذكره
الانسان الآن بأن خالق العلم بالاحوال الماضية هو الله تعالى وهو فاعل مختار
جائز ان لايخلقه واجاب عن قولهم ان اخذ الميثاق لايمكن الامن العاقل بأن
البنية ليست شرطا عندنا لحصول الحياة والعلم فان الجزء الذى لايتجزأ قابل
للحياة والعقل وعن قولهم ان ظهر آدم لايسع لمجموعها بان هذا اذا قلنا ان
الانسان عبارة عن الجواهر الفردة واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة
وانه جوهر غير متحيز ولاحال فى المتحيز فالسؤال زائل والمصنف لما جعل قوله
تعالى واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى استعارة تمثيلية مبنية على
تشبيه حال شئ بحال شئ آخر حيث شبه نصب ادلة الربوبية وتمكينهم من معرفة
ربوبيته تعالى باشهادهم عليها وسؤالهم سؤال التقرير بقوله ألست بربكم
اجاب بماله مدخل عظيم فى المعرفة والاقرار والتمسك والطاعة فيكون حجة
عليهم فى التمسك بالايمان واخذ الميثاق بهذا المعنى المجازى قائم مقام الاقرار
بربوبيته تعالى واقرارهم بها واعطاؤهم الميثاق عليها قائم مقام تمكينهم من العلم بها

(وهذا)

وهذا التمكين القائم معهم فى هذا العالم بسبب تمكنهم من الاستدلال بما لهم من العقول المؤدية الى شهادتهم على انفسهم فى اخذ الميثاق بانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ونقل عن القرطبى ان القوم استدلوا بهذه الآية على ان من مات صغيرا دخل الجنة لاقراره فى الميثاق الاول ومن بلغ لم يغنه الميثاق الاول شيأ بل يكون ذلك حجة عليه ان اخل بالتصديق والاقرار حيث ضيع تمكنه من ذلك بالنظر الصحيح فيما نصبه من دلائل الوهيته تعالى وربوبيته واقل تلك الدلائل انه تعالى اخرجهم من اصلاب آبائهم ونقلهم الى ارحام امهاتهم الى ان بلغوا بتقليب الاحوال عليهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة الى ان كانوا كاملى العقل مستعدين للاستدلال بما شاهدوا من آثار صنع الله تعالى فيهم على ان لهم الها قادرا منفردا بالربوبية وكمال العلم والقدرة وهى الفطرة الاصلية التى فطر الناس عليها ليتمكن بها الانسان مما له وما عليه (قوله ويدل عليه) اى على ان اشهادهم بان قال لهم ألست بربكم بطريق التمثيل وتنزيل دلالة الحال منزلة البيان بالمقال قوله تعالى قالوا بلى شهدنا اى اقررنا واعترفنا بانك ربنا والهنا لارب لنا غيرك ووجه الدلالة انه تعالى وان كان له ان يكلم عباده الا ان العقل السليم يأبى ان تتكلم الذريات المأخوذة من الاصلاب بلسان المقال لان كون تلك الذريات تامة الخلقة سوية الاعضاء يقتضى ان لا يكون خلق الانسان من النطفة على سبيل الابتداء بل يجب ان يكون خلقا على سبيل الاعادة واجمع المسلمون على ان خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ وقوله تعالى شهدنا فيه قولان الاول انه من كلام الملائكة وذلك ان الذرية لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا يوم القيامة ما اقررنا وما علمنا ان لنا الها يجب اتباع امره فأسقط كلمة لا كما فى قوله تعالى وألقى فى الارض رواسى ان تميد بكم اى لئلا تميد بكم هذا قول الكوفيين وتقديره عند البصريين شهدنا كراهة ان تقولوا فقوله ان تقولوا متعلق بقول الملائكة شهدنا اى معمول له على انه مفعول من اجله وكلام الذرية قد انقطع عند قولهم بلى فيحسن الوقف عليه والقول الثانى ان قوله شهدنا من بقية كلام الذرية وعلى هذا التقدير فقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين يكون مفعولا له لقوله واشهدهم على انفسهم اى واشهدهم على انفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وعلى هذا التقدير لا يجوز الوقف على قوله شهدنا ايضا لان قوله ان تقولوا لما تعلق بما قبله وهو قوله واشهدهم لم يجز قطعه عنه (قوله وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء) اى بياء الغيبة على وفق ما سبق من قوله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم

ويدل عليه قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة) اى كراهة ان تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه بدليل (او تقولوا) عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) افتهلكنا بما

لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) اى عن التقليد واتباع الباطل (واتل عليهم) اى على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا)

لئلا يقولوا وقرأ ابو عمرو بتاء الخطاب لانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون (قوله لان التقليد عند قيام الدليل الخ) بيان لوجه الزام الحجة بقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ما نبهنا الميثاق او تقولوا انما اشرك آباؤنا على سبيل التقليد لاسلافنا ونحن لانذكر هذا الاقرار والميثاق وان تفكرنا وذلك انه تعالى لما اوضح دلائل وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به وابدع نوع الانسان على الفطرة السليمة التي يمكنون بها من معرفة الحق استدلالا بتلك الدلائل لم يتأت لهم ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولا ان يعتذروا بتقليد اسلافهم لان الادلة المنصوبة وتمكنهم من الاستدلال بها قائم معهم فلاعذر لهم في سلوك طريق الضلال اصلا (قوله لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه) والحديث رواه الامام محيي السنة في المصابيح ومعالم التنزيل وهو ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سئل عن هذه الآية واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية قال عمر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله تعالى عليه وسلم يسأل عنها فقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار قال المصنف في شرحه للمصابيح معنى الآية ان الله تعالى اخرج من اصلاب بني آدم نسلهم واشهدهم على انفسهم بأن نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وركب فيهم العقول والبصائر وجعلها مميزة بين الحق والباطل فنزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا وتخييلا ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وقول الشاعر ❁ اذا قالت الانساع للبطن ألحق ❁ وقوله قالت له ريح الصبا قرقار ❁ فان من البين الذي لايشك فيه انه لاقول ولاخطاب ثمة وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى وظاهر الحديث لاينافي هذا المعنى ولا ظاهر الآية فانه سبحانه وتعالى لو اراد ان يذكر انه استخرج الذرية من صلب آدم دفعة واحدة لاعلى توالد بعضهم من بعض على مر الزمان لقال واذ اخذ ربك من ظهر آدم ذريته والتوفيق

بينهما ان يقال المراد من بني آدم في الآية آدم واولاده وكأنه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بالاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث مسح ظهر آدم يحتمل ان يكون الماسح هو الملك الموكل على تصوير الاجنة وتخليقها وجمع موادها واسند اليه تعالى لانه هو الآمر به كما اسند التوفي اليه في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والمتوفي لها هو الملائكة لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ويحتمل ان يكون الماسح هو الله تعالى ويكون المسح من باب التمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى التقدير كأنه قال قدر ما في ظهره من الذرية الى هنا كلام المصنف في ذلك الشرح واشار بقوله في هذا الكتاب وقيل الى ان تفسير الآية بما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه من استخراج الذرية من ظهر آدم وتعيين بعضهم للجنة وبعضهم للنار لا يخلو عن ضعف اما اولا فلانه لا ميثاق فيه واما ثانيا فلأن ما فيه استخراج الذرية من ظهر آدم وما في الآية استخراجهم من ظهور بني آدم (قوله هو احد علماء بني اسرآئيل) عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وكان من قصتها ان رجلا من بني اسرآئيل كان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة يقال لها البسوس له منها اولاد فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرآئيل فدعا لها فجعلت اجمل امرأة في بني اسرآئيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيرونابها ادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات الثلاث كلها وقيل نزلت في ابي عامر بن نعمان الراهب وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذا الذي جئت به فقال عليه الصلاة والسلام جئت بالحنيفية دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال فانا عليها قال عليه الصلاة والسلام لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين بان استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآت بجند أخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني انتظارا لمجيئه فمات بالشام طريدا وحيدا فاستجاب الله دعاءه في نفسه (قوله او بلعم بن باعورا) وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام قصد بلده وغزا اهله وكانوا كفارا

هو احد علماء بني اسرآئيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بان كفر بها واعرض عنها (فأتبعه الشيطان)

حتى لحقه وادركه قرينا له وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار ﴿٢٥٣﴾ من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا اوالى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فأوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى اخس احواله وهو (ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث (رفع)

فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنوا اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا فى التيه فقال بدعاء بلعم فقال يارب فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى ان ينزع منه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء وأخر المصنف هذا الوجه لان الظاهر ان احتباسهم فى التيه كان بقولهم انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكيف يليق بموسى ان يدعو على بلعم بن باعوراء بزوال الايمان وكان مبعوثا الى الناس ليدعوهم الى الايمان (قوله حتى لحقه) على ان يكون اتبع مثل تبع متعديا الى واحد بمعنى ادركه ولحقه وهو مبالغة فى ذمه حيث جعل اماما للشيطان وفى الصحاح اتبعت القوم على افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم واتبعت ايضا غيرى يقال اتبعه الشئ فاتبعه قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته (قوله اوالى السفالة) وهى الانحطاط الذى هو مقابل الرفع كما ان الدنيا مقابل لمنازل الابرار فان الدنيا ليست منازلهم لقوله عليه الصلاة والسلام فاعبروها ولا تعمروها (قوله وانما علق رفعه بمشيئة الله) يعنى ان الظاهر ان يعلق رفعه بفعله الذى يستحق به الرفع مثل ان يقال لو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها اى بسبب تلك الايات وملازمتها لان قوله بها افاد ان لزوم الآيات والعمل بها سبب لرفعه فيكون الرفع بالآيات معلقا بلزوم العمل بالآيات فكان الظاهر ان يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق بمشيئته تعالى تنبيها على ان السبب الحقيقى هو المشيئة حيث انها سبب للافعال الموجبة لرفع الدرجة وان الافعال المذكورة وسائط فى حصول رفعها فكما يصح تعليق الرفع بالوسائط المعتبرة فيه يصح تعليقه بالمشيئة التى هى سبب لتلك الوسائط والافعال ولما كانت كلمة لو تدل على انتفاء الشئ لانتفاء غيره افاد الكلام انا ما رفعنا درجته لعدم ملازمته العمل بمقتضى الآيات وملازمة العمل لما كانت مسببة عن المشيئة كان عدم الملازمة دليلا على انتفاء سببه الذى هو المشيئة فلزم ان يكون انتفاء الرفع لانتفاء المشيئة ولذلك قال ولو شئنا لرفعناه الا ان الملائم حينئذ ان يستدرك بما يقال لكنا لم نشأ رفعه على استثناء نقيض السبب الحقيقى او لكنه اعرض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها على استثناء نقيض السبب الظاهرى فعدل عنه واوقع موقعه اخلد الى الارض لما ذكره من المبالغة والتنبيه ووجه المبالغة ان الاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن الآيات والكناية ابلغ من التصريح فحصول الآية ولو شئنا

رفع درجته لوفقناه للعمل بالآيات ورفعنا درجته بتلك الاعمال ولكننا لم نشأ ذلك فهذا يدل على ان الكائنات من الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئة الله تعالى وهذه الآية من اشد الآيات على العلماء لانه تعالى لما خص هذا الرجل بآياته وبيناته وعلمه اسمه الاعظم وخصه بالدعوات المستجابة واتبع الهوى سلخه من الدين وصار في درجة الكلب وذلك يدل على ان من كانت نعم الله عليه اكثر اذا اعرض عن متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعده عن الله اعظم واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عليه الصلاة والسلام ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف في دينه قيل كان سبب انسلاخه عنها طاعته امرأته واخذه الحطام من اهل زمانه ولا شئ اضر بالعالم منهما (قوله ادلاع اللسان) بالدال المهملة يقال دلع لسانه فاندلع اى اخرجه فخرج يدلع لسانه اى خرج يتعدى ولا يتعدى والتمثيل واقع موقع لازم التركيب يعني قوله تعالى فمثله واقع موقع قوله فحططناه ابلغ حط ووضعنا منزلته الذى هو لازم مدلول قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فان مدلوله نفى شأ رفعه ونفى مشيئة الرفع يلزمه نفي الرفع ووضع المنزلة اقيم التمثيل المذكور مقام هذا اللازم للمبالغة في الحط فان في تشبيهه بالكلب حطا وفي تشبيهه في اخس احواله زيادة حط مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس ابلغ في بيانه لان الفة العامة بالمحسوس اتم وادراكهم له اعم واشمل قيل في وجه التمثيل ان كل شئ يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث في كل واحدة من حالتي الاعياء والراحة وحالتي العطش والري فان ذلك عادته وطبيعته وهو مواظب عليه للطبيعة الخسيسة لا لاجل حاجة وضرورة فكذلك من آتاه الله العلم والدين واغناه الله عن التعرض لاوساخ اموال الناس اى طلب الدنيا والقاء نفسه فيها كان حاله كحال ذلك اللاهث حيث واظب على الحالة الخسيسة والفعل القبيح لمجرد اتباع نفسه الخبيثة وطبيعته الخسيسة لا لاجل الحاجة والضرورة وقيل ايضا ان العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا بان يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها فلا شك انه عند ذكر تلك الكلمات وتقرير العبارات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن في قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذى يخرج لسانه ابدا لمجرد الطبيعة الخسيسة سواء دعته الى ذلك حاجة وضرورة ام لا ثم انه تعالى لما مثل حال من اوتي الآيات والبينات وعلم الاسم الاعظم وخص بالدعوات المستجابات بحال الكلب اللاهث في كل حال عم بهذا التمثيل جميع

ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود

فانها نحو قصتهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد ❊ ٢٥٤ ❊ قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) اى لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم اعين لا يبصرون بها) اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر

المكذبين بآيات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وذلك اشارة الى صفة الكلب ويجوز ان يشار به الى المنسلخ من الآيات او الكلب على ان يكون اداة التشبيه محذوفة من ذلك اى صفة المنسلخ او صفة الكلب مثل الذين كذبوا (قوله فانها نحو قصتهم) اى فان قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم بعدما اوتى آيات الله انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعدما اوتوا التوراة المشتملة على نعت رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا فى حقه وكذبوه وحرفوا اسمه فليحذروا مما يؤول اليه مآل بلعم (قوله اى مثل القوم) يعنى ان ساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز لذلك المضمر مفسر له وقد تقرر ان المخصوص بالذم لا يكون الا من جنس التمييز والتمييز مفسر الفاعل فهو هو فيجب ان يصدق الفاعل والتمييز والمخصوص على شئ واحد والقوم ههنا غير صادق على التمييز والفاعل فلذلك قدر المضاف المحذوف وهو المخصوص وجعل تقدير الكلام ساء مثلا مثل القوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (قوله وقرئ ساء مثل القوم) برفع مثل مضافا الى القوم على انه فاعل ساء والموصول على هذا فى محل الرفع على انه المخصوص بالذم فلا بد من حذف المضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شئ واحد والتقدير ساء مثل القوم مثل الذين اى صفتهم العجيبة وهى تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها ثم انه تعالى لما وصف الضالين وعرف حالهم بالمثل المذكور بين بقوله من يهد الله فهو المهتدى الآية ان كل واحد من الهدى والضلال من الله تعالى وان هدايته تعالى تختص ببعض دون بعض فانها مستلزمة للاهتداء ولما كانت هذه التصريحات مخالفة لما تشتهيه انفس المعتزلة اضطربوا وذكروا فى تأويل الآية وجوها كثيرة منها ما ذكره الجبائى وارتضاه القاضى وهو ان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فى الآخرة فهو المهتدى فى الدنيا السالك طريقة الرشد فيما كلف به فبين تعالى انه لا يهدى الى الثواب فى الآخرة الا من هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون وهو ضعيف لانه قد حمل قوله من يهد الله على الهداية فى الآخرة الى الجنة وقوله فهو المهتدى على الاهتداء الى الحق فى الدنيا وذلك يوجب الركاكة فى النظم بل يجب ان تكون الهداية والاهتداء راجعين الى شئ واحد حتى يكون الكلام حسن النظم (قوله والافراد فى الاول) اى افراد ضمير من فى قوله تعالى فهو المهتدى وجمعه فى قوله فاولئك هم الخاسرون لاعتبار جانب اللفظ فى الاول وجانب

(اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه ﴿ ٢٥٥ ﴾ معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه اولا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ما كانوا يعملون) وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه ايضا خلق للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان كل فى قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تزال من امتى طائفة على الحق الى ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم

المعنى فى الثانى تنبيه على ماذكر (قوله تعالى اولئك كالانعام) فان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة فى القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة و متشاركة ايضا فى منافع الحواس الباطنة والظاهرة وفى احوال التخيل والتوهم والتذكر ولا امتياز بين الانسان وسائر الحيوانات الا بحسب القوة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فلما اعرض الكفار عن اعمال القوة العقلية والفكرية والتوسل بها الى معرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لاقدرة لها على تحصيل هذه الفضائل والانسان اعطى القدرة على تحصيلها ومن يعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان اخس حالا ممن لا يكتسبها مع العجز ولان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع لربه ولان البهائم اذا كان معها مرشد لا تضل والكفار تضل وان جاءهم الانبياء وانزل عليهم الكتب ثم انه تعالى لما وصف المخلوقين لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون امر بعده بذكره تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وهذا كالتنبيه على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص من عذاب جهنم هو ذكر الله واصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على الدنيا وشهواتها وقع فى نار الحرص وزمهرير البعد والحجاب واذا اجرى على قلبه ذكر الله تعالى ومعرفته تخلص من نيران الآفات ومن حسرات الحسرات (قوله والمراد بها الالفاظ) اى الالفاظ الدالة على البارى تعالى روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة ان الله وتر يحب الوتر وهى هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس الى آخرها (قوله وقيل الصفات) فكأنه قيل ولله الاوصاف الحسنى مثل كونه عالما بعلم قديم وقادرا على كل شئ وخالقا لكل شئ ومريدا لكل كائن ونحو ذلك فان لفظ الاسم قد يطلق على ما يدل على معنى اى على معنى تام غير مقارن للزمان يقال طار اسمه فى الآفاق اى انتشرت صفته ونعته دلت الآية على انه تعالى له اسماء حسنة وان الانسان لا يدعو الله الا بها وانها توقيفية لا اصطلاحية فانه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخى ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا فقيه يا عاقل يا طبيب قال تعالى يخادعون الله وهو

(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا ﴿ ٢٥٦ ﴾ قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب (واملي لهم) وامهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدي متين) ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) يعني محمدا عليه الصلاة والسلام (من جنة) من جنون روي انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه (وأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف (تكون)

خادعهم وقال ومكروا ومكر الله ونحو ذلك في الدعاء يا مخادع يا مكار ويقال انه تعالى خالق كل شئ والله كل شئ ولا يقال يا خالق الخنازير والخبائث ويا اله القرود ومحقرات عالم الكون قال مقاتل رحمه الله ان رجلا من الصحابة دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادعوا الله او ادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين فايا ما تدعوا من هذه الاسماء فله الاسماء الحسنى (قوله سنستدنيهم) الاستدناء استفعال من الدنو وهو القرب اي سنقربهم الى الهلاك على التدريج في كتمان وخفية وقيل الاستدراج اتساع النعم مع انساء الشكر قال عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الله انعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج ثم تلا هذه الآية وقوله تعالى والذين مبتدأ وخبره الجملة الاستقبالية بعده ويحتمل ان يكون في محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر تقديره سنستدرج الذين كذبوا (قوله فخذا فخذا) اي قوما قوما وقبيلة قبيلة والفخذ في العشائر اقل من البطن اولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ (قوله يهوت) اي يصوت يقال هيت به وهوت اي صاح به ودعاه عن قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحذرهم عقوبة الله ووقائعه فقام على الصفا ليلا وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان الى الصباح فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت الآية وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيتغير وجهه الكريم ويصفر لونه المليح وتعرض له حالة شبيهة بالغشي والجهال كانوا يقولون انه جنون فبين الله تعالى في هذه الآية انه ليس بمجنون انما هو نذير مبين من رب العالمين وحثهم على التفكر في امره عليه الصلاة والسلام ليعلموا انه انما دعا للانذار لا لما نسب اليه من الجنون والجنة حالة من الجنون كالجلسة والركبة ودخول من في قوله من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون فان من كان شأنه الدعوة الى الله تعالى واقامة الدلائل القاطعة والبينات الباهرة بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الخلق طيب النفس مرضي الطريقة نقي السريرة مواظبا على اعمال حسنة صار بها قدوة لعقلاء العالمين كيف يتصور ان يكون فيه نوع من الجنة بل هو رحمة للعالمين وسماه صاحبهم لانه نبيهم يصحبهم ويخالطهم وكلمة ما في قوله ما بصاحبهم يجوز ان تكون استفهامية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم اي اي شئ استقر بصاحبهم من الجنون وان

فى ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع
حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه ﴿ ٢٢٧ ﴾ الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث
بعده) اى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعده وقد فات اجلهم فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ويذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها اى اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت اليه لان البعض آوٍ الى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها لوقتها)

تكون نافية حثهم على التفكر فى شأنه ومكارم اخلاقه اولا ثم اجملا كلاما آخر اما استفهام انكارا ونفيا ثم قصره على الانذار المبين بطريق النفى والاستثناء تأكيدا لتكذيبهم ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدل على صدقه وصحة ما يدعوهم اليه من توحيد صانع العالم وعظم شأنه وكمال قدرته تضطر قلوبهم الى التصديق بنبوة المدعى فان النظر فى امر النبوة متفرع على النظر فى دلائل التوحيد وثبوت الصانع الحكيم والملكوت بمنزلة الملك وزيدت التاء والواو للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والمراد السلطان وتقديره ملكوتنا فى السموات والارض ثم اشار الى ان دليل التوحيد ليس مقصورا على السموات والارض بل كل ما يقع عليه اسم الشئ برهان باهر على التوحيد كما قيل وفى كل شئ له آية ❊ تدل على انه واحد فان كل ذرة من ذرات الكائنات مع كونها مساوية لسائر الذرات فى كونها جوهرا وذاتا متحيزة مخالفة لسائر الذوات فى اللون والشكل والطبع والطعم وسائر الصفات واختصاص كل واحدة منها بما يخصها من الصفات لا بد له من مخصص ولا بد ان تنتهى سلسلة المخصصات الى الواجب لذاته والا دار او تسلسل (قوله وكذا اسم يكون) فيه انه يقتضى تكرار تقدير الشأن فى الآية فان التقدير حينئذ ان الشأن عسى ان يكون الشأن والاولى ان يقال ان يكون قد اقترب تازما فى اجلهم ويمكن ان يقال رجح التكرار المذكور على التزام الاضمار قبل الذكر لانه لا يصار اليه الا لضرورة (قوله قبل مغافصة الموت) اى قبل اغتياله فجأة يقال غافصت الرجل اذا اخذته على غرة (قوله تعالى فبأى) متعلق بيؤمنون وهى جملة استفهامية سيقت للتعجب من تصميمهم على الكفر بعد الزام الحجة بنهاية البيان والتقرير اى اذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره والمراد من التعلق فى قوله وقيل هو متعلق التعلق المعنوى بمعنى ارتباط الكلام بما قبله لا التعلق الصناعى وكان لفظ التضعيف وهو قيل اشارة الى ان الاولى ان يجعل متعلقا بالتوبيخ المستفاد من مجموع قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات الآية (قوله كالتقرير) اى لضلالهم فانه تعالى لما ذكر تصميمهم على الكفر وتماديهم فى الضلال بين ههنا علة ضلالهم فقال من يضلل الله فلا هادى له وجه الغيبة فى يذرهم ظاهر وهو اسناده الى ضمير الاسم الظاهر وهو اسم الجلالة ووجه التكلم الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما للفعل ووجه الرفع الاستئناف اى وهو يذرهم او نحن نذرهم على حسب القراءتين ووجه جزمه العطف على محل قوله فلا هادى له لان الجملة المنفية جواب الشرط فى محل الجزم فعطف على محلها والعمه التردد والحيرة (قوله او لسرعة حسابها) اى

اولكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضى فى ساعة واحدة لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن كأنه تعالى لما حثهم على الايمان والتوبة بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم تحذيرا لهم من معافصة الموت قبل التوبة فان من مات فقد قامت قيامته وينكشف له مايستحقه من الثواب والعقاب سأل جماعة من اليهود وقيل من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة فنزل قوله تعالى يسألونك عن الساعة ليحقق فى القلوب ان وقت قيام الساعة مكتوم عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة واداء الواجبات فانه لوعلم وقت قيامها لتقاصر عن التوبة وأخرها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف فى العبادة ليالى الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا فى الدعاء فى كل اليوم وايان ظرف زمان بمعنى متى والمرسى ههنا مصدر ميمى بمعنى الارساء وهو الاثبات يقال رسا يرسو رسوا اى ثبت وارساه غيره ارساء ومرسى وايان مبتدأ خبره مرساها قيل اصله ايوان فحذفت الواو على غير قياس ولم يعوض عنها شئ اوقلبت الواو ياء على غير القياس فاجتمعت ثلاث ياآت فاستثقل ذلك فحذفت احداهن وبنيت الكلمة على الفتح لتضمنها معنى الاستفهام فصار ايان وقيل انه فعلان من اى لان معناه اى وقت زيدت الالف والنون على اى فصار ايان وقيل انه فعال من اين وانكره ابن جنى وقال ايان سؤال عن الزمان واين سؤال عن المكان فكيف يكون احدهما مأخوذا من الآخر واصل اى اوى فعل من اويت اليه لان البعض آوى الى الكل مستند اليه فقلبت الواو ياء وادغمت فى الياء والرسو والارساء لايستعملان الافى ثبوت الشئ الثقيل واثباته يقال رست السفينة وارسيتها انا قال تعالى والجبال ارساها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها واثباتها بالارساء (قوله لايظهر امرها) اشارة الى ان التجلية اظهار الشئ والتجلى ظهوره وقدر المضاف فى قوله لايجليها لانه تعالى قد كشف واظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعية ونصوص متعاضدة وليس المنفى الا اظهار امرها فى حق وقتها وتعيينه والمعنى لايعلم الوقت الذى فيه يحصل قيام الساعة الا الله سبحانه وتعالى (قوله عظمت على اهلها) اشارة الى ان المراد بثقل الساعة فى السموات والارض ثقلها بالنسبة الى اهلها وان كلمة فى بمعنى على كما فى قوله تعالى ولأصلبنكم فى جذوع النخل اى عظمت على اهلها خوفا من شدائدها ومافيها من الاهوال ومن جملة اهوالها فناء من فى السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب وقيل المراد ثقلها بالنسبة الى نفس السموات والارض من حيث انهما لايطيقان مجئ الساعة بتشقق السماء وتكور الشمس والقمر وانتثار النجوم وتزلزل الارض ورجفانها

(وتزلزلها)

لايظهر امرها فى وقتها (الاهو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض) عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها (لا تأتيكم الابغتة) الافجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفى عنها) عالم بها

فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدى بعن وقيل هو صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم ج ٩٩ ٢ لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل كأنك حفى من حفى بالشئ اذا فرح ومعناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه وانت تكرهه لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار العبودية والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب (الا ما شاء الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء (ان انا الا نذير وبشير) وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه

وبدلها غير الارض المعهودة وبطلان الجبال والبحار (قوله فعيل من حفى عن الشئ) يعنى ان الحفى معناه الاصلى الحقيقى المستقصى فى السؤال عنه والطلب باقصى ما يمكن ومن استقصى فى طلب الشئ وبالغ فى السؤال عنه يلزمه ان يستحكم علمه فيه ويكون ماهرا فى العلم به فلذلك كنى بقوله تعالى حفى عنها عن معنى عالم بها ولما ورد ان يقال لو كان الحفى بمعنى العالم لوجب ان يعدى بالباء فكيف قيل حفى عنها اجاب عنه بأن الحفاوة لما كان اصل معناها الاستقصاء فى السؤال كان معنى السؤال ملحوظا فى معناها الكنائى فعدى تعديته وقيل انما يرد الاشكال على تقدير ان تكون عنها متعلقة بقوله حفى وليس كذلك بل هى متعلقة بيسألونك وقوله كأنك حفى معترض بينهما وصلة حفى محذوفة وتقدير الكلام يسألونك عنها كأنك حفى بها (قوله وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة) عطف على قوله عالم بها الجوهرى حفيت به بالكسر حفاوة وتحفيت به اى بالغت فى الطافه واكرامه انتهى ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا اى بارا لطيفا يجيب دعائى فمعنى الآية يسألونك كأنك صديق لهم بار بهم وانت لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم وقيل هو فعيل من قولهم حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اى فرحت به وبششت فالمعنى يسألونك كأنك حفى تسر وتفرح بالسؤال عنها والحال انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه وعلى الوجوه كلها قوله تعالى كأنك حفى عنها فى محل النصب على انه حال من مفعول يسألونك اى مشبها حالك بحال الحفى نظرا الى زعمهم واعتقادهم (قوله لما نيط به) علة لتكرير يسألونك وقوله للمبالغة اى فى انكار سؤالهم علة لزيادة قوله كأنك حفى عنها وتكرير اللفظ لفائدة زائدة ليس بتكرار فى الحقيقة (قوله والتبرئ من ادعاء العلم بالغيوب) فان من لا يعلم نفعه فى اى الاشياء ومضرته فى ايها كيف يحصل عنده علم وقت قيام الساعة ونظيره قوله تعالى فى سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله قيل لما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة بنى المصطلق جاءت ريح فى الطريق نفرت الدواب منها فأخبر عليه الصلاة والسلام بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ المنافقين وقال عليه الصلاة والسلام انظروا اين ناقتى فقال عبد الله بن ابى بن سلول ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن

موت رجل بالمدينة ولايعرف ناقته قال عليه الصلاة والسلام ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قدتعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ماقال فأنزل الله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا (قوله وانما ذكر الضمير) اى ضمير قوله ليسكن مع رجوعه الى النفس وقد انث ماهو عبارة عنها حيث قيل واحدة وجعل منها زوجها رعاية لجانب معنى النفس لان المراد بها آدم عليه الصلاة والسلام ورعاية جانب المعنى في اسناده فعل السكون والتغشي هو الانسب لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فينبغي ان يتصور الساكن والمتغشي بصورة الذكر لابصورة الانثى واصل التغشي التغطية كنى به عن الجماع لان كل واحد من الرجل والمرأة لبس الآخر وساتره فانه اذا علاها فقد صار كالغاشي لها والحمل بفتح الحاء ماكان في البطن وعلى رأس الشجر وبكسر الحاء ماحمل على ظهر الدابة وحملا في الآية يجوز ان يراد به المصدر فينصب انتصابه وان يراد به نفس الجنين فينصب انتصاب المفعول به كقولك حملت زيدا (قوله فاستمرت به) اى ذهبت ودامت بذلك الحمل الخفيف كانت تجيء وتذهب وتقوم وتقعد وتمشي بسهولة من غير تعب وفي الصحاح مر عليه وبه يمر مرا اى اجتاز ومر يمر مرا اومرورا اى ذهب واستمر مثله وقرئ فمرت بتخفيف الرآء وفيها وجهان احدهما ان اصلها التشديد ولكنهم كرهوا التضعيف في حرف مكرر فتركوه وهذه كقرآءة وقرن بفتح القاف اذا جعلناه من القرار والثاني انه من المرية وهو الشك اى فشكت بسببه أهو حمل ام مرض وقرئ فاستمرت وهي واضحة وقرئ ايضا فمارت بألف وتخفيف الرآء من مار يمور اى جاء وذهب وتصرف في كل وجه واصله مورت قلبت الواو ألفا فصار مارت ويجوز ان يكون فاعلت من المرية واصله ماريت قلبت الياء ألفا ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومتعلق الدعاء في قوله دعوا الله محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه اى دعواه بان يؤتيهما ولدا صالحا (قوله اى جعل اولادهما) قدر المضاف وهو الاولاد في موضعين والتقدير جعل اولادهما لله شركاء فيما آتى اولادهما دفعا للاشكال الوارد على ظاهر الآية فانه فسر النفس الواحدة بنفس آدم وفسر زوجها بحوآء عليهما الصلاة والسلام فلو لم يقدر المضاف للزم نسبتهما الى الشرك وهما بريئان منه فقدر المضاف لدفع هذا الاشكال فيكون اول الآية في حق آدم وحوآء عليهما الصلاة والسلام كالكلام المعترض بين الكلام الوارد في شرح احوال المشركين حكى الله تعالى للمشركين ان حوآء لما اثقلت دعا آدم وحوآء ربهما لئن اعطيتنا ولدا سويا صالحا في الدين لنشكرن لك ووجه دعائهما بذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى حين اخذ

وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) اى جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ماتلق منه الحوامل غالبا من الاذى اومحمولا خفيفا وهو النطفة (فمرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب اومن المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

الباقى على ذريته ان فيهم السوى وغير السوى والتقى وغير التقى فما لا يتركون هذا الولد تقيا سويا وقالا لئن آتيتنا صالحا سويا لنشكرن لك واعطاهما صالحا وشكرا لانهما ابيا بحيث يعد ان من انفسهما بذلك ولا يفعلانه وتم الكلام هينا ثم شرع فى توبيخ المشركين بقوله فلما آتاهما صالحا اى فلما اعطى من اولادهما من كان والدا وولدا من اهل الشرك ولما صالحا سوى الاعضاء جعل هذان الابوان لله شركاء فيما اعطاهما بأن سمياه لاولاد بعبد العزى وعبد اللات ونحوهما وسجدا للاصنام شكرا على هذه النعمة وهذا التقرير احسن من تقرير المصنف فانه يشعر ان المضاف انما يقدر فى قوله جعلا وما بعده دون قوله فلما آتاهما صالحا ولاشك ان جعل الاولاد ليس فى ذلك الحين بل بعده بأزمنة متطاولة الا ان يقال كلمة لما ليست للزمان المتضايق بل هى للزمان الممتد فلا يلزم ان يقع مضمون الشرط والجزآء فى يوم واحد اوشهر اوسنة بل يختلف ذلك باختلاف الامور الواقعة فيه تقول لما ظهر الاسلام طهرت البلاد من دنس الشرك والالحاد ولما ركب السلطان قمع آثار الشر والفساد (قوله ويدل عليه) اى على حذف المضاف قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فانه يدل على ان الذين اتو بهذا الشرك جماعة دون آدم وحوآء وقوله بعده أيشركون مالايخلق شيأ فان المقصود منه الرد على من جعل الاصنام شركاء لله تعالى وهذا المقصود انما يحصل بتقدير المضاف (قوله وامثال ذلك لايليق بالانبياء) فان تسميته بعبد الحارث وان لم يكن شركا فى الحقيقة لان اسماء الاعلام لاتفيد معانيها اللغوية الا ان اتباع آدم لامر الشيطان مع نبوته وعلمه الكثير المدلول عليه بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التى حصلت له بسبب الزلة التى وقع فيها لاجل وسوسة الشيطان بعد ممن جعله الله تعالى مسجود الملائكة وفضل عليهم اعلم مالم تعلمه الملائكة فانه مع كثرة علومه كيف لايتنبه لأن اسم الشيطان هو الحارث وكيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث أفضاقت الاسماء عليه حتى انه لم يجد سوى هذا الاسم مع انهم لايخلون الاعلام المضافة عن الايماء الى المعانى الاصلية وملاحظتها وهذا القدر من الحاجة كاف فى تقدير المضاف (قوله فاعطاهما اربعة بنين) اضاف ثنين اى سميه مناف وشمس وواحدا الى نفسه وآخر الى داره التى هى دار الندوة وايد الزمخشرى هذا الاحتمال بقوله فى قصة ام معبد

فياقصى مازوى الله عنكمو * به من فخار لايبارى وسؤدد

روى انه عليه الصلاة والسلام خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر رضى الله عنه ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهما الليثى عبدالله بن اريقط فمروا على خيمتى ام معبد فسألوها لحما وتمرا ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيأ وكان القوم

ويدل عليه قوله (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون) يعنى الاصنام وقيل لما حملت حوآء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لايليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان له زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فأعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولا عقابهما المقتدين بهما

مسنتين اى اصحاب قحط وجدب فنظر عليه الصلاة والسلام الى شاة فى جانب الخيمة فقال ماهذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال هل بها من لبن قالت هى اجهد من ذلك قال أتأذنين ان احلبها قالت بأبى انت وامى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط اى يروبهم فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء اى وبيص الرغوة ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وغادره عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد فلما رأى اللبن عجب وقال من اين لك هذا يا ام معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب فى البيت قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه لى فوصفته له قال هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره كذا وكذا ولقد هممت ان اصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه

جزى الله رب الناس خير جزائه ❋ رفيقين قالا خيمتى ام معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم ❋ وقد فاز من امسى رفيق محمد
فيا لقصى مازوى الله عنكمو ❋ به من فخار لا يبارى وسودد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم ❋ ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ❋ فانكمو ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ❋ له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب ❋ يرددها فى مصدر ثم مورد

الضرة اصل الضرع الذى لا يخلو عن لبن وقيل هى الضرع كله ما خلا الاطباء جمع طبى بالضم وهى رأس الضرع وقوله الصريح اللبن اذا ذهبت رغوته وقوله فيا لقصى اللام فيه للتعجب كما فى قولهم يا للماء ويا للدواهى وقصى عبارة عن القبيلة والمعنى تعالوا يا قصى لتعجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم واضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم وما فى مازوى الله عنكمو استفهامية او موصولة اى اى شئ سلبه الله ومنعه عنكم به اى بسبب النبى صلى الله عليه وسلم وارتحاله من فخار لا يقابل ولا يعارض وقوله خيمتى نصب على الظرفية باجراء الموقت مجرى المبهم قيل الصوت صوت مسلم من الجن أقبل من اسفل مكة حتى خرج بأعلاها (قوله وقرأ نافع وابو بكر شركا) اى بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف والباقون بضم الشين وفتح الراء ومد الكاف مهموزا من غير تنوين جمع شريك والشرك مصدر بمعنى الشركة والمشركون لا ينكرون ان من آتاهما هو الله تعالى فى الحقيقة والاصالة فكان الظاهر ان يقال جعلا لغيره شركاء اى شركة فيما آتاهما الا انهم

وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بأن اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام

جيء به على تسميتهم اياها آلهة (ولا ﴿٢٦٣﴾ يستطيعون لهم نصراً) أي لعابديهم (ولا أنفسهم ينصرون) أي يدفعون عنها ما يعتريها (وان تدعوهم) أي المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لا يتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام أي ان تدعوهم الى أن يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) وانما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات أو لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها)

لما شركا فيه غيره تعالى فقد أثبتا له تعالى شركة فيه لان الشركة تكون بين اثنين ويحتمل ان يكون الكلام مبنيا على تقدير المضاف اى ذوى شرك (قوله جيء به) جواب عما يقال انا يعبر بلفظ هم عن العقلاء ولا يجمع بالواو والنون الا العقلاء فكيف قيل فى حق الاصنام وهم يخلقون واجاب بان ذلك مبنى على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه فى العقلاء (قوله اى المشركين) تفسير للضمير المنصوب وضمير الخطاب للرسول والمؤمنين اى وان تدعوا انتم هؤلاء الكفار الى الايمان ولا يجوز ان يكون تدعوا مسندا الى ضمير الرسول فقط لانه حينئذ كان ينبغى ان يحذف الواو لاجل الجازم (قوله وقرأ نافع بالتخفيف) اى لا يتبعونكم بتخفيف التاء قيل هما لغتان ولهذا جاء فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام فمن تبع وفى موضع آخر فمن اتبع وقيل تبعه بمعنى اقتفى أثره واتبعه بالتشديد بمعنى اقتدى به ثم انه تعالى اكد مضمون هذه الشرطية بقوله سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون (قوله وانما لم يقل ام صمتم) مع ان مقتضى القياس والشائع فى الاستعمال ان يذكر بعد همزة التسوية واختها الفعل المؤول بالمصدر كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وحاصل الجواب الثانى فان محصول الجواب الاول واضح ان المستويين ههنا هما احداث الدعاء والاستمرار على الصمات وذلك يقتضى ان يجعل قسيم احداث الدعاء ما يدل على اثبات على الصمات وهو الجملة الاسمية وانما قلنا ان احد المستويين هنا الثبات على الصمات لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله تعالى دون اصنامهم لقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم فكانت حالتهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوة الاصنام فلذلك قيل ان دعوتموهم لم يكن فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (قوله من حيث انها مملوكة مسخرة) اشارة الى جواب ما يقال كيف يحسن وصف الاصنام بأنها عباداً امثالكم مع انها جمادات والعباد انما يطلق على الاحياء العقلاء وتقريره انه عبر عنها بضمير العقلاء فى قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم وقيل ان الذين دون ان التى بناء على ان المشركين لما ادعوا انها تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فلهذا وردت هذه الالفاظ على وفق اعتقادهم (قوله ويحتمل الخ) جواب آخر وتقريره ان هذا اللفظ ورد فى معرض الاستهزاء بهم وسيق على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فان ثبت ذلك فلا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة وأربابا (قوله ثم عاد عليه) اى ابطل ان يكونوا عباد ايذانا ان الانسان افضل بكثير من الاصنام بل لا نسبة لفضيلة الانسان الى فضيلة الاصنام الميتة

فكيف يكون الاخس الادنى الذي لا يحصل منه فائدة البتة لا في جلب منفعة ولا في دفع
مضرة مثلا للافضل الاكمل فضلا عن ان يكون مستحقا لعبادة الافضل اياه (قوله
وقرئ ان الذين) قرأ العامة بتشديد ان فالموصول في محل النصب على انه اسم
اسم ان وعباد خبرها وقرئ بتخفيف ان ونصب عباد امثالكم والمعنى ما الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية نسبت
ما الى الحجاز لان اهله يختصون باعمالها وهو مذهب الكسائي واكثر الكوفيين
غير الفراء وسيبويه لا يعملها فيقول ان زيد منطلق برفع منطلق بناء على ان عمل
ما عمل ليس ضعيف وان التي بمعناها تكون اضعف واورد على هذه القراءة انها
تنفي كون الاصنام عبادا امثالكم والقراءة المشهورة تثبت ذلك ولا يجوز التناقض
في كلام الله تعالى واجيب بأن القراءة الدالة على نفي المماثلة معناها ان الاصنام
ادنى حالا واحقر من عابديها الذين هم اتم حالا واقدر على الضرر والنفع بالنسبة
الى الاصنام فانها جماد لا تقدر على شئ اصلا فكيف يعبد الكامل من هو دونه
فتكون هذه القراءة بحسب محصولها ومؤداها موافقة للقراءة المتواترة وادل على
المعنى المقصود بطريق الاولى وقرأ العامة يبطشون بكسر الطاء على انه
من باب ضرب يضرب وقرئ بضم الطاء وهما لغتان بمعنى والبطش الاخذ بقوة
(قوله انتم) اى الجماعة المخاطبون بقوله كيدون قيل انهم كانوا يخوفونه
عليه الصلاة والسلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبك بعض آلهتنا بسوء
فقال تعالى قل ادعوا شركاءكم الآية يريد انى قد ذممت اصنامكم وسفهت
عقولكم واحلامكم فاقصدوني بما شئتم من الكيد واستعجلوا فيه ولا تمهلوا فاني
لا اخافكم ثقة بالله الذي هو المنفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر
ولا يقول مثل هذا الكلام الا الواثق بعصمة الله تعالى (قوله تعالى ان وليي الله)
بثلاث ياآت الاولى ياء فعيل وهي ساكنة والثانية لام الفعل وهي مكسورة فادغمت
الاولى فيها فصارت ياء مشددة والثالثة ياء الاضافة وهي مفتوحة والولي ههنا بمعنى
الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذي يتولى نصرتي وحفظي
هو الله الذي اكرمني بانزال القرآن وايحائه الى وايحاء الكتاب اليه يستلزم رسالته
لا محالة وقوله وهو يتولى الصالحين تذييل وهو ان يعقب الكلام بما يشتمل على
معناه تأكيدا له وقوله اي ومن عادته مستفاد من اسمية الجملة (قوله من تمام التعليل
لعدم مبالاته بهم) جواب عما يقال من ان مضمون هذه الآية قد ذكر سابقا فما
الفائدة في تكريره وتقرير الجواب انه ذكر اولا لتقريع عبدة الاصنام وذكر ههنا
اثباتا للتعليل عدم مبالاته بهم والفرق بين من يستحق المبالاة به ومن لا يستحقها
(قوله يشبهون الناظرين) يعني ان قوله تعالى ينظرون اليك استعارة تبعية

وقرئ ان الذين بتخفيف
ان ونصب عباد على انها
نافية عملت عمل ما الحجازية
ولم يثبت مثله و يبطشون
بالضم ههنا وفي القصص
والدخان (قل ادعوا
شركاءكم) واستعينوا بهم
في عداوتي (ثم كيدون)
فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروه انتم
وشركاؤكم (فلا تنظرون)
فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم
لوثوقي على ولاية الله
وحفظه (ان وليي الله الذي
نزل الكتاب) القرآن
(وهو يتولى الصالحين) اى
ومن عادته تعالى ان يتولى
الصالحين من عباده فضلا
عن انبيائه (والذين
تدعون من دون
لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون)
من تمام التعليل لعدم
مبالاته بهم (وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون اليك وهم لا
يبصرون) يشبهون
الناظرين اليك لانهم
صوروا بصورة من ينظر
الى من يواجهه

شبه مقابلة الاصنام له عليه السلام بنظرها اليه اى يخيل اليك انهم ينظرون لان لها اعينا مصنوعة مركبة بالجواهر وهم غير ناظرين و مبصرين فى الحقيقة وكون الضمير المنصوب فى تراهم للاصنام يستدعى ان يكون المنصوب فى تدعوهم ايضا للاصنام فيكون الضمير المرفوع للمشركين والمعنى ايها المشركون ان تدعوا اصنامكم الى ان يهدوكم لايسمعوا دعاءكم ويحتمل ان تكون الآية فى صفة المشركين والمعنى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لايسمعوا اى لايقبلوا ذلك بقلوبهم فلا يجيبوكم وتراهم يامحمد ينظرون اليك بأعينهم وهم لايبصرونك بقلوبهم (قوله اى خذما عفالك) لما بين الله تعالى ان كيد المشركين لايضره عليه الصلاة والسلام امره بمكارم الاخلاق الداعية الى الالفة والاتفاق فقال اقبل من الناس ماعفالك من اخلاقهم وافعالهم اى تيسر وتسهل ولاتكلفهم الجهد اى المشقة من قولك احذت حقى عفوا اى بسهولة قال اهل اللغة عفو المال مافضل من النفقة وما اتى من غير كلفة قال الشاعر خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞ ولاتنطقى فى سورتى حين اغضب اى ولاتتكلمى فى سطوتى واحتدادى حين اغضب واعلم ان الحقوق التى تستوفى من الناس وتؤخذ منهم منها مايجوز ادخال المساهلة والمسامحة فيه ومنها مالايجوز فيه ذلك والقسم الاول هو المراد بقوله تعالى خذ العفو واما القسم الثانى فالحكم فيه ان يؤمر بالعرف والعرف والمعروف مايستحسنه الشرع القويم والعقل السليم ولواقتصر على الاخذ بالعفو فى هذا القسم لادى ذلك الى تغيير الدين وابطال الحق وانه لايجوز ثم اذا امر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا السبب قال تعالى فى هذه الآية واعرض عن الجاهلين وهو تحمل الاذى والعفو عمن جنى والحلم على من جفا فظهر بهذا ان هذه الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس مع الغير (قوله اوالفضل) اى اوخذما عفالك وفضل من اموالهم اى ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ماوراء ذلك (قوله شبه وسوسته) يعنى ان قوله تعالى ينزغنك استعارة تبعية شبه اغراء الشيطان الناس على المعاصى بوسوسته بالنزغ والغرز واستعيرله اسم النزغ ثم اشتق منه ينزغنك والافليس هنالك نزغ وغرز روى انه لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف اصنع يارب مع الظالم والغضب يحمل على الانتقام ومخالفة ماامرت به من مكارم الاخلاق فقيل له ان الغضب من نزغ الشيطان فامايتزغنك الشيطان فاستعذ بالله جعل النزغ ملابسة الفعل بحيث صار جميع ماقام به من المعانى والاعراض ملابسا بذلك الفعل واما اصله ان الشرطية زيدت عليها ماالتاكيد وقوله تعالى انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة باللسان لاتفيد

(خذ العفو) اى خذ ما عفالك من افعال الناس وتسهل ولاتطلب مايشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد اوخذ العفو عن المذنبين او الفضل وماتسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) فلاتمارهم ولاتكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ماامرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان)

الا اذا احضر فى القلب المعلم بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى يقول اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع لمقالك واستحضر معناها فى قلبك فانى عليم بما فى ضميرك ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال (قوله لمة منه) اى عارضة من الشيطان والذى من جهته لايكون الا الوسوسة وطيف الشيطان لمته وهو الشيطانى وطيف الخيال الصورة المتمثلة فى محل القوة المخيلة والاصل ان اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة المذكورة فى محلها وطيفها زوا فالطيف مصدر قولك طاف به الخيال اى ألم به ونزل يطيف طيفا والطائف ما دار حول الشئ قال ابوعمرو الطائف ما يطوف حول الشئ وهو هنا ما من وسوسة الشيطان والطيف اللمة والوسوسة وقيل الطيف والطائف قال ابوالليث طائف الشيطان وطيف الشيطان مايغشى الانسان من وسوسة وقال الفراء الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشئ الذى ويجوز ان لا يكون الطيف مصدرا بل يكون مخففا من فيعل اصله طيف الياء فحذفت عين الكلمة كما قيل فى ميت وهين (قوله والآية تأكيد لما قبلها) بناء على ان الخطاب فى الآية المتقدمة وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم الا ان حكمه يعم جميع المكلفين (قوله الذين لم يتقوا) صفة اشاره الى وجه رجحان كون ضمير اخوانهم للشيطان الذى اريد به فان كون اخوانهم مذكورا فى مقابلة الذين اتقوا يؤيد كون المراد بالاخوان المتقين فالضمير المنصوب فى يمدونهم يعود على غير المتقين والمرفوع يعود الشيطان والتقدير واخوان الشيطان يمدهم الشيطان اى يمدهم فى الغى بحملهم واغرائهم فعلى هذا الوجه يكون الخبر جاريا على غير من هوله فى المعنى لان مسند الى الشيطان فى المعنى وهو فى اللفظ خبر عن اخوانهم فان اخوانهم ويمدونهم خبرله اسند الى الشيطان والعائد الى المبتدأ ضمير المفعول كما فى جارية زيد يضرب بها الخبر عن الجارية بفعل غيرها ولم يقل يضرب بها ابراز الضمير انما يجب فى مثلها اذا كان الخبر صفة لا فعلا (قوله اى يمدونهم) اى قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والباقون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى قال الواحدى عامة ما جاء فى التنزيل يستحب امددت على وزن افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وقوله وامددناهم بفاكهة وقوله أتمدونني بمال وماكان بخلافه فانه يجئ على مددت قال وفى طغيانهم يعمهون لان الامداد انما جاء فى محمد وقد استعمل فى الغى والوجه قرآءة العامة وهى بفتح الياء ومن ضم الياء فقد استعمل ما هو للخير فى ضده فبشرهم بعذاب اليم قال الكلبى لكل كافر اخ من الشياطين يمده فى الغى وبه

لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم اومن طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابوعمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدرا وتخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امر الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد وعادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم

الاغواء حتى يستمر عليه (قوله ويجوز ان يكون الضمير) اى فى قوله لايقصرون للاخوان كما جاز ان يكون للشياطين لانه يجوز ان يقصد فى حق كل واحد من الشيطان والاخوان انه لايكف ولاينتهى عما هو عليه من الاغواء والغى والاقصار الكف عن الشئ يقال اقصر فلان عن الشئ يقصر اقصارا اذا كف عنه وانتهى قال ابن عباس رضى الله عنهما اى ثم لايفترون عن الضلال والاضلال اما الغاوى فعن الضلال واما المغوى فعن الاضلال فعلى هذا ايضا ضمير لايقصرون يكون للاخوان والشياطين جميعا (قوله ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين) وبالضمير المجرور الذى اضيف اليه الاخوان الجاهلون والمعنى والشياطين الذين هم اخوان الجاهلين يمدون الجاهلين فى الغى بحملهم عليه فعلى هذا يكون الخبر جاريا على من هوله لفظا ومعنى حيث اخبر عن الشياطين بفعل انفسهم (قوله بآية من القرآن او مما اقترحوه) قيل كان اهل مكة يسألون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يجيبهم انتظارا للوحى فربما يتأخر نزول الوحى عنه فيقولون هلا افتعلتها وتقولتها وجئت بها من قبل نفسك كسائر ماتقرأه علينا لانهم كانوا ينكرون كون القرآن وحيا الهيا ويقولون انه تقوله من عند نفسه وان هذا الا افك مفترى فاذا تأخر الوحى عن زمان سؤالهم يقولون هلا اخترعت شيأ تقرأه علينا من عند نفسك وما اعتذارك بابطاء الوحى عنك قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك وايضا كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام آيات معينة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم أحى لنا فلانا الميت يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا اليه ونحو ذلك فربما لايأذن الله تعالى له فى اتيان ما اقترحوه فيقولون هلا اخترعت هذا الذى سألناك واتيت به وانت رسول بزعمك ولابد للرسول من معجزة تطمئن بها قلوب الامة فهلا تأتينا بالمعجزة التى نطلبها منك بأن تطلب من الله تعالى ان يخلقها على يديك ان كنت صادقا فان الله تعالى يقبل دعاءك ويجيب اقتراحك عليه (قوله هلا جمعتها) اشارة الى ان اجتباه بمعنى جمعه قال صاحب الكشاف اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كما يقال اجتمعه اى جمعه لنفسه وقوله او هلا طلبتها اشارة الى ان الاجتباء بمعنى الاختيار الذى هو طلب الخير (قوله بها يبصر الحق) اشارة الى ان البصائر جمع بصيرة وانها فى الاصل بمعنى الابصار المقابل للعمى وان لفظ البصائر يطلق على الحجج والبراهين بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فانها اسباب لبصائر القلوب وادراكها والقرآن لاشتماله على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وجميع ما هو الحق والصواب من عقائد المكلفين وافعالهم واخلاقهم صار

ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لايكفون عن الغى ولا يقصرون كما تقصر ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هوله (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن او مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا طلبتها من الله (قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

سببا لبصيرة القلب وادراكه لتلك المطالب فوصف بانه بصائر وهادى الى الطريق المستقيم وسبب رحمة يرحم الله تعالى من عمل به فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته ثم انه تعالى لما عظم شأن القرءآن بقوله هذا بصائر الى آخره اردفه بقوله واذا قرئ القرءآن وقوله تعالى له متعلق بقوله استمعوا اى استمعوا لاجله والضمير للقرءآن والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد (قوله نزلت فى الصلاة) اى فى تحريم الكلام فيها قال قتادة كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلاة لحوائجهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وامرهم بالانصات فيها قال مجاهد وجب الانصات فى موضعين فى الصلاة والامام يقرأ وفى الجمعة والامام يخطب (قوله وهو ضعيف) قال الامام الواحدى رحمه الله فى الوسيط ولا تدل الآية على ترك القرآءة خلف الامام لان هذا الانصات المأمور به نهى عن الكلام فى الصلاة لاعن القرآءة اوعن ترك الجهر بالقرآءة خلف الامام كما روى عن ابن عباس انه قال قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلاة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعى اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية وهذا قول ابى حنيفة واصحابه والعرب تسمى تارك الجهر منصتا وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع احدا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام سمع ناسا يقرأون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرءآن فاستمعوا له وانصتوا ولما كان المقصود من الامر بالانصات النهى عن الكلام فى الصلاة اوعن الجهر بالقرآءة خلف الامام لم يكن فى الآية دلالة على النهى عن قرآءة المأموم ومع هذا فحكم ظاهر الآية مرعى عند الامام الشافعى رحمه الله لان السنة عنده ان يسكت الامام بعد فراغه من الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة حال سكتة الامام وايضا عموم قوله تعالى واذا قرئ القرءآن فاستمعوا له وانصتوا وان اوجب سكوت المأموم عند قرآءة الامام الا ان قوله عليه الصلاة والسلام اذا كنتم خلفى فلا تقرأوا الا بفاتحة الكتاب فانه لاصلاة الا بها وقوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب خص عموم القرءآن فانه يجوز تخصيص عموم القرءآن بالسنة وذكر فى اللباب ان من اوجب القرآءة على المأموم قال الآية فى غير الفاتحة ويقرأ الفاتحة فى سكتات الامام ولا ينازع الامام فى القرآءة (قوله ومتكلما كلاما) اشارة الى ان قوله دون الجهر صفة لشئ محذوف وذلك المحذوف حال معطوف على ما قبله ثم انه تعالى لما امر الامة بأن ينصتوا ويستمعوا قرآءة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اردف ذلك الامر بأن امره عليه الصلاة والسلام فى هذه الآية

نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قرآءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرءآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القرآءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القرآءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقرآءة سرا بعد فراغ الامام من قرآءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدو والآصال)

بأن يذكر ربه في نفسه وان يذكره عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعز والعظمة والكبرياء وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الا ترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لا يعرف معاني هذه الالفاظ ولا يفهم منها شيأ فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذا ههنا قال الامام سمعت ان بعض الاكابر من ارباب القلوب كان اذا اراد ان يأمر واحدا من المريدين بالخلوة والذكر امره ان يعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه المدة وحصول التصفية التامة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول لذلك المريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوى تأثره وعظم شوقه فاعلم ان الله تعالى انما يفتح ابواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب وكمال حال الانسان لما توقف على انكشاف عزة الربوبية وذلة العبودية امر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يذكر ربه في نفسه متضرعا لان المقصود الاول انما يتم بقوله واذكر ربك في نفسك والمقصود الثاني انما يتم بقوله تضرعا وخيفة بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان مايظهر في الخاتمة ليس الا ماسبق له الحكم في الفاتحة ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة (قوله بأوقات الغدو والعشيات) اشارة الى ان الغدو جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والاصال جمع اصيل نحو يمين وايمان وهو الوقت بعد العصر الى المغرب والعشي والعشية من صلاة المغرب الى العتمة واضافة الاوقات اليهما بيانية وقوله تعالى بالغدو والآصال متعلق باذكر اي اذكر في هذين الوقتين وهي البكرات والعشيات وخص هذان الوقتان بالامر بالذكر لانه فيهما تتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الكاملة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغي ان يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى سوء الحال فلذا خص الله تعالى هذين الوقتين بالامر بالذكر وقيل الغدو والاصال عبارة عن الليل والنهار والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان امر اولا بأن يذكر ربه بلسانه على وجه يستحضر في نفسه معاني الاذكار التي يقولها بلسانه ثم اتبعه قوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغي له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة

بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعني ملائكة الملأ الاعلى (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وينزهونه

(وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقرآءته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة ﴿٣٧٠﴾ (سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسألونك عن الانفال) اى الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لايلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه (رضي) قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لايعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه

البشرية ثم انه تعالى لما رغب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الذكر وفي المواظبة عليه ذكر عقيبه مايقوي دواعيه في ذلك فقال ان الذين عند ربك مع غاية طهارتهم وعصمتهم من الكدورات الطبيعية الحاملة على الشهوة والغضب والغل والحقد والحسد لما كانوا مواظبين على العبودية والخضوع التام كان الانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات اولى بالمواظبة على الطاعات قدم من عبادة الملائكة ما هو من اعمال القلوب وهو التسبيح والتنزيه ثم ذكر ما هو من اعمال الجوارح تنبيها على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح (قوله تعالى وله) متعلق بيسجدون قدم عليه ليفيد الحصر فانهم لا يسجدون لغير الله تعالى

سورة الانفال مدنية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قوله وانما سميت الغنيمة) وهي المال المأخوذ من الكفار قهرا نفلا واصل النفل الزيادة على اصل الشيء يقال لهذا على هذا نفل اى فضل وزيادة كذا في الكشف وسميت الغنائم أنفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وسميت التطوعات نافلة لكونها زائدة على الفرض الذي هو الاصل قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى زيادة على ما سأل وما شرطه الامام لمقتحم خطر لاشك انه زائد على اصل سهمه فوجه كونه نفلا ظاهر واسند يسألونك الى من لم يسبق ذكرهم وحسن ذلك ههنا لان السائل عن حكم الانفال كان معلوما متعينا حال نزول الآية وهم قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان لهم تعلق بالغنائم فلم يحتج في انصراف السؤال اليهم الى سبق ذكرهم (قوله ولهذا) اى ولاجل انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بدر بين الشبان المسارعين الى القتل والاسر والشيوخ الثابتين في المصاف على السوآء ولم يعط الشبان ماوعدلهم من السلب ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في احد قوليه الى ان الامام لايلزمه الوفاء بما وعد به وقال ابو حنيفة

رضى الله تعالى عنه يلزمه الوفاء بما وعد به (قوله اى يسألك الشبان ما شرطت لهم) وهو سؤال الاستعطاء كما فى قولك سألته درهما لا سؤال الاستعلام فانه يتعدى بعن (قوله الحال التى بينكم) فسر به قوله تعالى ذات بينكم بناء على ان الامر الملابس بالشئ الواقع فيه يقال انه ذو الشئ كما يقال اضمرات الصدور ذات الصدور ويقال اسقنى ذا اناءك اى ما فى اناءك من الشراب وذات بينكم هنا صفة لمفعول محذوف تقديره واصلحوا احوالا ذات بينكم واحتج بهذه الآية من ذهب الى ان ترك الطاعة يوجب زوال الايمان بناء على ان المعلق على الشئ بكلمة ان ينعدم عند عدم ذلك الشئ (قوله فان الايمان يقتضى ذلك) اى يقتضى الطاعة المذكورة باعتقاد حقية ما شرع من الاحكام التى من جملتها تسليم امر قسمة الغنائم الى الله ورسوله وان كان العمل بمقتضى الاعتقاد المذكور منوطا باختيار المكلف كانت المعصية بترك العمل غير منافية لاصل الايمان والذى ينافيه هو المعصية بترك الاعتقاد على تقدير ان يكون جواب الشرط ما يدل عليه قوله واطيعوا واما على تقدير ان يكون الجواب ما يدل عليه مجموع قوله فاتقوا الله واصلحوا واطيعوا فالمراد بالايمان حينئذ هو الايمان الكامل للعلم بأن اصل الايمان لا يتوقف على التحلى بتلك الامور الثلاثة كلها (قوله فزعت لذكره استعظاما له) يعنى ان المراد من الوجل الذى هو الخوف والفزع ههنا هو الخوف المتفرع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله فان هذا الخوف لا يزول عن قلب من ذكر الله تعالى بما يستحقه من نعوت جلاله وصفات كماله سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا او مؤمنا تقيا فان كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ما سواه ويعلم احتياجه اليه فى جميع مهماته فلا جرم يهابه ويقشعر جلده وتغلب عليه الدهشة بحيث يكاد يفنى وجوده واما خوف العقاب فهو لا يحصل من مجرد ذكر الله تعالى وانما يحصل بملاحظة معصيته وذكر قهر الله وعقابه والالائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال لانه اللازم لكمال الايمان وقال الامام اللائق بهذا الموضع ارادة خوف العقاب الذى هو وظيفة العصاة بناء على ان المقصود من هذه الآية الزام اهل بدر طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الانفال واشار المصنف الى ضعفه حيث قال وقيل هو الرجل يهم بمعصية الخ والقراءة المتواترة وجلت بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى الغابر وفيه لغة اخرى قرئ بها فى الشاذة وجلت بفتح الجيم فى الماضى وكسرها فى الغابر فتحذف الواو فى المضارع كما فى وعد يعد وقرئ فرقت بكسر الراء الجوهرى الفرق بالتحريك الخوف وقد فرق بالكسر تقول فرقت ولا تقول فرقك (قوله زيادة المؤمن به) لا لاجل ان الايمان بمعنى التصديق الجازم

وقرئ يسألونك علّانفال بحذف الهمزة ونقل حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك الشبان ما شرطت لهم فيها (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (واصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به

والاقرار يقبل الزيادة والنقصان فان التصديق وهو الاعتقاد الجازم الذى لايحتمل النقيض كيف يحتمل الزيادة وكذا الاقرار لايحتملها فالايمان المتعلق بشئ واحد لايحتمل التفاوت بالزيادة والنقصان ولكن يجوز تفاوت نفس الايمان بالقلة والكثرة على حسب قلة متعلقه وكثرته ولماكانت التكاليف متتابعة متعاقبة فى زمان نزول الوحى فعند نزول كل آية وحدوث كل تكليف وتصديق الامة بذلك يزداد تصديقهم بحسب الكمية على ماكان قبله فقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد وكان ذلك زيادة فى الايمان والتصديق بحسب العدد مع كون كل واحد من آحاد ايمانهم باقيا بحاله لايزيد ولا ينقص (قوله اولاطمئنان النفس) اى ويجوز ان يراد بقوله تعالى زادتهم ايمانا ان نفس تصديقهم يزداد ويتقوى بتظاهر الادلة قال التحرير المحقق والاصوب ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه لوكشف الغطاء مازددت يقينا وكذا بين ماقام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه ادلة كثيرة ومنعه الامام بأن الجزم الحاصل بسبب الدليل الواحد ان كان مانعا من النقيض يمتنع ان يصير التصديق الذى قام عليه الدلائل الكثيرة اقوى من الذى قام عليه دليل واحد وان كان غير مانع من النقيض لم يكن دليلا بل كان امارة ولم تكن النتيجة معلومة بل كانت مظنونة (قوله صفة مصدر محذوف) اى هم المؤمنون ايمانا حقا قال الفرآء تقدير الكلام اخبركم بذلك حقا اى اخبارا حقا ونظيره اولئك هم الكافرون حقا ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون جملة اسمية كقولك هو عبد الله حقا اى احقه حقا ويجوز على ضعف ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة الواقعة بعده وهى قوله تعالى لهم درجات ويكون الكلام قد تم عند قوله هم المؤمنون ثم ابتدأ بقوله حقا لهم درجات وتقديم المصدر المؤكد لمضمون الجملة عليها مذهب ضعيف ووصف الله تعالى المؤمنين بخمسة اوصاف ثلاثة منها متعلقة بالباطن والقلب وهى الخشية والوجل من عظمة الله تعالى وجلاله والانقياد لآيات الله تعالى واحكامه وعبر عنه بالاخلاص وان لايثق ولا يعتمد فى امر من الامور الا على الله عز وجل واثنان منها يتعلقان بالظاهر وهما الصلاة والصدقة ولا شك ان هذه الاخلاق والاعمال القلبية والقالبية لها تأثيرات فى تصفية القلب وفى تنويره بالمعارف الالهية ونيله الكرامات الربانية والمنازل العلية الروحانية وان المؤثر كلما كان اقوى واكمل كانت الآثار اقوى واكمل وكلما كان المؤثر اضعف كانت الآثار اضعف وادنى ولما كانت هذه

اولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة اوبالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولايرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بأن ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف اومصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) اعدلهم فى الجنة لاينقطع عدده ولا ينتهى امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه

خبث
ال

الاسراع اواعدوا اى الزموا الاسراع وقوله على كل صعب وذلول اى أسرعوا
على كل مركوب ولا تتوقفوا الى ان تجدوا المركوب الذلول وقوله عيركم اى الزموا
عيركم اوتداركوا عيركم واحفظوها واموالكم بدل من عيركم روى ان ابا سفيان لما
سمع بمسير النبى صلى الله عليه وسلم نحوه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى
مكة وامره ان يأتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد عرض لعيرهم فى اصحابه فخرج ضمضم الى مكة سريعا وقد رأت عاتكة بنت
عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها
العباس رضى الله تعالى عنه فقالت له والله يا اخى لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتنى
وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ما احدثك قال لها
وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى
صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث بعد ثلاثة ايام فأرى الناس قد اجتمعوا
اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة
ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره
على رأس ابى قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا
كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلته
منها فلقة فقال العباس ان هذه لرؤيا تفرق لرؤسائنا وانت فاكتميها ولا تذكريها
لاحد ثم خرج العباس فلقى عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس وكان له صديقا
فذكرها له واستكتمه اياها وذكرها عتبة لابنته ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش
قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود
يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك
فأقبل الينا قال فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يا ابن عبد
المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وماذاك قال الرؤيا التى رأتها عاتكة ثم
قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأت نساؤكم قد زعمت عاتكة
فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت
حقا فسيكون وان مضى الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا
انكم اكذب بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من كبير الا انى جحدت
ذلك وانكرت ان تكون رأت شيأ ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب
الا أتتنى فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء
وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت والله ما كان منى اليه
من كبير وايم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفينكه قال فغدوت فى اليوم الثالث
من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه

الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال
لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ﴿٢٧٣﴾ ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجرة

الاخلاق والاعمال لها درجات ومراتب مختلفة كانت الآثار المترتبة عليها من المعارف والكرامات والمنازل الروحانية متفاوتة ايضا وذلك هو المراد بقوله تعالى لهم درجات عند ربهم والثواب الحاصل فى الجنة ايضا مقدر بمقدار هذه الاحوال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت ومراتب السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة مختلفة فلهذا قال تعالى لهم درجات عند ربهم فان قيل أليس ان المفضول اذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه منها فانه يتألم قلبه و ينغص عيشه وذلك مخل بكون الثواب رزقا كريما فالجواب ان استغراق كل احد فى سعاداته الخاصة به يمنعه من حصول الحقد والحسد و بالجملة فاحوال الآخرة لاتناسب احوال الدنيا الابالاسم (قوله هذه الحال فى كراهتهم اياها) اى كون الانفال لله ورسوله مثل اخراجك فى استثقالهم كل واحد منهما روى انه عليه الصلاة والسلام لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا ليرغبهم فى القتال فلما انهزم المشركون وطلب الشبان المسارعون نفلهم قال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله ان جماعة من اصحابك وقومك بأنفسهم ولم يتأخروا عن القتال جبنا ولابخلا ببذل مهجهم لكنهم اشفقوا اى خافوا عليك من ان تغتال فمتى اخذ هؤلاء ماسميته لهم بقى خلق من المسلمين بغير شئ فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يصنع فيها مايشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفى انفس بعضهم شئ من الكراهة كره بعض من الشيوخ اولا مارآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنفيل ماكان له عناء فى محاربة الكفار وكره بعض الشبان بعد مانزلت هذه الآية انتزاع الغنائم من ايديهم وجعلها لله ورسوله يحكم مايشاء والمراد كراهة الطبع كالتى تلحق الصائم فى الصيف والمسافر فى سفر الحج اوالغزو ومع امتثال حكم الشرع طوعا ورغبة شبه الله تعالى رضاهم بكون قسمة الانفال مفوضة الى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها على ماكان يأمره الله تعالى به مع مافى طبعهم من الكراهة والاستثقال برضاهم بالخروج من المدينة لحرب الكفار كارهين لها (قوله تعالى كما اخرجك) اى كما امرك بالخروج ودعاك اليه فان جبريل عليه السلام اتاه وامره بالخروج وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا بالحق وهو اظهار دين الله وقهر اعداء الله (قوله النجاء النجاء) مصدر يقال نجوت نجاء اى اسرعت وسبقت والتقدير اسرعوا

ومسكنه اوبيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة يااهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مايرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجمع

اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت
قرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى ذفران فنزل عليه جبريل

لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث
ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه ﴿ ٢٧٥ ﴾ بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا
نصرته الا على عدو دهمهم
بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال لكأنك تريدنا يا رسول
الله فقال اجل قال قد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا ان
ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فوالذى بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله فنشطه قوله
ثم قال سيروا على بركة الله
ابشروا فان الله قد وعدنى
احدى الطائفتين والله
لكأنى انظر الى مصارع
القوم وقيل انه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من بدر قيل
له عليك بالعير فناداه العباس
وهو فى وثاقه لا يصلح
فقال له لم فقال لان الله
وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك فى الحق ﴾ فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه
﴿ بعدما تبين ﴾ انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾
اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا
رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين ﴾

امرضه ليعود لبعض ما قال فأتبع به وكان رجلا خفيفا حديد النظر اذ هو يسمع
صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع
انف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة
اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه لا أرى ان تدركوها الغوث الغوث
قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف
من اشراف قريش احد الا ابا لهب فتخلف وبعث مكانه واحدا فخرجوا سراعا وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فنزل جبريل وقال ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اى الفرقتين احداهما ابو سفيان مع العير والاخرى ابو جهل مع
النفير الى آخر القصة (قوله لو سرت الى عدن ابين) ذكره للغاية بعده لانه
نهاية اليمن وبعده البحر وفى المغرب ابين بالفتح اسم رجل من حمير نسب اليه
عدن لان ذلك الرجل عدن بها اى اقام بها (قوله لو استعرضت بنا هذا
البحر) اى لو طلبت منا ان نعبره عرضا وخص ذلك لانه اصعب من الطول والباء
تحتمل التعدية والمصاحبة والاخير انسب وفى الصحاح استعرض اى طلب
ان يعرض ما عنده من الامر اى لو طلبت من البحر عرض ما عنده من الامواج
والاهوال حال ركوبك فيه ونحن فى صحبتك لخضناه وما خفناه وهذا مجاز من القول وفيه
مبالغة (قوله فناداه العباس وهو فى وثاقه) اى فى قيده وكان قد خرج
مع المشركين فأسر مع جملة من اسر يوم بدر وكان قد اسلم قبل وقعة بدر الا انه كان
يكتم اسلامه عن قومه لانه كان له اموال متفرقة على الناس وفى القطبية انه كان
لم يؤمن بعد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كان الذى
اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بنى سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان
العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى اليسر كيف
اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده
هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم
(قوله لا يصلح) اى لا يصلح هذا الرأى وهو التوجه الى العير (قوله فكره
بعضهم قوله) الفاء فيه فاء التعجب والتفريع اى اذا تقرر ان القصة جرت

على ما ذكر فقد ظهر ان بعض الصحابة استثقلوا قول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل يريد بذلك
انه آثر تلقي النفير وجهاد اعداء الدين ليظهر الدين الحق على الاديان كلها
وقدتمت القصة فنقل مقالة العباس رضي الله تعالى عنه وهو مأسور مقيد ولما كان
المقصود من ايراد القصة بيان وجه قوله تعالى وان فريقا من المؤمنين لكارهون
وتبين من القصة ان كراهة ترك العير الى النفير انما صدر من بعض الصحابة رضي الله
تعالى عنهم لا من جميعهم لان كبار الصحابة الراسخين في متابعة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لايليق بشأنهم اظهار النفرة والكراهة عما ارشد عليه الصلاة والسلام
اياهم اليه وحرضهم عليه فرع على تمام القصة قوله فكره بعضهم ثم بين ان الحق
الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله تعالى وسلم هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي
العير وجدالهم هي قولهم كيف نقاتل ولم نتأهب للقتال وما كان خروجنا الا للعير
وهلا قلت لنا ونحن في المدينة لنستعد ونتأهب للحرب وقوله تعالى يجادلونك يحتمل
ان يكون حالا ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويحتمل ان يكون حالا
من الضمير في لكارهون اي لكارهون في حال مجادلتهم وبعد ما تبين منصوب
بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبينه ووضوحه والجدال في الحق بعد تبينه
اقبح من الجدال فيه قبل اتضاحه * ورجالة جمع راجل وهو خلاف الفارس
ويجمع ايضا على رجل مثل صاحب وصحب وعلى رجال كانت مجادلتهم مبنية
على كراهة القتال والخوف من غلبة العدو وشبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال
من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اي يشاهد اسباب الموت وموجباته
فقوله وهم ينظرون حال من المستكن في يساقون (قوله والشوكة الحدة)
اي السلاح الذي له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم فان الذي يشبه بواحدة
الشوك اي بالنبت الحديد الطرف هو السلاح المذكور لا نفس الحدة (قوله
اي يثبته ويعليه) فسر به قوله تعالى ان يحق الحق لان الحق حق لذاته والباطل باطل
لذاته وما يثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل فلما تعذر حمل الكلام
على حقيقته وجب ان يقال المراد بتحقيق الحق وابطال الباطل اظهار كون ذلك الحق
حقا واظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبينات وتارة يكون
بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فكأنه قيل انكم تريدون العير للفوز بالمال والله
تعالى يريد ان تتوجهوا الى النفير لما فيه من اعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين
فان قطع الدابر عبارة عن الاستئصال فقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق مذكور
في مقابلة قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم والمقصود من الآيتين تمييز
ما بين الارادتين فلا يكون قوله ليحق الحق تكريرا لما قبله وان تبادر الذهن الى كونه

(تكرارا)

على اضمار اذكر واحدى
الطائفتين ثاني مفعولي
يعدكم وقد ابدل منهما
(انها لكم) بدل الاشتمال
(وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم) يعني
العير فانه لم يكن فيها الا
اربعون فارسا ولذلك
يتمنونها ويكرهون
ملاقاة النفير لكثرة عددهم
وعددهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك
(ويريد الله ان يحق الحق)
ان يثبته ويعليه (بكلماته)
الموحى بها في هذه الحال
او باوامره للملائكة بالامداد
وقرئ بكلمته (ويقطع دابر
الكافرين) ويستأصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا
مالا ولا تلقوا مكروها والله
يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما يحصل لكم فوز
الدارين (ليحق الحق
ويبطل الباطل) اي فعل
ما فعل وليس بتكرير لان
الاول لبيان المراد وما بينه
وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى
حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها
(ولو كره المجرمون) ذلك
(اذ تستغيثون ربكم) بدل
من اذ يعدكم

تكرارا بناء على ان الحق هو الاسلام وان تحقيق الحق عبارة عن اظهار الاسلام واثباته فلا تكرار ولا انه تعالى يريد بجعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على بشارتي النفير ان يظهر الاسلام على الاديان كلها وعلل احق المذكور ثانيا باظهار الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحقه وهو تكرار لان جعل حكم علة الفعل في قوة ارادته منه فكأنه قيل اراد بحمله عليه الصلاة والسلام على ايثار ذات النفير ونصره ان يظهر دين الاسلام ويثبته فلاجل هذا الاظهار والاثبات فعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على ذلك ونصر المؤمنين وخذلان المشركين وهو تكرار بحسب الظاهر الا انه ليس تكرارا في الحقيقة لان المذكور اولا ليس الا بيان الفرق بين الارادتين ارادة الله تعالى اثبات الدين وارادتهم تحصيل الدنيا مع قطع النظر عن ان مراد الله تعالى هذا بأي فعل يراد وبأي طريق يتوصل اليه والمقصود بقوله ليحق الحق انه تعالى انما فعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على ايثار ذات النفير ونصر المؤمنين وخذلان المشركين الا لهذا الغرض الصحيح والحكمة الباهرة وهو اثبات الاسلام وابطال الكفر (قوله او متعلق بقوله ليحق الحق) اى ظرف منصوب به والمعنى ليحق الحق وقت استغاثتكم وفيه نظر لان قوله ليحق مستقبل لكونه منصوبا باضمار ان واذ ظرف لما مضى فكيف يعمل المستقبل في الماضي وان كان منصوبا باضمار ان يكون الكلام مستأنفا اى منقطعا عما قبله والاستغاثة طلب الغوث والنصر والعون وقيل الاستغاثة طلب الغوث وقت الحاجة وفي هذه الاستغاثة قولان الاول انها كانت من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والثانى انها كانت من جماعة المؤمنين لان خوفهم كان اشد من خوفه عليه الصلاة والسلام ويمكن الجمع بينهما بانه عليه السلام دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون على دعائه وروى انه لما اصطف القوم قال ابوجهل اللهم اولانا بالحق فانصره (قوله متبعين المؤمنين) على ان يكون اردفه وردفه بمعنى تبعه فان اردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى ردفه اى تبعه كذا في الصحاح ومتبوع الملائكة اما المؤمنون او بعض آخر منهم يقال تبعت القوم اذا مشيت خلفهم او مروا بك فمضيت معهم (قوله او متبعين) على ان تكون همزة اردف لتعدية ردفه الى مفعول ثان من قولك اردفته الشئ فردفه بمعنى اتبعته الشئ فتبعه اى جعلت الثانى يتبع الاول فتبعه فالملائكة يتبعون بعضهم بعضا او يتبعون انفسهم المؤمنين والحاصل ان اتبع بالتخفيف يتعدى الى مفعولين واتبع بالتشديد يتعدى الى واحد واردف قد جاء بمعناهما ومفعوله او مفعولاه محذوف لفهم المعنى فيقدر في كل موضع

او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر استغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم أني ممدكم) اى بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بألف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا

ما يليق به وان كان مردفين اسم مفعول من اردف المتعدى الى واحد يكون بمعنى متبعين بان كانوا مقدمة الجيش وان كان من اردف المتعدى الى اثنين يكون بمعنى متبعين بان جعلوا ساقة الجيش تابعين غيرهم (قوله وقرئ مردفين بكسر الرآء وضمها) اى وتشديد الدال (قوله واختلف فى مقاتلتهم) فقال قوم نزل جبريل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل فى خمسمائة ملك على الميسرة وفيها على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وقال آخرون لم يقاتلوا فى شئ من معارك القتال وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وذلك قوله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ولو نزلوا للقتال لكان الملك الواحد كافيا فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه الصلاة والسلام اهلك بريشة من جناحه مدآئن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ كفا من الحصباء فرمى المشركين بها وقال شاهت الوجوه اللهم أرعب قلوبهم وزلزل اقدامهم فانهزم اعدآء الله بدون شئ واخذ المسلمون يقتلون ويأسرون وروى عن على رضى الله عنه انه قال لما التقى الصفان جاءت ريح لم ار مثلها قط شدة ثم ذهب فجاءت اخرى مثلها ثم ثالثة فكانت الاولى جبريل عليه السلام فى ألف من الملائكة عليهم الصلاة والسلام فكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عليهم السلام فكانوا فى ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر رضى الله عنه فى الميمنة وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف منهم عليهم الصلاة والسلام ونزلوا فى ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا فى الميسرة ولما هزم الله تعالى اعدآءه جمعنا الغنائم وجعلناها ثلاثمائة وسبعة عشر سهما وكانت الرجالة ثلاثمائة وثلاثة عشر راجلا والفارس رجلان فاعطى للراجل منهم سهم وللفارس سهمان ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بالقليب ان يهور ثم امر بالقتلى فطرحوا كلهم فيه الا امية بن خلف فانه كان سمينا انتفخ من يومه وتزايل لحمه حين جروه فقال اتركوه ولما طرحوا فى القليب وقف عليهم وناداهم ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا اباجهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله أتنادى قوما قد ماتوا فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم

(وفى رواية)

وقرئ مردفين بكسر الرآء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الرآء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها (وما جعله الله) اى الامداد (الا بشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيه الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى

وفي رواية ما انتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون (قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس) وهو النوم الخفيف بفتح الياء وسكون الغين ورفع النعاس على الفاعلية وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين و نصب النعاس وقرأ الباقون يغشيكم النعاس بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين المكسورة ونصب النعاس والفاعل على القرآءتين الاخيرتين ضمير البارى والنعاس فيهما مفعول به واغشى وغشى لغتان بمعنى وانتصاب أمنة على انهما مفعول له للفعل السابق ولذا ورد ان يقال كيف جاز النصب هنا مع فوات شرطه وهو اتحاد الفاعل لان التغشية والاغشاء فعل الله تعالى والامنة فعل المخاطبين اشار الى جوابه بان الفاعل متحد فى المعنى لان معنى الآية انتعسون امنة والامنة فعل الناعس وان كان امنة مصدر امنه ضد خوفه فالامر واضح لان فاعل التغشية والاغشاء والامان كلها هو الله تعالى الا ان كون امنة مصدر أمنه لاتساعده الاوضاع اللغوية المتعارفة والتوجيه الاول جائز فى جميع القرآءات الثلاث والتوجيه الثانى مختص بالقرآءتين الاوليين وهنا توجيه ثالث مختص بقرآءة ابن كثير لان كون النعاس فاعلا انما هو فى قرآءته وهو ان يجعل الامنة فعل النعاس على الاسناد المجازى حيث اسند فعل الناعس الى نعاسه لملابسة بينهما كما ان الغشيان فعل النعاس فيتحد الفاعل ويحتمل ان يكون اسناد الامنة الى النعاس تخييلا للاستعارة بالكناية بأن يشبه النعاس بشخص من شأنه ان يغشى القوم حال امنة ولايغشاهم حال خوفه الا انه لما حصل له من الله تعالى الامن من الكفار غشى القوم وأنامهم والامنة لما كانت من توابع المشبه به كان اثباتها للنعاس تخييلا وقرينة للاستعارة المكنية التى هى ماذكر من التشبيه المضمر فيكون الكلام تمثيلا وتخييلا للمقصود بابراز المعقول فى صورة المحسوس ونظير هذا التمثيل والتخييل قول من قال

يهاب النوم ان يغشى عيونا ❊ تهابك وهو نفار شرود

يعنى ان النوم يهاب ان يغشى عيون اعدآئك ومخالفيك وانهم لاينامون من خوفك وقوله تهابك صفة عيونا ونفار مبالغة نافر وشرود فعول بمعنى فاعل من شرد البعير اذا نفر وفى البيت مبالغة حسنة (قوله وقرئ امنة) بسكون الميم كرحمة كما قرئ امنة بفتح الميم مثل حى حياة اصله حيية قلبت الياء الثانية ألفا فان قيل كل نوم ونعاس فانه لايحصل الامن قبل الله تعالى فتخصيص هذا النعاس بأنه من الله لابد فيه من فائدة فما هى اجيب بان الفائدة فيه الاشارة الى تفخيم هذا النعاس واحتوآئه على مالا يوجد فى سائر آحاد جنسه وذلك من وجوه احدها ان الخائف اذا خاف العدو خوفا شديدا على نفسه واهله

وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع (امنة منه) أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل فاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى وان تجعل على القرآءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه اولانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا ❊ تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهى لغة (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به)

من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى الجنابة لانها من تخيله أووسوسته

وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر فسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) اى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة (اذ يوحى ربك) بدل ثالث او متعلق بيثبت (الى الملائكة انى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم (من الكفار)

لايأخذه النوم فصار حصول النوم لهم فى وقت الخوف الشديد دليلا على انه تعالى ازال عنهم الخوف وانعم عليهم بالأمن وطمأنينة القلب كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال النعاس فى القتال امنة من الله تعالى وفى الصلاة وسوسة من الشيطان وثانيها انه لولا حضور هذا النعاس وحصول الاستراحة حتى تمكنوا فى اليوم الثانى من القتال لما تم الظفر وثالثها انهم ماناموا نوما غرقا بحيث يتمكن العدو من معافصتهم واخذهم على غرة بل كان ذلك نعاسا فحصل لهم زوال الكلال والاعياء مع انهم كانوا بحيث لوقصدهم العدو لعرفوا وصوله ولقدروا على دفعه ورابعها ان هذا النعاس غشيهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع العظيم فى الخوف الشديد امر خارق للعادة فلهذا قيل ان ذلك النعاس فى حكم المعجز (قوله من الحدث والجنابة) فان الطهارة منهما هى الطهارة الشرعية وحمل الطهارة الواقعة فى كلام الشارع عليها اولى من حملها على طهارة القلب من وساوس الشيطان واصل الرجز الايذاء والتعذيب ولما كانت الجنابة تحدث من تخييل الشيطان اضيفت الى الشيطان وسميت رجزا (قوله اووسوسته) منصوب بالعطف على الجنابة والاعفر بالعين المهملة الرمل الاحمر (قوله تسوخ) اى تدخل وتغيب (قوله تعالى وليربط على قلوبكم) الربط الشد يقال لكل من صبر على امر ربطه على قلبه اى قواه وشدده وازال اضطرابه وارتيابه وعدى بعلى للايذان بان قوة قلوبهم بلغت فى الكمال الى ان صارت مستولية على القلوب حتى صارت كأنها علت عليها وارتفعت فوقها وفى الوسيط على صلة والمعنى ليربط قلوبكم بما انزل من الماء فتثبت ولاتضطرب بوسوسة الشيطان (قوله وهو مفعول يوحى) يعنى قوله انى معكم بفتح همزة انى مفعول يوحى اى يوحى ربك كونه تعالى معهم فى اعانتهم وتثبيتهم ذكر المصنف فى كيفية هذا التثبيت ثلاثة اوجه الاول ان الملائكة يثبتونهم بالبشارة اما بان عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ناصر المؤمنين والرسول عرف المؤمنين تلك البشارة ويحتمل ان يكون طريق بشارتهم ان يلهموا قلوب المؤمنين بنصرة الله تعالى اياهم فكما ان الشيطان يمكنه القاء الوسوسة الى الانسان فكذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام يمكنهم القاء الالهام الى المؤمنين ويحتمل ان يتمثل الملائكة بصور الرجال من معارفهم ويعدوهم النصر والفتح والظفر كما يكون تكثير السواد بذلك وفسر قوله تعالى انى معكم بمعيتهم فى تثبيت المؤمنين اشارة الى ان ليس المعنى بقوله انى معكم ازالة الخوف كما يتوهم ذلك من ظاهر العبارة كما فى قوله تعالى لاتخف ولاتحزن ان الله معنا وهذا المعنى لايصح هنا لان الملائكة ماكانوا خائفين

ذكر وقوله (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التي هي المذابح او الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل (بأنهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب

من الكافرين (قوله فيكون قوله سألقي كالتفسير) متفرع على ما ذكره في تفسير
قوله تعالى اني معكم فثبتوا فانه لما فسره بانه تعالى مخاطب للملائكة بأني معكم
في اعانة المؤمنين وتثبيتهم كأنه تعالى امر الملائكة بتثبيت المؤمنين كان قوله تعالى
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله اني معكم فانه لما بين ان قوله
اني معكم معناه الاعانة والامداد فالاعانة الاعظم من القاء الرعب في قلوب الاعداء وذلك لان القلب
هو الحاكم في البدن واميره وقدم انه تعالى ربط قلوب المؤمنين بمعنى انه قواها
وازال الخوف عنها ذكر ههنا انه اعان المؤمنين بأن القى الرعب والخوف في قلوب
الكافرين فكان تقوية قلوب انفسهم وتخويف قلوب اعدائهم من اعظم نعم
الله تعالى عليهم فظهر ان قوله سألقي في قلوب كالتفسير لقوله اني معكم وقوله فاضربوا
فوق الاعناق كالتفسير لقوله فثبتوا الذين آمنوا اذ التثبيت أقوى من ضرب اعناق
الاعادي فصار الجملة الخبرية بالخبرية والانشائية بالانشائية فلذلك لم يعطف قوله
سألقي على ما قبله (قوله وفيه دليل على انهم قاتلوا) اي في قوله تعالى للملائكة
اني معكم فثبتوا المؤمنين دليل على ذلك لان اعانة المقاتلين انما تكون بمشاركة
معهم في القتال (قوله ومن منع ذلك) اي من منع مقاتلة الملائكة يوم بدر جعل
الخطاب في قوله اني معكم للمؤمنين ليكون له معنى مغاير لمعنى قوله سألقي وقيل المراد
انه تعالى اوحى الى الملائكة اني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم ورد هذا المعنى
بأن اني مع فلان انما يقال اذا كان الفلان خائفا ويقصد به ازالة خوفه
والملائكة ما كانوا يخافون الكفار حتى يقال لهم اني معكم ازالة لخوفهم وانما
الخائف منهم هم المسلمون فينبغي ان يكون الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير
الخطاب بان انتقل من خطاب الملائكة الى خطاب المؤمنين بناء على انه لا غائب
بالنسبة اليه تعالى فيخاطب من يشاء من خلقه واما على ان يكون قوله تعالى سألقي
تلقينا من الله تعالى للملائكة ان يقولوا للمؤمنين تثبيتا لهم في المعركة ان الله تعالى
قال لهم سألقي الخ واما على ان يكون الخطاب في قوله اني معكم للملائكة ولا يكون
سألقي تفسيرا له بل يكون تفسيرا لقوله فثبتوا وعلى هذا يكون الخطاب في قوله
فاضربوا للمؤمنين صادرا من الملائكة حكاه الله تعالى لنا ويكون فصل قوله
سألقي عما قبله مبنيا على كونه تفسيرا للتثبيت وبيانا لطريقه (قوله من العدوة)
العدوة جانب الوادي وناحيته وخصم كل شيء جانبه وناحيته كذا في الصحاح
واتفق القراء على فك الادغام في قوله تعالى ومن يشاقق الله لانه كتب
في المصاحف بقافين مفكوكتين والادغام في مثله لغة تميم والفك لغة الحجاز وشاقوا
الله مجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودينه قال صاحب الكشاف سئلت في الشام
عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كالمخاصمة والمشاقة

ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم
فى الدنيا (ذلكم) الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة
الالتفات ومحله الرفع اى
الامر ذلكم اوذلكم واقع
اونصب بفعل دل عليه
(فذوقوه) اوغيره مثل
باشروا اوعليكم لتكون الفاء
عاطفة (وان للكافرين
عذاب النار) عطف على
ذلكم اونصب على المفعول
معه والمعنى ذوقوا ماعجل
لكم مع مااجل لكم فى الآخرة
ووضع الظاهر فيه موضع
الضمير للدلالة على ان الكفر
سبب العذاب الآجل اوالجمع
بينهما وقرئ وان بالكسر على
الاستئناف (يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا) كثيرا بحيث يرى
لكثرتهم كانهم يزحفون وهو
مصدر زحف الصبى اذا
دب على مقعده قليلا قليلا
سمى به وجمع على زحوف
وانتصابه على الحال (فلا
تولوهم الادبار) بالانهزام
فضلا عن ان يكونوا مثلكم
اواقل منكم والاظهر انها
محكمة لكنها مخصوصة
بقوله حرض المؤمنين الآية
ويجوز ان ينتصب زحفا على
الحال من الفاعل والمفعول
اى اذا لقيتموهم متزاحفين
يدبون اليكم وتدبون اليهم
فلا تنهزموا اومن الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حتى تولوا وهم اثنا عشر الفا
(ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (او متحيزا الى فئة)

لان هذا فى خصم اى فى جانب وذاك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق (قوله تقرير) اى للعذاب المعجل المسبب للمشاقة وقوله او وعيد فان قوله شديد العقاب يدل على ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل بالنسبة الى ما اعد لهم من عقاب يوم القيامة (قوله عطف على ذلكم) فان كان ذلكم خبر مبتدأ محذوف يكون ما عطف عليه ايضا كذلك والتقدير الامر والعقاب ذلكم والحتم المقضى به والواجب ان للكافرين عذاب النار وان كان المعطوف عليه مبتدأ حذف خبره يكون المعطوف كذلك والتقدير ذلكم واقع واستقرار عذاب النار للكافرين حتم ومقرر (قوله كثيرا) مبنى على ان زحفا اسم للجم الكثير وانه حال من المفعول فقط ثم عطف عليه قوله ويجوز كونه حالا من الفاعل والمفعول معا ومن الفاعل وحده يقال زحف يزحف زحفا من باب فتح يفتح اى مشى اليه رويدا قليلا قليلا والحال لما كان فى المعنى خبرا عن ذى الحال وجب ان يصح حملها عليه واسم المعنى لا يصح حمله على اسم الذات وجب ان يجعل زحفا اسما بمعنى الجماعة الذين يزحفون الى عدوهم وسمى الجيش الكثير بالمصدر وان يجمع على زحوف نحو قلب وقلوب وبحر وبحور (قوله والاظهر انها محكمة) يعنى ان الآية حاكمة بانه اذا وقع التقاء المؤمنين مع الكفار فى حيز المزاحفة وهو اذا سويت الصفوف وزحف بعضهم الى بعض اى سار سيرا قليلا بدنو به كل فريق الى صاحبه قليلا قليلا يحرم على المؤمنين ان يجعلوا ادبارهم تلى الكفار بأن يحولوا وجوههم عن عدوهم وهو كناية عن الانهزام وروى عن عطاء انها منسوخة بقوله تعالى فى آخر هذه السورة يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين بناء على ان من انكر المعاد وظن ان السعادة فى هذه الحياة الدنيا تبقى بها ولايعرضها الزوال بخلاف من اعتقد ان السعادة لاتحصل إلا فى الدار الآخرة فانه لايبالى بهذه الحياة الدنيا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقاوم الواحد الجمع الكثير ممن انكر ذلك فاوجب الله تعالى اولا على الواحد ان يقاوم العشرة والثبات لهم ثم خفف واوجب على الواحد ان يقاوم الاثنين فليس لقوم ان يفروا من مثليهم وكان لهم ان يفروا من ثلاثة امثالهم فالآية التى نحن فيها دلت على ان الانهزام من العدو حرام الا فى حالتين احداهما الانحراف للقتال والاخرى الانضمام الى فئة وجمع من المسلمين ليستعين بهم ويعود الى

القتال من غير فرق بين ان يكون عدد الكفار مثلي عدد المسلمين والآية التي
في آخر السورة نسخت حكم هذه الآية فيما اذا كان عدد الكفار اكثر من مثلي
عدد المسلمين وقال المصنف الظاهر ان هذه الآية غير منسوخة لكنها
مخصوصة وانما تكون منسوخة لو صرح فيها بحرمة الانهزام على تقدير
كون عدد الكفار اكثر من عشرة امثال عدد المسلمين (قوله او متحيزا) اى
منضما يقال حاز الشيء اذا ضمه لنفسه وتحيزت الحية اذا تلوت وانحاز عنه اى
عدل وانحاز القوم اى تركوا مركزهم الى آخر ويقال تحرف وتحرف وانحرف اذا مال
الى جانب آخر وتحاوز الفريقان في الحرب اى انحاز كل فريق عن الآخر
وعكر يعكر عكرا اى عطف عطفا والعكارون الراجعون الكرارون والعكرة الكرة والعكر
اى حمل (قوله والا لغو) لا يريد بقوله الا لغو انها زائدة بل المراد ان متحرفا
ومتحيزا على تقدير كونهما حالين يكون الا لغوا من حيث العمل فيما بعدها
ويستوي وجودها وعدمها في حق اعراب ما بعدها بخلاف ما اذا
كانا منصوبين على الاستثناء فان الا حينئذ تكون عاملة او مشتركة اما عاملا
او واسطة في العمل وعلى تقدير الحالية يكون في الحقيقة استثناء مفرغا من حال
محذوفة فيعرب على حسب العامل فلا يكون لكلمة الا مدخل في العمل فيه
والتقدير ومن يولهم ملتبسا باي حال الا في حال كذا وان جعل الاستثناء من
المولين الذين تضمنهم كلمة من يكون المعنى ومن يولهم فقد باء بغضب الا رجلا
متحرفا او متحيزا ووزنه متحيز متفيعل اصله متحيوز من تحيوز قلبت الواو ياء
فادغمت ولو كانت وزنه متفعلا لقيل الا متحوزا لانه بني من حاز يحوز حوزا وهو
واوي ويقال في بناء التفعل منه تحوز يتحوز تحوزا فلما قيل متحيزا علم انه من تفيعل
لا من تفعل (قوله هذا اذا لم يزد) يعني ان هذا الوعيد وهو قوله تعالى
فقد باء بغضب من الله الآية وان كان بحسب الظاهر متناولا لكل من يولي دبره
يوم ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين لانهم
اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا ويولوا ظهورهم الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم
وينحازوا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنه من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر
من اثنين فقد فر اى ارتكب المحرم وهو كبيرة لان الفرار من الزحف كبيرة وقيل
هذه الآية مخصوصة باهل بدر الحاضرين معه عليه الصلاة والسلام في الحرب
اذ ليس لهم فئة يتحازون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم فليس لاحد منهم
ان يتحاز الى من لا يتقوى به فيكون انحيازه فرارا من الزحف كبيرة بخلاف من عداهم
من المسلمين فان عجز عن مقاومة الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على

ومتحيزا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب يستنجد بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه

لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك
ما وعدتنى فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا واردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا
على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط ﴿٢٨٤﴾ محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم
(وما رميت) يا محمد رميا
توصلها الى اعينهم ولم تقدر
عليه (اذ رميت) اى اتيت
بصورة الرمى (ولكن الله
رمى) اتى بما هو غاية الرمى
فأوصلها الى اعينهم
جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم
وقد عرفت ان اللفظ
يطلق على المسمى وعلى
ما هو كماله والمقصود
منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء
ولكن الله رمى بالرعب
فى قلوبهم وقيل انه نزل
فى طعنة طعن بها ابى بن
خلف يوم احد ولم يخرج
منه دم فجعل يخور حتى
مات اورمية سهم رماه
يوم خيبر نحو الحصن
فأصاب ابن ابى الحقيق
على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائى ولكن
بالتخفيف ورفع ما بعده
فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة (محذوفة)
ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء
الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف
عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد

ظنه انه ان ثبت قتل من غير فائدة وان تحيز الى جمع كان راجيا للخلاص وطامعا
فى مقاومة العدو بسبب كثرة الفئة وقوتهم لا يكون فراره كبيرة مستوجبة لهذا
الوعيد وقال بعض المفسرين ان هذا الوعيد مختص بمن انهزم يوم بدر اذ ليس
لهم ان ينحازوا لانه لم يكن يومئذ فى الارض فئة للمسلمين واما بعد ذلك فان المسلمين
بعضهم فئة لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم فى حق بعض المنهزمين انتم العكارون
وانا فئتكم وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر رضى الله تعالى
عنهما فقال لو انحاز الى لكنت له فئة (قوله لما طلعت قريش من العقنقل)
وهو الكثيب الذى جاؤا منه الى الوادى (قوله فجعل يخور) اى يضعف
وينكسر حتى مات يقال خار الحر يخور خورا ضعف وانكسر قال الامام قيل
ان الآية نزلت فى يوم احد فى قتل ابى بن خلف وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه
وسلم بعظم رميم وقال يا محمد من يحيى هذا وهو رميم فقال عليه الصلاة والسلام
يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار فأسر يوم بدر فلما افتدى قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندى فرسا اعتلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال عليه الصلاة والسلام بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم
احد أقبل ابى على ذلك الفرس حتى دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فاعترض
له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال عليه الصلاة والسلام تأخروا ورماه بحربة فكسر
ضلعا من اضلاعه فحمل فمات ببعض الطريق ففى ذلك نزلت الآية وقيل انها
نزلت يوم خيبر وذلك انه عليه الصلاة والسلام اخذ قوسا وهو على باب خيبر
فرمى سهما وصل السهم حتى قتل ابن ابى الحقيق وهو على فراشه فأنزل الله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والاصح انها نزلت فى يوم بدر والا تداخل
فى اثناء القصة كلام اجنبى عنها (قوله ولينعم عليهم) اشارة الى ان البلاء
ههنا محمول على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة
لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى
اظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم واللام فى قوله تعالى وليبلى متعلقة
بمحذوف اى وليبلى فعل ذلك او متعلقة بما قبلها بأن يكون معطوفا على علة

وحفص موهن كيد بالإضافة والتخفيف (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين (وإن تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وإن تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغني) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا) من الإغناء أو المضار (ولو كثرت) فئتكم (وأن الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما آثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة (وأنتم تسمعون) القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا (إن شر الدواب عند الله) شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لا يعقلون) إياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات (لأسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم

محذوفة أي ولكن الله رمى بقهر الكفار [illegible]
بمعنى المصدر أي البلاء [illegible] (قوله وفي قراءة موهن كيد)
بجر كيد بإضافة موهن إليه وتخفيف الهاء فتحصل ثلاث قراءات [illegible]
كلهم الا أن أهل الحرمين وأبا عمرو ثم قرأ الذين يقرؤون موهن بفتح الواو
وتشديد الهاء والباقون من أصحاب التنوين يقرؤون موهن بإسكان الواو وتخفيف
الهاء (قوله خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم) أي إن تستنصروا لأهدى
الفئتين وأكرم الحزبين فقد جاءكم النصر (قوله ويؤيد ذلك الخ) فإن نداء
المؤمنين وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله يدل على أن الخطاب السابق لهم
(قوله والأمر) أي لا تعرضوا عن هذا الأمر واجتهدوا في امتثاله ومالكم
رعاية طاعة الله وطاعة رسوله في جميع ما فعلتم وتركتم (قوله كالكفرة)
فإنهم يقولون سمعنا وعصينا لأنهم يجاهرون بالكفر والتكذيب والمنافقون
يدعون السماع والقبول بألسنتهم ويبطنون الكفر والتكذيب في قلوبهم
(قوله شر ما يدب) أي يمشي على الأرض على أن يحمل لفظ الدابة على
معناها اللغوي وقوله أو شر البهائم على أن يحمل على معناها العرفي [illegible]
نقلوه من الوصفية وجعلوه اسما للبهائم على إرادة معناه عند أهل العرف
العام وجمع الصم مع أنه خبر شر حملا على المعنى لأنه يراد به الكثرة (قوله
سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات) الأول عبارة عن السعادة الروحانية
والمثوبات الأخروية والثاني عبارة عن التنبيه بالحجج والمواعظ والتوصل بها
إلى الإيمان واليقين والهدى لو حصل واستقر فيهم خير لأسمعهم الله الحجج
والمواعظ سماع فهم وقبول وطاعة أي استعداد لقبول الكمال واستعداد
بثمرته ولو أسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا لما كان أفهامهم
أثر وهو متابعة الحجج والعمل بمقتضاها بل تركوا سريعا لكون ذلك الفهم فيهم
أمرا عارضا سريع الزوال غير مناسب لذواتهم وهم معرضون بالذات فلا
يثبت فيهم الفهم كما قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه خذ الحكمة ولو من أهل
النفاق فإن الحكمة تختلج في صدر المنافق حتى تسكن إلى صواحبها في صدور

وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك

المؤمنين اى لاتثبت فى صدره لكونها عارضية هناك لاتناسب ذاته عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله بوجوده اذهو من لوازم عدمه فى نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم لكونه ابلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفى لازم الشئ نفى لنفس ذلك الشئ فيكون ابلغ بالنسبة الى نفى نفس ذلك الشئ وفى الآية اشكال من حيث ان النحويين يقولون كلمة لووضعت للدلالة على انتفاء الشئ لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لوجئتنى لاكرمتك افادانه ماحصل المجئ وماحصل الاكرام فعلى هذا يكون قوله تعالى ولوعلم الله فيهم خيرالاسمعهم بمعنى ماعلم الله فيهم خيراوما اسمعهم ويكون قوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا بمعنى انه تعالى مااسمعهم وانهم ماتولوا ومعلوم ان عدم التولى خيرمن الخيرات فيكون آخر الكلام مناقضا لاوله لان اوله يقتضى نفى الخير عنهم وآخره يقتضى حصوله فيهم واجيب بأن كلمة لوفى الآية لمجرد الشرط وبيان الاستلزام مع قطع النظر عن الغير كما فى قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه فان لفظة لوفيه لو افادت ماذكره النحاة لكان المعنى انه خاف الله تعالى وعصاه وذلك تناقض فثبت انها لاتفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره وانما تفيد مجرد الاستلزام ثم انه اذا لم يعص عندعدم الخوف فبالاولى ان لايعصى عندالخوف وكذا لوالثانية فى الآية فانه اذا تولى عندالاسماع والتفهيم فعند عدمه اولى وهذا جواب حسن الاانه يخالف قول الجمهور واجيب ايضا بانا لانسلم ان عدم التولى لعدم الاسماع خير وانما الخير ان يسمعوا ويحصل منهم التصديق والقبول لاالاعراض والنفور لانه لما حكم الله تعالى عليهم بالتولى عن الدلائل وبالاعراض عن الحق وانهم لايقبلونه البتة وجب ان يكون صدور الايمان عنهم محالا لان صدوره عنهم يقتضى ان ينقلب خبرالله كذبا وانه محال (قوله وقيل) اى قيل ليس المعنى ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم الدلائل والمواعظ سماع فهم وقبول بل المعنى لاسمعهم كلام قصى بن كلاب بأن يحييه ويمكنه من ان يخبرهم بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وانه تعالى لواسمعهم كلامه لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه (قوله تعالى استجيبوا لله) اى اجيبوا الله تعالى ورسوله بالطاعة كما فى قوله

وداع دعايا من يجيب الى الندا ❊ فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(قوله واختلف فيه) اى فى جواز قطع الصلاة لاجابة الداعى فقيل انه مختص باستجابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولايجوز قطع الصلاة لاجابة غيره وقيل انه لايختص به عليه الصلاة والسلام بل يجوز لكل مصل ان يقطع صلاته لامر لايحتمل التأخير كانجاء الغريق مثلا (قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال صاحب الكشاف فى تفسيره يعنى ان الله تعالى يميته فتفوته الفرصة

وتؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روى انه عليه السلام مر على ابى سعيد الخدرى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال ألم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لاتعجبن الجهول حلته ❊ فذاك ميت وثوبه كفن

اولما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال اومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذلوتركوه لغلبهم العدو وقتلهم اوالشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها اوحث على المبادرة الى

اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول ﴿٢٨٧﴾ الله بينه وبين قلبه بالموت اوغيره او تصوير وتخييل لتمكنه

على العبد قلبه فيفسخ
عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفران
اراد سعادته وبينه وبين
الايمان ان قضى شقاوته
وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجرائه
الوصل مجرى الوقف على
لغة من يشدد فيه (وانه اليه
تحشرون) فيجازيكم
باعمالكم (واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة) اتقوا ذنبا
يعمكم اثره كاقرار المنكر بين
اظهركم والمداهنة
في الامر بالمعروف وافتراق
الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على
ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم
خاصة بل تعمكم وفيه
ان جواب الشرط متردد
فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي
ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي
وفيه شذوذ لان النون
لا تدخل المنفي في غير القسم
او للنهي على ارادة القول
كقوله حتى اذا جن

الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى

التي هو واجدها وهي فرصة التمكن من اخلاص القلب ومصادفة ادوائه وعلله
ورده سليما كما يريده الله تعالى فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله
ورسوله ثم قال والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين
الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال المحقق التفتازاني رحمه الله
تعالى ماذكره من قوله انه يميته هو تأويل المعتزلة وعند اهل السنة انه تعالى
يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لا يريد ايمانه حال بينه وبين
قلبه كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله كفره وبالجملة فسعيد
من اسعده الله والشقي من اشقاه الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء وهذا منقول
عن ابن عباس والضحاك رضي الله تعالى عنهم فلا يكون قول الظالمين بل هو قول
الجاهلين انتهى كلامه (قوله اتقوا ذنبا يعمكم اثره) اي شؤمه ووباله فسر
الفتنة بالذنب فيكون المراد باصابة الذنب اصابة اثره الذي هو شؤم الذنب
ووباله فما ذكر من اقرار المنكر وافتراق كلمة الامة في امر الدين ونحوهما ذنوب
لا يختص وبالها بالمجرمين بل يعمهم وغيرهم وذكر في قوله لا تصيبن وجوها الاول
ان يكون مجزوما جوابا للامر فتكون لا نافية والثاني ان يكون منصوبا على انه
صفة فتنة ولا للنفي او يكون مجزوما بلا الناهية واقعا صفة فتنة بتقدير القول لان
الجملة الطلبية لا تقع صفة الا بتقدير القول كأنه قيل اتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن كما وصف المذق بقوله هل رأيت والمذق اللبن المخلوط بالماء ويقال له
السمار بفتح السين وفي الصحاح السمار اللبن المخلوط وتسميته رقيقة بالماء والمذق
سمار فيه لون الزرقة التي هي لون الذئب والثالث ان يكون جواب قسم محذوف
وان اختلفا في المعنى ضرورة ان النفي يخالف الاثبات والرابع ان يكون نهيا بعد
امر اي نهيا يؤكد الامر والحاصل ان لا تصيبن اما نفي او نهي والنفي اما جواب
الامر اوصفة والنهي اما تأكيد اوصفة بتقدير القول وظاهر الآية يقتضي
ان يكون نفيا واقعا صفة فتنة اذ المعنى الذي يتبادر الى الفهم اتقوا فتنة لا تختص
اصابتها بالمجرمين بل تشملهم وغيرهم ثم لما كان جواب الشرط مقدر اذ كان
المعنى على تقدير كونه جوابا الامر ولما كان جواب الشرط مترددا فيه فلا يليق
به التأكيد اجاب عنه بان فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك
نفي في معنى النهي فلذلك جاز تأكيده بالنون وعلى هذا المقدر من جنس الامر
اذ لا معنى لجواب الامر الا ما المطلوب من الامر سبب له فيكون الشرط هو
المطلوب من الامر فاذا قيل اكرمني تكن كذا فتكن كذا انما يكون جوابا الامر
فلزم مما ذكرنا ان يكون التقدير ان تتقوا لا تصيبن الظالمين خاصة بل تعمهم وغيرهم
اصابتها وهو فاسد لان اصابتها كيف تعم على تقدير الاتقاء واجيب عنه بانه على

رأي الكوفيين حيث يقدرون ما يناسب الكلام ولا يلتزمون ان يكون المقدر من جنس الملفوظ فيقدرون في مثل لا تدن من الاسد يأكلك الاثبات اى ان تدن يأكلك وفي مثل اتقوا الفتنة لاتصيبنكم العقوبة اى ان لم تتقوا يصبكم وغيركم وبالها والمصنف قدر شرطا يستقيم به المعنى لامضمون الامر ولا نقيضه فلا يتبين به كون المذكور جواب الامر لعدم كونه مسببا عن الامر فقيل ان مراده ان التقدير ان تتقوا لاتصبكم وان اصابتكم لاتصب الظالمين فقط بل عمتكم فاقيم جواب الشرط المقدر الذي هو مضمون الامر مقامه لتسببه عنه وانت خبير بان عموم اصابة الفتنة ليس مسببا عن عدم الاصابة ولا عن الامر فالظاهر ان يقدر نقيض مضمون الامر اى ان لم تتقوا تصبكم وغيركم فان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم فيكون عموم الاصابة لازما لازم عدم الاتقاء الذي هو مضمون الانتفاء فلهذا جاز ان يجعل جواب الامر وقيل مراده ان التقدير ان لم تتقوا اصابتكم على ماهو مذهب الكسائي وان اصابتكم لاتخص الظالمين وانت خبير بانه لاحاجة الى اعتبار الواسطة بل يكفى ان لم تتقوا لاتصيب الظالمين خاصة (قوله ويحتمل ان يكون نهيا) اى للمخاطبين عن التعرض للظلم بعد امرهم باتقاء الذنب فان ظاهر النهى وان كان للفتنة الا ان المراد نهى القوم عن التعرض للظلم على معنى اتقوا فتنة يقال في حقها لاتتعرضوا للظلم فتصيبكم هى او اثرها ووبالها ان اريد بالفتنة الذنب وعلى تقدير ان يراد بالفتنة العذاب فقوله لاتصيبن سواء جعل نهيا مؤكدا للامر او نهيا واقعا صفة لفتنة ظاهره ان يكون نهيا للفتنة ومعلوم انه ليس المراد ذلك بل هو نهى للمخاطبين ثم انه ليس نهيا لهم عن اصابة الفتنة اياهم لان اصابة الفتنة فعل غيرهم ولا ينهى احد عن فعل غيره بل هو نهى لهم عن سبب اصابة الفتنة اياهم وهو الظلم فالمعنى على تقدير كونه نهيا واردا بعد الامر لتأكيده لاتتعرضوا معاشر المؤمنين للظلم فانه سبب لاصابة الفتنة التى هى اثر الظلم ووباله فتصيب الفتنة الظالمين الذين هم انتم خاصة بناء على ظلمكم وانما اصابتهم على ظلمهم خاصة دون سائر الناس ثم جعل النهى للفتنة للمبالغة واقيم الذين ظلموا مقام ضميرهم تنبيها على ان سبب اصابة الفتنة اياهم هو ظلمهم ثم بين الظالمين بقوله منكم للدلالة على ان ظلمهم لخصوصية ليست لظلم غيرهم ثم اكد تلك الخصوصية بقوله خاصة وهذا الذي ذكرناه توضيح لقوله وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم اى وفائدة كون لاتصيبن نهيا مستقلا واردا بعد الامر وكذا اذا جعلته نهيا صفة لفتنة يكون المعنى ذلك بعينه لكن على تقدير القول كما مر (قوله ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخير ين للتبيين) هكذا ذكر في اكثر النسخ والظاهر ان المراد

ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم (واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض) ارض مكة يستضعفكم قريش

والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم (تخافون ان يتخطفكم الناس) الكفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم (فآواكم) الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعاديكم (وايدكم بنصره) على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا ايها الذين آمنوا ﴿ ٢٨٣ ﴾ لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روى انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء بارض الشام فأبى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو (وانتم تعلمون) انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة)

بالوجوه الاول الوجوه التي يكون لا في لاتصيبن فيها ناهية وهي ان تكون جواب الامر وجواب القسم محذوف او صفة لفتنة وبالوجهين الاخيرين ان يكون لاتصيبن نهيا بعد امر او نهيا صفة فتنة وجعلهما اخيرين بطريق التغليب وكذا جعل الوجوه الباقية اول بذلك الطريق ايضا والا فالوجهان الاخيران حقيقة هما كونه جواب قسم محذوف ونهيا بعد امر والجملة القسمية صفة لفتنة فلا يكون لاتصيبن نهيا بل يكون نفيا ومن في الذي تبعيضية لان النهي لا يختص بالظالمين وغير الظالم هو البعض الآخر من جملة المخاطبين واما في النهي فبيانية لانه قد مر انه على تقدير كونها ناهية تكون لاتصيبن نهيا للمخاطبين عن الظلم الذي هو سبب الفتنة وقد عبر عن المخاطبين باعتبار الظلم بالذين ظلموا فيكون منكم بيانا للذين ظلموا وفي بعض النسخ ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين فيكون المراد بالوجه الاول ان تكون جوابا للامر وبالاخيرين ان يكون نفيا او نهيا بعد امر فيكون عدم التعرض لمن على تقدير كون لاتصيبن نفيا صفة وكونه جواب قسم مبنيا على كونه معلوما بالمقايسة (قوله والخطاب للمهاجرين) لقوله فآواكم لما امرهم الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ثم امرهم بالاتقاء عن المعصية ذكر بعد ما يوجب عليهم الطاعة وترك المعصية والمخالفة وذلك انهم كانوا في اول امرهم قليلين في العدد وكانوا بحيث يستضعفهم غيرهم حتى كانوا يخافون ان خرجوا من مكة ان يسلبهم الناس فقواهم الله تعالى بان جعل لهم مأوى يرجعون اليه وهو المدينة دار الهجرة والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة ليفعل الآخذ في المأخوذ ما شاء من القتل والاسر (قوله بتعطيل الفرائض والسنن) فانها اعمال ائتمن الله تعالى عليها العباد ليحفظوا على ادائها في اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها (قوله فاشار الى حلقه انه الذبح) اي ان حكم سعد الذبح والقتل والاشارة الى حلقه اشارة الى ان نزولكم على حكم سعد بمنزلة قتلكم وهذا منه خيانة لله ولرسوله (قوله او منصوب) اي باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهي اي لا تجمعوا بين الخيانتين كقوله

لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبى لبابة
(وان الله عنده اجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم ﴿٢٩٠﴾ فأنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه

(يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح (لا يقدر)

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ❊ عار عليك اذا فعلت عظيم

والجزم اولى لان فيه النهى عن كل واحد على حدته بخلاف النصب فانه نهى عن الجمع بينهما والنهى عن الجمع بين الشيئين لا يستلزم النهى عن كل واحد منهما على حدة (قوله لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى) يعنى ان الفتنة قد تطلق بمعنى الآفة والبلاء وقد تطلق على معنى الابتلاء والامتحان فالله تعالى جعل الاموال والاولاد فتنة بالمعنى الاول لكونها اسبابا مؤدية الى الوقوع فى الآفة التى هى ارتكاب المعصية فى الدنيا او الوقوع فى عقاب العقبى عبر عن الاموال والاولاد بضمير العقلاء تغليبا وان جعلها فتنة بمعنى الامتحان فوجهه كونها اسبابا لوقوع العبد فى محن الله تعالى انه يظهر بها من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى والفرقان مصدر بمعنى الفرق اطلق على ما يكون سببا للفرق والتميز ولما حذر الله تعالى عن الانهماك فى محبة الاموال والاولاد رغب فى تقوى الله تعالى بالاجتناب عن الكبائر والملازمة على الطاعات فان من اجتنب الخيانة ولازم الطاعة جعل الله له ما يتميز به عن الفساق والعصاة فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يهدى قلبه وينوره بنور المعرفة واليقين فتجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولا يصدر عنه الا ما هو حق وصواب فهذه الهداية فرقان يفرق بها المتقى من اضداده وكذا كونه منصورا فرقان يفرق به من المبطلين بان ينصره ويخذل المبطلين وبان ينصب له براهين قاطعة يتفصى بها من الشبهات فى امر الدين وبان ينجيه مما يخافه فى الدنيا والآخرة وبان يظهر شأنه ويعلى قدره فهذه الامور كما انها فرقان يفرق بها بين المتقى وغيره فهى ايضا فرقان يفرق بها بين الحق والباطل وكذا النصر اذ يفرق به انه على الحق والمنصور عليه على الباطل وكذا المخرج والنجاة فانهما يفرقان بينه وبين الشبهات وما يخاف منه (قوله تذكار لما مكر قريش به) اى تذكير لمكرهم وهو حيلة وتدبير فى اهلاك احد ولما كان المكر لتضمنه معنى الحيلة والخدعة يوهم مذمة من اتصف به فلا يسند اليه تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (قوله بالوثاق او الحبس) لما كان اثبات الشئ عبارة عن الزامه بموضع وذلك قد يكون بشده وتوثيقه بالوثاق لان كل من شد فقد اثبت لانه لا يقدر على الحركة وقد يكون بحبسه كما قال بعض اصحاب المكر ازى ان تأخذوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وتحبسوه فى مكان وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كمن هلك قبله من الشعراء وقد يكون باثخانه اى توهينه واضعافه بالجروح بحيث

وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (او يقتلوك) بسيوفهم (او يخرجوك) من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فزعوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى ﴿ ٢٩١ ﴾ بنو هشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان (ان هذا الا اساطير الاولين) ما سطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على

لا يقدر منها على الحركة فسر الاثبات بكل واحد منها (قوله وقرئ ليبيتوك) تعديته بتضعيف العين بدل الهمزة وليبيتوك من البيات وهو اسم من قولهم بيت العدو اي اوقع بهم ليلا (قوله فاجتمعوا في دار الندوة) ندا القوم ندوا حضروا الندي وهو على فعيل مجلس القوم ما داموا فيه فاذا تفرقوا فليس بندي ومنه سميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي لانهم كانوا يندون فيها اي يجتمعون للمشاورة روى ان النضر بن الحارث من بني عبد الدار كان يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم واشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرأون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي ويقرأ القرآن وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم اساطير الاولين اي ما سطروه في كتبهم من اخبار الامم الماضية واسمائهم وكان يزعم انها مثل ما يذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قصص الاولين والاساطير جمع اسطورة وهي المكتوبة (قوله ابلغ في الجحود) لانه جزم بان القرآن ليس بحق ثم فرض انه حق وعلق العذاب به وكأنه فرض محالا ومعلوم ان المعلق على المحال لا يقع فلما كان حقيقة امره عليه الصلاة والسلام بمنزلة المحال عندهم زعموا ان البلاء الذي طلبوه لا يصيبهم لانهم شرطوا الاصابة كونه حقا فطلبوا امطار الحجارة عليهم اعلاما بانهم على غاية الثقة في ان امره عليه الصلاة والسلام ليس بحق وما اجهلهم فان قلت كلمة ان للخلو عن الجزم فكيف استعملت في صورة الجزم فنقول انها عدم الجزم بوقوع الشرط ومتى جزم بعدم وقوعه عدم الجزم بوقوعه (قوله وقرئ الحق بالرفع) على ان يكون

هو في محل الرفع على الابتداء والحق خبره وتكون الجملة خبر الكان وقرأ العامة بنصب الحق على انه خبر كان ودخلت كلمة هو للفصل ولا موضع لها وانما دخلت ليعلم ان قوله تعالى من عندك حال في معنى الحق اى الثابت حال كونه من عندك وقوله من السماء صفة حجارة فيتعلق بمحذوف واوجعل متعلقا بقوله امطر لم يبق لقوله من السماء فائدة لان المطر لا يكون الا من السماء وفائدة توصيف الحجارة بقوله من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسومة اى معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة روى انها حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم فلابد من ذكر السماء لتعيين ان المراد من الحجارة السجيل (قوله بيان لما كان الموجب لامهالهم) مع انهم قد استحقوا ان يهلكهم الله تعالى بدعائهم لتحقق شرط اهلاكهم وهو كون ما اتى به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حقا نازلا من عند الله والمعنى ان الله تعالى لايهلكهم مع ذلك لامرين الاول انه عليه الصلاة والسلام مادام حاضرا معهم مقيما بين اظهرهم فانه تعالى لا يفعل بهم ذلك تعظيما له عليه الصلاة والسلام وهذا عادة الله تعالى مع جميع الانبياء المتقدمين فانه تعالى لم يعذب اهل قرية الا بعد ان يخرج رسوله كما كان في حق هود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام فان قيل لما كان حضوره عليه الصلاة والسلام فيهم مانعا من نزول العذاب عليهم فكيف قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم اجيب بان المراد من الاول عذاب الاستئصال ومن الثاني العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة والامر الثاني انه تعالى لا يفعل بهم ذلك وهم يستغفرون اى وفيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون المهاجرة من بين اظهرهم بقال للجوار حرمة فجار الكرام في ظل انعامهم والكفار وان لم يمتعوا بقرب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكن لما كانوا بقرب من آمن به اندفع العذاب عنهم ببركة جوار المؤمنين وعن مجاهد اى وفي اصلابهم من يستغفر وقيل اى فيهم من يؤول امره الى الاسلام فان فيهم قوما كان في علم الله تعالى دخولهم في الاسلام منهم ابوا سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنه وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب والحارث بن هشام وحكيم بن حزام وصفوان بن امية وغيرهم وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك ولا يبعد ان يدفع ذلك عذاب الاستئصال مع كونه صادرا عن المشرك وقيل قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما انصرفوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم انه تعالى لما بين ان الموجب

ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبى وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم

لاموالهم هو عذاب الامرين ذكر [illegible] [illegible]
لا على وجه الاستئصال [illegible] ذلك [illegible] [illegible]
(قوله واللام لتأكيد النفي) يعني ان اللام في قوله تعالى ليعذبهم لام الجحود و [illegible]
بعدها منصوب باضمار ان و [illegible] [illegible] على مذهب البصريين
الى ان خبر كان محذوف [illegible] [illegible] خبر المحذوف و [illegible] وما كان
الله مريدا لتعذيبهم وذهب الكوفيون الى ان [illegible] اللام مع [illegible] [illegible] هو
الخبر ولا يقدرون شيأ محذوفا و يزعمون ان الفعل بعدها منصوب باللام [illegible]
ان وان اللام زائدة لتأكيد النفي وظاهر كلام المصنف يشعر بانه اختار مذهب الكوفيين
الا انه لا ينافي اتيانه على مذهب البصريين لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ [illegible]
من نفي العذاب صريح في خبر كان الاول ولام الجحود دون خبرها الثاني في الدلالة
على ان كينونته عليه الصلاة والسلام فيهم ابلغ في كونها سببا لعدم تعذيبهم
من استغفارهم فاين بركة وجوده عليه الصلاة والسلام من بركة استغفارهم
(قوله اى دعاؤهم) الصلاة في اللغة الدعاء وفي عرف الشرع للاركان المعلومة
والافعال المخصوصة وليس شئ من المكاء والتصدية من جنس الصلاة اللغوية
ولا الشرعية يقال مكا يمكو اذا جمع كفيه ثم صفر فيهما قال الاصمعي قلت لواحد
من اهل اللغة ما المكاء فشبك بين اصابعه ثم وضعها على فمه [illegible] ينبغي ان لا يصح
استثناؤهما فاشار الى توجيه الاستثناء بان الصفير والتصفيق وهو ضرب اليد على اليد
اظهار الصدى وهو الصوت نوع من العبادة والدعاء في زعمهم وانهم كانوا يعتقدون
انها من جنس الصلاة وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال
كانت قريش يطوفون بالبيت عراة و يصفرون و يصفقون الاحتراز عن ان يطوفوا
ببيت الله بثياب عصوا الله فيها فانزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده فامروا بالثياب وكانوا يعدون المكاء والتصدية نوعا من العبادة والدعاء
ويسمونهما صلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم ثم اشار الى وجه
آخر وهو ان المراد بالصلاة الصلاة الشرعية و استثنى المكاء والتصدية مع
انهما ليسا من جنسها تعريضا للمشركين بتركهم ما امروا به في المسجد الحرام
وجعلهم المكاء والتصدية بدلا منه فان ما لا يدخل تحت الشئ قد يستثنى منه
لمصلحة وغرض كقصد المدح والذم كما تقول العرب ما لفلان عيب الا الشجاعة
ولا عيب له وكذا الغرض ههنا ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له
وقد امروا بها (قوله تفعلة من الصدى او من الصد) يعني اختلف
في التصدية انها من الصدى او من الصد وهو المنع يقال صده عن الامر صدا
اى منعه وصرفه وينقل الى باب التفعيل للتكثير و يقال صدد يصدد تصديدا

[illegible]
(قوله [illegible])
وما لهم ان لا يعذبهم
حتى زال ذلك وكيف
لا يعذبون (وهم يصدون
عن المسجد الحرام)
وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الى الهجرة
واحصارهم عام الحديبية
(وما كانوا اولياءه)
مستحقين ولاية امره مع
شركهم وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء (ان اولياؤه
الا المتقون) من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره
وقيل الضميران لله (ولكن
اكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية
لهم عليه كأنه نبه بالاكثر على
ان منهم من يعلم و يعاند
او اراد به الكل كما يراد بالقلة
العدم (وما كان صلاتهم
عند البيت) اى دعاؤهم
او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها (الا مكاء) صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
(وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء

وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب اوعدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا (فذوقوا العذاب) يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل ﴿٢٩٤﴾ عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من اجتاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيبت قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها (الاول) مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز

وتصددة فلما كثرت الدالات قلبت احداهن ياء كما في نحو تقضى البازي واصله تقضض روى الامام محيي السنة رضي الله تعالى عنه عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه ان التصدية تصدية المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة ثم قال فأصلها على هذا التأويل التصددة بدالين فقلبت احدى الدالين ياء وعن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره فيصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله تعالى وسلم صلاته وهم بنو عبد الدار فقتلهم الله تعالى ببدر (قوله وقرئ) يعني ان قرآءة العامة رفع صلاتهم ونصب مكاء وقرئ بنصب صلاتهم ورفع مكاء على تقديم خبر كان على اسمها وحمل صاحب المفتاح هذه القرآءة على القلب بناء على انه لا يجوز ان يخبر عن النكرة بالمعرفة الا في ضرورة الشعر كقوله يكون مزاجها عسل وماء * وقال ابن جني لاحاجة الى اعتبار القلب لان المكاء والتصدية اسما جنس لانهما مصدران واسم الجنس تعريفه وتنكيره متقاربان فلم يبال بأيهما جعل اسما او خبرا والمعرفة والنكرة في باب الجنس سوآء فلا فرق بين ان يقال ما كان ذلك الا مكاء والا المكاء الا يرى ان المعرف باللام في نحو قوله * ولقد امر على اللئيم يسبني * في حكم المنكر حيث وصف بالجملة كما توصف بها النكرة (قوله مشبكين بين اصابعهم) تصوير لمكائهم فان المكاء عبارة عن تشبيك الاصابع ثم وضعها على الفم وان ينفخ فيها (قوله عشر جزر) جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور فلذلك لم يقل عشرة جزر بالتاء (قوله سوى من اجتاش) اي سوى من صار جيشا وفي الكشاف انه استأجر ليوم احد ألفين من الاحابيش سوى من اجتاش والاحابيش جمع احبوشة وهي الجماعة من الناس من قبائل شتى واستجاش اي طلب الجيش * والاوقية اثنان واربعون مثقالا (قوله ولعل) يعني ان الاظهر ان قوله تعالى ينفقون اموالهم محمول على الحال بمعنى انه اخبار عن انفاقهم يوم بدر وقوله فسينفقونها اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد فيتغاير الانفاقان ويحتمل ان يكون

(ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين (فيجعله في جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعني اباسفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ﴿٢٩٥﴾ (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) لا يوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره (واعلموا انما غنمتم) اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا (من شيء) مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين (وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به

الاول ايضا محمولا على الاستقبال فيصير ان كأنه قيل ان الذين يريدون ان ينفقوا اموالهم فسينفقونها فيكون سوق الاول لبيان الغرض من الانفاق وسوق الثاني لبيان عاقبته والنوى في قوله ثم تكون عليهم حسرة مواتهم ولما كانت عاقبة انفاقها حسرة جعلت ذواتها كأنها عين الحسرة على سبيل المبالغة جعل الحرب سجالا تشبيها لها بالمساجلة من حيث انها تكون تارة لهم وتارة عليهم (قوله فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا) يعني ان الركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم فيجعل بعض الكفرة على بعض في جهنم بان يلقوا مكانا ضيقا مقرنين هذا على تقدير ان يراد بالخبيث جنس الكافر كما هو الظاهر وان اريد به ما يتناول جنس الكافر وما انفقه في عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يكون المعنى فيركم المشركين مع ما انفقوا في جهنم فيعذبهم به كما يحمى على اموال الكافرين في نار جهنم فيعذبون بها وقوله وهو ابلغ من الميز اي وان كان كل منهما يتعدى الى واحد تقول مزت الشيء وميزت الشيء وتميزت الشيء فانماز وامتاز وتميز كلها بمعنى الا ان الثاني ابلغ لدلالته على الاعمال (قوله اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا) اشارة الى ان كلمة ما في قوله انما غنمتم موصولة وغنمتم صلتها وعائدها محذوف اي انما غنمتموه فكان حق ما هذه ان تكتب منفصلة من ان كما في قوله تعالى انما توعدون لآت لكنها كتبت متصلة اتباعا للرسم ولما امر الله تعالى بالمقاتلة في قوله وقاتلوهم ومن المعلوم انه عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله تعالى حكم الغنيمة في هذه الآية والفيء والغنيمة بمعنى وقيل الفيء ما كان عن صلح بغير قتال ويؤيد الاول قوله عليه الصلاة والسلام في غنائم مالي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم والغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما وهو غانم والغنيمة في الشريعة ما دخلت في ايدي المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل والركاب وانها كانت لا تحل للامم السالفة وقد احل لهذه الامة اربعة اخماسها بين الله تعالى في هذه الآية مصارف خمسها ثم بين في غير هذه السورة حل اربعة اخماسها ثمة حيث قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا (قوله والجمهور) جواب لما عسى يقال

وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعل
الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى ﴿٢٩٦﴾ الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله
تعالى سقط سهمه وسهم
ذوى القربى بوفاته وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة
الباقية وعن مالك رضى الله
تعالى عنه الامر فيه مفوض
الى رأى الامام يصرفه الى
ما يراه أهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الآية فقال يقسم
ستة اقسام ويصرف سهم
الله الى الكعبة لما روى انه
عليه الصلاة والسلام كان
يأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة ثم يقسم ما بقى على
خمسة وقيل سهم الله لبيت
المال وقيل هو مضموم الى
سهم الرسول وذووا القربى
بنوا هاشم وبنوا المطلب
لما روى انه عليه الصلاة
والسلام قسم سهم ذوى
القربى عليهما فقال له
عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء
اخوتك بنوا هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذى
جعلك الله منهم أرأيت
اخواننا من بنى المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما
نحن وهم بمنزلة فقال
عليه الصلاة والسلام
انهم لم يفارقونا فى جاهلية
ولا فى اسلام وشبك بين
اصابعه وقيل بنوا هاشم
وحدهم وقيل جميع قريش
والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى (القتال)
والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع

لو كان لله تعالى نصيب على حدة لكان ذلك النصيب سدس المغنوم لا خمسه
فكيف قيل فان لله خمسه اى ذهب اكثر المفسرين و الفقهاء الى ان قوله لله
افتتاح كلام على سبيل التبرك واضاف هذا المال الى نفسه لشرفه وليس المراد
أن سهما من الغنيمة نصيب الله تعالى مفردا فان ما فى الدنيا والآخرة كلها لله
تعالى و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ما لى مما افاء الله عليكم الا الخمس
الخمس فلو كان لله تعالى سهم على حدة لكان سهمه عليه الصلاة والسلام
السدس لا الخمس (قوله وحكمه بعد باق) اى وحكم ما ذهب اليه الجمهور
فى معنى الآية باق بعد وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عند الامام الشافعى
فان الخمس يقسم عنده على خمسة اسهم (قوله وسهم ذوى القربى) اى
اقارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم بن عبد مناف وكان لعبد مناف اربعة بنين هاشم و المطلب و نوفل
و عبد شمس اما هاشم فولده عبد المطلب واحد وعبد المطلب له عشرة بنين
منهم عبد الله وابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب والحارث والزبير واختلف
فى المراد بذى القربى منهم فقيل بنوا هاشم و بنوا المطلب وليس لبنى عبد شمس
ولا لبنى نوفل منه شئ وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من بنى عبد
شمس و جبير بن مطعم من بنى نوفل لما روى انه عليه الصلاة و السلام قسم
سهم ذوى القربى بين بنى هاشم و بنى المطلب و لم يعط احدا من بنى عبد شمس
ولا من بنى نوفل شيأ (قوله والغنى والفقير فيه سواء) لانه عليه الصلاة والسلام
و الخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و قيل هو
مخصوص بفقرائهم اى يعطى لفقرائهم لا لقرابتهم فلهذا ذهب ابو حنيفة
رضى الله تعالى عنه الى ان سهم ذوى القربى ساقط بعد وفاته عليه الصلاة
و السلام كما سقط سهمه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته لانه لم يخلفه احد
فى الرسالة فلا يخلفه فى سهمه فيكون خمس الغنيمة عنده اليوم لثلاثة اصناف
اليتامى والمساكين و ابن السبيل و اليتامى جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذى
لا اب له يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا و المساكين هم اهل الفاقة
والحاجة من المسلمين و ابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فلا يترك صنف
من هذه الاصناف بغير حظ من قسمة الخمس و يجوز تفضيل بعضهم على
بعض بمقدار الحاجة وهذا الذى ذكرنا هو قسمة الخمس من الغنيمة وهى
المذكورة فى القرآن العظيم والباقى وهو اربعة اخماس للغانمين الذين باشروا

ثم بعد بدر بشهر وثلاثة ايام لنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله ﴿٢٩٧﴾ فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا (والركب) اى العير او قوادها (اسفل منكم) في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب (٣٨) على الظرف واقع (رابع) موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة

القتال للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه لما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهم عند الامام الشافعي وعند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنهما للفارس سهمان وللراجل سهم (قوله بعد بدر بشهر وثلاثة ايام) وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قتال المشركين لاعلاء كلمة الحق والدين (قوله متعلق بمحذوف) يعني أن ان شرط جوابه مقدر عند الجمهور وان اجاز الكوفيون ان يكون جوابه مقدما عليه ولم يكتف بتقدير قوله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء وقدر معه قوله فسلموه اليهم الخ لما ذكر من أن العلم مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وقوله وما انزلنا في محل الجر بالعطف على الجلالة وقوله يوم الفرقان منصوب بأنزلنا ويوم التقى الجمعان بدل منه اى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان وهو قوله تعالى يسألونك عن الانفال وهو منزل في يوم بدر (قوله شط الوادي) اى جانبه وفي الصحاح الشط جانب النهر والوادي وبالعدوة متعلق بمحذوف اى اذ انتم نزول بشفير الوادي الادنى للمدينة وعدوكم نازل بجانبه الابعد منها لانه خبر المبتدأ والباء بمعنى في كقولك زيد بمكة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالعدوة بكسر العين فيهما والباقون بالضم فيهما وقرئ بالفتح ايضا في الشواذ وهي كلها لغات بمعنى وقرئ شاذا بالعدية بقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها ولا يعتبر الفاصل لانه ساكن وهو حاجز غير حصين كما قالوا وفيه ضعف (قوله تفرقة بين الاسم والصفة) فان فعلى ان كانت واوية قلبت واوها ياء في الاسم دون الصفة وان كانت يائية لم يفرق بين الاسم والصفة بل تكون لامها باقية على حالها نحو الجلوى تأنيث الاجلى وكل واحدة من الدنيا والقصوى فعلى من ذوات الواو اما الدنيا فلانها من دنا يدنو دنوا واما القصوى فلانها من قصا المكان يقصو قصوا اذا بعد وهما وان كانتا من قبيل الصفات لكونهما من باب افعل التفضيل الا انهما الحقتا بالاسماء دون الصفات بسبب استعمالهما في اكثر الامر بلا موصوف فلذلك كان القياس فيهما قلب الواو وذكر في المفصل ان فعلى تقلب واوها ياء في الاسم دون الصفة وان القصوى صفة ❊ والركب جمع راكب مثل صحب وصاحب والمراد به العير وقوادها ابو سفيان واصحابه كانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة اميال يعني الركب الاربعين الذين

ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم و يأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) حقيقا بأن يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة و يحيى ﴿٢٩٨﴾ من حى عن بينة) بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها و يعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم فى الامر) امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم

كانوا يقودون العير وقوله وفائدتها اى فائدة الجملة الحالية الدلالة على تعيين مراكز كل واحد من الجمعين والركب فان معنى الآية سلموا خمس ما غنمتم الى ما عين لكم من المصارف واقنعوا بما بقى من الاخماس الاربعة ان كنتم آمنتم بما انزلنا على عبدنا اذ انتم نازلون بشفير الوادى الادنى الى المدينة وعدوكم نازل بشفير الوادى الاقصى من المدينة الى جانب مكة والحال ان الركب فى موضع اسفل منكم الى ساحل البحر والفائدة فى تعيين هذه المواضع الدلالة على قوة العدو وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم اى اختلاطه وضعفه من اللوث وهى اللين والضعف قيل فى صفة المصلوب

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وفى الصحاح الالتياث الاختلاط والالتفاف يقال التاثت الخطوب والتاث برأس القلم شعرة والتاث فى عمله ابطأ (قوله ولذا ذكر مراكز الفريقين) اى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وذكر ان العير اى قوادها اسفل منهم (قوله لاختلفتم) اى لخالف بعضكم بعضا وعزمتم على التخلف عن محاربة النفير لكثرتهم وقلتكم ولكن جمعكم الله تعالى من غير ميعاد لكم ليقضى الله امرا كان مفعولا فى علمه وحكمه او كان حقيقا بأن يفعل فانه تعالى دبر تدبيرا عجيبا لوقوع الحرب بين الجمعين من حيث انه أخبر المؤمنين باقبال العير حتى خرجوا واقلق الكفار بسماع خبر خروجهم لكى ينفروا وسبب الاسباب حتى اجتمعوا للحرب وايد الله تعالى المؤمنين بنصره بأن ربط الله تعالى على قلوبهم وقواها وازال عنها الاضطراب والارتياب وألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وامدهم بانزال الملائكة والمطر وغير ذلك من وجوه لطفه وفعل ذلك خارق للعادة ليظهر الحق و يقطع دابر الكافرين (قوله وقرئ ليهلك بالفتح) اى بفتح اللام وهى لغة شاذة نحو أبى يأبى لان هلك مفتوح العين من غير حرف الحلق (قوله اذ يقللهم

في عينك) اشارة الى ان المراد بالمنام العين وهو موضع النوم وان قليلا حال من المفعول الثاني وان المنام مصدر بمعنى النوم اطلق لفظه على محله شبهها بالباصرة في كونها سببا لادراك المحسوسات المرئية غاية ما في الباب ان الباصرة يدرك بها عند حضور المدرك وحاسة الخيال يدرك بها حال غيبة المدرك من حاسة البصر عن مجاهد رضي الله تعالى عنه انه قال اري الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حق والقوم قليل فكان ذلك سببا لقوة قلوبهم فان قيل رؤية الكثير قليلا غلط فكيف يجوز من الله تعالى ان يفعل ذلك اجيب بانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولعله تعالى اراه البعض دون البعض فحكم عليه الصلاة والسلام على اولئك الذين رآهم بانهم قليل ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام رأى في منامه ما كان تأويله ضعف امر العدو فيجاز ان يريه الله اياهم قليلا العدد ويكون تأويله ضعف امرهم فاخبر اصحابه بذلك ويقول اني رأيت مصارع القوم غدا فقويت نفوس اصحابه بذلك وليس هذا من اراءة الشيء على غير ما هو عليه لان الرؤيا تخيل وتنبيه على شيء تحت صورته في المخيلة فعلى هذا يكون قوله تعالى ولو اراكهم كثيرا لفشلتم بمعنى ولو رأيت في منامك ما يكون تأويله قوة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلوا اي جبنوا وتنازعوا واختلفوا ولم يتفقوا على قتالهم ومن جملة ما انعم الله تعالى به على اهل بدر انه تعالى اراهم عدوهم اولا في المنام قليلا فقوى قلوبهم بذلك ثم انه تعالى اكد التقليل الذي ظهر لهم في المنام بان اظهر لهم ذلك التقليل في اليقظة كما قلل عدد المؤمنين في اعين المشركين ايضا وهو قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم واعلم انه تعالى قلل عدد المشركين في اعين المؤمنين وقلل عدد المؤمنين في اعين المشركين والحكمة في التقليل الاول تصديق رؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا لتقوى قلوبهم وتزداد جرأتهم عليهم والحكمة في التقليل الثاني ان المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب والحذر فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم وقوله اكلة جزور مثل يضرب به في القلة اي قلتهم بحيث تشبعهم جزور واحدة والاكلة جمع آكل (قوله وقللهم في اعينهم) جواب عما يقال ما الحكمة في تقليل المؤمنين في اعين المشركين قبل التحام القتال ثم تكثيرهم بعده ويحتمل ان يكون التقليل من الجانبين مبنيا على ان المسلمين رأوا الملائكة معهم فكان المشركون في مقابلة المسلمين والملائكة قليلا ولم ير المشركون الملائكة فكان المسلمون في مقابلة المشركين قليلا

(ويقللكم في اعينهم) حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط (ليقضي الله امرا كان مفعولا)

كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ماكانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لايشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لاينفك عنه فى شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا) باختلاف ﴿٣٠٠﴾ الارآء كما فعلتم ببدر اواحد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا واشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لاوالله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرآئين وامرهم بأن يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما تعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) (فى تأويل)

(قوله كرره لاختلاف الفعل المعلل به) وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة فى الاول وتقليل كل واحد من الفريقين فى اعين الآخر فى الثانى اولان المراد بالامر ثمة التقاء الفريقين على الوجه المحكى حتى يكون استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه والحاصل ان التكرير اما لاختلاف الفعل المعلل به اولاختلاف علته ثم قال والى الله ترجع الامور للتنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها مايصلح ان يكون زادا ليوم المعاد (قوله فخرا واشرا) يعنى ان البطر والاشر الطغيان فى النعمة بترك شكرها وجعلها وسيلة الى مالا يرضاه الله وقيل البطر عدم مقابلة النعمة بالشكر والخيلاء والرياء اظهار الجميل ليرى مع ان باطنه يكون قبيحا والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية وقوله بطرا ورئاء منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال من فاعل خرجوا اى خرجوا بطرين ومرآئين ورئاء الناس مصدر مضاف الى مفعوله (قوله وتعزف علينا القينات) اى وتغنى علينا الجوارى بضرب آلات اللهو فان المعازف آلات الملاهى والعازف اللاهى بها والمغنى والقينة الامة مغنية كانت اوغير مغنية والجمع القينات وقيل القينة هى المغنية وليس كذلك وقوله فوافوها اى أتوا بدرا ولكن سقوا كأس المنايا مكان كأس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغنى القينات (قوله معطوف على بطرا) وحذف مفعول يصدون للعلم به ولما كان عطف الفعل على الاسم غير حسن كان ينبغى ان يجعل يصدون بمعنى صادين ان جعل بطرا ورئاء بمعنى بطرين ومرآئين واما ان جعلا مفعولا لهما كان ينبغى ان يجعل يصدون

في تأويل المصدر الا ان مصدره لما كان محمدا ثابتا عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وادعاء النبوة عبر عنه بصيغة الفعل بخلاف الظفر والزيادة فانهما صفتان ثابتتان واحتقار ذلك فيهم فعبر عنهما بلفظ الاسم الدال على التمكن والاستقرار كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد والوقوف يتجدد شيئا على ان البسط يتجدد ساعة فساعة (قوله مثلة تمثالية) اعتبار ان الشيطان لم يمكن بأن يتمثل ويتحول في صورة الانسان وانما وقع بطريق الوسوسة والالقاء في الروع لانه المعهود المتبادر من اسناده الى الشيطان فلا يعدل عنه من غير قاطع (قوله وأوهمهم ان اتباعهم اياه مجير لهم) اشارة الى ان قوله واني جار لكم من قبيل الاسناد الى السبب الداعي الى الفعل ومعنى الجار في قوله واني جار لكم المجير الحافظ الذي يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره والعرب تقول انا جار لك من فلان اي حافظ لك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه (قوله ولكم خبر لا غالب) اي لا غالب كائن لكم او صفته وخبره محذوف اي لا غالب كائنا لكم واقع او موجود وعلى التقديرين اسم لا التي لنفي الجنس نكرة مفردة غير مضاف ولا مشابه له فلذلك بني على الفتح وقوله وليس صلته اي ليس متعلقا بغالب لانه لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لما جاز بناء غالب بل يكون معربا منصوبا لان اسم لا اذا عمل فيما بعده يكون مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومن حيث ان ما بعدهما متمم ومخصص لهما وقد تقرر في النحو ان اسم لا اذا كان نكرة مضافا او مشابها بالمضاف كان تاليا لكلمة لا اي لا يقع فاصل بين الاسم وبين لا وجب ان يكون منصوبا لفظا ان لكم لو كان مفعول غالب لوجب ان يقال لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا فلما بني غالب تعين ان لكم ليس مفعول غالب وان اليوم ليس منصوبا بغالب وان من الناس ليس حالا من الضمير في غالب المستتر من ان اسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لشبهه بالمضاف بل اليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه وقوله تعالى واني جار لكم يجوز ان يكون معطوفا على قوله لا غالب لكم فيكون قد عطف جملة مثبتة على جملة منفية ويجوز ان يكون حالا من فاعل ما تعلق به الخبر فتكون الواو للحال (قوله رجع القهقرى) قيل هذا اصل معنى النكوص الا انه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وان لم يكن قهقرى والمراد مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه بحث لان غالب الفرار حال القتال انما هو كما ذكر وهو رجوع القهقرى لخوف الفار من جهة العدو وقوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين (قوله وخاف عليهم) اي لا على نفسه لتقدم امهاله الله تعالى الى الوقت المعلوم روى

مثلة تمثالية وألقى أنه أتى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) أي تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم (وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله) أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة

وقيل لما أجمعت قريش على المسير ذكرت مابينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى مالا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ﴿٣٠٢﴾ ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه مالم يره قبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لا يد لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لا يذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين (وادبارهم) ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول

عن قتادة انه قال صدق اللعين في قوله اني ارى مالا ترون وكذب في قوله اني اخاف الله والله ما به مخافة ولكن علم انه لا قوة له فأوردهم معركة القتال وخذلهم وتلك عادة عدو الله لمن اطاعه يقحمهم ورطة الهلاك ثم يتبرأ منهم وقيل لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام خاف ان يأخذه جبريل ويعرفهم حاله وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذي انظر اليه قد حضر فقال ماقال اشفاقا على نفسه (قوله وقيل) عطف على قوله مقالة نفسانية والاحنة الحقد والبغض الكامل (قوله يثنيهم) اى يكفهم ويصرفهم يقال ثنيت الشيء اذا صرفته عن مقصده (قوله وكان يده الخ) جملة حالية بتقدير قد من فاعل نكص ويجوز ان ينقطع كلام ابليس عند قوله اني اخاف الله ثم يقول الله والله شديد العقاب ويجوز ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس (قوله والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد) على ان يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض قوم من قريش اسلموا وما قوي اسلامهم وكانوا بمكة مستضعفين قد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني انهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ومع ذلك يقاتلون ألف رجل وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل ان المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ويثابوا على هذا القتل فقالوا غر هؤلاء دينهم (قوله لما لا يد لهم به) اى لما لا طاقة لهم به (قوله ويدل عليه) اى على كون الملائكة فاعل يتوفى بياء المذكر الغائب قراءة ابن عامر تتوفى بتاء التأنيث للجماعة والباقون قرأوا بياء الغيبة الا ان الاظهر ان يكون الفعل على قراءتهم مسندا الى الملائكة ليوافق قراءة ابن عامر وذكر الفعل للفصل بينه وبين الفاعل ولان تأنيث الفاعل غير حقيقي ويحتمل ان يكون الفعل على قراءة العامة مسندا الى ضمير الله تعالى لتقدم

ذكره فيكون الملائكة مبتدأ ويضربون خبره والجملة حال من المفعول على ما اختاره المصنف ويجوز ان تكون استئنافية جوابا لسؤال مقدر فعلى هذا الوجه يوقف على كفروا وعلى الاول وهو ان تكون الملائكة فاعل يتوفى يكون يضربون جملة حالية وجواب لو محذوف في امثال المقام عليه اى لرأيت امرا عظيما والحذف في مثل هذا الموضع ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه الى كل مذهب قيل المراد بالذين كفروا هم الذين قتلوا من المشركين ببدر وانهم لما قتلوا ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المشركين كانوا اذا اقبلوا ضربوا وجوههم بالسيف واذا ادبروا ضربوا ادبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت نزع الروح وقيل يجوز ان تكون هذه الآية في الذين لم يقتلوا ببدر اخبر الله عن احوالهم عند حضور آجالهم ان الملائكة تقبض ارواحهم بالضرب على وجوههم وادبارهم فيكون قبض ارواحهم مثل كما تقبض ارواح الذين قتلوا ببدر ضربا وطعنا من خلف وقدام وقوله تعالى ولو ترى يؤيد القول الاول لما ذكره المصنف من ان كلمة لو ترد المضارع الى معنى الماضى ولا بد ان يجعل معنى الماضى ههنا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل قد مضى هذا المعنى والامر ولو رأيته لرأيت امرا فظيعا وهذا المعنى يستدعى ان يكون قوله الذين كفروا محمولا على الكفرة المعهودين شرح الله تعالى احوال هؤلاء الكفرة حال حياتهم ثم بين احوال موتهم وما يصل اليهم من العذاب في ذلك الوقت وقيل توفى الشئ واستيفاؤه عبارة عن اخذه تاما وافيا فقوله تعالى يتوفى الذين كفروا الملائكة يدل على ان الملائكة يستوفون الذوات الكافرة والذى يستوفونه هى الارواح والاجسام فهذا يدل على ان الانسان شئ مغاير لهذا الجسد وانه هو المكلف الموصوف بالايمان والكفر (قوله اى ويقولون ذوقوا) ليس الاحتياج الى هذا التقدير لمجرد قبح عطف الانشاء على الاخبار بل لان المعنى على ذلك لان هذا من كلام الملائكة قطعا وعذاب الحريق اشارة الى عذاب جهنم والملائكة يقولون لهم ذلك القول عند التوفى انذارا لهم بانهم يذوقون عذابها عن قريب فلا يكون ذوقوا للحال بل الاستقبال جعل القول المذكور بشارة على سبيل التهكم والاستهزاء (قوله وقيل كانت معهم مقامع الخ) عطف على قوله بشارة لهم بعذاب الآخرة اى النار وقيل الحريق اسم للنار وان الملائكة يضربونهم عند التوفى بمقامع من حديد كلما ضربوهم بها التهبت النار منها في جراحاتهم ويقولون لهم ذوقوا هذا العذاب الآن وستشبعون منه عن قريب (قوله بسبب ما كسبتم) اشارة الى ان الايد في قوله تعالى بما قدمت ايديكم عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم اغلب

أو ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت ايديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك (وان الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب

وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اى دأب هؤلاء مثل ﴿٣٠٤﴾ دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فأخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لايغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ماحل بهم (بأن الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياهم بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ لتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى تغير حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) (قوله

آلاتها واسبابها فى اكتساب الافعال ولوا قتصر على قوله بما قدمت ايديكم لانفهم كون المكسوبات الباطلة سببا للتعذيب وذلك لاينافى جواز التعذيب بغير ذنب فعطف عليه ما بعده تصريحا لعدم جواز ذلك وصاحب الكشاف جعل نفى الظلم سببا لتعذيبهم حيث قال اى ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين فكأنه قال نفى الظلم سبب للتعذيب اذ لوكان ظالما لامكن ان لا يعذبهم بذنوبهم وهو تصريح بأن ترك تعذيب من يستحقه ظلم ورد المصنف ذلك وجعل نفى الظلم قيدا بسبب المكسوبات الباطلة (قوله وظلام للتكثير لاجل العبيد) جواب عما يقال ظلام بناء المبالغة فمدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم وهو لاينافى جواز اتصافه تعالى بأصل الظلم بل يدل على اتصافه به بناء على قاعدة رجوع النفى الى القيد وهو محال وتقرير الجواب ان الظلام للتكثير فيدل على كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد من افراد العبيد حتى يقال انتفاء كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد لاينافى ان يظلمه فى الجملة بل الكثرة المنفية انما هى بازاء كثرة افراد العبيد على طريق التوزيع كما يقال فى مقابلة الجمع بالجمع فان العبيد يدل على الكثرة بل على الاستغراق فالظالم لهم يكون كثير الظلم لاصابة كل واحد منهم ظلما على حدة فصار المعنى انه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك الى ما لايحصى والمنفى عن كل عبد انما هو اصل الظلم وهو المطلوب (قوله اى دأب هؤلاء) على ان الكاف خبر مبتدأ محذوف والدأب العادة والشأن واصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا اى يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها لما بين ما نزله بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا بين ان هذه طريقته وسنته ودأبه فى الكل فان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى الله فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون (قوله تعالى والذين من قبلهم) اى وكدأب الذين اى عادتهم والغرض التنبيه على ان لهم عذابا مؤخرا سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل وقوله الى حال اسوأ اشارة الى دفع ما يقال من ان آل فرعون ومشركى مكة لم يكن لهم حال مرضية حتى يقال انهم غيروها الى حال مسخوطة فغير الله تعالى نعمته عليهم الى النقمة وتقرير الدفع ان قوله تعالى ما بأنفسهم يعم الحالة المرضية والقبيحة فكما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى ما هو اسوأ منها واولئك كانوا قبل بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات القاطعة غيروا حالهم الى ما هو اسوأ مما كانت فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب

تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة (وهم لا يتقون) سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره المؤمنين وتسليطه عليهم (فاما تثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (في الحرب فشرد بهم) ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من ورائهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة

(قوله تكرير للتأكيد) قيل انه تعالى شبه اولا دأب كفار قريش بدأب آل فرعون وبين وجه التشبيه بقوله كفروا بآيات ربهم والتكذيب بالآيات وان كان هو الكفر بالآيات وهو وجه التشبيه الاول الا ان الآيات في التشبيه الثاني لما اضيفت الى الرب فقط نيط بوجه التشبيه الدلالة على كفران النعم لان في الرب والربوبية معنى انه منعم عليهم مرب لهم وتكذيب آيات المنعم المربي كفران للنعمة وهذا غير متحقق في التشبيه الاول وايضا فقد رتب على التشبيه الاول الاخذ بالذنوب وفيه اجمال وبين في الثاني ما اخذ به آل فرعون وهو الغرق (قوله وقيل) اى وقيل ليس بتكرير لكن الاول لتشبيه الكفر والاخذ به لان قوله تعالى كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم جملة مستأنفة ذكرت بعد ذكر طرفي التشبيه صالحة لان تكون وجه التشبيه فوجب حملها عليه والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم بدليل ما سبق من قوله ذلك بأن الله لم يك مغيرا الى آخرها ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى في التشبيه الثاني كذبوا بآيات ربهم ذكر في موضع قوله في التشبيه الاول كفروا بآيات الله فكما جعل هذا وجه التشبيه وجب ان يجعل ذلك ايضا وجه التشبيه ثم انه تعالى لما وصف كل الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزية في الشر والفساد وهو ما اجتمع فيه مع كفره الاصرار عليه وكونه ناقضا للعهد على الدوام وفسر قوله الذين كفروا بقوله الذين أصروا على الكفر ليخبر عن المتصف به بانه لا يؤمن وفسر قوله فهم لا يؤمنون بقوله فلا يتوقع منهم ايمان لان معناه انه لا يقع منهم ايمان في الازمنة المستقبلة واذا لم يقع منهم ايمان في زمان لم يتوقع منهم ايمان (قوله ان لا يمالئوا) اى لا يعاونوا العدو عليه والممالأة المعاونة (قوله وركب كعب) بيان لطريق ممالأتهم يوم الخندق (قوله ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ) اى الذين اخذت منهم العهد ويحتمل ان يكون منهم حالا من عائد الموصول المحذوف والتقدير الذين عاهدتهم كائنين منهم فمن للتبعيض * والسبة العار الذي يسب به والمغبة العاقبة (قوله ففرق عن مناصبتك) اى معاداتك والمحاربة معك والنصب مصدر نصبت الشيء اذا اقمته ويقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب فالمعنى اذا قتلت هؤلاء الناقضين واوقعت فيهم النكاية والقهر يضطرب ويخاف منك غيرهم

وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد من ورآءهم فقد فعل التشريد في الورآء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (وإما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانبذ إليهم) فاطرح إليهم عهدهم (على سوآء) على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سوآء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوى أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله (إن الله لا يحب الخائنين) تعليل الأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولا تحسبن) خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على (إنهم لا يعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله (إن)

من الناقضين بحيث يذهب منهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك (قوله وكأنه مقلوب شذر) بمعنى فرق يقال تفرقوا شذر مذر إذا ذهبوا في كل وجه وناحية وإنما قال ذلك لأن مادة شرذ بتقديم الرآء المهملة على الذال المعجمة غير مستعمل في كلام العرب ويدل عليه أن الجوهري لم يذكر هذه المادة في الصحاح (قوله ومن خلفهم) أي وقرئ بمن الجارة فإن شرذ منزل منزلة اللازم ويكون خلفهم ظرفا له لتقارب معنى من وفي تقول اضرب زيدا من ورآء عمرو بمعنى في ورآئه أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بإيقاع فعل التشريد من ورآء القوم وجعل ذلك كناية عن تشريد من في تلك الجهة لأن فعل التشريد في جهة ورآئهم من لوازم تشريد من فيها فيتوافق معنى قرآءتي فتح الميم وكسرها ولذلك قال والمعنى واحد (قوله لعل المشردين) يعني أن ضمير لعلهم يذكرون مرجعه من خلفهم فإنهم إذا رأوا ما حل بالناظرين تذكروا واتعظوا (قوله فاطرح إليهم عهدهم) فسر النبذ بالطرح وقدر المفعول المحذوف أي أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سوآء (قوله ولا تناجزهم) أي لا تعاجلهم في المحاربة بأن تحاربهم قبل أن يظهر نبذ العهد منك (قوله على أن الفاعل ضمير أحد) أي لا يحسبن أحد ممن يتأتى منه الحسبان الذين كفروا سبقوا أي فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم وتخلصوا من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة لما بين الله تعالى ما يفعله الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في حق من يجده في الحرب ممن آذاه ونقض عهده مرارا بين أن من لم يتفق له عليه الصلاة والسلام أسره وقتله يوم بدر وغيره من معارك القتال من الذين آذوه وبالغوا في عصيانه لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه من الانتقام منهم والمقصود تسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ممن فاته ولم يتمكن عليه الصلاة والسلام من الانتقام (قوله أو على تقدير أن سبقوا) عطف على قوله والمفعول الأول أنفسهم على تقدير أن يكون يحسبن بياء الغيبة مسندا إلى قوله الذين كفروا ويحتمل أن يكون مفعوله الأول محذوفا احترازا عن تكرار ذكر الأمر الواحد في كلام واحد مرة بعد أخرى ويحتمل أن يكون تقدير الكلام ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا وأن الموصولة مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين فحذفت أن الموصولة لأن المقصود يتم بالمسند والمسند إليه وهما حاصلان فيه وبقيت صلتها كما في قوله ومن آياته يريكم قل أفغير الله تأمروني أعبد ومن هذا القبيل قوله من قال وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه ❋ وقوله

الا أيهذا الزاجري أحضر الوغا ❋ وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

ولعل مراد المصنف بقوله وهو ضعيف كونه قليل الورود في كلام العرب ويحتمل

ان يكون قوله الذين كفروا فاعلا ويكون قوله انهم لايعجزون مبتدأ مسدّ المفعولين على قراءة من يقرأ بفتح انهم فتكون كلمة لا في قوله لايعجزون مزيدة لتصحيح المعنى ويكون سبقوا في محل النصب على الحال بمعنى سابقين مفلتين هاربين والاظهر ان فتح انهم مبنى على حذف لام العلة اى لانهم فلا يختص به عن جعل لا صلة (قوله اولايجدون) عطف على قوله لايفقهون انه على ان تكون همزة افعل للوجدان فانها فتكون لوجدان المفعول على صفة اصله ان كان الفعل لازما ومفعوليته ان كان متعديا كما في اعجزته واسمعته (قوله الا انه تعليل على سبيل الاستئناف) لانه ابتداء كلام غير متصل بما قبله كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا وتم الكلام ثم قال ساء مايحكمون فكما ان قوله ساء مايحكمون منقطع عن الجملة التى قبله كذلك قوله انهم لايعجزون بخلاف ما اذا فتحت ألف انهم فان الجملة حينئذ تكون متعلقة بالجملة الاولى (قوله ولعل الآية) وهى قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا الآية لما يرد على قوله تعالى فانبذ اليهم كانه قيل كيف يوقظ العدو ويعلمهم بفسخ العهد قبل المحاربة مع انهم ان علموا بذلك اما ان يتأهبوا للقتال ويستجمعوا قصى ما يمكن لهم من اسباب التقوى والغلبة او يفروا ويتخلصوا وعلى التقديرين يفوت الانتقام منهم وما يكون للمحاربة معهم بغير نبذوا علام ظهور امارات الخيانة منهم فأزاح الله تعالى هذا المحذور بقوله لاتحسبنهم سبقوا واعلم ان النبذ انما يجب على الامام ان ظهرت خيانة المعاهدين بامارات ظنية واما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فحينئذ لاحاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله من فل المشركين) اى منهزميهم والفل القوم المنهزمون وهو مصدر سمى به يقع على الواحد والاثنين والجمع (قوله فعال بمعنى مفعول) كلباس بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب او مصدر ثلاثى نحو صاح صياحا لان مصادر الثلاثى ليست قياسية او مصدر فاعل وهو كثير ومعنى المفاعلة ان ارتباط الخيل يفعله كل احد لفعل الآخر فيرابط المؤمنون بعضهم بعضا او جمع ربيط بمعنى مربوط وقيل يجوز ان يكون جمعا لربط مصدر ربط يربط نحو كعب وكعاب وكلب وكلاب (قوله جمع رباط) نحو كتاب وكتب (قوله والضمير) اى فى قوله به يجوز ان يرجع الى مفعول أعدوا وهو الموصول فيجوز ان يكون ترهبون حالا من الفاعل اى أعدوا حال كونكم مرهبين وان جعل ضمير به للاعداد تعين كونه حالا من الفاعل والاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة لما امر الله تعالى رسوله بمحاربة الكفار وان يشرد بهم من خلفهم امر فى هذه

[margin]
لا حفظ لما كان منهم من نبذ العهد ولنقض العهد وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين (وأعدوا) ايها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد والكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله تعالى بمعنى مفعول او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا وجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد (عدو الله وعدوكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لا تعلمونهم)

لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لاتظلمون) بتضييع العمل اونقص الثواب (وان جنحوا) ﴿٣٠٨﴾ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى

(للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابوبكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير
انى وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
(هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (والف بين قلوبهم) مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه (لو انفقت (ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اى تناهى عداوتهم الى حد لوانفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض

الآية باعداد مايتقوى به على المحاربة من الخيل والسلاح ونحوهما روى ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف لكونها اقوى على الكر والفر ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات لقلة صهيلها قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة (قوله لاتعرفونهم باعيانهم) جعل العلم بمعنى المعرفة لانه لم يذكر له الامفعول واحد ولو كان على اصل معناه لتعدى الى اثنين ولما كان متعلق المعرفة الذوات دون النسب ذكر قوله باعيانهم والعلم يتعلق بالنسب ولو كان العلم ههنا على اصل معناه لوجب ان يقال لاتعلمونهم من حيث كونهم اعداء ويرد عليه ان جعل العلم بمعنى المعرفة فى قوله لاتعلمونهم صحيح لا فى قوله الله يعلمهم لما صرح به العلماء من ان المعرفة بالشئ تستدعى سبق الجهل فلا يجوز نسبتها الى الله تعالى الا ان يفرق بين لفظ المعرفة وبين لفظ العلم المستعمل بمعنى المعرفة بناء على ان المراد بكونه بمعنى المعرفة كونه متعلقا بالذوات دون النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل التعلق (قوله ومنه الجناح) لميلان الطائر به الى احد شقيه يقال جنح له واليه اذا مال (قوله لاتصالها بقصتهم) وقد مر ان المراد بقوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة هم يهود قريظة روى الامام رحمه الله عن مجاهد ان الآية نزلت فى قريظة والنضير وورودها فيهم لا يمنع من اجرائها على ظاهر عمومها وقال الامام ابو الليث انما يجوز الصلح اذا لم يكن للمسلمين قوة فاذا كان للمسلمين قوة ينبغى ان لايصالحوهم وينبغى ان يقاتلوهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية ان لم يكونوا من العرب فان الجزية لم توضع على العرب وتوضع على غيرهم حتى لاتبقى بقية الكفر فى انساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان العرب كلها من نسبه فلاتوضع الجزية عليه بل يحاربون حتى يسلموا او يقتلوا وانما امر الله تعالى نبيه بالصلح حين كانت الغلبة للمشركين وكان فى المسلمين قلة وقال صاحب الكشاف والصحيح ان الامر موقوف على مايرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب اوسلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا فانهم يحاربون الى الهدنة والهدنة الصلح يقال هادنه اى صالحه والاسم الهدنة فاختار انها غير مخصوصة باهل الكتاب ولا منسوخة بآية السيف بل الامر مفوض الى رأى الامام (قوله انى وجدت من المكارم حسبكم) اى محسبكم وكافيكم وهو مفعول ثان لوجدت وان تلبسوا مفعوله الاول والخز من كل شئ اكرمه وفى رواية

خمر النساب وهو الشباب المعمولة من الابريسم وبعد البيت

فاذا ذكرت المكارم مرة ❊ في مجلس انتم به فتقنعوا

اى غطوا وجوهكم لئلا تحترقوا ويقول كفاكم من المكارم لبس الثياب الدكنة واكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم في مجلس انتم به فتقنعوا وغطوا وجوهكم من الحياء فلستم منها في شئ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال اسلم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم اسلم عمر رضى الله تعالى عليهم اجمعين فصاروا اربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله يا ايها النبي حسبك الله اى يتولى الله تعالى كفايتك في جميع ما تحتاج اليه هو الذي ايدك وقواك واعانك بنصره وبمن اتبعك من المؤمنين فان قيل حيث قال هو الذي ايدك بنصره فأى حاجة مع نصرة الله تعالى الى المؤمنين حتى قال وبالمؤمنين اجيب بأن التأييد ليس الا من الله تعالى ولكنه على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب معلومة معتادة والثاني ما يحصل بسبب وواسطة الاسباب المعتادة فأشار الى الاول بقوله ايدك بنصره والى الثاني بقوله وبالمؤمنين ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم الآية فانه عليه الصلاة والسلام بعث الى قوم شديدى الانفة عظيمى الحمية حتى لو لطم رجل من قبيلة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره فكان دأبهم خصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر انتقلوا عن تلك الحالة القبيحة وتحولت اخلاقهم الشنيعة الى الخصال الحميدة والاخلاق المرضية فكان جل همتهم ومطمح نظرهم طاعة الله وطاعة رسوله حتى قاتل الرجل اخاه واباه وابنه ابتغاء وجه الله ونصرة شرعه ودينه فصاروا انصارا واعوانا والحكمة فيه ان المحبة انما تتعلق بالمحبوب عند تصور خير وكمال فيه ثم ان الخيرات والكمالات تنقسم الى قسمين احدهما الكمالات الدائمة الباقية وثانيهما الكمالات المتبدلة المتغيرة وهي الكمالات الجسمانية والخيرات الطبيعية البدنية فالمحبة المبنية على مثل هذه الكمالات سريعة الزوال فان الانسان قد يتصور ان يحصل له بصحبة زيد مال عظيم او جاه خطير فيحبه ثم يخطر بباله ان ذلك المال والجاه لا يحصل له فيبغضه لان المحبة لما كانت معللة بتصور الكمال وكان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت المحبة المتفرعة عليه سريعة التبدل والزوال بخلاف ما اذا كان موجب المحبة تصور الكمالات الباقية المقدسة عن التغير والزوال فان المحبة تكون باقية آمنة من التغير والزوال فان حال المعلول في البقاء والتبدل تابع لحال العلة وهذا هو المراد بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

من الاموال لم يقدر على
تأليف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (حكيم) [illegible]
[illegible]
[illegible]
في الاوس والخزرج كان
[illegible]
[illegible] ثم هلكت [illegible]
[illegible]
[illegible] الاسلام حتى اصطلحوا
وصاروا انصارا (يا ايها
النبي حسبك الله) كافيك
ومن اتبعك من المؤمنين)

اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشجر القنى فحسبك والضحاك سيف مهند

اوالجر عطفا على الكاف
عند الكوفيين او الرفع
عطفا على اسم الله اى
كفاك الله والمؤمنون
والآية نزلت بالبيداء فى
غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست
نسوة ثم أسلم عمر رضى الله
تعالى عنه فنزلت ولذلك
قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما نزلت فى اسلامه
(يا ايها النبى حرض
المؤمنين على القتال)
بالغ فى حثهم عليه واصله
الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفى على
الموت وقرئ حرص من
الحرص (ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وان يكن منكم
مائة يغلبوا ألفا من الذين
كفروا) شرط فى معنى
الامر بمصابرة الواحد
للعشرة والوعد بانهم ان
صبروا غلبوا بعون الله
وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر تكن بالتاء
فى الآيتين ووافقهم
البصريان فى فان تكن
منكم مائة صابرة

اذا تقرر هذا فنقول لما كانت العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه طالبين
للمال والجاه والمفاخرة بهما وكانت المحبة الواقعة بينهم معللة بهذه العلة فلاجرم
كانت المحبة سريعة الزوال وكانوا بأدنى سبب يقعون فى الحرب والفتنة
فلما جاءهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض
عن الدنيا والاقبال على الآخرة زالت الخشونة والمخاصمات التى بينهم
فصاروا اخوانا متوافقين وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام فتحت عليهم
ابواب الدنيا وتوجهوا الى طلبها والرغبة فيها فعادوا الى المعاداة والمحاربة
وهذا هو السبب الحقيقى فى كثرة وقوع الخلاف بين اهل الدنيا ودوام الالفة
والمحبة بين اهل الله وطلاب الآخرة (قوله فى محل النصب على المفعول معه)
المعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا (قوله اشجر) يقال اشتجر
القوم وتشاجروا اى تنازعوا والقنى جمع قناة وهى الرمح والمهند السيف
المصنوع من حديد الهند وروى ان المصراع الاول هكذا اذا كانت الهيجاء
وانشقت العصا * وانشقاق العصا عبارة عن التفرق والمخالفة والهيجاء الحرب
يمد ويقصر (قوله اوالجر عطفا على الكاف) اى على الكاف فى حسبك
ويجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الخافض عند الكوفيين نحو
مررت بك وزيد خلافا للبصريين (قوله وقيل اسلم مع النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم الخ) فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت فى سورة مدنية بأمره
عليه الصلاة والسلام وعلى اى قول كان لاتكون هذه الآية تكرارا لما قبلها
لان قوله فان حسبك الله معناه انه تعالى يكفيك امرهم ان صالحوك على سبيل
المخادعة وهذه الآية معناها انه تعالى يكفيك فى كل ما تحتاج اليه من امور
الدنيا والدين (قوله وهو ان ينهكه المرض) اى يذهب لحمه ويضعفه
والحرض الرجل الذى اذابه الحزن والعشق قال الشاعر انى امرؤ لج بى حرض
فأحرضنى * اى اذابنى وافسدنى يقال نهكت الثوب انهكه نهكا بفتح الهاء
فى الماضى والمضارع اى لبسته حتى خلق ونهكته الحمى اذا جهدته وانحفته
ونقصت لحمه واشفى على الشئ اشرف عليه قال الزجاج التحريض فى اللغة
ان يحث الانسان غيره على شئ حتى يعلم منه انه اذا تخلف عنه كان حارضا
والحارض هو الذى قارب الهلاك ففى الآية اشارة الى ان المؤمنين لو تخلفوا
عن القتال بعد حث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا حارضين اى هالكين
والحرض القرب من الهلاك قال تعالى حتى تكون حرضا اوتكون من الهالكين
(قوله شرط فى معنى الامر) يعنى ان الآية وان كانت على صورة الاخبار بأن
الواحد يغلب العشرة الا ان المراد منها الامر بالمصابرة والاجتهاد فى القتال

ويدل عليه انه لو كان المراد منها الاخبار لزم ان لا يغلب مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين قط ومعلوم ان الامر ليس كذلك وان قوله تعالى الآن خفف الله عنكم نسخ والنسخ أليق بالامر منه بالخبر وان قوله تعالى بعد ذلك والله مع الصابرين ترغيب في الثبات على الجهاد وهو يلائم الاخبار ثم انه تعالى اثبت في الشرط الاول قيد الصبر وحذف قيد كون العدو من الذين كفروا وحذف في الشرط الثاني قيد الصبر وقيد العدو بكونه من الذين كفروا على عكس الاول فحذف من كل واحد منهما ما اثبت في الآخر وهو في غاية الفصاحة وقرأ الكوفيون وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا بتذكير يكن فيهما ونافع وابن كثير وابن عامر بتأنيثه فيهما وابو عمرو ويعقوب في الاول كالكوفيين وفي الثانية كالباقين فمن ذكر فللفصل بين الفعل وفاعله بقوله منكم ولان التأنيث مجازي ولان المراد بالمائة الذكور ومن أنث اعتبر اللفظ ولم يلتفت الى المعنى ولا الى الفصل وفرق ابو عمرو بين الفعلين فذكر في الاول لما ذكر ولانه نظر الى قوله يغلبوا وانث في الثاني لقوة التأنيث بوصفه بالمؤنث في قوله صابرة واما قوله تعالى ان يكن منكم ألف فبالتذكير عند جميع القراء الا الاعرج فانه انث المسند الى عشرين ففي عبارة المصنف نوع ايهام (قوله بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر) ومن اعتقد أن لا حياة الا هذه الحياة الدنيوية فانه يشح بها ولا يعرضها للزوال واما من اعتقد ان الحياة المعتبرة انما تكون في الدار الآخرة فانه لا يبالي بهذه الحياة العاجلة ويصرفها الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة فيقدم على الجهاد بقلب قوي وهمة صادقة بتأييد الله تعالى اياه وتقويته قلبه على الصبر والثبات فيقاوم الواحد من مثله العدد الكثير ممن لا يعتقد بالمعاد وحياة الآخرة وايضا الكفار انما يعولون على قوتهم وشوكتهم والمؤمنون يستعينون بربهم بالدعاء والتضرع ومن كان كذلك كان النصر والظفر به أليق واولى فان قيل محصول الآية وجوب ثبات الواحد للعشرة فما الفائدة في العدول عن هذه اللفظة الوجيزة الى تلك الكلمات الطويلة اجيب عنه بأن هذا الكلام انما ورد على وفق الواقعة لانه عليه الصلاة والسلام كان يبعث السرايا والغالب ان تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين وما كان يزيد على المائة فلهذا ذكر الله تعالى هذين العددين ووجوب ثبات الواحد للعشرة كان في الابتداء روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال كتب عليهم ان لا يفر الواحد من العشرة ثم خفف عنهم وامروا بأن لا يفر الواحد من الاثنين قال الامام محيي السنة كان هذا يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين

(بانهم قوم لا يفقهون) بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم

فخفف الله تعالى عنهم وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انه لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا ربنا نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم ونحن قد اخرجنا من ديارنا واموالنا وعدونا ليسوا كذلك وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا فنزل التخفيف (قوله وتكرير المعنى الواحد الخ) جواب عما يقال لم كرر معنى ثبات الواحد للعشرة في التكليف الاول بذكر عددين متناسبين في افادة ذلك المعنى وهما ثبات العشرين للمائتين وثبات الالف للالفين فالذي استقر عليه حكم التكليف بهذه الآية ان كل مسلم بالغ مكلف وقف بازاء مشركين عبدا كان المسلم او حرا فالهزيمة محرمة عليه مادام معه سلاح يقاتل به فان لم يبق معه سلاح فله ان ينهزم وان قاتله ثلاثة حلت الهزيمة والصبر احسن روي انه وقف وصبر ثلاثة آلاف من المسلمين في غزوة مؤتة وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن حارثة عليهم وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن ابي طالب وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة مع مائتي ألف من المشركين مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة وهم لخم وجذام ثم انه تعالى علم حكما آخر من احكام الغزو والجهاد في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما كان لنبي من الانبياء ذلك فلم يكن منك ومن قرأ ما كان للنبي فمعناه ان هذا الحكم ما كان ينبغي حصوله لهذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله وقرأ البصريان) ابو عمرو ويعقوب تكون بالتأنيث لكون الجمع في تأويل الجماعة فان أسرى جمع اسير فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى وقرأ الباقون بالتذكير لكون الفعل متقدما وكون تأنيث أسرى غير حقيقي لان المراد بهم الذكور وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من هذه الثلاثة اذا انفرد جاز تذكير الفعل وعند اجتماع الكل يكون اولى (قوله واصله الثخانة) وهي الغلظة والصلابة والقوة والشدة يقال ثخن الشيء ثخانة اي غلظ وقوي واثخنه المرض اذا اشتدت قوة المرض عليه فقوله حتى يثخن في الارض اي حتى يقوى ويشتد ويغلب ويقهر فهمزة أثخن للصيرورة وقال اكثر المفسرين المراد منه ان يبالغ في قتل اعدائه قالوا وانما قلنا ذلك لان اللفظ يدل عليه فان الملك والدولة انما تقوى وتشتد بالقتل قال الشاعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

وكثرة القتل توجب قوة الرهبة وشدة المهابة فعبر عنها بالاثخان على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب وكلمة حتى لانتهاء الغاية فقوله حتى يثخن في الارض يدل على انه بعد حصول الاثخان في الارض له ان يقدم على

وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (ما كان لنبي) وقرئ للنبي على العهد (ان يكون له اسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن في الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا)

حطام الدنيا باخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) والله يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا (والله عزيز) يغلب اولياءه على اعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم ﴿٣١٣﴾ فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم (لمسكم) لنالكم (فيما اخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب

الاسرى (قوله حطام الدنيا) هو ما تكسر من اليبس عبر عن منافع الدنيا واسبابها بالحطام لقلة قدرها بالنسبة الى تقوى الله واجمع المفسرون على ان المراد من عرض الدنيا ههنا اخذ الفداء وسمى منافع الدنيا عرضا لانها لا ثبات لها ولا دوام فكأنها تعرض ثم تزول ولذلك سمى المتكلمون الاعراض اعراضا لانها لا ثبات لها كثبات الاجسام فانها تطرأ على الاجسام فتزول عنها والاجسام باقية بحالها (قوله ونار توقد) اى وكل نار لئلا يلزم من عطفه على امرئ العطف على معمولى عاملين مختلفين اعنى كل وتحسبين والاشارة الى هذا ذكر المصنف المصراع الاول مع انه لا دخل له في الاستشهاد (قوله فلم يهو) اى لم يحب من هوى بالكسر يهوى هوى اى احب (قوله فخير اصحابه) بأن قال ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم فيستشهد منكم بعددهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد بسبب قولهم هذا واخذهم الفداء وكان فداء الاسارى عشرين اوقية اى كان فداء كل اسير عشرين اوقية فكان فداء العباس اربعين اوقية عشرين لنفسه وعشرين لابن اخيه عقيل بن ابي طالب والاوقية اربعون درهما في الدراهم وستة دنانير في الدنانير (قوله أدنى من هذه الشجرة) اى حال كون ذلك العذاب اقرب اليهم من قرب هذه الشجرة الى وينبغي ان يكون هذا منه عليه الصلاة والسلام اشارة الى ما نزل بهم يوم احد (قوله او ان لا يعذب اهل بدر) اى ان لا يعذب الا بعد النهى فانه تعالى ما نهاهم صريحا عن اخذ الفدية الا انهم لما اخذوها قبل ان يؤمروا به عاب الله تعالى ذلك عليهم (قوله او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم) يعني ان الغنائم كانت حراما على الانبياء المتقدمين فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء تأكله فهذه الامة لما اخذوا الفداء يوم بدر قبل نزول آية الحل انزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق اى لولا حكم مكتوب في اللوح بانه يحل لكم الغنائم لمسكم العذاب فان حرمة الاخذ لما

لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم اوصفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) فى مخالفته (ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم (رحيم) اباح لكم ما اخذتم (يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى) وقرأ ابو عمرو من الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء ﴿ ٣١٤ ﴾ روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فأشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين ألفا واعطانى زمزم ما احب (الاسارى) ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فأمكن منهم) اى فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا) اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا)

كانت ساقطة عند الله تعالى صادف محلا لا حرمة له فى علم الله تعالى فسقطت عقوبة هتك الحرمة لذلك كما لو قصد وطئ امرأة زفت اليه وهو يعتقد انها ليست بزوجة له فاذا هى زوجته فعلى هذا الوجه تكون الآية معاتبة لهم على اخذ الفدية لا تحريما لها كما فى الوجهين الاولين قيل معنى الآية لولا انه تعالى حكم فى الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم (قوله لما نجا منه غير عمر وسعد) فيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا الا احب الفداء غير عمر وسعد ابن معاذ رضى الله عنهما (قوله وفائدته) اى فائدة التقييد بقوله حلالا او فائدة ذكر المسبب الذى هو اباحة الغنائم وما تفرع عليها من اكلها حلالا طيبا ازاحة ما وقع فى نفوسهم من حرمتها على الوجهين الاولين وان أخذ الفداء على تقدير ابتنائه على الخطأ فى الاجتهاد وعلى تقدير كونه حراما فى حكم الله تعالى فدفع تلك الحرمة او ما وقع فى نفوسهم من الاشتباه فى حلها بما ذكره (قوله نزلت فى العباس) اى ابن عبد المطلب وكان اسر يوم بدر وقد خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم الناس واراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون اوقية معه فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فأبى وقال اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك ومع ذلك كلفه فداء ابنى اخويه فابى (قوله لى الآن عشرون عبدا) كلهم تاجر يضرب اى يسافر ويتجر بمال كثير وأدناهم مالا يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية والآية وان نزلت فى حق العباس رضى الله تعالى عنه خاصة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل نزلت فى حق جملة الاسارى ويؤيده قوله تعالى لمن فى ايديكم وقوله من

الاسرى وقوله فى قلوبكم واخذ منكم ويغفر لكم الذنب الجم (قوله هم الانصار آووا المهاجرين) اى اسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على اعدائهم قسم الله من آمن فى زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد فالقسم الاول من آمن به عليه الصلاة والسلام وانتقل من مكة الى المدينة ورافقه فى تلك الهجرة والقسم الثانى من بقى فى مكة ولم يوافقه فى تلك الهجرة والقسم الثالث الانصار الذين بذلوا النفس والمال فى خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصلاح مهمات اصحابه لما هاجر عليه السلام اليهم مع طائفة من اصحابه والقسم الرابع من هو فى زمانه عليه الصلاة والسلام هم الذين آمنوا بعدوما جروا وجاهدوا مع جملة من الصحابة واختلفوا فى قوله تعالى بعضهم اولياء بعض فروى الواحدى عن ابن عباس وعن سائر المفسرين ان المراد بهذه الولاية الوراثة قالوا جعل الله تعالى سبب التوارث بين المسلمين الهجرة والنصرة دون القرابة فمن آمن ولم يهاجر لايرث قريبه المهاجر لانه لم يهاجر لم ينصر فجعل الله اصحاب الهجرة والنصرة طائفة واحدة واوجب على كل واحد منهم موالاة الآخر ومواساته وموافقته فلذلك كان عليه السلام حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار فجعل لكل مهاجر اخا انصاريا فاقروا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين اموالهم ودورهم واذا كان للرجل من الانصار امرأتان عرضهما على اخيه من المهاجرين بناء على ان ينزل عن احديهما فكان التوارث بهذه المؤاخاة دون القرابة اذا لم تكن معها هجرة فكان لايرث غير المهاجر من المهاجر وان كانا قريبين حتى كان يوم فتح مكة فسقطت فرضية الهجرة ونزلت الآية الموجبة للتوارث بين الاقرباء من بعض ونزلت قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله (قوله او بالنصرة والمظاهرة) عطف على قوله فى الميراث اى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث او بالنصرة والمعونة فان اولياء جمع ولى نحو صديق واصدقاء والولى ضد العدو يقال منه تولاه والولى يجيء بمعنى الناصر ايضا وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتم بشأنه ويخصه بمعاونته ومظاهرته بل لفظ الولاية غير مشعر بمعنى الوراثة الا ان المفسرين حملوه على هذا المعنى بناء على ان الولاية المثبتة فى هذه الآية هى الولاية المنفية فى قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء والولاية المنفية فيه ليست بمعنى النصرة لانه تعالى عطف عليه قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ولاشك ان ذلك عبارة عن الموالاة فى الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الولاية المذكورة امرا مغايرا

هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر

تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتولية صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) الا تفعلوا ٣١٦ ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة في الارض) تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) في الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) في التوارث من الاجانب (في كتاب الله) في حكمه او في اللوح او في القرآن (سورة) واستدل به على توريث ذوي الارحام (ان الله بكل شيء عليم) من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ❊ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

المعنى النصرة (قوله تشبيها لها بالعمل) يريد ان المصدر الذي يجيء على فعالة بالكسر انما يكون في الصناعات وما يكون بمزاولة العمل كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والتجارة والقصارة والصباغة ونحوها والولاية ليست من هذا القبيل الا على سبيل التشبيه فان الولي بتولية صاحبه ونصرته كأنه يزاول عملا فشبه التولي بالعمل ثم استعير له الولاية بالكسر ثم انه تعالى لما بين ان حكم المؤمن الذي لم يهاجر انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين توهم انه يجب ان تحقق بينهم المقاطعة كما في حق الكفار فأزال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اي الذين آمنوا واقاموا في بلادهم او باديتهم ولم يهاجروا اليكم وقصدهم عدو من الكفار وطلبوا منكم النصر فانصروهم ولا تخذلوهم الا اذا كان من قصدهم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة ومواعدة فيجب عليكم الوفاء بالعهد وترك الحرب معهم ولا يلزمكم نصرة الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم (قوله لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم الخ) اشارة الى ان هذا ليس بتكرار لانه تعالى ذكرهم اولا لبيان حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضا ثم انه تعالى ذكرهم ههنا تعظيما لهم وبيانا لعلو درجتهم بالنسبة الى المؤمن الذي لم يهاجر وهذا الترتيب في غاية الحسن لانه تعالى قدم ذكر المهاجرين والانصار لكونهم افضل الناس ثم ذكر القسم الثاني وهم الذين آمنوا من بعد وهاجروا ثم ذكر الثالث وهم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانهم وان كان لهم فضل بسبب ايمانهم الا انهم بسبب تركهم الهجرة حالتهم نازلة عن حال القسمين الاولين والمهاجرون حيث اسسوا قاعدة الايمان واتباع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منهم فيكون حكمهم متوسطا من حيث ان الولاية المثبتة للقسمين الاولين منفية عن هذا القسم من حيث التوارث والتظاهر الا انهم بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصروهم واعانوهم وهذا الحكم متوسط بين الاجلال والاذلال واما الكفار فليس لهم ما يوجب شيأ من اسباب الفضيلة فوجب ان يقطع المسلمون عنهم من كل الوجوه وهذا آخر ما يتعلق بسورة الانفال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة ﴿٣١٧﴾ من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وعد آيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) اي هذه براءة من الله ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة

(سورة التوبة مدنية)

(قوله وهي آخر ما نزلت) لما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه آخر سورة نزلت كاملة براءة وعن ابن كيسان نزلت براءة على رأس تسع من هجرته عليه الصلاة والسلام والمقشقشة اي المبرئة من النفاق كما يبرأ المريض من الجرب والمبعثرة اي المظهرة لاحوال المنافقين يقال بعثرت الشيء اخرجته وكشفته والتنقير ايضا التعييب يقال نقرت الرجل اذا عبته واثارة الخبر اشاعته والمدمدمة المهلكة يقال دمدم الله عليهم اي اهلكهم (قوله لانها نزلت لرفع الامان) لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبراءة من عصمة المعاهدين ليس فيها امان وبسم الله الرحمن الرحيم لكونه مفتاح سر ورحمة وبركة امان فلا يليق ان يكتب في اول سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود (قوله لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها) وانه ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيده ضمت هذه السورة اليها ولم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم لان كتابتها بينهما تدل على كونهما سورتين متغايرتين (قوله وقيل) يعني انه لما ظهر الاختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم في انها سورة واحدة او سورتان تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول هما سورتان وما كتبوها بينهما على قول من يقول سورة واحدة (قوله اي هذه براءة) على ان براءة خبر مبتدأ محذوف ومن متعلقة بمحذوف هو صفة الخبر وهو نظير قوله كتاب من فلان ثم يجوز ان تكون مبتدأ مخصصا بالصفة والى الذين خبره كقولك رجل من بني تميم في الدار والبراءة معناها انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة اي انقطعت بيننا النسبة ولم يبق بيننا علاقة ومنه برئت من الدين (قوله وانما علقت البراءة) يعني ان المعاهدة لما تعلقت بالمسلمين كان حق البراءة ان تنسب اليهم لان البراءة انما تكون من قبل المعاهدة فكيف نسبت الى الله تعالى وتقرير الجواب ان عقد المعاهدة قام بالمؤمنين الا انهم انما عاهدوا باذن الله تعالى في معاهدة المشركين بقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وراى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمتولي للعهد هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنهم

فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر)
شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابابكر رضى الله تعالى عنه
اميرا على الموسم فقيل
له لو بعثت بها الى ابى بكر
فقال لايؤدى عنى الارجل
منى فلما دنا على رضى الله
تعالى عنه سمع ابو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما لحقه قال امير
مأمور قال مأمور فلما كان
قبل التروية خطب ابو بكر
رضى الله تعالى عنه وحدثهم
عن مناسكهم وقام على يوم
النحر عند جمرة العقبة وقال
ياايها الناس انى رسول
رسول الله اليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلاثين
اواربعين آية ثم قال امرت
بأربع ان لايقرب البيت
بعد هذا العام مشرك
ولايطوف بالبيت عريان
ولايدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى
كل ذى عهد عهده ولعل
قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم لايؤدى عنى الارجل
منى ليس على العموم فانه
عليه الصلاة والسلام بعث
لان يؤدى عنه كثيرا لم
يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لايتولى العهد ونقضه على القبيلة الارجل (المدة)
منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لاينبغى لاحد ان يبلغ هذا الارجل من اهلى (واعلموا انكم غير معجزى الله)
لاتفوتونه وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (واذان من الله ورسوله
الى الناس) اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر)

ادخلوا فى الخطاب لانهم راضون بقوله ومتفقون عليه فكأنهم عقدوا وعاهدوا
(قوله فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين) فاما الذين لم ينقضوا
العهد ولم يظاهروا احدا على المؤمنين فقد امر الله تعالى باتمام العهد بينهم
فى المدة المعهودة حيث قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله فأتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم وقال فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى استقيموا
لهم مدة استقامتهم لكم روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج الى غزوة تبوك
وتخلف المنافقون وارجفوا بالاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد
فأمر الله تعالى بنقض عهودهم والمعنى فقد برئ الله ورسوله من اعطائهم
العهود والوفاء بها اذا نكثوا ويجوز له عليه الصلاة والسلام ان ينقض العهد
بأحد ثلاثة امور الاول ان يظهر له منهم خيانة مستورة ويخاف ضررهم
فينبذ العهد اليهم حتى يستووا فى معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما تخافن
من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء والثانى ان يكون قد شرط لبعضهم
فى وقت العهد ان يقرهم على العهد فيما ذكر من المدة الا ان يأمر الله تعالى
بقطعه فلما امر الله تعالى بقطع العهد بينهم قطعه لاجل الشرط والثالث
ان يكون العهد مؤجلا فتنقضى المدة وينقضى العهد بانقضائها فحينئذ
يكون الغرض من اظهار البراءة ان يظهر لهم انه لايعود الى العهد وانه على
عزم المحاربة والمقاتلة ولايجوز له عليه الصلاة والسلام نقض العهد فى غير هذه
الاحوال الثلاث لانه يجرى مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريئان منه
(قوله فقال فسيحوا) اشارة الى ان قوله تعالى فسيحوا على اضمار القول اى قل لهم
سيحوا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسياحة الضرب فى الارض
والاتساع فى السير والبعد عن البلد ومواضع العمارة وليس ذلك من باب الامر بل
المقصود الاباحة والاطلاق والاعلام لحصول الامان وازالة الخوف والمعنى انكم
آمنون من القتل فى هذه المدة ثم انكم بعد انقضاء تلك المدة حرب الله ورسوله تحاربون
وتقتلون حيث ادركتم وتؤسرون الى ان تتوبوا والمقصود من هذا الاعلام امور
الاول ان يتفكروا فى انفسهم ويحتاطوا فى امرهم ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه

المدة الا الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام الثاني
ان لا ينسب المسلمون الى الخيانة ونقض العهد فان المسلمين لو قاتلوهم عقيب اظهار
النقض فربما يسبق الى الوهم ذلك فامهلوا هذه المدة ليستعدوا للحرب ويعدوا
آلاتها وفي ذلك تنزيه المؤمنين عن الخيانة وتقوية شوكتهم وقوتهم وعدم
التفاتهم الى الكفرة واستعدادهم للحرب واختلف في ابتداء هذه الاشهر الاربعة
فقيل ان سورة براءة نزلت في شوال فيكون ابتداء الاربعة اشهر من شوال الى المحرم
وقيل انها وان نزلت في شوال الا ان قراءتها على الكفار وتبليغها
اليهم كان يوم الحج الاكبر والصواب الذي عليه الاكثر ان ابتداء هذه المدة اليوم
العاشر من ذي الحجة الى انقضاء عشر من ربيع الآخر وقيل ابتداء تلك المدة كان
من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت بسبب النسيء الذي كان فيها ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
وهي حجة الوداع ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين
يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودخل
بنوا بكر في عهد قريش ثم عدت بنوا بكر على خزاعة فنالت منها واعانتهم
قريش بالسلاح فلما تظاهر بنوا بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم
خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واخبره ان قريشا اخلفوك الموعد ونقضوا ميثاقهم المؤكد فقال عليه الصلاة
والسلام لا نصرت ان لم انصرك ثم تجهز الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة
فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحج ثم قيل له انه
يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابابكر رضي الله تعالى عنه تلك السنة اميرا
على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس
صدر سورة براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كل مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان
الى آخر ما ذكره المصنف والعضب القطع وناقة عضباء اي مشقوقة الاذن
والعضباء لقب ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن مشقوقة الاذن
والرغاء صوت ذوات الخف وعترة الرجل رهطه ونسله الاقربون وقد جرت
العادة ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا رجل من الاقارب فلو تولاه ابوبكر
لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا من نقض العهود فربما لم يقبلوا فارسل
اليهم تولية ذلك عليا فلما بلغ علي رضي الله تعالى عنه رسالته قالوا عند
ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه

عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف (قوله يوم العيد وقيل يوم عرفة) يعنى اختلف فى يوم الحج الاكبر انه يوم النحر او يوم عرفة واحتج من قال انه يوم النحر بأن اعمال الحج انما تتم فى هذا اليوم وهى الطواف والنحر والحلق والرمى ومن قال انه يوم عرفة احتج بقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ولان معظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة انما يكون فى هذا اليوم وانما قلنا الوقوف اعظم اعمال الحج لان من ادرك الوقوف ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج (قوله فانه اكبر من باقى الاعمال) فان مايقع فى يوم عرفة هو الوقوف الذى هو معظم اعمال الحج الاكبر قال الحسن رضى الله تعالى عنه سمى ذلك اليوم بيوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق قبله ولابعده فعظم ذلك اليوم فى قلب جميع الطوائف ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان بأى شئ كان فقال ان الله برئ من المشركين والجمهور على رفع قوله ورسوله عطفا على المستكن فى قوله برئ وجاز ذلك للفصل القائم مقام التأكيد (قوله اوعلى محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها) واما من قرأ بفتح الهمزة فانه لايجعل الرفع مبنيا على العطف على محل اسم ان لانه لايجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة مطلقا عند السيرا فى بخلاف المكسورة ووجه الفرق ان المكسورة لا تغير معنى الجملة بل تؤكدها فلذا ان قلت ان زيدا قائم افدت بقولك زيد قائم مع زيادة التأكيد فكان اسمها المنصوب فى محل الرفع على الابتدآء من حيث كون المكسورة فى حكم العدم فجاز العطف على محل ذلك الاسم بالرفع بخلاف المفتوحة فانها تغير معنى الجملة فتكون مع ما فى حيزها فى تأويل اسم مفرد مرفوع او منصوب اومجرور فيكون اسمها كبعض حروف الكلمة فلا يبقى له محل حتى يقال انه فى محل الرفع على الابتدآء وانه يعطف على محله بالرفع وابن الحاجب جعل المفتوحة على قسمين الاول ما هو فى حكم المكسورة وهى التى وقعت بعد فعل القلب وجوز العطف على محل اسمها نحو علمت ان زيدا قائم وعمرو ويعطف عمرو على محل زيد فجعل المفتوحة فى مثله كالمكسورة بناء على ان المفتوحة مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى علمت كما ان المكسورة مع مافى حيزها فى تقدير اسمين اى المبتدأ والخبر فحكم المفتوحة بعد فعل القلب كحكم المكسورة فى قيامها مع مافى حيزها مقام الاسمين فعلى هذا التدقيق يجوز ان يكون ورسوله فى الآية معطوفا على محل المفتوحة لوقوعها بعد فعل القلب لان اذان بمعنى اعلام واعلم ان عبارة القوم اختلفت فى هذه المسألة فمنهم من يقول على محل اسم ان ومنهم من يقول على محل ان واسمها واختاره المصنف ووجه العبارة الاولى ان الاسم هو الذى كان مرفوعا قبل

(دخول)

يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولماروى انه عليه الصلاة السلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين (أن الله) اى بأن الله (برئ من المشركين) اى من عهودهم (ورسوله) عطف على المستكن فى برئ اوعلى محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها اجرآء الاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع

ولا تنكير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر ﴿٣٢٢﴾ (فهو) فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء (فاعلموا انكم غير معجزي الله) لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) في الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين او استدراك فكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا عليكم احدا) من اعدائكم (فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسلخ) انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل للنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر (٤١) (رابع) الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخذوهم) واسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم)

دخول ان ودخولها عليه كلا دخول فبقي على كونه مرفوعا ومن قال على محل ان واسمها نظر الى ان اسمها لو كان وحده مرفوع المحل لكان وحده مبتدأ والمبتدأ مجرد عن العوامل عندهم وحينئذ ليس بمجرد والعبارة الاولى هي الاولى لان ثباته لكلامهم باعتباره والثانية لما اعتبرت تقصيب (قوله ولا تنكير فيه) يعني ان جملة قوله واذان من الله ليست تكرير لقوله براءة من الله (قوله ولذلك) اي ولكون الجملة الثانية اخبارا بوجوب الاعلام بما مضى من البراءة علق الاذان بالناس فان الاذان عام لجميع من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث وعلقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين لكونها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم (قوله او ثبتم على التولي عن الاسلام) لانهم كانوا متولين معرضين عن الاسلام فوجب ان يكون التولي عن التوبة او بمعنى التولي عن الثبات على الاسلام (قوله استثناء من المشركين او استدراك) يعني انه استثناء متصل كأنه قيل براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا العهد او منقطع على ان يكون المراد بالمشركين هم الناكثون (قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيأ) قرأ الجمهور ينقصوكم شيأ بالصاد المهملة وهو يتعدى الى واحد والى اثنين ويجوز هنا جعله متعديا الى اثنين بأن يكون كم مفعولا اولا وشيأ مفعولا ثانيا والى واحد فيكون شيأ منصوبا على المصدر اي شيأ من النقصان وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف المضاف اي ينقضوا عهدكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وفي القراءة الاولى مقابلة النقص بالتمام مع الاستغناء عن ارتكاب الحذف قيل ان المراد من المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا شيأ من عهدهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر فانهم لما اتقوا نقض العهد ونكثه استحقوا من الله تعالى ان يصان عهدهم ايضا من النقض والنكث (قوله واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه) شبه الشهور باللباس وجعل اهل الشهر لابسين له فاذا اهل الهلال فكان اهله يدخلون فيه فيزدادون في كل ليلة منه جزأ الى مضي نصفه فبتمام لباسه ثم انه ينسلخ منهم جزأ فجزأ الى ان ينقضي وينسلخ (قوله التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها) على ان يكون الالف واللام في الاشهر الحرم للعهد والمعهود الاشهر المتقدم ذكرها بناء على ان النكرة اذا اعيدت معرفة يراد بها عين الاول الا اذا وصفت المعرفة بصفة تشعر بالمغايرة كقولك رأيت رجلا فاكرمت الرجل الطويل فانك لا تريد بالثاني عين الاول في مثله والاشهر ههنا قد وصفت بالحرم

واحبسوهم او حيلوا بينهم و بين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر لئلا ينبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك ﴿ ٣٢٢ ﴾ الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدلهم الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن او الامر (بأنهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلابد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين (ذكر) ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم

وهى صفة مفهومة من فحوى الكلام فلا تقتضى المغايرة فيكون المراد بالمعرف ما ذكر منكرا قبل ذكره معرفة قال بعض المفسرين منهم الكواشى ان المراد بالاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وسميت بذلك لان الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم ولم يرض بهذا القول لكونه مخلا بانتظام حمل لفظ المعرف على المنكر واقتضائه بقاء حرمة الاشهر المذكورة وهو خلاف الاجماع واما اذا حمل الاشهر الحرم على الاشهر التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية يكون امر بمحاربة المشركين وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى أبد الآباد وهذه الآية ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء رحمهم الله (قوله واحبسوهم او حيلوا) يعنى ان معنى الحصر المنع والمراد اما منعهم عن الخروج من المحبس او منعهم عن البيت الحرام وعن ابن عباس ان المعنى انهم ان تحصنوا فاحصروهم والمرصد مفعل من رصده يرصده اى رقبه يرقبه وهو يصلح للزمان والمكان والمصدر والمعقول يعين كونه محمولا على المكان الذى يرقب فيه العدو اى كونوا لهم راصدين لتأخذوهم من اى جهة توجهوا (قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك) وجه ارتباطه بما قبله انه تعالى لما اوجب قتل المشركين عند انقضاء الاشهر الحرم دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات يكفى فى ازاحة عذرهم وعلتهم وذلك يقتضى ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لا يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل فلما كان هذا الوهم يخطر بالبال لا جرم ذكر الله تعالى هذه الآية ازالة لهذه الشبهة كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال ان رجلا من المشركين قال لعلى رضى الله عنه ان اردنا ان نأتى الرسول بعد انقضاء هذه المدة لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل فقال له على رضى الله عنه لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فأجره الآية (قوله ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم) اى مع توقد الغيظ والعداوة فى قلوبهم فان الوغر شدة توقد الحر ومنه قولهم فى صدره وغرة على اى حقد وعداوة تتوقد من الغيظ والمصدر الوغر بالتحريك تقول وغر صدره على يوغر وغرا فهو واغر الصدر (قوله وخبر يكون كيف)

ذكر في خبره ثلاثة اوجه الاول وهو الظاهر انه كيف وقوله للمشركين [illegible]
عليها وجوبا لاشتماله على ماله صدر الكلام وهو الاستفهام [illegible] وقوله
للمشركين متعلق اما بيكون على رأى من يجوز في كان ان تعمل في الظرف وشبهه
واما بمحذوف لانها صفة في الاصل قدمت فانتصبت على الحال [illegible]
فيه [illegible] كافي في هيئة [illegible] المتعلق [illegible] على [illegible] صفة [illegible] ويتعلق [illegible]
عهد لانه مصدر والوجه الثاني ان خبر يكون هو قوله للمشركين وعند على هذا فيه
الاوجه المتقدمة وهو معنى قول المصنف وهو اي قوله عند الله على الاولين صفة
للعهد او ظرف له او ليكون والوجه الثالث ان يكون الخبر عند الله وللمشركين
على هذا اما تبيين على ما اختاره المصنف وان يتعلق بيكون عند من يجوز ذلك
واما حال من عهد وكيفه ان لم يكن خبرا كما في الوجهين الاخيرين يكون منصوبا
بالحال وهذه الوجوه كلها على تقدير ان تكون كان ناقصة ويحتمل ان تكون
تامة بمعنى كيف يوجد العهد للمشركين ثم استثنى المعاهدين الذين ثبتوا على
مقتضى العهد ولم ينكثوه وما تحتمل الشرطية والمصدرية فان كانت شرطية
تكون في محل النصب على الظرف الزماني والتقدير اي زمان استقاموا لكم
فاستقيموا لهم وان كانت مصدرية تكون مقدرة بالزمان ايضا ومنصوبة
على الظرفية ايضا فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم ثم قال الله تعالى ان الله
يحب المتقين اي يحب من اتقى ووفى حق من عاهده (قوله وحذف الفعل) اي
الفعل المستفهم عنه المستبعد الوقوع اي كيف عهد يثبتون عليه او يبقى حكمه
عند الله وعند رسوله وحالهم انهم ان يظهروا عليكم (قوله وخبرتماني)
البيت لكعب الغنوي يرثي اخاه ابا المغوار وقوله فكيف وهاتا هضبة وقليب يروى
وكثيب والهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض والقليب البئر قبل ان تطوى
والكثيب التل من الرمل والهضبة والقليب قيل انهما اسما موضعين في البادية
التي مات فيها ابو المغوار وقيل المراد بهما المعنى المعروف يقول الشاعر لصاحبيه
خبرتماني وقلتما لي من سكن الامصار مات بالوباء فكيف مات اخي في البادية
واشار الى هضبة وقليب كانا في الموضع الذي مات فيه اخوه وحذف الفعل
العامل في كيف اي فكيف مات (قوله حلفا) يعني ان الال فيه اقوال احدها
ان المراد به الحلف والمعنى انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد
الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم ولم يراعوا حلفا والسقب
الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعامة يخاطب واحدا ينكر قرابته من قريش
ويقول كأنها قرابة ولد الناقة وولد النعامة وليس بينهما مناسبة وان تشابها
صورة وقيل الال هو الله استدلالا بما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه لما سمع

فاستقيموا لهم [illegible]
[illegible] فان استقاموا على
العهد فاستقيموا على الوفاء
وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق
[illegible] والشرطية
والمصدرية ان الله يحب
المتقين (كيف)
تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع
التنبيه على العلة وحذف
الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
[illegible] الموت بالقرية ❊
فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات (وان يظهروا
عليكم) اي وحالهم انهم
ان يظفروا بكم (لا يرقبوا
فيكم) لا يراعوا فيكم (الا)
حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش
❊ كال السقب من رأل
النعام

هذيان مسيلمة لعنه الله قال ان هذا الكلام لم يخرج من ال اى من الله عز وجل واورد عليه ان اسماء الله تعالى معروفة فى الكتاب والسنة ولم يسمع احد يقول يا ال افعل كذا (قوله وقيل ربوبية) اى وقيل المراد بالال الربوبية والتربية وبين طريق ارادتها منه بقوله ولعله وتقريره ان الال بالفتح هو الجؤار والصياح واشتق منه الال بالكسر للحلف للمناسبة بينهما من حيث انهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه بان يجأروا ويرفعوا به اصواتهم ثم اطلق لفظ الال على القرابة تشبيها لها بالحلف من حيث كونها سببا الالفة والانضمام فالمعنى حينئذ لا ينظرون ولا يراعون فيكم ربوبية وتربية حتى اذا ظفر العبد المشرك بسيده المؤمن لا يراعى حق ربوبيته واذا ظفر المربى بمن رباه لا يراعى حق تربيته وقيل اشتقاق الال بمعنى الربوبية من ال الشئ تأليلا اذا حدده بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلو عن افادة الحدة والقوة وقيل اشتقاقه من أل البرق اذا لمع بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلو عن افادة اللمعان والظهور وقيل ان الال لفظ عبرى بمعنى الامان والمعنى ان ادنى الناس اذا اعطى امانا للكافر تقدم على جميع الناس ولذلك اجاز عمر رضى الله عنه امان عبد لكافر وقدمه على جميع العسكر وقال الاصمعى الذمة ما لزم ان تحفظ وتحمى ويذم الرجل على اضاعته (قوله المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر) صفة بعد صفة لحالهم اى انهم يقولون للمؤمنين بألسنتهم خلاف ما فى قلوبهم والاباء أشد الامتناع فان كل اباء امتناع من غير عكس (قوله فانهم بعد ظهورهم لا يرضون) حتى يقال ان قوله ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة حال ارضائهم اياكم لا يقتضى تحقق الارضاء بناء على جواز رجوع النفى الى القيد فقط او الى مجموع القيد والمقيد لا الى نفس المقيد وحده استدل على عدم جواز الحالية بدليل آخر ومحصوله ان المعنى على تقدير الحالية انهم لا يبقون على المؤمنين فى الحال ولا يبقون عليهم حال الظفر بهم اى لا يرحمونهم بل يفعلون بهم ما يقتضيه كمال العداوة ونهاية الحقد والضغينة يقال ابقى على فلان اذا رحمه ورعاه (قوله متمردون) فسر فسق الكافر بكونه متمردا عاريا عن العقيدة والمودة المانعتين عن السوء اشارة الى ما يقال من ان الضمير فى اكثرهم راجع الى المشركين لانهم المتقدم ذكرهم والشرك اخبث من الفسق فما معنى وصف الكفار بالفسق فى مقام المبالغة فى ذمهم ووجه الدفع ان توصيف المشرك بالفسق ابلغ فى ذمه من توصيفه بالكفر والشرك لان الكافر قد يكون فى دينه له شمائل وفضائل مرضية تصرفه عن الكذب ونكث العهد وسائر ما يخل بالعرض ويشين فى المروءة وكثير من الكفرة فاسقون فى دينهم لا يحترزون عن الكذب ونقض العهد والمكر والخديعة ونحو ذلك

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من أل الشئ اذا حدده او من أل البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل (ولا ذمة) عهدا او حقا يعاب على اغفاله (يرضونكم بأفواههم) استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ما تفوه به افواههم (واكثرهم فاسقون) متمردون

مماينا في المروءة فمن انضم الى كفره هذه الصفات الذميمة يكون في غاية الخباثة ومذموما عند جميع الناس وفي جميع الاديان فسقط بهذا ما يقال ايضا من ان جميع الكفرة فاسقون فلا يبقى تخصيص اكثرهم بالفسق وجه والتعادي التجانب والتباعد يقال تعادى الرجل عن كذا اذا تحاماه واحترز عنه (قوله لاعقيدة تزعهم) اي تمنعهم وتصرفهم عن ارتكاب القبائح يقال وزعه اي ردعه ومنعه وبالفارسي بازداشت اورا والاحدوثة مايتحدث به والمعنى لاتقى يعصمهم من التنزه عن الافعال التي تجر الى ان يتحدث الناس في حقه من المثالب والمعايب (قوله وهو) اي الثمن القليل الذي اختاره المشركون عن اتباع احكام القرآن هو اتباع الاهواء والشهوات (قوله تعالى فصدوا) يحتمل ان يكون لازما بمعنى فعدلوا وان يكون متعديا بمعنى منعوا وصرفوا غيرهم يقال صد يصد صدودا اي اعرض وعدل وصده عن الامر صدا اي منعه وصرفه عنه (قوله وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم) ليصد الناس بذلك عن متابعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوليحملهم على نقض العهد كما روي عن مجاهد رضي الله عنه انه قال اطعم ابوسفيان بن حرب حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنقضوا العهد الذي كان بينهم بسبب تلك الاكلة وقيل لايبعد ان يكون طائفة من اليهود اعانوا المشركين على نقض تلك العهود فكان المراد من هذه الآية ذم اولئك اليهود وكون كل واحد منهما نازلا في حق من نقض العهد من المشركين وكون الثاني تفسير العلماء اسبق انسب بما قبله لان الضمائر في الآيات السابقة راجعة الى المشركين الناقضين وتخصيص هذا الضمير باليهود او الاعراب تخصيص بلا دليل واخلال لاسلوب النظم (قوله هم المعتدون في الشرارة) اي بنقضهم العهد وتعديهم ما حده الله تعالى في دينه وما يوجبه العقد والعهد (قوله فهم اخوانكم) اشارة الى ان فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف والجملة الاسمية في محل الجزم على جواب الشرط وفي الدين متعلق باخوانكم ولما فيه من معنى الفعل علق الله تعالى حصول الاخوة في الدين على مجموع الامور الثلاثة التوبة عن الكفر واقام الصلاة وايتاء الزكاة والمعلق على الشئ بكلمة ان ينعدم ان عدم ذلك الشئ فهذا يقتضي انه متى لم يوجد مجموع هذه الامور الثلاثة لاتحصل الاخوة في الدين وهو مشكل لان المكلف المسلم لوكان فقيرا اوكان غنيا لكن لم يمض عليه الحول لايلزمه ايتاء الزكاة فاذا لم يؤتها فقد انعدم عنده ماتوقف عليه حصول اخوة الدين فيلزم ان لايكون مؤمنا الا ان يقال المعلق بكلمة ان انما يدل على مجرد كون المعلق عليه مستلزما للمعلق عليه ولا يدل على انعدام المعلق عليه وهو انما يستفاد من دليل خارجي وذلك يجوز ان يكون المعلق

لاعقيدة تزعهم ولامروءة [illegible] تخصيص [illegible] الكفر من [illegible] والتعفف عما يحدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد (انهم ساء ما كانوا يعملون) عملهم هذا او ما دل عليه قوله (لايرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتراهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم (واولئك هم المعتدون) في الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم (في الدين) لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون)

اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا بعد ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود (وطعنوا في دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لاايمان لهم) (اى لاايمان لهم على الحقيقة

لازما اعم فيتحقق بدون تحقق ماجعل ملزوما له وان سلم ان نفس التعليق يدل على انعدام المعلق عليه لكن لانسلم انه يلزم من ذلك ان لا يكون المسلم الفقير مؤمنا بعدم ايتاء الزكاة وانما يلزم ذلك ان لو كان المعلق عليه ايتاءها على جميع التقادير وليس كذلك بل المعلق عليه هو الايتاء عند تحقق شرائط مخصوصة مبينة بدلائل شرعية قال ابن مسعود رضي الله عنه أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك لاصلاة له (قوله اعتراض) حيث وقعت بين كلامين متناسبين فانه تعالى بين اولا حال من لايراقب في الله الاولاذمة وينقض العهد ويقول بلسانه مايأبى عنه قلبه ويتعدى ماحد له ثم بين انهم ان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فحينئذ تثبت لهم احكام الايمان جميعا وبين الله تعالى هذا المعنى بقوله فاخوانكم في الدين ثم بين انهم ان نكثوا ايمانهم اى نقضوا عهدهم اما بأن ارتدوا عن الايمان والعياذ بالله تعالى على ان يحمل العهد على مبايعة الاسلام بقرينة ذكره في مقابلة قوله فان تابوا الآية بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستمروا عليه بشهادة ان الآية وردت في ناقضى العهد وانه تعالى جعلهم صنفين احدهما من تاب منهم والآخر من اقام على نقض عهده فلما كانت الشرطيتان متناسبتين كانت جملة قوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون معترضة بينهما وقوله يعلمون منزل منزلة اللازم كأنه قيل ان من تأمل تفصيلها فهو العالم (قوله أئمة) قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء والف بينهما والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير ادخال الالف بينهما وقرئ ايضا كذلك الا انه ادخل بينهما الف هذا هو المشهور مما روى عن القراء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة فلذلك جعل التصريح بالياء لحنا قال الامام الواحدي في البسيط والاصل في ائمة أأممة لانها جمع امام نحو مثال وامثلة وحمار واحمرة ولكن لما اجتمعت الميمان ادغمت الاولى في الثانية وألقيت حركتها على الهمزة قبلها فصارت أئمة فابدلت من الهمزة المكسورة ياء كراهة لاجتماع الهمزتين وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرأ بهمزتين فقد راعى الاصل وليس بالوجه انتهى كلامه وجعل الشاطبي ابدال الهمزة الثانية ياء خالصة مذهبا للنحويين لا للقراء فالمصنف اختار مذهب النحاة الكوفيين في هذه اللفظة فان النحويين البصريين يوجبون ابدال الثانية ياء وغيرهم يحققهما او يسهل بين بين ومن ادخل الالف بينهما ادخلها للخفة حتى يفصل بين الهمزتين (قوله اى لاايمان لهم على الحقيقة) اشارة الى دفع مايتوهم من ان نفي الايمان عنهم بقوله انهم لاايمان لهم ينافى قوله وان نكثوا ايمانهم ووجه الدفع ان المراد بالايمان المثبتة لهم

وإلا لما طعنوا ونكثوا وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا إيمان بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يوفون على الإخبار عن قوم معينين أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذين (ألا تقاتلون قوما) تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل (نكثوا أيمانهم) التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة (وهموا بإخراج الرسول) حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة (وهم بدءوكم أول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لأنه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم (فالله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره (إن كنتم مؤمنين) فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا الله (قاتلوهم) أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه (يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم

ما أظهروه من الإيمان والمراد ما هو أعم على حقيقة قال ما هو حقيقة لا تقدم صاحبها على نكثها والثاني بما يخالف موجبها (قوله وإلا لما طعنوا) مبني على أن يراد بالعهد في قوله وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم مبايعة الإسلام وبنكثه الارتداد عن الإيمان وقوله ولم ينكثوا مبني على أن يراد بالعهد عهدهم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده) لأن العهد معه معقود على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث فيجاز قتله وعطف قوله وطعنوا في دينكم على ما قبله مع أن نقض العهد كاف لإباحة القتل زيادة تحريض المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وإن نكثوا أيمانهم بطعنهم في دينكم فيكون العطف للتفسير ويأباهما على أن يكون الثاني تفسير الأول كقولك استخف فلان بحقي وردني عما طلبت (قوله على أن يمين الكافر ليست يمينا) حتى لو أسلم بعد انعقاد اليمين وحنث فيها لم يكن عليه كفارة عنده وعليه الكفارة عند الإمام الشافعي رضي الله عنه وقال معنى الآية أنهم لما لم يوفوا بها صارت أيمانهم كلا أيمان لأنه لا أيمان لهم في الحقيقة لوصفهم بالنكث والنكث لا يكون حيث لا يمين (قوله بمعنى لا أمان أو لا إسلام) يعني أن الإيمان بكسر الهمزة مصدر آمن تقول آمن يؤمن إيمانا ثم أن الإيمان يحتمل أن يكون بمعنى التصديق فالمعنى أنهم كفرة لا إيمان لهم بالله تعالى وبأحكامه وأن يكون من الأمن والأمان تقول أمنت فلانا وآمنت غيري أي أعطيته الأمان فقوله لا إيمان لهم معناه لا تعطوهم الأمان بعد نكثهم وطعنهم فإنهم لا يستحقون ذلك بعده أو أنهم لا يوفون لأحد بعهد يعقدونه له وقرأ الباقون لا أيمان بفتح الهمزة وهي جمع يمين (قوله وتشبث به) أي بما قرأ به ابن عامر (قوله تعالى ألا تقاتلون قوما) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قوله سبحانه وتعالى ألا تقاتلون قوما ترغيب في فتح مكة وقال الحسن لا يجوز أن يكون

والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع (والله خبير بما تعملون)

المراد منه ذلك لان سورة براءة انزلت بعد فتح مكة (قوله والآية من المعجزات لان الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبي عليه الصلاة والسلام ان يعذب الكفار بأيديهم و يخزيهم اى يذلهم بالاسر والقتل و ينصر المؤمنين عليهم فأنجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعدهم (قوله خطاب للمؤمنين) وقيل للمنافقين واياما كان فهو ترغيب فى الجهاد بأن يقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم باللسان من الايمان فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب والمراد بنفى العلم نفى المعلوم اى ولم يوجد منكم ما يدل على صدقكم فيما اظهرتموه من الايمان وهو جهاد المشركين وهو نظير ما يقال ما علم الله منى ما قيل فى والمراد ما وجد ذلك منى ولما كان علم الله تعالى مستلزما لوجوده فى نفسه جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية عن عدم وجوده فانه تعالى يعلم كل ما سيوجد و يعلمه موجودا حين يوجد لانه تعالى يعلم كل شئ على ما هو به والعلم الذى يجازى عليه هو العلم بالشئ بعد وجوده والمصنف جعل تعلق العلم بالوقوع مستلزما لنفى اللازم فى مادة تحقق اللازم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع لازما له لكان نفى العلم برهانا على نفى المعلوم فيكون نفى العلم اثباتا لنفى المعلوم بالبرهان (قوله عطف على جاهدوا داخل فى الصلة) اى الذين جاهدوا ولم يتخذوا فان شعار المؤمن المخلص فى ايمانه ان يجاهد اعداء دين الله بنفسه وماله وان يوالى الله ورسوله والمؤمنين ولا يوالى غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غير اولياء الله من الكفار والمنافقين وليجة وخواص ويحتمل ان يكون قوله ولم يتخذوا فى محل النصب على انه حال من فاعل جاهدوا اى جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فان المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه يخالف ظاهره فبين الله تعالى انه لابد وان يأتوا بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن الرياء والنفاق وموالاة الكفرة فان الجهاد انما يكون عبادة ان أتى به انقيادا لامر الله تعالى و بذلا للنفس والمال طلبا لمرضاة الله والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول ووليجة الرجل من يداخله فى باطن اموره وخدينه الذى يطلعه على ما فى داخل قلبه وقيل الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من اهله من قولهم فلان وليجة فى القوم اذا دخل فيهم وليس منهم (قوله وما فى لما من معنى التوقع) فان لما يستعمل فى الاغلب فى نفى الامر المتوقع كما يخبر بقد فى الاغلب عن حصول الامر المتوقع تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب ولما يركب ان كان قد يستعمل فى غير المتوقع نحو قد ندم ولا ينفعه الندم ولما كان الغالب فى لما كونها لنفى الامر المتوقع دلت الآية على ان تبين المخلصين وتميزهم من الذين لم يخلصوا دينهم امر متوقع وانه تعالى يميز بينهم فانه تعالى لما فرض

يعلم غرضكم منه وهو كالازاحة لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله (ما كان للمشركين) ما صح لهم (أن يعمروا مساجد الله) شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد (شاهدين على انفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي ﴿ ٣٢٣ ﴾ الحجيج ونفك العاني فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش (٤٣) الا الله) اي في ابواب (رابع) الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار

القتال تميز المنافق من غيره وتميز من يوالي المؤمنين ممن يعاديهم (قوله يعلم غرضكم منه) اي من الجهاد ويميز من جاهد رياء وسمعة ممن يجاهد لاعزاز دين الله وقهر اعدائه فان المقصود من ايجاب القتال ليس نفس القتال بل هو الابتلاء الذي يتميز به من آمن بلسانه ممن آمن بقلبه فخلص جهاده وتقربا بالله تعالى وابتغاء لوجهه الكريم والمنافق يجاهد مع الركون الى غير الله تعالى مذبذبا بين الفريقين قيل من ظن انه يكتفى منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط في حسبانه وظنه (قوله لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به عليه الصلاة والسلام) فانه اينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصلاة والسلام مقارنا لذكره تعالى كما في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها فلما كانا مزدوجين صارا كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه فكان الايمان به عليه الصلاة والسلام مندرجا تحت ذكر الايمان بالله تعالى (قوله ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه) لان الصلاة لا تتم الا بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة فاكتفى بذكر اقامتها عن ذكر الايمان به عليه الصلاة والسلام لان اقامتها توجب الايمان به عليه الصلاة والسلام ولان الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس الا الاعمال التي أتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واتيان تلك الاعمال يستلزم الايمان به عليه الصلاة والسلام (قوله اي في ابواب الدين) جواب عما يقال كيف قيل ولم يخش الا الله والحال ان المؤمن يخشى عما يؤذيه ويضره كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها ولا يتمالك ان لا يخشى شيئا منها وتقرير الجواب ان المعنى والله اعلم انه تعالى اذا كلف العبد بشيء من الامور المتعلقة بالدين كالحج والجهاد ونحوهما وعرض له ما يمنعه من اقامة ذلك الامر

ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لا يستوون عند الله) و بين عدم تساويهم بقوله (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و بين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) اعلى مرتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه او من اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها (فى الجنات ﴿٣٢٠﴾ (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان و يصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير محلها (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشيرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بامره)

بان يضره و يفوت عليه شيأ من حقوق نفسه على تقدير اقامة ذلك الامر الذى كلف به ينبغى ان لا يخاف مما يفوت عليه حق نفسه بل يجتهد فى اقامة حق الله تعالى خوفا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفا من ذلك الغير كما قال تعالى أتخشونهم فالله احق ان تخشوه وقال فلا تخافوهم وخافون فان الخوف من المضار النفسانية امر جبلى لا محذور فيه انما المحذور ترجيح حق نفسه على حق الله تعالى وان يجعل فوات حظ نفسه كعذاب الله (قوله نزلت فى المهاجرين) اى فى من امر بالهجرة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله تعالى ايمانه حتى يهاجر عن الكفار والمعنى لا تتخذوهم اصدقاء تؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر واختاروه اى ان كان الكفر احب اليهم من الايمان قال الامام حملوا الآية على ايجاب الهجرة والحمل عليها والحال ان الهجرة ان كانت واجبة قبل فتح مكة فمشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف حمل الآية على ما ذكر ثم قال والاقرب ان تكون محمولة على ايجاب التبرى من الكفرة وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء فيفشون اليهم اسرارهم فانه تعالى لما اوجب على المؤمنين ذلك كأنهم قالوا كيف تمكن هذه المقاطعة التامة بين الرجل وابيه وابنه واخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الاباء والاولاد والاخوان بسبب الكفر وهو قوله ان استحبوا الكفر والما نزلت هذه الآية قالوا يا نبى الله نحن ان اعتزلنا عمن خالفنا فى الدين نقطع عن آبائنا وعشيرتنا وتذهب تجاراتنا وتخرب ديارنا فنزل قوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية وعشيرة الرجل اهله الاقربون وقيل هم اهل الرجل الذين يتكثر بهم اى يصيرون له بمنزلة العدد الكثير فصارت العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم

سواء بلغت العشرة أم فوقها وقيل هم الجماعة المجتمعة بنسب أو بعهد أو بود
كعقد العشرة واختار المصنف القول الأخير حيث قال فإن العشيرة جماعة ترجع
إلى عقد أي يجمعهم عقد كما يجمع عقد العشرة وحساباتها ويربط بعضها
ببعض (قوله جواب ووعيد) لمن آثر حظوظ نفسه وترجيح مهماتها الدنيوية
على مصلحة دينه ولما كان هذا الوعيد يشق على النفوس ذكر ما يدل على أن
من ترك الدنيا لأجل الدين فإنه تعالى يوصله إلى مطلوبه وضرب لذلك مثلا
قصة حنين فإن عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الواقعة كانوا
في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا في حال
الانهزام إلى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك دليل على أن
الإنسان متى اعتمد على الله نجا في قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
الآية تسلية لأولئك المأمورين بمقاطعة الآباء والأبناء لأجل مصلحة الدين ووعد
لهم بأنهم إن فعلوا ذلك أوصلهم الله تعالى إلى جميع مهماتهم على أحسن الوجوه
والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الإنسان لأمر وهذه الكلمة تصلح
لأن تكون مصدرا ميميا واسم زمان أيضا لكونه بمعنى الفعال كالمرعى والمراد
بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال إنها ثمانون
موطنا منها بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (قوله وموطن
يوم حنين) جواب عما يقال كيف عطف الزمان وهو يوم حنين على المواطن مع
أن متعلقات الفعل إنما يعطف بعضها على بعض إذا كانت من جنس واحد وإلا
فلا يعطف أحدها على الآخر ولا يجعل تابعا له بل يتعلق كل واحد منها بالفعل
بلا توسط العاطف فيقال مثلا ضربت زيدا يوم الجمعة أمام الأمير فكيف توسط
العاطف بين المكان والزمان في الآية وليسا من جنس واحد لأن الفعل يتعلق
كل واحد منهما على حدة فأجاب بأنه من عطف المكان على المكان بتقدير
المضاف أو الزمان على الزمان كذلك أي نصركم في أيام مواطن ويجوز أن تجعل
المواطن اسم زمان كمقتل الحسين فيكون من عطف الزمان على الزمان من غير
تقدير المضاف وإن كان كون الموطن اسم زمان بعيدا عن الفهم في هذا المقام
كأنه قال في أزمنة إقامات بموقف الحروب (قوله ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم
كثرتكم منه) أي هذا رد على الزمخشري في قوله يجب أن يكون يوم حنين
منصوبا بمضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين
فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن
ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت
إذ بمضمر اذكر انتهى كلامه يعني أنه إن لم يقدر فعل آخر ينصب المبدل منه

جواب ووعيد والأمر
عقوبة عاجلة أو آجلة
وقيل فتح مكة (والله
لا يهدي القوم الفاسقين)
لا يرشدهم وفي الآية
تشديد عظيم وقل من
يتخلص منه (لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة) يعني
مواطن الحرب وهي
مواقفها (ويوم حنين)
وموطن يوم حنين ويجوز
أن يقدر في أيام مواطن
أو يفسر الموطن بالوقت
كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال
قوله (إذ أعجبتكم كثرتكم)
منه أن يعطف على موضع
في مواطن فإنه لا يقتضي
تشاركهما فيما أضيف
إليه المعطوف حتى يقتضي
كثرتهم وإعجابها إياهم
في جميع المواطن وحنين
واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وكانوا اثني عشر
ألفا العشرة الذين حضروا
فتح مكة وألفان انضموا
إليهم من الطلقاء

بل كان الفعل المذكور ناصبا للجميع يلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة في المواطن الكثيرة لان الفعل واحد والحال انه لم تكن لهم كثرة في تلك المواطن فضلا عن ان تكون تلك الكثرة اعجبتهم فيهما فلذلك وجب ان يقال ان المبدل منه منصوب بفعل مضمر وبهذا التقرير اندفع ما يقال ان ما ذكرت من ان يكون البدل منصوبا بالفعل الظاهر يستلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة في مواطن كثيرة وهذا انما يلزم ان لو كان المبدل منه في حكم النتيجة مع حرف العطف ليؤول الى نصركم الله في مواطن كثيرة اذ اعجبتكم وليس كذلك بل يؤول الى نصركم في مواطن واذ اعجبتكم وحاصل الرد ان العطف لاينافي تعدد العامل في المعطوف والمعطوف عليه بحسب الافراد وان اتحدا في النوع الاترى الى قولنا اضرب زيدا اليوم وعمرا غدا واضرب حين يقوم وحين يقعد واضرب زيدا قائما وعمرا قاعدا الى غير ذلك فقولنا نصرهم الله في مواطن كثيرة واذ اعجبتهم كثرتهم لايستلزم ان تكون النصرة الواقعة فيهما نصرة واحدة شخصية حتى يقال اقتضى الكلام تحقق كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن (قوله هوازن وثقيف) مفعول حارب روى انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة وقد بقيت عليه ثلاثة ايام من شهر رمضان فمكث حتى دخل شوال مشت اشراف هوازن بعضها الى بعض وكذا اشراف ثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وهيئوا وقالوا والله ما لاقى محمد اقوام يحسنون القتال فأجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا امرهم على ذلك واخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وأبناءهم فحملوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذرارى وراء ذلك لكي يقاتل كل واحد منهم عن اهله وماله ولا يفر احد منهم بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان عليه الصلاة والسلام بعث اليهم عينا ليتجسس عن حالهم وما كان منهم ويسمع اخبارهم فوصل اليهم فسمع مالك بن عوف امير القوم يقول لاصحابه ما انتم اليوم اربعة في شئ ما الا فرج الله فأقبل العين الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بما سمع من مقالتهم فقال رجل من المسلمين والله يا رسول الله لانغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك الكلمة وابتلى الله تعالى المؤمنين بكلمته تلك وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضي الله عنه وقيل قالها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام هو بعيد لانه عليه السلام كان في اكثر الاحوال متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا واسبابها والظاهر ان القول لاينافي التوكل على الله تعالى ولا يستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة وروى عنه عليه السلام انه قال خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش

هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة

فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اى الكثرة (شيئا) من الاغناء اومن امر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها اى بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا (وانزل جنودا لم تروها) بأعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبي (وذلك جزاء الكافرين) اى ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان اناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وأبرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا

اربعة آلاف ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة [illegible] عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة لانه [illegible] بهم الاعتماد الا على الله ونصرته [illegible] كم تلم فلم تغن عنكم شيئا ثم وليتم مدبرين [illegible] يغلبون بنصر الله اياهم فلما نظروا في ذلك اليوم الى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجأوا اليه تعالى وتضرعوا وقوله بالفتح اسم للمشهور يستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل قر وقوم قر واصحاب الشجرة اهل بيعة الرضوان وهم الذين قال تعالى في حقهم لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة واصحاب سورة البقرة هم المذكورون في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون (قوله فكروا عنقا واحدا) اى رجعوا جماعة واحدة اى دفعة والوطيس التنور وحمي الوطيس كناية عن اشتداد الحرب والمراد بالسكينة ما يسكن اليه القلب ويوجب الامنة ووجه الاطلاق ان الانسان اذا خاف فر وفؤاده متحرك واذا أمن سكن وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن (قوله للتنبيه على اختلاف حاليهما) فانهم انهزموا بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه ما ولى ظهره الى جانب المشركين قط قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشفت اول الخيول مولية وتبعهم الناس منهزمين لا يلوون على شيء ولم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث رضي الله تعالى عنهما قال البراء بن عازب والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله عليه الصلاة والسلام قط وقد رأيته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام بغلته دلدل وهو يقول انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار وهذا من غاية شجاعته حيث ذكر اسمه في تلك الحال ولم يخف من الكفار على نفسه وفي الآية دليل على ان المؤمن لا يخرج من الايمان وان عمل الكبيرة لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين (قوله وكانوا خمسة آلاف او ثمانية آلاف او ستة عشر ألفا) اتفقوا على ان المراد بالجنود المنزلة الملائكة الا انهم اختلفوا

في عدد الملائكة وليس في هذه الآية مايدل على عددهم كما هو في قصة بدر فقال سعيد بن جبير ايد الله تعالى نبيه بخمسة آلاف من الملائكة ولعله انما قاسه على يوم بدر وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا واختلفوا ايضا في الملائكة هل قاتلوا في ذلك اليوم فالذي روي عن سعيد بن المسيب يدل على انهم قاتلوا وآخرون قالوا ان الملائكة ماقاتلوا في ذلك اليوم كما قاتلوا يوم بدر وفائدة نزولهم في ذلك اليوم القاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين وقيل ان الله تعالى لما هزم المشركين بوادي حنين ولوا مدبرين ونزلوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على جيش وارسله الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطائف وتحصن به واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل امير المؤمنين ابو عامر روي ان المسلمين اسروا يومئذ ستة آلاف ثم انه اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذوالقعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فاتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس (قوله ماكنا نعدل بالاحساب شيأ) اي نختار سبايانا من نسائنا وابنائنا فان ايثارهم على ايثار استرجاع المال حسب وهو بالاختيار اجدر وانسب والحسب ما يعد من المفاخر كنوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم في ذل الاسر يفضي الى الطعن في احسابهم (قوله فشأنه) اي فيلزم شأنه وقوله ومن لا اي ومن لاتطيب نفسه ان ترده والعرفاء جمع عريف بمعنى النقيب وهودون الرئيس (قوله لخبث باطنهم) مبني على ان النجس بفتحتين مصدر نجس اخبر به عن الذوات بتقدير المضاف اي ذو والنجس وهو ما في بطونهم من الشرك ويحتمل ان يكون مبنيا على ان يكون نجس بفتحتين صفة مشبهة مثل حسن كما اشار اليه الجوهري حيث قال نجس الشيء بالكسر ينجس نجسا فهو نجس ونجس ايضا قال تعالى انما المشركون نجس قال الفراء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس نجس بالكسر وأنجسه غيره ونجسه بمعنى الى هنا منقول من الصحاح (قوله اولانه يجب ان يجتنب عنهم الخ) يعني ان التركيب من قبيل زيد اسد من باب التشبيه البليغ كأنه قيل انهم بمنزلة الشيء النجس العين في وجوب الاجتناب عنهم وهو قريب من قول صاحب الكشاف او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (قوله

ماكنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبي طابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لاادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس

اولانهم لا يتطهرون) أي من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسات العينية فكانوا ذوي نجاسات حكمية وحقيقية فحكم عليهم بانهم نجس بمعنى ذوي نجس في اعضائهم الظاهرة كان المعنى على الوجه الثاني في كون الكلام محمولا على التشبيه والمبالغة والحاصل ان جمهور الفقهاء اتفقوا على ان الكفر لا يؤثر في نجاسة بدن الكافر نجاسة حقيقية وانما يؤثر في نجاسة باطنه فكان صفة الكفر التي قام بهم بمنزلة النجاسة المتصلة بالشئ ومنهم من يقول في تأويل الآية انهم لما لم يتطهروا من الجنابة والحدث ولا من سائر النجاسات التي تصيب اجسادهم كانوا ذوي نجس فحكم عليهم بانهم نجس لذلك ومنهم من يقول معنى الآية انهم بمنزلة الاعيان النجسة في وجوب الاجتناب عنهم (قوله وهو ككبد في كبد) يعني ان النجس بالكسر والسكون اسم فاعل في الاصل على وزن فعل مثل كتف وكبد ثم خفف باسكان عينه بنقل حركتها الى ما قبلها ولا بد من حذف موصوف حينئذ واقامة هذه الصفة مقامه اي فريق نجس اوجنس نجس (قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام) قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وذلك لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع وانما يخافون العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا على انه انما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت ام هانئ ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب وهي من اقصى عدن أبين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا واعلم ان جملة بلاد الاسلام في حق الكفر ثلاثة اقسام القسم الاول الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان اومستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يأذن له في دخوله بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل مشرك في الحرم متوار يا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم نعلم نبشناه واخرجنا عظامه اذا امكن هذا مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وجوز اهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم وانما يمنع من الحج والعمرة والقسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلاثة ايام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لئن عشت الى قابل لاخرجن اليهود

اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا)

يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) ﴿٣٢٦﴾ من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال (ان شاء) قيده بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (الى ان)
(حتى يعطوا الجزية) ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا

والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما فقضى رسول الله عليه الصلاة والسلام واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم (قوله سنة براءة) اى السنة التى حج فيها ابو بكر ونادى على بالبراءة من المشركين وهى السنة التاسعة من الهجرة * والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر لما منع المشركون من قربان المسجد الحرام قال المسلمون انهم كانوا يأتون بالميرة ويتبايعون فالآن ينقطع الهاجر ويضيق العيش فنزلت قال مقاتل ثم اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وتبالة وحملوا الطعام الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون منه وصنعاء قصبة اليمن وجرش موضع باليمن وتبالة بلدة حصينة باليمن (قوله او حال) اى او على انها اسم فاعل حذف موصوفها وهو الحال واقيم هو مقام الموصوف فكان عبارة عنه والتقدير وان خفتم حالا عائلة (قوله قيده بالمشيئة) مع ان القيد بها ينافى ما هو المقصود من الآية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا يعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود بل يكون الانسان ابدا متضرعا الى الله تعالى فى طلب الخيرات ودفع الآفات والثانية ان الاغناء الموعود ليس يجب عليه تعالى بل هو متفضل به فى ذلك ولا يتفضل به الا عن مشيئته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص بل بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لاحظ هذه الحكم فى دعائه بقوله وارزق اهله من الثمرات فان من التبعيضية فى ذلك الدعاء بمنزلة قيد ان شاء فى هذا الوعد (قوله لا يؤمنون بهما على ما ينبغى) اشارة الى دفع ما عسى ان يقال من ان الآية نزلت لبيان حكم اهل الكتاب ومعلوم ان اهل الكتاب يقولون نحن نؤمن بالله واليوم الآخر لقوله من اهل الكتاب امة الخ فما وجه توصيفهم بانهم لا يؤمنون بهما ووجه الدفع ظاهر واعلم انه تعالى لما بين حكم المشركين وهو البراءة من عهدهم واعلام تلك البراءة للناس ووجوب مقاتلتهم وتبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا الجزية او يسلموا وحكم المشركين القتال او الاسلام (قوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة) من الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير وتحريف الكتاب وكتمان وصف النبى عليه الصلاة والسلام الثابت اشارة

أي عن يد مواتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير ﴿ ٢٣٧ ﴾ أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة ومن الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد إلى يد (وهم صاغرون) أذلاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهري أنه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير المكتسب ربعها ولا شيء على الفقير غير المكتسب

إلى أن قوله دين الحق من قبيل إضافة الاسم إلى الصفة وأصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وعن قتادة أن الحق هو الله تعالى والمعنى ولا يدينون دين الله ودينه الإسلام وقيل المعنى ولا يطيعون الله طاعة أهل الحق على أن الدين الطاعة والجزية ما يعطيه المعاهد على عهده وهي فعلة من باب الهيئة كالركبة من جزى إذا قضى ما عليه (قوله أي عن يد مواتية) أي موافقة غير ممتنعة يقال واتيته على ذلك الأمر مواتاة إذا وافقته وطاوعته واليد قد تجعل كناية عن الانقياد يقال أعطى فلان بيده إذا استسلم وانقاد وعلاقة المجاز أن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد كأنه قيل قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وحسن انقياد دون أن يكرهوا عليه فلا احتياج في أخذها منهم إلى الإكراه والإبرام لا بقي عقد الذمة وعاد حكم القتل والقتال (قوله أو يد قاهرة عليهم) أي مستولية عليهم على أن يكون المراد بيد الآخذ لا يد من عليه الجزية كما في الوجوه الأول ويد الآخذ عبارة عن قدرته واستيلائه وكلمة عن في غير الوجه الثاني سببية كما في يسمنون عن الأكل والشرب أي يأخذون في السمن إلى غاية الكمال بسبب الأكل والشرب (قوله أو عن إنعام عليهم) على أن تكون يد الآخذ عبارة عن إنعامه لا عن قدرته واستيلائه (قوله أو من الجزية) عطف على قوله من الضمير (قوله ويوجأ عنقه) أي يضرب قفاه باليد يقال وجأت عنقه وجئا أي ضربته والحكمة في وجء عنقه وعدم الاكتفاء بأخذ الجزية أنه تعالى قيد إعطاءهم الجزية بقوله وهم صاغرون فلا يكفي في حقن دم الكتابي مجرد دفع الجزية بل لا بد من إيصال الذل والصغار إليه والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل والصغار فإذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الإسلام ويسمع دلائل صحته ويشاهد الذل والصغار في الكفر وأهله فالظاهر أنه يحمله ذلك على الانتقال إلى الإسلام وهو المقصود من شرع الجزية فإن المقصود من أخذ الجزية ليس تقرير الكتابي على كفره بل المقصود من أخذها حقن دمه وإمهاله مدة رجاء أنه ربما وقف في هذه المدة على محاسن الإسلام وقوة دلائله فينتقل من الكفر إلى الإيمان والحال أن كتابهم في أيديهم فربما يتفكرون فيه فيبصرون صدق محمد عليه الصلاة والسلام في دعوى النبوة فأمهلوا لهذا المعنى لا لتقريرهم ورضى به وقال بعضهم إنما أقروا على دينهم الباطل بأخذ الجزية حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والإنجيل (قوله لأن لهم شبهة كتاب) لما روي عن علي رضي الله

عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين
اظهرهم والحاصل ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا
الجزية وهم اليهود والنصارى بهذه الآية واما المجوس فبقوله عليه الصلاة
والسلام سنوابهم سنة اهل الكتاب والنوع الثالث هم الكفرة الذين ليسوا
مجوسا ولا اهل كتاب ولا من مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند
ومن فى حكمهم فذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يجوز اخذ الجزية
منهم وذهب ابو حنيفة واصحابه رضى الله تعالى عنهم الى انه يجوز اخذ الجزية
منهم كما يجوز اخذها من المجوس ثم يجوز اجتماع الدينين فى غير جزيرة العرب وهم من
غير العرب وبقى الكلام فى قدر الجزية روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كل محتلم دينار وانه عليه الصلاة
والسلام بعث معاذا الى اليمن وامره ان يأخذ من كل حالم اى بالغ دينارا
ولم يفصل بين الغنى والفقير والمتوسط وقسم على الفقراء اثنى عشر درهما وعلى
الاوساط اربعة وعشرين درهما وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين درهما
(قوله انما قال بعضهم من متقدميهم) روى ان بخت نصر لما ظهر على
بنى اسرآئيل وقتل علماءهم ولم يبق فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير
من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شط دجلة فطاف
فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها مثمر حامل فأكل من الفاكهة واعتصر
من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى
خراب القرية وهلاكها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا
فى البعث فألقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وأمات
حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى
احياه بعد ما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته
فانكره الناس وانكر منازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابناءه شيخا ابن مائة وثمانى
عشرة سنة وبنوا بنيه شيوخ ووجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة مضى
عليها مائة وعشرون سنة كانت امة له وكان قد خرج عزير عنهم وهى بنت
عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت
العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية
فادع الله يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده
على عينيها فصحت واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها
فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابى شعمة
سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير وقال السدى

(وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قال بعضهم من متقدميهم

أو من كان بالمدينة وإنما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة فلما احياه الله
بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا ﴿...﴾ فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل
على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وتنوين
عزير على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القرآءة الاخرى اما لمنع
صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل
معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى
المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا
اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن
الها (ذلك قولهم بافواههم) اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه
قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه
ولا يوجد مفهومه في الاعيان (يضاهئون قول الذين كفروا) اى يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة

والكلبي لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يبق من الله
عهده بين الخلق فبكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك
فمثلت التوراة في صدره فقال لبني اسرائيل ان الله تعالى بعثني اليكم
لاجدد لكم توراتكم فقالوا املها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقال رجل ان ابي
حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى
اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم فلم يجدوه غادر منها شيئا فقالوا ان الله تعالى
لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لكونه ابنه فعند ذلك قالت اليهود
عزير ابن الله (قوله او من كان بالمدينة) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من اليهود منهم سلام
بن قيص ومالك بن الصيف وغيرهما فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم
ان عزيرا ابن الله تعالى فانزل الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله (قوله وتنوين
تنوين عزير على انه اسم عربي مبتدأ وابن خبره فتنوينه على الاصل لانه
لما لم يكن فيه الا علة واحدة كان منصرفا وقرأ الباقون بغير تنوين وانما حذف تنوينه
اما لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة او لانه وان كان اسما عربيا
منصرفا على ابتداء اذانه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين على حد قرآءة قل هو
الله احد الله الصمد فان نون التنوين في عزير ساكنة وكذا الباء في ابن الله
ساكنة ايضا فالتقى ساكنان فحذف نون التنوين للتخفيف كما تحذف حروف
العلة عند التقائها بالساكن ويحتمل ان يكون التنوين حذف مبنيا على ان عزيرا
مرفوع بالابتداء وابن صفته والخبر محذوف اي عزير ابن الله نبينا او امامنا
او صاحبنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين غير مفصول بينه وبين
موصوفه حذفت الفه خطا وتنوين موصوفه لفظا وزيف المصنف هذا
الاحتمال بناء على ما نقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال في كتابه دلائل الاعجاز
ان الاسم اذا وصف بصفة ثم اخبر عنه انصرف التكذيب الى الخبر فمن كذبه انصرف
تكذيبه الى الخبر وصار ذلك الوصف مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير ابن
الله معبود لتوجه الانكار الى كونه معبودا لهم وحصل تسليم كونه ابن الله تعالى
ومن المعلوم ان ذلك كفر (قوله اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم) جواب
عما يقال ان كل قول فانما يقال بالفم فما معنى قوله تعالى ذلك قولهم
بافواههم واجاب عنه بوجهين تقرير الاول ان القول وان كان لا يتحقق الا بالفم

والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل التي شابهت الرجال في انها لا تحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بأن اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم (والمسيح بن مريم) بأن جعلوه ابنا لله (وما امروا) اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله (لا اله الا هو) صفة ثانية اواستئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك (يريدون ان يطفئوا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (بأفواههم) بشركهم او بتكذيبهم (ويأبى الله) اى لا يرضى (الا ان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام (الى)

الا ان قولهم قيد بأن يكون واقعا بأفواههم دفعا لتوهم ان يكون القول المسند اليهم مجازا عن بيان المراد بوجه آخر غير القاء اللفظ المسموع اليهم كالكتابة والاشارة ونحوهما من الافعال الدالة عليه فلما قيل بأفواههم تقرر ان القول الذي اسند اليهم هو القول الحقيقي لا المجازي وتقرير الثاني انه لو اقتصر على قوله ذلك قولهم بأفواههم لفهم ان قولهم ذلك له معنى ثابت في قلوبهم متأيد بالبرهان والدليل فقيل بأفواههم ليعلم ان ذلك القول ليس الا لفظ يتفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة فان القول بأن له تعالى ولدا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والصاحبة فما هو الا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل (قوله والهمز لغة فيه) قرأ العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو وقرأ عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو فهما بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت (قوله بأن اطاعوهم او بالسجود لهم) يؤيد الاول ما روى ان عدى بن حاتم كان نصرانيا وقال اتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة براءة فقال ياعدى اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انا لسنا نعبدهم فقال عليه الصلاة والسلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم ويؤيد الثاني ما يشاهد من ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين فقد يلقى اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون ولو خلا ببعض الحمقاء من اتباعه فربما ادعى الالهية والربوبية واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف يبعد ثبوته في الامم السالفة وقد روى ان النسطورية من النصارى يزعمون ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وان عيسى ومريم لهما ناسوتية ولاهوتية والاحبار جمع حبر وقيل جمع حبر بالكسر وقيل هما لغتان بمعنى وهو الفقيه العالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب قال اهل المعنى الحبر العالم الذى صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها والراهب الذى تمكنت الخشية والرهبة من قلبه وظهرت آثار الرهبة على وجهه ولسانه فصار الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد هرون عليه الصلاة والسلام والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع (قوله تعالى والمسيح بن مريم) عطف على رهبانهم والمفعول الثاني محذوف وتقدير الكلام اتخذ اليهود احبارهم اربابا والنصارى رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا اطلق الضمير في اتخذوا وان كان منقسما

وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه

الى اليهود والنصارى لا من الناس (قوله وقيل انه تمثيل) عطف على ما فهم مما سبق وهو ان يكون تجوزا في المفرد بان يكون اطفاء نور الله مستعارا لابطال دلائل الحق وحججه (قوله او على اهلها) اي على تقدير ان يكون ضمير ليظهره للرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان يقدر مضاف في قوله على الدين (قوله سمي اخذ المال اكلا) يعني ان الاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى بحسب العرف المقصود وصفهم بحب الدنيا ومزيد الحرص والطمع في اخذ اموال الناس بأي طريق امكن لا نفس الاكل فقط الا انه عبر عن الاخذ باسم ما هو اعظم مقاصده ولما كان معظم مقاصد اهل الدنيا المال والجاه وانهم يقدمون بهما عن تحصيل سعادة الآخرة وصف الله تعالى اكثر الاحبار والرهبان بكونهم مشغوفين بهذين الامرين اما المال فهو المراد بقوله ليأكلون اموال الناس واما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون اي يمنعون الناس عن متابعة خيار الخلق ولاسيما عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لاتباعهم ان الدين الحق هو الدين الذي انتم عليه ويلقون اليهم انواع الشبهات والمكر والخديعة لئلا يزول رياستهم وجاههم (قوله اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها) فتكون الكنوز المحمي عليها بايقاد النار ذات حرارة شديدة والنار في نفسها حامية ذات حرارة وصفت بانها تحمى يدل ذلك على قوة ايقادها وشدة حرها الجوهري حميت النار بالكسر وحمي التنور حميا بالفتح فيهما اي اشتد حرهما وحميت عليه بالكسر غضبت ثم جعل اصل ما ذكر من التفسير تحمى الكنوز بالنار وهو ظاهر لان المقصود بيان ان الكنوز المكوي

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز

مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منه ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب اليم) هو الكي بهما (يوم يحمى عليها في نار جهنم) اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما

يكنزون الحول والفضة وتخصيصهما بالقرب بها دلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية ولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم البدن ومآخره وجنباه (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ﴿٣٤﴾ ما كنتم تكنزون) اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) اي مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم او في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهي مصدر كف عن الشئ فان الجمع مكفوف عن الزيادة

بها تجعل حارة اشد الحرارة فتكوى بها اعضاؤهم المذكورة والعبارة الظاهرة الدالة على هذا المقصود ان يسند الاحماء الى المكنوز الا انه اسند الاحماء الى الجار والمجرور ولما كان الفعل مسندا الى الجار والمجرور حسن تذكيره واصل الكنز في كلام العرب الجمع وكل شئ جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الاجزاء واختلف علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم في المراد بهذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو كنز المال وجمعه مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه وقيل ان المال المكتنز اذا جمع فهو الكنز المذموم سواء اديت زكاته اولم تؤد والقائل بهذا القول تمسك بعموم هذه الآية فان ظاهرها يدل على المنع من جمع المال فالمصير الى ان الجمع مباح بعد اخراج الزكاة ترك لظاهر هذه الآية فلا يصار اليه الا بدليل منفصل وبما روي انه لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا اي مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبما روي عن علي رضي الله عنه انه قال كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكاة اولم تؤد (قوله لان جمعهم وامساكهم اياه) بيان لوجه تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي وتقريره ان مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكي بأعلى وجهه فلما قصد به ايضا التنعم بالطاعم الشهية التي ينفخ بسببها الجنبان والملابس البهية التي تطرح على الظهر تعلق الكي بالجنوب والظهور ايضا (قوله اولانهم ازوروا عن السائل) اي عدلوا عنه بان صرفوا وجوههم عن جانبه واعرضوا عنه بأن يولوه جنوبهم وظهورهم عن ابي بكر الوراق خصت هذه المواضع بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولاه ظهره (قوله او في حكمه) اي ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب في هذه المواضع الحكم والايجاب كما في قوله تعالى كتب عليكم القتال كتب عليكم القصاص كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله تعالى

في كتاب الله اي فيما اثبته وحكم به وقوله في كتاب الله صفة لاثنا عشر والتقدير
اثنا عشر مثبتة في كتاب الله ويوم متعلق بالاستقرار المدلول عليه بالجار والمجرور
وهو في كتاب الله صفة لاثنا عشر فحينئذ يكون الكتاب عبارة عن اللوح المحفوظ
ولا يراد به المصدر لان الظروف لا تتعلق باسماء الاعيان فلا يقال غلامك يوم
الجمعة والتقدير ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله اي في حكمه
الواقع يوم خلق السموات والارض وقوله منها اربعة حرم يجوز ان يكون حالا
من الضمير في الاستقرار وان يكون مستأنفا ومعنى كونها حرما ان المعصية فيها
اشد عقابا والطاعة فيها اشد ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جدا حتى لو لقي الرجل
قاتل ابيه او ابنه لم يتعرض له واعلم ان السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا
من الشهور القمرية وعند سائر الطوائف عبارة عن المدة التي تدور الشمس فيها
دورة تامة والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك
النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء
مرة وفي الصيف اخرى وكان يشق الامر عليهم بسبب هذا الانتقال وايضا اذا
ارادوا التجارة فربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور اسباب التجارات
من الاطراف فكان يشق عليهم تحصيل اسباب تجاراتهم بهذا السبب فلهذا
السبب اقدموا على الكبيسة واعتبروا حال السنة الشمسية وعند ذلك بقي زمان
الحج مختصا بوقت واحد معين موافق لمصالحهم كمصلحتهم المتعلقة بالهدي وانتفعوا
بتجاراتهم ومصالح معاشهم وحصل لهم بسبب الكبيسة امران احدهما انهم
كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهرا بسبب اجتماع تلك الزيادات والثاني
انه كان ينتقل الحج من بعض الشهور القمرية الى غيره وكان الحج يقع في بعض
السنين في ذي الحجة وفي بعضها في صفر وهكذا على الدور حتى يأتي بعد مدة
مخصوصة مرة اخرى الى ذي الحجة وكل من الزيادة في عدد الشهر والسنة تأخير
للحرمة الحاصلة لشهر الى شهر وبناء امر العبادات على السنة الشمسية وان كان
موافقا لرعاية مصالح الدنيا الا انه مخالف لحكم الله تعالى وموجب لتغيير تكاليفه
فانه تعالى امرهم من زمان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ببناء الامر
على رعاية السنة القمرية وهم تركوا امر الله في رعاية السنة القمرية واعتبروا
السنة الشمسية رعاية لمصالح دنياهم فلذلك استوجبوا الذم الواقع في هذه الآية
(قوله وقع موقع الحال) اما من الفاعل او من المفعول اي قاتلوهم مجتمعين انتم
او اياهم (قوله حتى رفضوا خصوص الاشهر) لانهم كانوا اصحاب حروب
وغارات فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا
يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك

وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسيء) اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر

واعتبروا بمجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسى
والنساء وكلاهما مصادر نسأه اذا أخره (زيادة في الكفر) لانه تحريم ما احله ﴿٣٤٤﴾ الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر
آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال (ليواطؤا عدة ما حرم الله) اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ما حرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء اعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم
حسنا (والله لا يهدي القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم (والسلام)
انفروا في سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه

زمانا ثم يردون التحريم الى المحرم ولا يفعلون ذلك في ذي الحجة الا اذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناديهم ان أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر فيتغير شهر الحج ايضا ولما فتح الله تعالى مكة سنة ثمان من الهجرة وقف النبي بعرفة وقال يا ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فلا شهر ينسأ ولا عدة تخطأ وان الحج في ذي الحجة الى يوم القيامة (قوله واعتبروا مجرد العدد) بأن قالوا الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر وتركوا حرمة خصوص الشهور رعاية احد الواجبين قرأ الجمهور انما النسيء بالهمزة بعد الياء وهو مصدر على فعيل من انسأ بمعنى أخر كالنذير من انذر والنكير من انكر او من نسأه اي أخره فهو منسوء ويرد عليه انه كيف يجوز ان يخبر عن النسيء بمعنى المؤخر بأنه زيادة والمؤخر وهو الشهر لا يكون زيادة في الكفر واجيب بانه على حذف مضاف اما من الاول والتقدير انما زيادة النسيء واما من الثاني اي انما النسيء ذو زيادة في الكفر (قوله والنسء) اي بسكون السين قبل الهمزة والنساء بالمد مصدر نسأت الشيء نسأ أي أخرته وكذا انسأته كفعلت وافعلت بمعنى ونسأت عنه دينه اذا أخرته نساء بالمد كذا في الصحاح (قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل) اي بضم الياء بفتح الضاد والمضل هو الله تعالى حقيقة والشيطان بتسويله وقرأ باقي السبعة يضل بفتح الياء وكسر الضاد ويحسن اسناد الضلال الى الذين كفروا سواء اضلوا غيرهم ام لا (قوله يحلون النسيء من الاشهر) اشار به الى قول من قال ان النسيء فعيل بمعنى مفعول (قوله اي ليوافقوا) يعني ان المواطأة عبارة عن الموافقة والاجتماع يقال تواطأ وا على كذا اي اجتمعوا عليه كان كل واحد يطأ حيث يطأ الآخر (قوله واللام متعلقة بيحرمونه) وهو مقتضى مذهب البصريين فانهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه ومذهب الكوفيين يقتضي ان تكون متعلقة بيحلونه لانهم يعملون الاول لسبقه ومعنى موافقتهم العدة انهم لا يحلون شهرا من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولا يحرمون شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرام ويقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر فيتوافقون على رعاية نفس العدد ويلغون حرمة خصوص ما حرمه الله من الاشهر وهو قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله (قوله وقرئ تثاقلتم على الاصل) واثاقلتم ادغمت تاء التفاعل فيما بعدها فاحتيج الى همزة الوصل للابتداء لما ذكر الله تعالى فضائح الكفار عاد الى الترغيب في مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين حيث قيل لهم وقاتلوا المشركين كافة وانه عليه الصلاة

تضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (في الآخرة) أي في جنب الآخرة (إلا قليل) مستحقر (إلا تنفروا) إن لا تنفروا إلى ما استنفركم إليه (يعذبكم عذابا أليما) بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه شيئا) أي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام أي ولا تضروه فإن الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شيء قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله) أي إن لم تنصروه فينصره الله كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو دليل عليه مقامه وإن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج إلى الكفرة لأن (٤٤) همهم بإخراجه (رابع) أو قتله تسبب لإذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال (إذ هما في الغار) بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (إذ يقول) بدل ثان أو ظرف

والسلام لما أمر بجهاد الروم وأمرهم أن يتأهبوا لذلك شق عليهم الخروج وتثاقلوا لكون الناس والبلاد في جدب وعسرة وشدة حر وقد طابت الثمار وطاب ظلالها حينئذ وقوله تعالى ما لكم استفهام بمعنى التوبيخ وقوله انفروا في سبيل الله أي اخرجوا إلى الغزو ويقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا إذا خرجوا إلى مكان لأمر واجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير (قوله تضمن معنى الإخلاد) أي تثاقلتم مائلين إلى أرضكم والإقامة فيها لما أينع ثمارها وطيب ظلالها ولصعوبة الخروج إلى الغزو وشدة الحرارة وكثرة العدو وشدة السفر البعيد والمسافة التي تقطع بمشقة (قوله وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام) ولا يخفى أنه على الأول كان لله أنسب (قوله فحذف الجزاء) فإن قوله فقد نصره الله لوقوع مضمونه قبل وقوع مضمون الشرط لا يصلح جزاء مترتبا على وقوع الشرط في المستقبل وكونه كالدليل على ما هو الجزاء من حيث إنه تعالى لما نصره وقوله حال كونه لم يكن معه إلا رجل واحد ظهر أنه سينصره ويظهر دينه اليوم وإن تثاقل من استنفره من الموصوفين لانفتاح أمر نبوته وحقية دينه وكثرة أتباعه عددا وعددا فالمذكور بمنزلة القياس الجلي كأنه قيل إن لا تنصروه فقد نصره الله قديما حتى وهو أضعف ما لا وأقل رجالا فكذا ينصره في المستقبل فإن النصرة الماضية بمنزلة الدليل للنصرة الآتية والوجه الثاني قريب من الأول لاشتراكهما في حمل الكلام على حذف الجواب وكون المذكور بمنزلة القياس الجلي فكأنه استدل على النصرة الموعودة الواقعة في زمان القوة والكثرة بالنصرة الماضية الواقعة في زمان الضعف والقلة ولا شك أن الموعودة أولى من السابقة وعلى الثاني بمنزلة الاستصحاب المعلوم للمخاطبين فكأنه استدل على النصرة الموعودة بعلم المخاطبين بأنه من المنصورين وقد تحقق عليهم وذكر الزمان لتذكيرهم نصره إياه كأنهم يشاهدونه فالمعنى أن لا تنصروه فقد عرفتم أنه من المنصورين لا من المخذولين فالله تعالى ينصره في المستقبل بناء على ما كان (قوله وإسناد الإخراج إلى الكفرة) مع أن المسند إليهم ليس إلا الهم بإخراجه أو قتله وهو عليه الصلاة والسلام إنما خرج بإذن الله تعالى لا بإخراج الكفرة إياه (قوله ونصبه على الحال) فإنه في موضع النصب سواء قرئ بفتح الياء على اللغة

ثانى (لصاحبه) وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لا تحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار واشفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه ﴿٣٤٦﴾ وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فأنزل الله سكينته) أمنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبى او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وايده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك او دعوة الكفر (وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات (يجوز) لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) فى امره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما

المشهورة او باسكانها على لغة من يقول رأيت رامى القوم بحذف حركة الياء تشبيها لها بالالف فى نحو رأيت عصا القوم ومعنى ثانى اثنين احد اثنين فانه اذا حضر اثنان فى موضع يكون كل واحد منهما ثانيا للآخر فيقال فلان ثانى اثنين ويراد انه احدهما ليس معهما ثالث ففى الآية فقد نصره الله احد اثنين اى نصره منفردا الا عن ابى بكر رضى الله تعالى عنه وكفى بهذا دليلا على فضل ابى بكر رضى الله تعالى عنه على سائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين حيث استخلصه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه فى مثل تلك الحالة قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه فى حقه

وثانى اثنين فى الغار المنيف اقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان فى مثل تلك الحال صاحبه * دون الخلائق لم يعدل به بدلا

وقصة الهجرة ان قريشا ومن بمكة من المشركين لما اجتمعوا فى دار الندوة وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امره الله ان يخرج هو وابو بكر الى الغار ثم يتوجه الى المدينة فخرج هو وابو بكر اول الليل الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد على من طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امر الله ان يبلغا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر وقت الظهيرة اذ قال قائل لابى بكر هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء متقنعا فاستأذن علينا وليس من عادته ان يأتينا فى مثل تلك الساعة فاذن له فدخل فقال لابى بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بأبى انت وامى يا رسول الله قال فانى قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر فالصحبة بأبى انت وامى يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتى هاتين فقال عليه الصلاة والسلام بالثمن وكان اشتراهما بثمانمائة فاخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام القصوى وكانت عنده يغزو عليها الغازى ويحج عليها حتى ماتت فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما باخف الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فوضعنا فيها شيأ من اللحم والخبز فخرج عليه الصلاة والسلام ليلا من بيته وانتهى الى بيت ابى بكر فخرجا معا وكان ابو بكر استأجر عبد الله بن اريقط ودفع اليه الراحلتين وواعده ان يعاودهما بعد ثلاث ليال وذهبا حتى وصلا الى الغار فدخل ابو بكر الغار يلتمس ما فى الغار فقال له عليه الصلاة والسلام مالك فقال ابو بكر بابى انت وامى انه مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بى لابك وكان فى الغار جحر فوضع عقبه فيه لئلا يخرج ما يؤذى الرسول فمكثا فيه ثلاث ليال واتى عبد الله بالراحلتين اليهما صباح الليلة الثالثة (قوله هى العليا)

قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه (لو كان عرضا) اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا (قريبا) ﴿٣٧٧﴾ سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) لوافقوك

يجوز ان تكون هي مبتدأ ثانيا والعليا خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان تكون هي فصلا والخبر العليا (قوله قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم) روي انه عليه الصلاة والسلام قال في جوابه [illegible] الاخفاف او الثقال بمعنى انه تعالى امر الخفيف والثقيل بالخروج على كل واحد منهم فلما اجاب عليه الصلاة والسلام ابن ام مكتوم ذهب الى اهله فلبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وقيل انه منسوخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فان ظاهر الآية يوجب النفر على المؤمنين كافة قال مجاهد رضي الله تعالى عنه ان ابا ايوب شهد بدرا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين ويقول قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا (قوله خير لكم من تركه) فان قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لا خير في تركه اجيب بان معناه ان ما يستفاد بالجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفاد بتركه في الدنيا من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما (قوله اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا) اشارة الى ان اسم كان محذوف لدلالة ما تقدم وهو الجهاد وان العرض وهو ما عرض لك من منافع الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر نسبة في ترغيب المؤمنين في الجهاد عاد الى تقرير كون اهم متثاقلين مائلين الى الاقامة بأرضهم وبين ان المدعو اليه لو كان عرضا قريبا وسفرا سهلا لا تجوز معنى المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط قاصدا بمعنى ذي قصد كقولهم تامر ولابن من حيث انه يقصده كل احد (قوله ساد مسد جوابي القسم والشرط) فانهما اذا اجتمعا وتقدم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جوابا للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله تعالى لم اذنت لهم) كل واحد متعلق بأذنت وجاز ذلك لان معنى اللامين مختلف فالاولى للتعليل والثانية للتبليغ ومتعلق الاذن محذوف اي لم اذنت لهم في القعود حذف لدلالة ما سبق من اعتذارهم عن تخلفهم عنه عليه الصلاة والسلام ثم ان قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم يدل على ان ذلك التخلف كان باذن الرسول عليه الصلاة

(ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بعدت [illegible] (وسيحلفون بالله) اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون انفسهم) بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطئه في الاذن فان العفو من روادفه (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لأي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم)

والسلام فجعل المنصف ذلك الاذن منه خطأ بناء على ان الاستفهام في قوله لم اذنت لهم للانكار ويكون العفو كناية عن الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل هو من قبيل ترك الاولى بناء على انه خطأ في الاجتهاد فانه عليه الصلاة والسلام اجتهد في تلك الواقعة وغاية ما في الباب انه لم يصب في اجتهاده والمجتهد اذا اخطأ فله اجر فان العلماء قد احتجوا بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام قد يحكم بالاجتهاد في بعض وقائع وبدخوله عليه الصلاة والسلام تحت قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وهو عليه الصلاة والسلام سيد اولي الابصار فكان مأمورا بالاعتبار ايضا نقل الامام عن قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما الرسول عليه الصلاة والسلام لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله عليهما كما تسمعون وعن سفيان بن عيينة انه قال انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعير بالذنب ثم قال قوله تعالى عفا الله عنك لايستدعي سابقة الذنب فانه يجوز ان يقال انه تعالى قال ذلك للمبالغة في تعظيم رسوله وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ماصنعت في امري ورضي عنك ماجوابك عن كلامي وغرضه من هذا الكلام التعظيم والتبجيل قال علي ابن الجهم يخاطب المتوكل وقد امر بنفيه

عفا الله عنك ألا حرمة ﴿ تجود بفضلك يا ابن الندا

ألم تر عبدا عدا طوره ﴿ ومولى عفا ورشدا هدى

أقلني اقالك من لم يزل ﴿ يقيك ويصرف عنك الردى

ولو سلمنا ان قوله عفا الله عنك يستدعي سابقة الذنب لكن لا نسلم ان قوله لم اذنت لهم مقول على سبيل الانكار عليه لانه عليه الصلاة والسلام لا يخلو اما ان يكون صدر عنه ذنب في هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فعلى كل تقدير يمتنع ان يكون قوله تعالى لم اذنت لهم انكارا عليه اما على التقدير الاول فلانه اذا لم يصدر عنه ذنب فكيف يتوجه عليه الانكار واما على التقدير الثاني فلان قوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فظهر بطلان من احتج بهذه الآية على صدور الذنب عنه عليه الصلاة والسلام من وجهين الاول ان العفو يستدعي سابقة الذنب والثاني ان الاستفهام الانكاري في لم اذنت لهم يدل على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا بل الآية محمولة على انه تعالى عاتبه تنبيها على ترك الاولى والاكمل وعن قتادة انه تعالى عاتبه في هذه الآية كما تسمعون ثم رخص له في سورة

أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا فإن الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا
ان يستأذنوا فى التخلف عنه او أن يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى
وعدة لهم بالثواب (انما يستأذنك) ﴿ ٣٤٩ ﴾ فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص

الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه (وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لأعدوا له) للخروج (عدة) اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وعده بكسر العين باضافة وغيرها (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه الصلاة والسلام لهم والقاعدين

يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم شيئا (الا خبالا)
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا (ولأوضعوا خلالكم)

النور حيث قال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (قوله اى
ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا) حمل الكلام على نفى
الاستمرار والاعتياد بناء على حمل لفظ المضارع على الاستمرار كما فى قولهم فلان
يقرى الضيف ويحمى الحريم فلما دخله النفى دل الكلام على نفى الاستمرار
وان يكون عادتهم الاستئذان وان وقع ذلك منهم نادرا وجعل قوله
ان يجاهدوا فى موضع الجر بان كان اصله فى ان يجاهدوا فحذف فى
الجار واوصل الفعل ثم اشار الى احتمال آخر وهو ان يكون متعلق الاستئذان
محذوفا ويكون قوله يجاهدوا فى موضع النصب على انه مفعول من اجله
والمعنى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك كراهة ان يجاهدوا
(قوله وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة) كما حذفت من لفظ عدة
فى قوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * اصله عدة الامر فانهم يحذفون
التاء لاجل الاضافة كما يحذفون التنوين ومنه قوله تعالى واقام الصلاة وقرأ
الجمهور عدة بضم العين وتاء التأنيث وهى الزاد والراحلة وجميع ما يحتاج اليه
المسافر والمعنى عدته فلما تركت الاضافة نونت الكلمة (قوله استدراك
عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج) جواب عما يقال من حق حرف الاستدراك
ان يتوسط بين كلامين متغايرين نفيا واثباتا بينهما نوع تقابل ولا تقابل ههنا
بين الطرفين لان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لأعدوا له معناه انهم لم يريدوا
الخروج فلم يستعدوا له وقوله ولكن كره الله انبعاثهم معناه
لكن لم يرد انبعاثهم فكيف استدرك على نفى ارادتهم الانبعاث بنفى ارادة الله
تعالى انبعاثهم ولا تقابل بينهما بوجه ما وتقرير الجواب ان قوله تعالى ولو ارادوا
الخروج وان كان معناه نفى ارادتهم لكنه يستلزم خروجهم وقوله كره الله انبعاثهم
يستلزم تثبطهم عن الخروج فيؤول المعنى الى لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
وهو كلام منتظم لانه استدراك على نفى الشئ باثبات ضده كما يستدرك على
نفى الاحسان باثبات الاساءة والتثبيط صرف الانسان عن الفعل الذى يهم به
(قوله تمثيل) لما كان الظاهر ان يكون القائل هو الله تعالى ويكون العدول
الى بناء المفعول لتعظيم الفاعل وظاهر انه لم يأمرهم بالقعود حمل الكلام على
التمثيل (قوله ولاجل هذا التوهم) اى توهم ان الاستثناء المتصل يستلزم

ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا بينكم بالنميمة والتضريبة او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى أوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم و يطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم ﴿٣٥٠﴾ للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهى (وظهر امر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له اولم يأذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات اصفر لكنى اعينك بمالى فاتركنى (الا فى الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احتززوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم (

ان يكون فى اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خبال وفساد جعل الاستثناء منقطعا والمعنى مازادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالا وفى التيسير وليس معنى قوله مازادوكم الا خبالا انهم كانوا فى فساد والمنافقون زادوا فى فسادهم ولكن معناه اوخرجوا فيكم اى فيما بينكم مازادوكم قوة لكن اوقعوا افساد بالتجبين وتهويل امر الكفار والتردد فى الرأى وتزيين امر لفريق وتقبيحه عند فريق آخر ليختلفوا فتفترق كلمتهم ولا ينتظم امرهم انتهى وليس الاستثناء هنا منقطعا لان المستثنى منه فيه غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذى هو الشئ لان زاد يتعدى الى اثنين فيكون الاستثناء متصلا لان الخبال بعض من اعم العام (قوله ولأوضعوا خلالكم) يعنى ان الايضاع حمل الراكب مركبه على الاسراع يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا ولا يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا فيكون مفعول اوضعوا فى الآية محذوفا اى ركائبهم والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والمراد من الآية السعى بينهم بالقاء ما يهيج العداوة كالنميمة والتضريبة وهو الاغراء (قوله تعالى يبغونكم) فى محل النصب على انه حال من فاعل اوضعوا اى حال كونهم باغين اى طاغين اوطالبين الفتنة لكم ومعنى الفتنة ههنا افتراق الكلمة (قوله تعالى وفيكم سماعون لهم) يجوز ان يكون حالا من مفعول يبغونكم اومن فاعله وجاز الامران لان فى الجملة ضميريهما ويجوز ان يكون مستأنفا والمعنى ان فيكم من يسمع لهم ويصغى لقولهم ويجوز ان يكون المعنى فيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وعلى الثانى للتعليل اى لاجلهم (قوله يعنى يوم احد) فان ابن ابى انصرف يوم احد مع اصحابه وهم ثلثمائة وبقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع خلص المؤمنين وهم سبعمائة وكذا ابتغوا الفتنة فى حرب الخندق حيث قالوا يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفى ليلة وقف اثنا عشر رجلا من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره الله تعالى بذلك وسلمه منهم فكان شأنهم تجبين المؤمنين عن القاء العدو وتهويل الامر عليهم فى الغزوات والفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشد عليه فيقتله وفى الحديث قيد الايمان الفتك اى لا يفتك مؤمن (قوله ودبروا المكايد) يعنى ان المراد بتقليب الامر تصريفه وترديده لاجل التدبر والتأمل فيه (قوله لما روى ان جد بن قيس)

تصبك) اى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر او شدة
كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا ﴿٥٠﴾ امرنا من قبل) تحرزنا بامرنا واستعملوا رأيهم فى التخلف
(ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) ايضا احدى السوأيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) او بعذاب بايدينا وهو القتل
على الكفر (فتربصوا) ما هو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم (قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم) امر فى معنى
الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كأنهم امروا بان

روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال يا ابا وهب
هل لك فى جلاد الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال
جد ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بنساء الروم فانه قد علمت الانصار انى رجل مغرم
فى التعلق بالنساء فاخشى ان افتتن ببنات الاصفر لا اصبر عنهن فاذا رأيتهن قبل
القعود فاقع فى الفتنة وفى الاثم او فاستحسن ايهن فيشغلنى ذلك عن طلب المعاش
وعن الخروج للجهاد اى فاقبل عذرى ولم يقبل الله تعالى عذره وبين انه قد وقع
فى الفتنة بمخالفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو العباس كان الاصفر
رجلا من الحبشة ملك الروم فولدت له بنات لم ير مثلهن والصهب جمع الصهباء
وهى المرأة التى لون الشقرة منها يضرب الى السواد قليلا وذلك يستحسن غاية
الملاحة (قوله وقرئ هل يصيبنا) من غير تشديد الياء وقرئ ايضا
بكلمة هل بدل لن وبتشديد الياء على انه مضارع فيعل اصله يصيوبنا فلما
اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فيها
ولو كان مضارع فعل كان حقه ان يقال هل يصوبنا لانه من بنات الواو
لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب الجوهرى صاب السهم يصوب صوبا
اى قصد ولم يجر والقصد اتيان الشيء والجور الميل والعدول عن الطريق
(قوله واشتقاقه) اى اشتقاق يصيبنا بالتشديد من الصواب وهو مقابل
الخطأ لانه اى لان مدلوله وقوع الشيء فيما قصد به وان لا خطأ فيه وقيل
من الصوب وهو النزول وقوله تعالى قل لن يصيبنا جواب عن فرح المنافقين
بما اصاب المؤمنين وقوله قل هل تربصون جواب ثان عنه وقوله او بايدينا
اى ان اظهرتم ما فى قلوبكم من الكفر والنفاق وقوله الا احدى الحسنيين مستثنى مفرغ
فى محل النصب على انه مفعول تربصون وقوله فتربصوا وان كان صيغة امر الا ان المراد
منه التهديد اى فانتظروا مواعيد الشيطان انا منتظرون مواعيد الله تعالى من اظهار
دينه روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يضمن الله تعالى لمن خرج
فى سبيله لا يخرجه الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله
الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة فدل هذا على ان احدى الحسنيين
المغفرة او الجنة والاخرى احد الامرين على طريق منع الخلو وهو الاجر والغنيمة
(قوله امر فى معنى الخبر) قال الفراء والزجاج هذا لفظ امر ومعناه معنى
الشرط اى ان انفقتم طائعين او كارهين لن يتقبل منكم فهو صرف الامر
عن اصل معناه لان قوله لن يتقبل منكم يأبى عن ابقائه على اصل معناه (قوله
وفائدته) اى فائدة الخبر فى صورة الامر التأكيد والمبالغة فى بيان تساوى

الامرين وعدم تفاوت الحال على كلا التقديرين ونحوه قول كثير عزة لعشيقته

أسيئي بنا اوأحسني لاملالة ❊ لدينا ولا مقلية ان تقلت

فان في صورة الامر تأكيد العدم تفاوت الحال كأنه يأمرها بذلك ليحقق ثباته على العهد ويتبين غاية التبين وقوله ان تقلت اى ان تبغض كأنه يقول ايها امتحني قوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة والاخبار المجرد لايفيد هذه المبالغة وكذا في الآية لو اكتفى بان يقال لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها لخلا الكلام عن الدلالة على المبالغة الحاصلة بايراد الكلام في صورة الاخبار فانه في قوة ان يقال انفقوا على اى حال اردتم ثم انظروا هل يتقبل منكم (قوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم) الظاهر ان قبول مفعول ثان لمنع عدى اليه الفعل بنفسه او باسقاط حرف الجر اى ما منعهم من قبولها لان منع قد يتعدى الى مفعول ثان بنفسه فيقال منعت الشيء ومنعت فلانا حقه وقد يتعدى اليه بحرف الجر فيقال منعته من حقه ويحتمل ان يكون بدل اشتمال من الضمير المنصوب في منعهم وفي فاعل منع وجهان اظهرهما انه قوله الا انهم كفروا اى ما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم والثاني انه ضمير الله تعالى اى وما منعهم الله ويكون الا انهم منصوبا على اسقاط حرف الجر اى الا لانهم كفروا (قوله تعالى ولا يأتون الصلاة ولا ينفقون) معطوفان على قوله كفروا اى ما منعهم قبولها الا كفرهم وكسلهم في اتيان الصلاة وكونهم كارهين للانفاق فان قلت كيف علل عدم قبول نفقاتهم بكراهتهم الانفاق مع ان المنافق لكونه فاقد الايمان الذي يبعث على النشاط في اول العبادات يكون كسلان في اتيان الصلاة ويكون كارها للانفاق قلت انما علل عدم قبول نفقاتهم ههنا بالكفر وحده كما اشار اليه المصنف بقوله وما بعده بيان وتقرير له لان المذكور بعده مجموع الامور الثلاثة فان قيل ظاهر الآية يدل على ان عدم القبول معلل بمجموع الامور الثلاثة وهو الكفر بالله ورسوله وعدم الاتيان بالصلاة الا على وجه الكسل وعدم الانفاق الا على سبيل الكراهة والحال ان الكفر سبب مستقل للمنع من القبول وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره اثر فكيف يمكن اسناد الحكم الى الفسق بالمعنى الاعم اوالى الاسباب الباقية اجاب الامام عنه بقوله هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة القائلين بان الكفر لكونه كفرا يؤثر في هذا الحكم ولا يتوجه على اهل السنة لان هذه الاسباب عندهم عرضيات غير موجبة للثواب ولا للعقاب واجتماع العرضيات الكثيرة على الشيء الواحد جائز عندهم (قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية) لما

يتحنوا فيه فقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قوله تذبن قيس واعينك بالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لايؤخذ منهم وان لايثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق انفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وما هم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) (قطع)

قطع الله تعالى في هذه الآية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين هنا ان الاشياء التي يظنونها من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم في الدنيا والاعجاب هو السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به ومع اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه ثم شاع استعماله في السرور بما يتعجب منه مطلقا يقول لا يعجبك ما انعمنا عليهم من الاولاد والاموال فان اعطيناها كان استدراجا لكثرة ماله وولده (قوله حتى لو يجدون ملجأ) يعني ان الملجأ مفعل من لجأ اليه اي لاذ به والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر انه محمول هنا على المكان والمغارات جمع مغارة وهي مفعلة وهي الموضع الذي يغور الانسان فيه اي يستتر وكل شيء سترت فيه وغبت فهو مغارة لك والمدخل مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة في هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت الدال في تاء الافتعال كما في ادان من الدين والمدخل اسم مفعول من ادخل وبناء التفعيل يجيء متعديا اذا كان للاتخاذ نحو توسده اي اتخذه وسادة واما قرأته مندخلا بالنون بعد الميم فعلى انه اسم مفعول من اندخل ففيها اشكال لان باب الانفعال لازم لا يتعدى فكيف يبنى منه اسم المفعول الا ان يجعل اسم مكان وترتيب هذه المعطوفات ترتيب بديع لانه ذكر اولا الامر الاعم وهو الملجأ من اي نوع كان ثم ذكر المغارات التي يختفى فيها في اعلى الاماكن وهي الجبال ثم الاماكن التي يختفى فيها في الاماكن السافلة من السروب التي عبر عنها بالمدخل والجموح النفور باسراع ومنه فرس جموح اذا لم يرده لجام اي رجعوا واقبلوا اليه يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء مثل ما يجمح الفرس والجمز من السير اشد من العنق يقال جمز البعير يجمز بالكسر والجماز البعير الذي يحمله راكبه على السير فوق العنق والعنق ضرب من سير الابل تهز اعناقها عنده وتنشط والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون في ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا ترك دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون والغيران والسروب التي تحت الارض لفعلوه تسترا عنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم ثم انه تعالى بين نوعا آخر من قبائح افعالهم وهو طعنهم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب الصدقات وقسمتها بأن يقولوا انه لا يراعي العدل فيها ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل بيته قرأ العامة بكسر الميم من لمزه يلمزه اي عابه واصله الاشارة بالعين ونحوها روي عن الزجاج انه قال يقال لمزت الرجل وهمزته اذا عبته والهمزة اللمزة هو الذي يغتاب الانسان ويعيبه فلم يفرق بين الهمزة واللمزة وفرق ابو بكر الاصم بينهما فقال اللمز أن يشير الى صاحبه بعيب صاحبه والهمز ان يكسر عينه على صاحبه وقال الليث اللمز هو العيب في الوجه يقال رجل لمزة اي يعيبك

حصنا يلجؤن اليه (او مغارات) غيرانا (او مدخلا) نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم (في الصدقات) في قسمها (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل

فى وجهك ورجل همزة اى يعيبك بالغيب وفى التيسير قال الحسن يلمزك اى يعيبك وقيل اللمز العيب مسارة والهمز العيب مجاهرة قال فى الصحاح يقال رجل لماز ولمزة اى عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز والهماز العياب والهامز والهمزة مثله (قوله واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية) قد تقرر فى النحو أن حرف الشرط اذا لم يؤثر فى الجزآء معنى لم يدل على كونه مرتبطا بالشرط فلا بد من رابطة بينهما واولى الاشياء به الفاء لمناسبتها الجزآء معنى لان معناها التعقيب لما فصل والجزآء متعقب كالفاء فان مضمون الجملة الشرطية كون وجود الشرط متأخرا عند وجود الجزآء وكل واحد من معنى الفاء واذا المفاجأة مناسب له وشرط قيامها مقام الفاء كون الجزآء جملة اسمية لان اذا التى للمفاجأة لاتدخل على غير الجملة الاسمية الانادرا (قوله والجواب محذوف) وذلك الجواب مرتب على اربعة امور الاول الرضى بما اعطاهم الرسول بناء على اعتقاد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما فعله بأمر الله تعالى الذى لااعتراض عليه وان جميع ماامر به حق وصواب موافق للحكمة والمصلحة والثانى ان يظهر اثر ذلك على السنتهم بأن يقولوا حسبنا الله اى كفانا الرضى بقضاء الله وحكمه ولانؤثر عليه مااصاب غيرنا من المال والثالث الاعتماد على فضل الله وما فى خزآئن قدرته من منافع الدنيا وثواب الآخرة والرابع ان يقولوا انا الى الله راغبون اى نحن لانطلب من الايمان والطاعة اخذ المال والفوز بمناصب الدنيا ومنافعها وانما نطلب اكتساب سعادة الآخرة بل الاستغراق فى العبودية كما دل عليه لفظ الآية وهو قوله انا الى الله راغبون حيث لم يقل انا الى ثواب الله راغبون نقل ان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم مر بقوم يذكرون الله فقال ماالذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومر على قوم مشتغلين بالذكر فسألهم عن سببه فقالوا لانذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذكر العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه فقال انتم المحقون المحققون (قوله تصويبا وتحقيقا لما فعله) فانهم لما لمزوه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الصدقات بين ان مافعله لايتطرق اليه اللمز والطعن بوجه مالانه اخذ القليل من مال الغنى ليصرفه الى مصارفه دفعا لحاجتهم وكلمة انما تفيد الحصر فدل الكلام على انه لاحق فى جنس الصدقات لاحد الالهذه الاصناف فقط وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لابد من صرفها الى الاصناف الثمانية وان يعطى من كل صنف ثلاثة نفر لان اقل الجمع ثلاثة فان دفع سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو الثلث وانه لابد من التسوية فى انصباء

واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) مااعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لمافعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال (انما الصدقات للفقرآء والمساكين) اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم

والفقير [illegible] يقع موقعا من حاجته [illegible]

[illegible] من السكون كأن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(والعاملين عليها)
الساعين في تحصيلها
وجمعها (والمؤلفة قلوبهم)
قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة
فيه فيستألف قلوبهم
او اشراف يترقب باعطائهم
ومراعاتهم اسلام نظرائهم
وقد اعطى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس والعباس بن
مرداس لذلك وقيل اشراف
يستألفون على ان يسلموا
فانه كان عليه الصلاة
والسلام يعطيهم والاصح
انه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذي كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف
قلبه بشيء منها على قتال
الكفار ومانعي الزكاة وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله واكثر
اهله سقط (وفي الرقاب)
وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء
منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول
عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها (والغارمين)

[illegible] (قوله [illegible])
[illegible] من حاجته) [illegible]
حاجة من المسكين [illegible]
احسن حالا من المسكين [illegible]
الفقراء والمساكين [illegible]
[illegible]
فالذين قالوا الفقراء هم المساكين [illegible] والذين قالوا الفقراء [illegible]
المساكين قالوا [illegible] فاحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فسماهم مساكين وبقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وبقوله كاد الفقر ان يكون كفرا
وكان يتعوذ منه فكيف يصح ان يتعوذ من الفقر ويسأل ما يتعوذ منه وهل هذا
الا تناقض واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة فانه تعالى وصف
المسكين بكونه ذا متربة وذلك يدل على نهاية الفقر والشدة لانه يلصق بالتراب
من غاية ضره وفاقته (قوله قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيه) اي في الاسلام
ويعطيهم ليتألفوا على الاسلام ويستقروا عليه (قوله او اشراف) وهم
ايضا من المسلمين قد اسلموا ونياتهم قوية في الاسلام الا انهم اشراف قومهم
فيعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام (قوله وقيل اشراف)
اي قيل المؤلفة قوم من اشراف الكفرة يرجى اسلامهم فيعطون ترغيبا لهم
في الاسلام فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى
صفوان بن امية لما رأى من ميله الى الاسلام وقد عد من المؤلفة المسلمون الذين
سكنوا بازاء قوم كفار او قوم مانعي الزكاة في موضع بعيد لا يبلغهم جيش المسلمين
الا بمؤونة كثيرة فهم لا يجاهدون الكفار ولا يقاتلون مانعي الزكاة لضعف حالهم
فيجوز ان يعطيهم من سهم الغزاة ومن مال الصدقة ليجاهدوا الكفار او يقاتلوا
مانعي الزكاة حتى يأخذوا منهم الزكاة ويحملوها الى الامام (قوله على اداء
النجوم) يعني بدل الكتابة نجوما يكون اداؤه مفرقا على النجوم يعني الاوقات
المضروبة لادائه فان النجم في الاصل اسم للكوكب ثم اطلق على الوقت المضروب
لكون تعينه متعلقا بحركة النجوم ثم اطلق على ما يؤدى في ذلك الوقت بطريق
اطلاق اسم المحل على ما حل فيه ذهب اكثر الفقهاء الى ان المراد بالرقاب المكاتبون
يعطون شيأ من الصدقة ليؤدوا به بدل الكتابة فينالوا العتق وقيل المراد بصرف
سهم من الصدقة في فك الرقاب ان يشترى بسهم الرقاب عبيد يعتقون (قوله
للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب) ولو لم يوثق بكتابة في فكاك الرقاب

مجرورا بالعطف على ماهو مجرور بلام التمليك لكان المعنى ان سهم الرقاب يدفع اليهم كما يدفع سهم الاصناف الاربعة المتقدمة اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا فلما عدل فى الرقاب عن اللام الى كلمة فى دل الكلام على ان نصيبهم لا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فى ذلك النصيب كما شاؤا بل يصرف نصيبهم الى جهة صاحبهم المعتبرة فى الصفة التى لاجلها استحقوا سهما من الزكاة فيوضع نصيبهم فى تخليص رقبتهم من الرق وكذا القول فى الغارمين وفيما بعدهم فيصرف سهم الغارمين الى قضاء ديونهم وسهم الغزاة وابناء السبيل فى دفع حاجتهم والحاصل انه تعالى اثبت سهما من الزكاة للاصناف الاربعة التى تقدم ذكرهم بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقرآء والمساكين ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بكلمة فى فقال وفى الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وفائدته ماذكره المصنف من الدلالة على ان استحقاق الاصناف المتقدمة لذواتهم الموصوفة بما اعتراهم من الصفات وان استحقاق الاصناف المذكورة بعدهم انما يثبت لجهة حاجتهم التى بنى عليها العنوان الذى عبر به عنهم فلا تدفع سهامهم الى انفسهم ليتصرفوا فيها تصرف الملاك فى املاكها بل تدفع الى جهة حاجتهم ولذلك قال اصحاب الامام الشافعى الاحتياط فى سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب عونا باسقاط بعض بدل الكتابة عن ذمته وقال صاحب الكشاف عدل فى الاربعة الاخيرة عن اللام الى فى للايذان بانهم فى استحقاق المتصدق به عليهم احق ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على انهم احقاء ان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا ظرفا لها ومصرفا وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة اوالرق اوالاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغارم الفقير اوالمنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة من الاهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين انتهى كلامه (قوله المديونين) الغارم والغريم وان كان قد يطلق كل واحد منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم فى الآية الذى عليه الدين واصل الغرم فى اللغة لزوم مايشق والغرام العذاب اللازم ويسمى الدين غراما لكونه شاقا على الانسان ولازما له وفى الصحاح الغرامة مايلزم اداؤه وكذلك المغرم والغرم وقد غرم الرجل الدية والمديون الذى لزمه الدين بسبب معصية لايدخل فى الآية لان المقصود من صرف المال الاعانة والمعصية لاتستوجب الاعانة والدين الذى حصل بسبب غير معصية قسمان دين حصل بسبب نفقات ضرورية اوفى مصلحة ودين حصل بسبب حمالات واصلاح ذات بين والكل داخل فى الآية والحمالة باقتح

المديونين لانفسهم فى غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء او حمالة لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله اولغارم اورجل اشتراها بماله اورجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى اولعامل عليها (وفى سبيل الله) وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح

وقيل وفي بناء القناطر والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر

ما يحمله الانسان عن غيره من دية او غرامة مثل ان تقع حرب بين فريقين يسفك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى عنهم على نفسه لاصلاح ذات البين (قوله وقيل وفي بناء القناطر والمصانع) جمع مصنعة وهي شيء كالحوض يجمع فيه ماء المطر وتطلق المصانع على الحصون ايضا يعني ان المفسرين قالوا المراد بسبيل الله الغزاة ويجوز لهم ان يأخذوا من الزكاة وان كانوا اغنياء وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي الا عند الحاجة ونقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع بان يسرق زاده او ماتت راحلته (قوله مصدر لما دل عليه الآية) لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء في قوة فرض الله تعالى اياها لهم وقيل انها منصوبة بفعلها المقدر اي فرض الله تعالى ذلك فريضة (قوله او حال من الضمير المستكن في للفقراء) لو قوعه خبرا اي انما الصدقات كائنة لهم حالة كونها فريضة اي مفروضة وفائدة التقييد الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم من بني هاشم ومواليهم والى بناء المساجد والرباطات وتكفين الموتى ونحوها (قوله ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم) قال الامام العامل والمؤلفة مفقودان في هذا الزمان فبقيت الاصناف الستة والاولى ان تصرف الزكاة اليهم جميعا كما هو قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه الغاية في الاحتياط واعلم ان الاوصاف التي عبر بها عن الاصناف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاخبار دلت على انه لا يجوز صرف الزكاة الى الفقراء وغيرهم الا اذا كانوا مسلمين (قوله يسمع كل ما يقال له ويصدقه) يعني ان الاذن في الاصل اسم لآلة السماع واطلق على من يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد على طريق التشبيه البليغ من حيث انه افرط سماعه وقبول جميع ما يسمعه صار بجملته كأنه آلة السماع كما ان لفظ العين في الاصل اسم لآلة البصر ثم اطلق على الجاسوس بذلك الطريق (قوله او اشتق له فعل) عطف على قوله سمي بالجارحة ويجوز ان يكون اطلاق الاذن على من يسمع كل ما يقال له ويصدقه مبنيا على توليد لفظ من لفظ آخر واطلاق المولد على ما يلائم معنى اللفظ المولد منه بان اشتق من الاذن بمعنى الاستماع لفظ اذن بضمتين ثم اطلق على الرجل الذي يصدق كل ما يسمعه كما اشتق لفظ انف بضمتين من الانف بمعنى جارحة الشم فاطلق على ما فيه معنى التقدم والسبق يقال روضة انف بالضم اي لم يرعها احد وانف

لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء في الزكاة اي ثابتة لهم فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد واختاره بعض اصحابنا وبه قال الائمة الثلاثة وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار بجملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كأنف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل اذن خير لكم)

الا بل اذا وطئت آلا أنفا وهو الذى لم يرع بعد وكأس انف اذا لم يشرب بها قبل ذلك وكما اشتق لفظ شلل بفتحتين من اشل بمعنى الطرد يقال شللت الا بل اشلها شلا اذا طردتها فاشتلت و الاسم الشلل نزلت الآية فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فكانوا يذكرونه بما لا ينبغى من القول و اتفق ان بعضا منهم ذكره صلى الله تعالى عليه و سلم بذلك فقال بعض آخر منهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما نقول فيقع فينا فقال الجلاس بن سويد بل نقول ماشئنا ثم نذهب اليه فنحلف انا ماقلنا فيقبل قولنا وانما محمد اذن يريد انه ليس له ذكر ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاعذار بكل ما يسمع فيقبل كل عذر صدقا كان او كذبا وكان عليه الصلاة و السلام كذلك لكرمه و حسن خلقه فظن او ائك انه صلى الله تعالى عليه و سلم انما يقبل و يعاملهم به لسلامة قلبه وقلة رأيه وقصور عقله (قوله تصديق لهم بانه اذن) يعنى ان اضافة فيه للتخصيص و التقييد و المعنى هب انه اذن يسمع ما يقال له ويقبله لكن مستمع خير و صلاح دون مستمع شر و فساد فيكون الخير مسموعا لا صفة الاذن لانه يستلزم كون الرحمة ايضا صفة له و لا يوصف الاذن بالرحمة وذكر جار الله وجها آخر وقدمه على هذا الوجه وهو ان تكون الاضافة فى اذن خير من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة فى الاتصاف كما فى قولهم رجل صدق وشاهد عدل كأنه قيل نعم هو اذن لكن نعم الاذن فاذن من يسمع العذر و يقبله خير ممن لا يقبله اذا كان ناشئا من الكرم و حسن الخلق و على الوجهين قوله تعالى اذن خير خبر ابتدأ محذوف اى قل هو اذن خير لكم (قوله ثم فسر ذلك) اى بين كونه اذن خير بانه تعالى سلم فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذن الا انه فسر ذلك القول بما هو مدح له صلى الله عليه وسلم وثناء عليه و ان كانوا قصدوا به المذمة ثم فسر كونه اذن خير بأن وصفه بثلاثة اوصاف الاول انه يؤمن بالله فيسمع جميع ماجاء منه و يقبله والثانى انه يؤمن للمؤمنين اى يقبل قولهم و يصدقهم فيما اخبروا به عنده ولا يصدق المنافقين ولا شك ان ما اخبر به المؤمنون الخلص فهو خير وصدق فمن استمعه وقبله يكون اذن خير والثالث كونه رحمة لمن اظهر الايمان منهم من حيث انه يجرى امرهم على الظاهر و لا يبالغ فى التفتيش عن بواطنهم ولا يسعى فى هتك استارهم فمن آمن بالله وصدق المؤمنين الخلص وكان رحمة لمن اظهر الايمان يكون اذن خير لهم (قوله واللام مزيدة للتفرقة) جواب عما يقال لم عدى فعل الايمان الى الله بالباء والى المؤمنين باللام وتقريره ان الايمان بمعنى الامان من الخلد فى النيران وهو الايمان المقابل للكفر حقه ان يعدى بالباء

تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) اى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما

واما الايمان بمعنى التصديق والتسليم فانه يتعدى باللام لتضمنه معناهما وان كان
حقه ان يتعدى بالباء كالتصديق حيث يقال صدقت به ويقال صدقت لك
كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا وما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم (قوله وقرئ
اذن خير) والجمهور على جر خير بالاضافة وقرأ ابو بكر عن عاصم اذن بالتنوين
وخير بالرفع والتنوين اما على انه صفة لاذن او خبر لمبتدأ محذوف
(قوله لهم عذاب اليم بايذائه) فبين انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير ورحمة
لهم مع كونهم في غاية الخبث والضلال فآذوه مقابلة لاحسانه بالاساءة
فيكونون مستوجبين للعذاب الشديد لاجل ان ايذائه ايذاء الله تعالى وقوله على
معاذيرهم فيما قالوا قد تقدم ان منهم الذين يؤذون النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ويسيئون القول فيه فبلغه ما قال بعضهم من النفاق الخفي فدعا صلى الله
تعالى عليه وسلم ذلك البعض وسألهم عنه فانكروا وحلفوا انهم ما قالوا ذلك
فنزلت قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي وقوله يحلفون بالله ليرضوكم اي
ليزيلوا سخطكم وقيل نزلت في المتخلفين يحلفون بالله لكم في رهط وكان من الواجب
ان يرضوا الله بالاخلاص في الايمان والتوبة عن الكفر والنفاق باظهار خلاف
ما يكتمونه في صدورهم (قوله وتوحيد الضمير) جواب عما يقال كيف قيل
احق ان يرضوه بافراد الضمير مع انه ضمير الله ورسوله فالواجب تثنية الضمير اجاب
عنه اولا بان الارضاءين متلازمات فاكتفى بذكر احدهما لكون ذكره وحده
في حكم ذكرهما معا كما يقال احسان زيد وافضاله نعشني وجبرني اي رفعني
وقواني ولم يقل نعشاني وجبراني وثانيا بانه اكتفى بذكر ارضاء الرسول كما في قوله
تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم للتنبيه على ان حكمه حكم الله
تعالى وثالثا بان قوله تعالى والله مبتدأ واحق ان يرضوه خبره والرسول مبتدأ
ثان وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه وقال سيبويه خبر الاول محذوف
كما في قول الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما ✽ عندك راض والرأي مختلف

ورجح قوله لان فيه اعتبار الاقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدأ والخبر
بخلاف ما اختاره المصنف وان رجح ايضا من حيث ان فيه وضع الارضاء فيمن
استحقه لذاته فانه تعالى هو المقصود بجميع الطاعات فهو احق بالارضاء
(قوله وقرئ بالتاء) اي قرأ الجمهور يعلموا بياء الغيبة ردا على المنافقين وقرئ تعلموا بتاء
الخطاب اما على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للمنافقين فيكون الاستفهام
للتقريع والتوبيخ على عدم علمهم بذلك مع طول مكث رسول الله صلى الله

وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذائه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله احق ان يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الارضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (الم يعلموا انه) ان الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق

تعالى عليه وسلم فيهم وتحذيره اياهم عن معصية الله وترغيبه في طاعته واما خطاب
المؤمنين على طريق الاستفهام التقريري (قوله مفاعلة من الحد) الذى
هو الجهة و الجانب فان كل واحد من المخالفين و المعاندين في غير حد صاحبه
كما يقال شاقه ان كان في شق غير شق صاحبه وعاداه ان كان في عدوة غير عدوة
صاحبه والعلم ههنا يحتمل ان يكون على بابه فتسد ان مسد مفعوليه وان يكون
بمعنى العرفان فتسد مسد مفعوله ومن شرطية وقوله فان له نار جهنم جوابها
والجملة الشرطية في محل الرفع على انه خبر أن الاولى وهذا تخريج واضح غاية
ما في الباب ان ان المفتوحة لكونها تغير معنى الجملة وتجعلها في حكم المفرد كانت مع
ما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فجزآؤه ان له او فحق ان له نحو عندى
انك قائم وان جعل ان الثانية تكرير اللاولى للتأكيد وكان التقدير من يحادد الله
فله نار جهنم كانت الجملة الشرطية ايضا خبر ان ولا يحتاج الى ارتكاب
الحذف الا ان حملها على التكرير خلاف الظاهر لانها تحقق مضمون
الجزآء كما ان الاولى تحقق مضمون الجملة الكبرى مع ان جعلها تأكيدا
للاولى يستلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع اجنبي بين فاء
الجزآء وما في حيزه وان جعل فأن له معطوفا على أنه على ان جواب من محذوف تقديره
ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم تلزم المخالفة لما صرح به
النحاة من انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا
او مضارعا مقرونا بلم وعلى ماذكر من الاحتمال يكون الجواب محذوفا وفعل
الشرط مضارع غير مقترن بلم (قوله وقرئ فانله بالكسر) قال ابن الحاجب
في الكافية فان جاز التقديران جاز الامران اى ان وقعت المفتوحة في موضع
جاز فيه تقدير المفرد و الجملة جاز فيه فتح ان وكسرها و ذلك في مواضع احدها
ان تقع بعد فاء الجزآء نحو من يكرمني فأني اكرمه جاز فيه الكسر بتأويل فانا اكرمه
والفتح على ان يجعل ما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر اى فاكرامي له ثابت ولا يخفى
ان كل واحد من التقديرين جائز في الآية فجاز فيها الفتح والكسر (قوله
وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم) جواب عما يقال كيف يحذر المنافق
نزول الوحى على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كافر بنبوته وتقريره
ان النفاق لا يستلزم كون المنافق قاطعا بعدم نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
لجواز كونه شاكا في صحة نبوته والشاك خائف فلهذا السبب خافوا ان ينزل
عليه في حقهم ما يفضحهم فان حذرهم منه يدل على انهم مترددون في كفرهم
كتردد المؤمنين وقيل في جوابه ان قوله تعالى يحذر خبر في معنى الامر لان المراد منه
الامر بالحذر اى ليحذر المنافقون واجيب عنه ايضا بان هذا حذر اظهره المنافقون

مفاعلة من الحد (فان له
نار جهنم خالدا فيها)
على حذف الخبر اى فحق
ان له او على تكرير ان
للتأكيد ويحتمل ان يكون
معطوفا على انه ويكون
الجواب محذوفا تقديره
من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فانله بالكسر (ذلك
الخزى العظيم) يعنى الهلاك
الدائم (يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم) على
المؤمنين (سورة تنبئهم
بما في قلوبهم) وتهتك عليهم
أستارهم ويجوز ان تكون
الضمائر للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث
انه مقرو ومحتج به عليهم
وذلك يدل على ترددهم
ايضا في كفرهم وانهم
لم يكونوا على بت في امر
الرسول صلى الله عليه وسلم
بشئ وقيل انه خبر في معنى
الامر وقيل كانوا يقولونه
فيما بينهم استهزآء لقوله (قل
استهزءوا ان الله مخرج)
مبرز أو مظهر (ما تحذرون)
اى ما تحذرونه من انزال
السورة فيكم اوما تحذرون
اظهاره من مساويكم

على وجه الاستهزاء حين رأوه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر كل شيء ويدعي انه عن الوحي وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم فأخبر الله تعالى رسوله بذلك وامره ان يعلمهم انه مظهر سرهم الذي حذروا ظهوره وفي هذا الجواب قوله تعالى قل استهزؤا واعلم انهم كانوا يسمون سورة براءة الحافرة من حيث انها حفرت عما في قلوب المنافقين وسموها الفاضحة والمبعثرة والمثيرة لاثارتها مخازيهم ومثالبهم قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وقيل اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على امر من النفاق فأخبر جبريل الرسول عليهما الصلاة والسلام باسمائهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان اناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك قم يا فلان ويا فلان حتى اتى عليهم ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال لا كنت في اول الامر اطيب نفسا عنه والله كان اسرع في الاجابة اخرجوا عني اخرجوا عني حتى خرج الكل وقال الاصم ان عند رجوع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام وكانوا متلثمين في ظلمة وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فامر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم ثم قال من عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسماءهم وعددهم له وقال ان جبريل اخبرني بذلك فقال حذيفة ألا تبعث اليهم ليقتلوا فقال اكره ان تقول العرب قال لأصحابه حتى اذا ظفر بهم صار يقتلهم بل يكفينا الله ذلك (قوله تعالى ولئن سألتهم) اي عما كانوا فيه من الاستهزاء ليقولن انما كنا نخوض واصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى والمعنى انما كنا نخوض في الباطل من الكلام كما يخوض الركب لقطع الطريق فأجابهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن بأن امره الله تعالى بذلك كانه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعبأ باعتذارهم الكاذب بقولهم انما كنا نخوض ونلعب وقل لهم انكم تقدمون على الاستهزاء الا انه كيف اقدمتم على الاستهزاء بمن لا يصح الاستهزاء به فانه فرق بين ان يقال أتستهزئ بالله وبين ان يقال أبالله تستهزئ فان الاول يقتضي الانكار على ملابسة الاستهزاء والثاني يقتضي الانكار على ايقاع الاستهزاء بالله وفي لفظ الاعتذار قولان عند اهل اللغة الاول انه عبارة على محو أثر الذنب من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست ويقال مررت بمنزل معتذر اي مندرس

(ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب

(قد كفرتم) قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله ٣٦٢ تعالى عليه وسلم والطعن فيه (بعد إيمانكم) بعد إظهاركم الإيمان (إن يعف عن طائفة منكم) لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وإن تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال إن ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من فضله ولطفه (إن المنافقين هم الفاسقون) (فلذلك)

فالاعتذار هو التنصل ومنه أخذ الاعتذار لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه والقول الثاني أن الاعتذار هو القطع ومنه يقال للقلفة عذرة لأنها تعذر أي تقطع ويقال للبكارة عذرة لأنها تعذر أي تقطع ويقال اعتذرت المياه إذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمي عذرا قال الواحدي والقولان متقاربان لأن محو أثر الذنب وقطع اللوم متقاربان (قوله قد أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان) أشار به إلى دفع ما قيل إن المنافق لم يؤمن قط فضلا عن أن يكون بعد الإيمان وفي الآية دلالة على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء في أنه موجب للكفر لا خلاف بين الأئمة وكذلك لا فرق بين الجد والهزل في النكاح والطلاق والرجعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة قال الترمذي في حق هذا الحديث إنه حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرهم ونقل القرطبي عن سعيد بن المسيب قال ثلاث ليس فيهن لعب النكاح والطلاق والعتق (قوله وقرأ عاصم بالنون فيهما) فإنه قرأ إن نعف بفتح نون العظمة ورفع الفاء ونعذب بضم نون العظمة وكسر الذال وطائفة بالنصب وقرأ الباقون إن يعف عن طائفة بضم ياء الغيبة وفتح الفاء تعذب طائفة بضم تاء التأنيث وبناء المفعول ورفع طائفة لقيامها مقام الفاعل والقائم مقام فاعل الفعل الأول الجار والمجرور وقرئ تعف بالتاء والبناء للمفعول والقياس تذكير الفعل لأنه يقال سير بالدابة ولا يقال سيرت بالدابة لكنه أنث حملا على المعنى فإن قوله إن تعف عن طائفة معناه إن ترحم طائفة فأنث الفعل لذلك وهو غريب (قوله أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان) لما شرح الله تعالى قبائح أفعال المنافقين بين أن إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة والخصال القبيحة فكلمة من فيه اتصالية كما في قولك أنت مني وأنا منك أي أمرنا واحد لا مباينة بيننا فيه ومن الاتصالية ابتدائية لأن الابتداء فيها باعتبار الاتصال فقولك أنت مني جهة المعية معناها أنت متصل في الشمائل والأفعال وإن ما فيك من الشمائل ناشئة ومستفادة مني لا تمايز بيننا من حيث الأفعال والخصال فكذا المعنى في قوله تعالى بعضهم من بعض فهذه الآية على ما ذكر من التوجيه لا تكون متصلة بخصوص قوله تعالى ويحلفون بالله إنهم لمنكم إن تكون متصلة بخصوص ما ذكر في شرح قبائح المنافقين (قوله وقيل إنه تكذيبهم) معطوف على ما ذكر مما فهمه في تفسير الآية وعلى كلا التوجيهين يكون قوله يأمرون بالمنكر الخ كالدليل لما قبله وهو ما لا مدخل لكسب العبد واختياره فيه كالنسيان فإنه ليس في اختيار البشر ولا مدخل لاختياره فيه فتمتنع المؤاخذة على النسيان

[illegible] فسر قوله نسوا الله بقوله أغفلوا ذكر الله [illegible]

النسيان [illegible] في هذه الآية فسر قوله [illegible]

وقضيته فالنسيان مجاز [illegible]

[illegible]

[illegible] (قوله الكاملون في الآخرة

والفسق [illegible]

الدال على [illegible] الجنس كله ولو جعل [illegible] لما صح الحصر المستفاد من تعريف

الفصل وتعريف الخبر لانكم من فسق سواهم [illegible] لان الكامل

اذا وصف بالفسق [illegible]

بكمال الفرد ذكراً وعدّهم في الآخرة وجعل قوله خالدين فيها حالاً مقدرة

من الضمير [illegible]

اما من الاعراب [illegible]

[illegible]

الخلود في عذاب النار [illegible]

بتعذيب [illegible]

بالله من سخطه وعقابه (قوله وزاد به ما يوعدون) من الخلود في نار جهنم

وذكره بعد تأكيداً له (قوله أو ما يقاسونه من تعب النفاق) اي ويجوز

ان يكون المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم

وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع الرسول على بواطنهم او ما يجدونه دائماً

ابداً من انواع الفضائح (قوله اي انتم مثل الذين) اي يجوز أن تكون

الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لان المقصود على الاول تشبيههم

بمن قبلهم في العدول عن امر الله والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض

الايدي عن الخيرات ونحو ذلك مما خاضوا فيه من الامور الباطلة رغبة في الاستمتاع

بالحظوظ العاجلة المخدجة والالتذاذ بما رزقوا من الاموال والاولاد وعلى الثاني تشبيه

الفعل بالفعل بتقدير المضاف (قوله بيان لتشبيههم بهم) حيث وصف كل

واحد منهم وممن قبلهم بكثرة الاموال والاولاد ثم ذكر انهم استمتعوا بنصيبهم

وخاضوا كما استمتع من قبلهم وخاضوا وسمى النصيب خلاقاً لكونه عبارة عما قدر

للانسان من خير وشر (قوله والتهائهم بها) اي تلهيهم ولعبهم بتلك الشهوات

يقال لهوت بالشيء ألهو لهواً وتلهيت به اذا التهيت به (قوله تمهيد الذم المخاطبين

علة لقوله ذم الاولين والمقصود دفع ما يقال من ان ذكر استمتاع الاولين

بخلاقهم وقع مكرراً حيث ذكر اولاً قوله فاستمتعوا بخلاقهم ثم قوله

الكاملون في الآخرة [illegible]

[illegible] (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هي حسبهم) [illegible] (ولعنهم الله) [illegible] (ولهم عذاب مقيم) [illegible] او ما يقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) اي انتم مثل الذين من قبلكم (كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالاً واولاداً) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم في الباطل

(كالذي خاضوا) كالذين خاضوا، أو كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين (وأولئك هم الخاسرون) الذين خسروا الدنيا والآخرة (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) أغرقوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح (وثمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم إبراهيم) أهلك نمرود ببعوض وأهلك أصحابه (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر (أتتهم رسلهم) يعني الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) أي لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) في سائر الأمور (أولئك سيرحمهم الله) لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع (إن الله عزيز) غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) يضع الأشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) إقامة وخلود

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والثاني مغن عن الأول فما فائدة في ذكره ووجه الدفع أنه تعالى ذم الأولين باستمتاعهم بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة وجعل ذم الأولين تمهيدا لذم المخاطبين بأن شبه حالهم بحال الأولين في التكرير تأكيدا له ومبالغة في ذم المخاطبين وتقبيح حالهم ولا يستقيم هذه الطريقة في التشبيه الثاني وهو قوله وخضتم كالذي خاضوا حيث لم يقل وخاضوا وخضتم كخوضهم اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور في التشبيه الثاني لما كان معطوفا على التشبيه الأول علم أن المقدمة المذكورة هنالك مقصودة ههنا فيستغني عن ذكرها في التشبيه الثاني (قوله كالذين خاضوا) والتقدير وخضتم خوضا كخوض الذين خاضوا على أن الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف ولما ورد أن يقال لم أفرد الذي مع أن المراد به الجماعة بدلالة رجوع ضمير الجمع إليه في قوله خاضوا والقياس أن يقال كالذين خاضوا لما تقرر في النحو أن جمع الذي في ذوي العلم الذين في الأحوال الثلاث على الأشهر والذون في حال الرفع على لغة هذيل أشار إلى جوابه أولا بأن أصله الذين فحذف نونه تخفيفا وأيضا حذف المصدر الموصوف مع المصدر الذي أضيف إلى الموصول فبقي وخضتم كالذي خاضوا وثانيا بقوله أو كالفوج الذي خاضوا وثالثا بقوله أو كالخوض الذي خاضوه يعني أفرد الموصول لكونه صفة للمصدر المحذوف لا لمن قبلهم من الأولين الذين رجع إليهم ضمير خاضوا وعائد المصدر محذوف ثم إنه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمبالغة في إيذائهم هددهم بأن أشار إلى ما جرى على المتقدمين من وجوه الهلاك ليعتبروا بحالهم وليزجروا عما هم فيه من قبائح الأفعال (قوله نمرود) إشارة إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بقوم إبراهيم نمرود بن كنعان والمراد بأصحاب مدين قوم شعيب ومدين اسم بلدهم والمؤتفكات جمع مؤتفكة وهي المنقلبة يقال أفكه فائتفك أي قلبه فانقلب وقرى قوم لوط انقلبت فصار أعلاها أسفلها (قوله فإن السين مؤكدة للوقوع) يعني أن السين في الإثبات بمنزلة لن في النفي ولهذا تمحض للتأكيد من غير قصد إلى معنى الاستقبال ثم إنه تعالى لما أكد وعده بالرحمة على الإجمال فصل الرحمة الموعودة بقوله وعد الله

وقوله عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين [illegible] قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة [illegible]
والصديقون والشهداء [illegible] يقول الله تعالى [illegible] ومرجع العطف [illegible]
أو الجمع على مبنى التنويع [illegible] ومصدره [illegible]
طباعهم [illegible]
اما الى المنازل [illegible] فانه [illegible]
ثم [illegible] ذلك [illegible] سعادة [illegible]

(ورضوان من الله اكبر) [illegible] وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) اي الرضوان او جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها (يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقامة الحدود (واغلظ عليهم) في ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ما قالوا) روي انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا

المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار وقريب منه تحصل [illegible] بالجنات البساتين اي الشجر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن اي منازلهم الجنات التي هي البساتين والعطف فسر العدن بالاقامة والخلود اختيارا للقول من قال انه مصدر قولك عدن بالمكان يعدن عدنا وعدونا اذا اقام به وتقول تركت ابل بني فلان عوادن بمكان كذا وهو ان تلزم الابل المكان وتألفه ومنه المعدن لمستقر الجوهر وعلى هذا القول الجنات كلها جنات عدن لا يبغون عنها حولا وليس تكرارا لقوله خالدين فيها لان قوله تعالى جنات عدن اخبار بدوام مقامهم فيها فضلا [illegible] وقوله تعالى خالدين فيها اخبار بدوام النعيم لهم في الجنات فهما معنيان مختلفان (قوله وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين الخ) اشارة الى ان في العدن قولا آخر وهو انه اسم علم لموضع معين في الجنة استدلالا بالاخبار الواردة فيه (قوله ومرجع العطف فيها) يعني ان العطف يقتضي التغاير فعطف قوله تعالى ومساكن طيبة على قوله جنات تجري يحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الذاتي بين المعطوف والمعطوف عليه بان يراد بالجنات البساتين وبالمساكن الطيبة القصور المبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر مثلا ويحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الوصفي مع اتحاد الذات (قوله والمنافقين بالزام الحجة) ولا تجوز محاربتهم ومجاهدتهم بالسيف معهم لانهم يظهرون الاسلام ويكتمون الكفر وحكم شريعتنا ان نحكم بالظاهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر وقد امر الله تعالى بالجهاد معهم وهو عبارة عن بذل الجهد في التصرف عن المنكر والارشاد الى الحق وليس في لفظ جاهد ما يدل على كون ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق آخر فقول الآية تدل على وجوب الجهاد مع المنافقين واما كيفية تلك المجاهدة

[illegible]
[illegible]
[illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما
[illegible] وعن ابن
مسعود [illegible] في وجوههم روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات يوم
بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان ما يقول محمد
لاخواننا الذين خلفناهم في المدينة حقا لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس
فقال اجل ان محمدا هو صادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بمقالة الجلاس
فقال الجلاس كذب يارسول الله علي عامر فامرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي
لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد
قال وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك
تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم قبل ان يتفرقا بهذه
الآية فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يارسول الله ان الله قد عرض علي
التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال وانا قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته (قوله
او اخراجه) مجرور معطوف على قوله من قتل الرسول اي يحتمل ان يكون المراد
بقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا ما قصده الخمسة عشر من قتله صلى الله تعالى عليه
وسلم بالليل اذا تسنم العقبة فانهم لما اجتمعوا لذلك الغرض كان الظاهر انهم
قد طعنوا في نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبوه الى الكذب في دعوى الرسالة
وذلك هو قولهم كلمة الكفر ويحتمل ان يكون المراد به الاخراج الذي هم به
عبد الله بن ابي حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد به
الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع زيد بن ارقم هذا وبلغه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهم بقتل عبد الله بن ابي فجاء عبد الله فحلف انه لم يقله فنزلت الآية
(قوله او بان يتوجوا) اى بان يلبسوه التاج وهو تفسير لقوله تعالى بما لم ينالوا
وهو غير ما روى السدى انه قال قوله تعالى بما لم ينالوا هو قولهم اذا قدمنا
المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن ابي تاجا فلم يصلوا اليه (قوله أثروا) اى
استغنوا وكثرت اموالهم والثراء كثرة المال وما عابوا شيئا منهم الا اغناء الله اياهم
وهو من باب قولهم مالى عندك ذنب الا انى احسنت اليك * اى ان كان ثم

واخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله (وما نقموا) وما انكروا وما اوجدوا [illegible] (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) فان اكثر اهل المدينة كانوا محتاجين في ضنك من العيش فلما قدمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل والمعنى (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) ينجيهم من العذاب

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى
ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا أخت الجزية
فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة ٣٦٧ بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله منعني أن أقبل
منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الإعراض عنها (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (إلى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت أو يلقون عمله
أي جزاءه وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه) بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون)
وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد (ألم
يعلموا) أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (أن الله يعلم سرهم) ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم
على الإخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى
عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين
(من المؤمنين في الصدقات) روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال
كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما
أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم

ذنب فهو هذا وقد أكرم بهم كقوله

ما نقموا من بني أمية إلا ۞ أنهم يحلمون إن غضبوا

والتقدير على الثاني ما كرهوا الناس وما عابوا إليه شيئا إلا لأجل أن أغناهم الله
ورسوله (قوله تعالى لنصدقن) أصله لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد لقربها
منها والمتصدق معطي الصدقة قال تعالى وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين
(قوله أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا) يقال أعقبه الله خيرا أي صير
عاقبة أمره ذلك ويقال أكل فلان أكلة أعقبته سقما وفي الصحاح أعقبه بطاعته
أي جازاه (قوله ويجوز أن يكون الضمير للبخل) يعني أنه يجوز أن يكون ضمير
فاعل أعقب أو كان مسندا إلى ضمير البخل المدلول عليه بقوله بخلوا به لكان المعنى
بخلهم أعقبهم نفاقا متمكنا في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
يكذبون وذلك لأن إسناد النفاق إلى البخل بسبب الأخلاق ووعد الله تعالى إياه
والظاهر أن أعقب مسند إلى ضمير الجلالة لأن الضمير الواقع قبله وبعده وهو
ضمير من فضله وضمير يلقونه كل واحد منهما راجع إليه تعالى والظاهر أن يكون
ضمير أعقب أيضا عبارة عنه تعالى (قوله أو يلقون عمله) أي عمل البخل
وجزاءه وهذا على تقدير أن يكون ضمير أعقب للبخل وفي التيسير قال الحسن قوله
تعالى فأعقبهم نفاقا أي صار بخلهم سببا لذلك وقوله إلى يوم يلقونه أي يرون
بخلهم كما قال ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قوله حتى صولحت إحدى امرأتيه
عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم) يدل على أن عبد الرحمن رضي الله عنه
كانت له امرأتان وأن ثمن ماله كان أكثر من مائة وستين ألف درهم فيصح أن يصالح

بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت
بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
(والذين لا يجدون الا جهدهم) الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه (فيسخرون منهم)
يستهزئون بهم (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم (ولهم عذاب اليم) على كفرهم (استغفر لهم
او لا تستغفر لهم) يريد به التساوي بين الامرين في عدم (٣٦٨) الافادة لهم كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم) روي ان عبد الله بن
عبد الله بن ابي كان من
المخلصين سأل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
في مرض ابيه ان يستغفر له
ففعل فنزلت فقال عليه
الصلاة لأزيدن على
السبعين فنزلت سواء عليهم
أستغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وذلك لانه عليه
الصلاة والسلام فهم من
السبعين العدد المخصوص
لانه الاصل فجوز ان يكون
ذلك حدا يخالفه حكم
ما وراءه فبين له ان المراد به
التكثير دون التحديد
وقد شاع استعمال السبعة
والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام
العدد فكأنه العدد
بأسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول
استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لا يهدي القوم
الفاسقين) المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد
الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه
من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)

(كالدليل)

حسبك امرأته عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وفي الكشاف حتى
صولحت امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وهو يدل على انه
خلف اربع زوجات وان الثمن كان ثلثمائة الف وعشرين الفا
والصحيح ان يصالح احدى الزوجات الاربع عن ربع الثمن على ثمانين والله اعلم
والوسق بالفتح ستون صاعا وقيل هو حمل بعير (قوله اجر بالجرير) الجرير
حبل يجر به البعير بمنزلة العذار للدابة والباء زائدة اي اجر الجرير والمعنى استقي
للناس على اجرة صاعين (قوله جازاهم على سخريتهم) فيكون جزاء
السخرية بالسخرية مبنيا على المشاكلة فانها تورث الكلام حسنا كما سمي جزاء
الاستهزاء استهزاء وجزاء السيئة سيئة او على الاستعارة فان جزاء السخرية مماثل
لها فاطلق احد المثلين على الآخر لشبهه به فعلى هذا يكون سخر الله استعارة
تبعية (قوله يريد به التساوي بين الامرين) يعني ان الكلام وان ورد
على صورة الامر الا ان المراد الاخبار بتساوي الامرين كما في قوله تعالى انفقوا
طوعا او كرها لن يتقبل منكم وفائدة العدول الى صيغة الامر مع ان الخبر ايضا
يدل على تساوي الامرين في عدم النفع مثل ان يقال استغفارك من حيث ترتب
المغفرة عليه كعدمه لافرق بينهما هي الدلالة على التأكيد والمبالغة في تساوي
الامرين كأنه قيل ان شئت ان تعرف ان لا اغفر لهم على كل حال امتحن بان
تستغفر لهم تارة وتترك تارة اخرى تجدني استمر على عدم مغفرتي لهم في الحالين
(قوله فان مغفرة الكافر بالاقلاع) اي الامتناع عن الكفر وبالارشاد الى الحق
بمعنى الدلالة الموصلة الى الحق وكل واحد من هذين السببين منتف في حق
المتمردين في كفرهم ما داموا مختارين للكفر والطغيان متمردين فيهما فانتفى
المسبب ايضا في حقهم وهو المغفرة فكان قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين

بقعودهم عن [illegible] خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون مفعولا له
او حالا (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض
بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل اموالهم ومهجهم (وقالوا لا تنفروا في الحر) اي قال بعضهم
لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم اشد حرا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كناية عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم (فان كلهم لم يكونوا منافقين) او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة اخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا)

كالدليل على عدم مغفرة الله تعالى لهم [illegible]
[illegible] في الكفر لا يهديه الله الى الحق [illegible]
فهو صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
بهذا الهدي [illegible] (قوله بقعودهم عن الغزو خلفه)
اشارة الى ان المقعد مصدر بمعنى القعود وان خلاف منصوب على الظرفية اي
بعد ذهاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال اقام زيد خلاف القوم اي
تخلف بعد ذهابهم وروي عن الاخفش ويونس ان خلاف بمعنى خلف [illegible]
ويؤيده قراءة ابن عباس بفتح الخاء وسكون اللام (قوله فيكون مفعولا له
على انه) اي فرحوا لاجل مخالفتهم اياه [illegible] حتى تخلفوا عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم باختيارهم [illegible] ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
وصفهم الله بقوله يخلفون [illegible] صاحب الكشاف [illegible] بقوله هم الذين
استأذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم [illegible] في غزوة تبوك
او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (قوله ايثارا للدعة) وهي
الراحة وقوله والخفض عطف تفسير لها يقال عيش خافض اي رافه وقوله
على طاعة الله متعلق بقوله ايثارا وقوله وفيه تعريض اشارة الى ان قوله
وكرهوا ان يجاهدوا الآية مع ان الفرح متعلق بالاقامة والتخلف عن الغزو يدل
على كراهية الجهاد والمهج جمع مهجة وهي الروح وقيل الدم وقيل هي دم
القلب خاصة والتثبيط عن الامر عبارة عن الصرف عنه يقال ثبطه عن الامر
تثبيطا اذا شغله عنه (قوله اخبار عما يؤول اليه حالهم) والمعنى سيحصل
لهم ذلك لقوله تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون (قوله اخرجه
على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب) فان ظاهر الامر الايجاب ولا يحتمل
من الصدق والكذب ما يحتمله الخبر وقوله تعالى قليلا وكثيرا يجوز ان يكون انهما
منصوبين على ظرفية الزمان اي زمانا قليلا وزمانا كثيرا الا ان الظاهر انهما
منصوبان على المصدر (قوله فان كلهم لم يكونوا منافقين) علة لتخصيص
المخالفين بالمنافقين منهم وهذا على تقدير ان يجعل ضمير منهم للمخلفين وان جعل
للمنافقين وكان المراد بالطائفة من بقي من المنافقين فلا تخصيص (قوله وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم) لما فيه من اظهار نفاقهم وكون

اخبار في معنى النهي للمبالغة (٤٧) (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) (رابع) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) روي ان ابن ابي دعا

خروجهم مرة أخرى مؤديا الى نوع من المفاسد وذلك لان استصحاب المسلمين
في الغزوات وترغيبهم في الجهاد امر معلوم بالضرورة فلما امتنع هؤلاء
عن الخروج الى الغزو بعد امتنانهم به كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين
عن زمرة من كتب بالجهاد وعلى الفضيحة والاهانة في حالهم ثم انه كلف رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم بان يفضحهم بعد الوفاة حيث قال ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان ابن ابي دعا رسول الله في شكاته في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يطلب
منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده وطلب منه القميص
الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال له عمر اتعطي قميصك الرجس النجس فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا ولعل الله ان يدخل به
الناس في الاسلام وكان المنافقون عند عبد الله فلما رأوه يطلب القميص
منه ويرجو ان ينفعه اسلم منهم الف فلما مات جاءه ابنه يعرفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بموته قبل دفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم
فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي فجاء عمر فقام بين يدي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الآية واخذ جبريل صلى الله
تعالى عليه وسلم بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا فاعرض عن
الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله تعالى عنه
فان الوحي كان ينزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها هذه الآية وهو منصب
عال ودرجة رفيعة في الدين فلهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم في حقه لو لم
ابعث لبعثت يا عمر نبيا فان قيل كيف يجوز ان يقال ان الرسول رغب
في ان يصلي عليه بعد ان علم كونه كافرا قد مات على كفره وان صلاته دعاء له
بالمغفرة وذلك محظور لانه تعالى منعه عن ان يستغفر لمشرك واعلمه انه لا يغفر
للكفار البتة وايضا الصلاة عليه ودفع قميصه اليه يوجب اعزازه وهو مأمور
باهانة الكفار فالجواب انه لعل السبب فيه انه لما طلب منه صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يرسل اليه قميصه الذي يمس جلده ليدفن فيه غلب على ظنه انه تاب
عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه
اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة الدالة على اسلامه غلب على ظنه انه
صار مسلما فلذلك رغب في ان يصلي عليه فلما نزل جبريل صلى الله تعالى
عليه وسلم واخبره بانه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه واما دفع
القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس عم رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم [illegible]

عبد الله فرصد فهو صلى الله تعالى [illegible]

للصلاة [illegible] ذلك [illegible]

فلا [illegible] فلما [illegible] عبد الله [illegible]

[illegible]

الرحمة [illegible] رحمة من الله [illegible]

امر الله تعالى [illegible] القميص [illegible] والرحمة ومنها انه [illegible]

[illegible]

في الاسلام فلعل ذلك [illegible] (قوله صلى عليه ثم نزلت) قال الامام
ابو [illegible] في [illegible] روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه لما توفي
عبد الله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله ان يعطيه
قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني [illegible] الذي يلي جلده
ليكفن فيه اباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ليصلي فقام عمر بن الخطاب فاخذ بثوب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصلي عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انما
خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم قال فصلى عليه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا رواه
البخاري عن عبيد الله بن اسمعيل ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة كلاهما عن ابي اسامة
عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر (قوله والمراد) منصوب معطوف
على قوله الصلاة (قوله ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا) اي ولكون
الاستغفار ممنوعا في حق من مات كافرا رتب النهي عن الصلاة على الاحد
الموصوف بانه كائن منهم والموصوف بانه مات ابدا فان منهم صفة لاحد وكذلك
جملة قوله مات فانها ايضا في محل الجر على انها صفة احد وابدا ظرف منصوب
بمات على ما اختاره المصنف وتفرد به كأنه قيل لا تصل على احد منهم ميت
ابدا بان مات على الكفر قال الامام نقلا عن الواحدي ان قوله تعالى مات في موضع
جر على انه صفة للنكرة كأنه قيل على احد منهم ميت وقوله ابدا متعلق بقوله
ولا تصل على احد يريد انه ظرف النهي والتقدير ولا تصل ابدا على احد منهم
مات (قوله تكرير للتأكيد) يعني ان هذه الآية قد سبق ذكرها بعينها
في هذه السورة فلا فرق بينهما الا في عبارات مخصوصة اولاها انه تعالى قال في الآية
المتقدمة فلا تعجبك بالفاء وههنا قال ولا تعجبك بالواو وثانيها انه تعالى قال
هناك اموالهم ولا اولادهم وههنا كلمة لا محذوفة وثالثها انه تعالى قال هناك

رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في مرضه فلما
دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي
جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلي عليه فنزلت
وقيل صلى عليه ثم نزلت
وانما لم ينه عن التكفين في
قميصه ونهى عن الصلاة
عليه لان الضن بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان
مكافأة لالباسه العباس
قميصه حين اسر ببدر والمراد
من الصلاة الدعاء للميت
والاستغفار له وهو ممنوع
في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله مات ابدا
يعني الموت على الكفر فان
احياء الكافر للتعذيب دون
التمتع فكأنه لم يحي
(ولا تقم على قبره) ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة
(انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون)
تعليل للنهي او لتأبيد الموت
(ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون)
تكرير للتأكيد والامر
حقيق به فان الابصار

طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول (واذا انزلت سورة)
من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا بالله) بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك
اولوا الطول منهم) ذووا الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه (وطبع على قلوبهم فهم ﴿٣٦٣﴾ لا يفقهون) ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم) اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني اسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر
بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما (تشديد)
ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء
الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين
والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة

انما يريد الله بعذابهم وههنا قال انما يريد الله ان يعذبهم فكلمة ان بدل اللام
وراعنه الله تعالى قال هنالك في الحياة الدنيا وههنا حذف لفظ الحياة فقال
هذه الآية ليست تكرارا لان ما سبق نزلت في حق قوم وهذه نزلت في آخرين
وقيل الوجه التأكيد لان الآية السابقة والتالية تقتضي التأكيد لان الاهم ما يتعلق به
الانسان من اسباب الدنيا الاموال والاولاد فيجب التحذير عنهما مرة بعد
اخرى (قوله طامحة) اي مرتفعة ناظرة يقال طمح بصره الى الشيء اي
ارتفع (قوله مغتبطة) اي محبوطة والغبطة ان يتمنى مثل حال المغبوط من غير
ان يريد زوالها عنه وان لم تكن حسدا تقول منه غبطته بما نال اغبطه غبطا
وغبطة فاغتبط كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس (قوله ويجوز ان
يراد بها بعضها) وجعلها صاحب الكشاف نظير القرآن والكتاب فكما
ان كلا منهما يقع على الكل والبعض فكذا السورة فانها ليست الاسم للمجموع
فاطلاقها على البعض مجاز ولا يخفى ان كلا منهما موضوع للقدر المشترك بين
الكل والبعض بخلاف السورة فانها ليست الا اسما للمجموع فاطلاقها
على البعض مجاز (قوله ويجوز ان تكون أن المفسرة) لانه قد تقدمها ما هو
بمعنى القول وعلى الاول كانت مصدرية على حذف حرف الجر وفي قوله استأذنك
التفات من الغيبة الى الخطاب ومقتضى الظاهر ان يقال استأذنه بناء على
لفظ رسوله (قوله وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه) قال الجوهري فلان
خالفة اهل بيته وخالف اهل بيته ايضا اذا كان لا خير فيه انتهى فالتاء للنقل من
الوصفية الى الاسمية واصل الوجه في تسمية من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير
نجيب الى ما دعي اليه من المهمات قال المفسرون كان يصعب على المنافقين
تسميتهم بالخوالف فنزلت الآية تعييرا لهم وذما (قوله معتذرين بالجهد)
مصدر جهد عيشهم بكسر الهاء بمعنى نكد واشتد (قوله والمعذر اما من
عذر في الامر اذا قصر) فقوله تعالى وجاء المعذرون معناه وجاء المقصرون
في الجهاد بان توانوا ولم يجدوا فيه من غير عذر والحاصل ان المصنف ذكر في لفظ
المعذرين ثلاث قراءات الاول تشديد الذال فقط والثانية التخفيف والثالثة

وقرئ المعذرون (وقعد الذين [illegible]) في ادعاء الإيمان وهم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا [illegible] (سيصيب الذين كفروا منهم) من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة [illegible] (حرج) إثم في التأخر (إذا نصحوا لله ورسوله) بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسيء فكيف للمحسن (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم)

تشديد العين والذال وذكر في القراءة الأولى احتمالين أحدهما أن يكون اسم فاعل من باب التفعيل ومعناه المقصر في الجهاد [illegible] والثاني أن يكون اسم فاعل من باب الافتعال وأصله المعتذرون [illegible] إلى العين [illegible] [illegible] هذا الاعتذار [illegible] ومن [illegible] فقد اعتذر [illegible] بالتشديد من عذر بالتضعيف وجعل المعذرون بالتخفيف اسم فاعل من أعذر إذا اجتهد في العذر وبالغ فيه فيكون [illegible] العذر الصحيح [illegible] فقعدوا وتخلفوا من غير استئذان فضلا عن الاعتذار وإنما قعدوا [illegible] على الله تعالى فهم الذين [illegible] بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله وجعل القراءة الثالثة اسم فاعل من أعذر بمعنى اعتذر [illegible] المعذرون وجعل هذه القراءة [illegible] على أن [illegible] يخرج [illegible] الاختلاف في أنهم كانوا محقين في الاعتذار [illegible] على قراءة التشديد على أن يكون المعذرون بمعنى المعتذرين إن كان بمعنى المقصر [illegible] بلا خلاف وعلى قراءة التخفيف يكونون محقين بلا خلاف (قوله ويكون) متفرع على قوله بالصحة لأن المعتذرين بالصحة لا يقال في حقهم إنهم كاذبون في ادعاء الإيمان ولا في الاعتذار (قوله كالهرمى) في جمع هرم يقال هو هرم وقوم هرمى والهرم أقصى كبر السن يقال هرم الرجل وأهرمه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الضعفاء بالهرمى والشيخ والعجزة فإنهم وإن كانوا أصحاء من حيث الأبدان إلا أنهم ضعفاء ليس لهم قوة يقدرون بها على الجهاد والمرضى الذين بهم علة يرجى زوالها إلا أنهم في الحال لا طاقة لهم والنصح الخالص والنصح إخلاص العمل من الغش يقال نصح الشيء إذا خلص والنصح له في القول الخالص له قال صلى الله تعالى عليه وسلم الدين النصيحة قالوا لمن قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال العلماء النصيحة لله إخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الألوهية وتنزيهه عن النقائص والرغبة في مرضاته والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في نهيه وأمره وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيم سنته وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها وتعليمها والدعاء إليها والتخلق بها والنصح لأئمة المسلمين ترك الخروج عليهم وإرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوه من أمور المسلمين ولزوم طاعتهم

عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف في اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اي دمعا ﴿ ٣٦٤ ﴾ فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله (الا يجدوا) لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض (ما ينفقون) في مغازيهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لا يعلمون) مغبته (يعتذرون اليكم) في التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض (وجب) اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلا تعاتبوهم (فاعرضوا عنهم) ولا توبخوهم (انهم رجس)

والقيام بواجب حقهم والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم فقوله تعالى في هذه الآية اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا اخلصوا الايمان لله ولرسوله وامتثلوا امرهما في جميع الامور ومقتضاه ان لا يقعدوا مع قعودهم عن الجهاد بغير عذر وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا في ايصال الاخبار السارة وهذا كله بعد اخلاص ايمانهم وتصفية اعمالهم عن الغش والرياء وكلمة من في قوله من سبيل زائدة اي ما على المحسنين سبيل اي لا اثم عليهم بسبب القعود عن الجهاد لانخراطهم في سلك المحسنين حيث اتوا بما في وسعهم من النصح لله ولرسوله (قوله عطف على الضعفاء) اي لا شيء من حرج ثابت على كذا وكذا ولا على الذين (قوله وهم البكاؤون) قال المفسرون المراد بقوله تعالى ولا على الذين سبعة نفر من الانصار سموا البكائين (قوله تعالى حزنا نصب على العلة) والعامل فيه تفيض فان قيل فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن لان الفيض قد اسند الى الاعين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جر المفعول له بالحرف فكيف نصب ههنا قلنا ان الحزن قد يسند الى العين ايضا مجازا فيقال عين حزينة وسخينة اي غير مسرورة وقريرة ونحو ذلك ويجوز ان يكون العامل فيه تولوا فحينئذ يتحد فاعلا العلة والمعلول حقيقة ويجوز ان يكون حزنا حالا من فاعل تولوا او من فاعل تفيض اي تولوا حزنين وتفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز ويجوز ان يكون المصدر منصوبا بفعل مقدر من لفظه اي يحزنون حزنا وهذه الجملة التي قدرناها ناصبة لهذا المصدر في محل النصب على الحال اما من فاعل تفيض او من فاعل تولوا (قوله لئلا يجدوا متعلق بحزنا) هذا على تقدير ان يكون حزنا مفعولا او حالا واما اذا جعل مصدرا فلا يجوز ذلك لان المصدر لا يعمل اذا كان مؤكدا لعامله (قوله لن نصدقكم) اشارة الى ان الجملة استئناف لبيان وجه نهيهم عن الاعتذار لان المعتذر اذا علم ان عذره لا يقبل

لا ينفع فيهم [illegible] فان المقصود [illegible] على [illegible] ومؤلفه [illegible] لا تقبل [illegible] فهو عنه [illegible] اعراض [illegible]
الله تعالى (ومأواهم جهنم) من تقدم [illegible] ٢٧٥ [illegible] [illegible] في [illegible]

وجب عليه ان يمتنع عنه وكما قوله تعالى [illegible] فانه [illegible]
التصديق وقد حكى الله تعالى عنهم انهم يعتذرون [illegible] بقوله سيحلفون بالله لكم
انهم كاذبون في تلك الاعتذارات الكاذبة ولا انهم سيحلفون انهم قدروا
على الخروج وحلفوا على ذلك لعرضوا عنهم اي [illegible] عنهم [illegible] على
لومهم وتأنيبهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى فاعرضوا عنهم
يريد اتركوا كلامهم وسلامهم قال اهل المعاني انهم طلبوا اعراض الصفح
فأعطوا اعراض المقت حيث امر الله تعالى رسوله والمؤمنين ان يظهروا لهم
الاستحقاق بهم و [illegible] ان [illegible] ومنع من ان يصلوا الى صحبة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (قوله لا ينفع فيهم التأنيب) وهو اللوم
والتعنيف (قوله يجوز ان يكون مصدرا) اي فعل مضمر من لفظه اي يجزون
جزاء او مفعول [illegible] فان قوله تعالى مأواهم جهنم في معنى يجزون بعذاب جهنم
ثم انه تعالى بعد ما بين انهم يحلفون بالله ليعرضوا ليرضوا بين انهم
يحلفون ليرضى المسلمين فيستديموا ما كانوا يفعلونه معهم (قوله اولى لكم
ان يلبسوا الخ) على ان يكون قوله تعالى فان ترضوا كناية عن تلبيسهم على
المؤمنين بالايمان الكاذبة (قوله اهل البدو) اشارة الى ان الاعراب وان
كان على صورة الجمع نحو حجر واحجار الا انه ليس جمعا لعرب والا لزم ان يكون
الجمع اخص من الواحد فان العرب هو الصنف الخاص من بني آدم سواء سكن
[illegible] ى ام سكن القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي فقط
هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن
[illegible] ى والاعراب اهل البدو فعلى هذا هما متباينان قال اهل اللغة يقال رجل
[illegible] بي اذا كان نسبته الى العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم
تحذف ياء النسبة في الجمع فيقال مجوس ويهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان
بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ سواء كان من العرب او من مواليهم ويجمع
على الاعراب والاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح والعربي اذا قيل له يا اعرابي
غضب فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم اعراب
ويدل على الفرق قوله حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد ذمهم الله
تعالى في هذه الآية فقد ظهر بما قررنا ان الاعراب جمع اعرابي وقد تقرر ان
الاصل في الجمع المحلى بالالف واللام ان ينصرف الى المعهود السابق فان لم يوجد
المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة اذ لو لم يحمل عليه لزم الاجمال

و [illegible] واهلها [illegible]
[illegible] كفرهم [illegible]
[illegible] (جزاء
بما كانوا يكسبون) يجوز
ان يكون مصدرا وان يكون
[illegible] (يحلفون لكم لترضوا
عنهم) [illegible]
عليهم ما لم [illegible]
بهم (فان ترضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين) اي فان رضاكم
لا يستلزم رضى الله ورضاكم
[illegible] لا ينفعهم اذا كانوا
في سخط الله وبصدد
عقابه اولى لكم ان
يلبسوا عليكم لا تمكنهم
ان يلبسوا على الله فلا
يهتك سترهم ولا ينزل
الهوان بهم والمقصود
من الآية النهي عن الرضى
عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم
(الاعراب) اهل البدو
(اشد كفرا ونفاقا) من
اهل الحضر لتوحشهم
وقساوة قلوبهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة
استماعهم للكتاب والسنة
(واجدر ان لا يعلموا)
واحق ان لا يعلموا (حدود

ما انزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما
يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعد (ما ينفق) يصرفه في سبيل الله ويتصدق به (مغرما)

غرامة وخسرانا إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء وتقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الأصل مصدر أو اسم ﴿٣٦٦﴾ فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الإنفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره (ألا إنها قربة لهم) شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم (قربة) وقرأ ورش بضم الراء (سيدخلهم الله في رحمته) وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (إن الله غفور رحيم) للتقرير قيل الأولى في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه

[illegible] قال بعض [illegible] المراد بالأعراب [illegible] جمع [illegible] من منافقي الأعراب يحلون منافقي المدينة لتصرفوا هذا الاضطراب فيهم فإن تبين أن هذه الآية تتصل بقوله وجاء المعذرون من الأعراب أي إن سكان البوادي إذا كانوا كفارا ومنافقين فهم أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر وذلك لأن أهل البدو يشبهون الوحوش فهم بعيدون عن الاستماع عن [illegible] والتفقه ولأن استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيد في [illegible] وفي [illegible] من أن يدخل تحت تأديب مؤدب وأن يخالطوا أهل العلم والمعرفة والاستماع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] الثالثة كيف يكون مساويا لمن أصبح وأمسى في صحبة أهل العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الأحكام والكتاب والسنة وإن شئت أن تعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ومن كانوا أبعد عن سماع القرآن والسنن كانوا أجدر وأولى وأحق بأن لا يعلموا حدود العبادات والشرائع المنزلة على رسول الله (قوله غرامة وخسرانا) إشارة إلى أن المغرم مصدر بمعنى الغرامة وهي التزام ما لا يلزم وهو لا يكون إلا بضياع رأس المال فلذلك عطف عليه قوله وخسرانا وأصلها الملازمة ومنها الغريم لملازمته ومن في قوله تعالى ومن يتخذ إما موصولة أو موصوفة في محل الرفع على الابتداء ومن الأعراب خبره ومغرما مفعول ثان ليتخذ لأنه بمعنى يعد ويتربص عطف على يتخذ عطف صلة على صلة أو صفة على صفة والتربص الانتظار والدوائر جمع دائرة وهي ما يحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة فمعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بأن ينقلب الزمان على المسلمين بموت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغلبة الكفار عليهم والعقبة النوبة (قوله والسوء بالفتح مصدر) أي هو مصدر قولك ساءه نقيض سره والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى صفته وصفت الدائرة بالمصدر في الأصل للمبالغة كما في نحو رجل عدل ثم أضيفت إلى صفتها كما في قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وقوله وظننتم ظن السوء والسوء بالضم يطلق على ما هو من قبيل المكروه والبلاء قيل لو لم تضف الدائرة إلى السوء لعرف منها معنى الشر لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه فالمعنى يدور عليهم الحزن والبلاء فلا يرون فيما يحبون إلا ما يسوءهم (قوله وفي الفتح) أي في الثانية مما في سورة الفتح وأما الأولى مما فيها فقد اتفقت القراء السبعة على فتح

[illegible] في قوله تعالى [illegible] سيدخلهم الله في رحمته [illegible]
(قوله والسابقون الاولون) وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما ذكر فضائل
الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون سبب قربات لهم عند الله تعالى وما اعد لهم
من الثواب بيّن ان فوق منازلهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين الاولين
واختلفوا في ان السابقين من المهاجرين والانصار من هم فعن ابن عباس وسعيد بن
المسيب وقتادة وجماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم انهم هم الذين صلوا
الى القبلتين فانهم سابقون اولون بالنسبة الى من صلى بعد تحويل القبلة الى
الكعبة وعن عطاء بن ابي رباح رضي الله عنه انهم اهل بدر فانهم السابقون
فضلا ورتبة بالنسبة الى من لم يشهد وقعة بدر وعن الشعبي انهم الذين شهدوا
بيعة الرضوان بالحديبية وعن [illegible] الاسلام
من الشهداء وغيرهم قال الامام والصحيح عندي انهم السابقون من المهاجرين
السابقون في الهجرة ومن الانصار السابقون في النصرة والذي يدل عليه انه تعالى
ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم سابقون في ماذا فبقي اللفظ مجملا الا انه تعالى
لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب ان يصرف الى السبق في الهجرة
والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وايضا كل واحد من الهجرة والنصرة لما كان
فعلا شاقا على النفس مخالفا للطبع كان طاعة عظيمة من اقدم عليه اولا صار
قدوة لغيره في تلك الطاعة وكان ذلك مقويا لقلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وسببا لزوال الوحشة من خاطره فلذلك اثنى الله تعالى على من كان سابقا
فيهما ورضي عنهم وارضاهم بما تقر به اعينهم حيث آمنوا ودخلوا في عداد
المسلمين بمكة والمدينة فتقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين باسلامهم وقوي
قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب دخولهم في الاسلام واقتدائهم فكان حالهم
فيه كحال من سن سنة حسنة فكان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ثم
ان العلماء اختلفوا في المدح الحاصل في هذه الآية أيتناول جميع الصحابة ام يتناول
بعضهم فقيل انه لا يتناول الا قدماء الصحابة لانهم الذين سبقوا بالهجرة والنصرة
فان كلمة من تفيد التبعيض وقيل انه يتناول جميع الصحابة لان جملتهم موصوفون
بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من ليست للتبعيض بل لتبيين
من هم السابقون الاولون الموصوفون بوصف كونهم مهاجرين وانصارا
كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وكثير من الناس ذهبوا الى هذا
القول روي عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي
ألا تخبرني عن اصحاب رسول الله تعالى عليه وسلم فيما كان بينهم واردت الفتن
قال لي ان الله قد غفر لجميعهم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم

(والسابقون الاولون
من المهاجرين) هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين
شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة
(والانصار) واهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة
واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير

فقلت له وفي اي موضع وجب لهم الجنة في سعة الله تعالى فقرأ قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فعلم انه تعالى اوجب لجميع اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا قلت وما ذلك الشرط قال اشترط عليهم ان يتبعوهم باحسان وهو ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك او يقال هو ان يتبعوهم باحسان في القول وان لا يقولوا فيهم سوأ وان لا يطعنوا فيما اقدموا عليه قال حميد بن زياد فكأني ما قرأت هذه الآية قط وجب اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية (قوله وقرئ بالرفع) يعني ان الجمهور على جر الانصار عطفا على المهاجرين والمعنى ان السابقين من هذين الجنسين فلانهم كذا وقرأ جماعة كثيرة برفعها عطفا على السابقون فعلى هذه القراءة يكون السبق صفة للمهاجرين فقط وعلى القراءة الاولى يكون صفة للجميع وينبغي ان تكون كلمة من في القراءة الثانية للتبيين اذ لا وجه لتخصيص الحكم ببعض المهاجرين وتعميمه بجميع الانصار سمي اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين ايضا انصروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأن الذين هاجروا من المؤمنين جاؤهم فآووهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته واعلم انه تعالى شرح احوال منافقي المدينة ثم ذكر بعد ذلك احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو صالح مخلص ثم بين ان رؤساء المؤمنين هم السابقون من المهاجرين والانصار فذكر بقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ان جماعة ممن يسكن حول المدينة موصوفة بالنفاق وان كنتم لا تعلمون انهم كذلك وهم مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (قوله عطف على ممن حولكم) فيكون مجرورا مشتركين في الاخبار عن المبتدأ وهو قوله منافقون كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة فالكلام على هذا من عطف المفردات حيث عطف خبر على خبر ويكون قوله مردوا مستأنفا لا محل له على انه جواب لمن قال ما حالهم وجوز المصنف ان يكون مردوا صفة لقوله منافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم ومن اهل المدينة منافقون ماردون ولا يخفى ان الفصل بالمعطوف بين الصفة وموصوفها قبيح يشبه قولك في الدار زيد وفي القصر العاقل (قوله او خبر لمحذوف) اي ويجوز ان يكون قوله تعالى ومن اهل المدينة خبرا مقدما لمبتدأ محذوف بعده موصوف بقوله مردوا حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه والتقدير ومن اهل المدينة قوم

وقرئ بالرفع عطفا على السابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضي الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) ممن حول بلدتكم يعني المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله

[illegible] هم
في النفاق (لا تعلمهم)
لا تعرفهم بأعيانهم وهو
تقرير لمهارتهم وتنوقهم
في تحامي مواقع التهم الى
حد اخفى عليك حالهم مع
كمال فطنتك وصدق فراستك
(نحن نعلمهم) ونطلع
على اسرارهم ان قدروا
ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا (سنعذبهم
مرتين) بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر
او باخذ الزكاة ونهك
الابدان (ثم يردون الى
عذاب عظيم) الى عذاب
النار (وآخرون اعترفوا
بذنوبهم) ولم يعتذروا
عن تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة وهم طائفة من
المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فدخل
المسجد على عادته فصلى
ركعتين فرآهم فسأل عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان
لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال وانا [illegible]

الناس مرتين كالقتل [illegible] منا [illegible]

انا ابن جلا وطلاع الثنايا ۞ متى اضع العمامة تعرفوني

اي انا ابن رجل كشف الامور وطلاع الثنايا [illegible] وهو [illegible] عن قصد
عظائم الامور متى اضع العمامة [illegible]
(قوله لا تعرفهم) [illegible]
[illegible]
من اسلوب الكلام ان يجعل [illegible] قوله لا تعلمهم [illegible] المعرفة وهو [illegible]
اسناد المعرفة اليه تعالى وهو لا يجوز كما صرح به [illegible] (قوله بالفضيحة)
وذلك ما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا منهم فهو العذاب الاول
والعذاب الثاني هو [illegible] (قوله [illegible] الى عذاب [illegible])
قريبا من [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] مرض
في الدنيا وعذاب الآخرة [illegible] مرض [illegible]
تعذيب محقق (قوله تعالى وآخرون) عطف على قوله منافقون اي ممن
حولكم منافقون ومن اهل المدينة آخرون ويحتمل ان يكون مبتدأ [illegible]
صفته والخبر قوله خلطوا قال الواحدي في الوسيط ومن اهل المدينة آخرون
اعترفوا اي اقروا بذنوبهم عن معرفة والآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا
تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وقيل انهم
قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لان عطفهم على ما قبلهم يوهم اشتراكهم
الا انه وفقهم للتوبة (قوله والواو بمعنى الباء) جواب عما يقال ان الخلط
يستدعي مخلوطا ومخلوطا به وفي الآية قد عطف احد المخلوطين على الآخر فالمخلوط به
اجاب عنه اولا بان الواو مستعملة في الباء بناء على ان الواو للجمع والباء للالصاق
والجمع والالصاق من واد واحد فصح ان يستعمل ما وضع لاحدهما فيما وضع
للآخر بطريق الاستعارة كان قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اي شاة بدرهم وثانيا بان
المخالطة كل واحد من الخلطين هو مخلوط في الخلط الآخر لان خلط شيئا يقتضي
مخلوطا به فهو اما الآخر او غيره والثاني منتف بالاصل وبالقرينة الدالة سياق
الكلام في ذلك خلطت الماء واللبن على ان كل واحد منهما مخلوط
ومخلوط به وهو ابلغ من ان يقال خلطت الماء باللبن لانك اذا عينت المخلوط به
يكون الخلط واحدا بقصد احدهما اولا ويجعل مخلوطا بالآخر واذا كان بالواو
يكون الخلط متعددا بقصد كل واحد من الخلطين فيجعل مخلوطا بالآخر فيكون

رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من أموالهم صدقة) روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت (تطهرهم) من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر (وتزكيهم بها) وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (إن صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (ألم يعلموا) الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما (إن الله هو يقبل التوبة عن عباده) إذا صحت وتعدى بعن

[illegible] بالواو [illegible] (قوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم) قال المفسرون عسى من الله يدل على الوجوب الا ان كلامه تعالى يجري على حسب ما يتعارف الناس فالسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيأ فانه لا يجيب الا بلعل وعسى الترجي والطمع كلعل وعسى تنبيها على ان ليس لاحد ان يدعي شيأ وان لا افعل ما فعل الا على سبيل التفضل والكرم فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعل في مثل هذا الموضع (قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) اى انه من امر المتخلفين لما جاؤوا باموالهم للتصدق فقد اوجب الله تعالى اخذها وصيرورتها معتبرة في قبول توبتهم جارية مجرى الكفارة وليس المراد منها الصدقة الواجبة ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ وانما المقصود منه كفارة الذنوب ويدل عليه ما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الثلث وترك الثلثين والصدقة لو كانت واجبة لاخذ كلها وقيل هذا مبتدأ كلام والمقصود منه ايجاب اخذ الزكاة من الاغنياء عليه واليه ذهب اكثر الفقهاء قالوا اوجب الله تعالى ان يؤخذ منهم بعض اموالهم وان القدر المأخوذ طهرة لهم فانه روي ان الصدقة اوساخ اموال الناس وغسالتها فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان دفعها جاريا مجرى التطهير والتزكية قيل انها مبالغة في التطهير وقيل التزكية بمعنى الانماء وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم يدل على ان المأخوذ بعض تلك الاموال لا كلها وان مقدار ذلك البعض غير مذكور ههنا ولفظ صدقة وان كان نكرة يصح اطلاقها على اى جزء كان ولو كان في غاية القلة والحقارة الا ان المقصود ليس ايجاب القدر المبهم على الاجمال فوجب ان يكون المراد صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة امر باخذ تلك المقادير التي بينها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله واعطف عليهم بالدعاء) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معنى الصلاة عليهم ان يدعو لهم وهو معنى قوله اللهم صل على آل ابي اوفى (قوله تسكن اليها نفوسهم) يعني ان سكن فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وقيل السكن الطمأنينة وقيل الرحمة (قوله وجمعها) اى قرأ من عدا حمزة والكسائي وحفص ان صلواتك ههنا وفي هود أصلواتك بالف بعد الواو المفتوحة في الموضعين (قوله والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم) يعني ان الكلام وان ورد على صورة الاستفهام الا ان المراد منه ان يقوي في نفوسهم انه تعالى يقبل توبة التائبين ويقبل صدقاتهم ويعفو عن خطاياهم فانه تعالى حكى عنهم انهم تابوا وتصدقوا ولما لم يذكر ههنا الا قوله عسى الله ان يتوب عليهم وليس بصريح في قبول توبتهم

(ذكر)

[illegible] قبول التوبة وأخذ الصدقات [illegible]
وترغيبا للعصاة في التوبة والصدقة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين
لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا [illegible] (قوله
المقصود معنى التحضيض) اي قوله تعالى [illegible] في قوله [illegible] عن
عباده بقبول توبتهم (قوله فتأمل) [illegible] جعل قوله تعالى وأخذ الصدقات
استعارة تبعية [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
خذ من اموالهم صدقة ثم تبين لاحدهما غير [illegible] كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لمعاذ رحمه الله تعالى خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم فانه يدل على ان
آخذ تلك الصدقات هو معطي [illegible] مصرفها الى الفقراء فوجب ان يكون
الاخذ مستندا اليه تعالى لمعنى التبليغ (قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص الخ) اي يقرأ غيرهم مرجئون مهموزا [illegible]
كقراءاتهم في ترجي [illegible] بالهمزة ثم [illegible] ارجأته وارجيته والارجاء
التأخير ومنه المرجئة [illegible] وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم
يؤخرون العمل عن الايمان الذي هو الاعتقاد والاقرار ويقولون لا يضر مع
الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ومنهم من يقول المعرفة الايمان بالله
والخضوع والمحبة بالقلب فان اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر
معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي ولا يعاقب عليهما وابليس كان عارفا بالله
وانما كفر باستكباره وترك الخضوع لله كما دل عليه قوله تعالى ابى واستكبر وكان
من الكافرين وفي الحواشي القطبية المرجئة هم الذين لا يقطعون على اهل الكبائر
بشيء من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم في ذلك الى يوم القيامة وقال الامام
وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب ولكن
يؤخرون الامر فيها الى مشيئة الله تعالى وقال الامام الاوزاعي لانهم يؤخرون
العمل عن الايمان ثم قال واعلم انه تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلاثة اقسام
اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله
تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث
هم الموقوفون وهم المذكورون في هذه الآية والفرق بين القسم الثاني والثالث ان
اولئك سارعوا الى التوبة حتى شد ابو لبابة واصحابه انفسهم على سواري المسجد
واظهروا الجزع والغم على ما فعلوا بخلاف هذا القسم الثالث وهم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فانهم كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك ولم يبالغوا في الاعتذار كما فعل غيرهم روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن

[illegible] معنى [illegible]
(ويأخذ الصدقات)
يقبلها قبول من يأخذ
شيئا ليؤدي بدله (وان الله
هو التواب الرحيم) وان
من شأنه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم
(وقل اعملوا) ما شئتم
(فسيرى الله عملكم) فانه
لا يخفى عليه خيرا كان
او شرا (ورسوله والمؤمنون)
فانه لا يخفى عليهم كما
رأيتم وتبين لكم (وستردون
الى عالم الغيب والشهادة
بالموت (فينبئكم بما كنتم
تعملون) بالمجازاة عليه
(وآخرون) من المتخلفين
(مرجون) مؤخرون
اي موقوف امرهم من
ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع
وحمزة والكسائي وحفص
مرجون بالواو وهما لغتان
(لأمر الله) في شأنهم
(اما يعذبهم) ان اصروا
على النفاق (واما يتوب
عليهم) ان تابوا

والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا ٣٨٢ امرهم الى الله فرحمهم الله (والذين اتخذوا
مسجدا) عطف على
وآخرون مرجون او مبتدأ
خبره محذوف اي وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او
منصوب على الاختصاص
وقرأ نافع وابن عامر بغير
واو (ضرارا) مضارة
للمؤمنين روي ان بني عمرو
بن عوف لما بنوا مسجد قباء
سألوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان يأتيهم
فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف
فبنوا مسجدا على قصد
ان يؤمهم فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالوا انا قد بنينا مسجدا
لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فأخذ
ثوبه ليقوم معهم فنزلت
فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن
السكن والوحشي فقال
لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله
فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذي يضمرونه (يوم)
(وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل)
يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الربيع وهلال بن امية فقال كعب انا ايسر اهل المدينة جملا ففي شيء تخلفت
الرسول فتأخرت لها وأمسى بعدها من التخوف به فندم على صنيعه وكذلك صاحباه
فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لكعب اعتذر اليه من صنيعك
فقال لا والله حتى تنزل توبتي واما صاحباه فاعتذرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال ما خلفكما عني فقالا لا عذر لنا الا الخطيئة فنزل قوله تعالى وآخرون مرجون
لامر الله فوقفهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول هذه الآية ونهى
الناس عن مجالستهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة
هلال تسأل ان تأتيه بطعامه فانه شيخ كبير فأذن لها في ذلك خاصة وجاء
رسول من الشام الى كعب يرغبه في اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتي ان
طمع في المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت وبكى هلال بن امية حتى
خشي على بصره فجعل الناس يقولون هلكوا ان لم ينزل الله فيهم امرا وآخرون
يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله تعالى اما يعذبهم واما
يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين يوما بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار (قوله والترديد للعباد) جواب عما يقال اما واما
للشك والله تعالى منزه عنه فاوجه ايراده ههنا فاجاب عنه بان الترديد بكلمة
اما ههنا لشك العباد ومثله كلمة او في قوله تعالى او يزيدون ولعل في قوله لعله
يذكر فالمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء (قوله وقرأ نافع وابن
عامر بغير واو) لموافقة مصاحفهما فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها
الواو وفي مصاحف غيرهما الواو ثابتة ومن اسقط الواو يحتمل ان يجعل قوله
الذين اتخذوا بدلا من قوله وآخرون مرجون او يجعله مبتدأ وخبره يحتمل ان يكون
قوله أفمن اسس بنيانه بحذف العائد تقديره بنيانه منهم ويحتمل ان يكون قوله
لا يزال بنيانهم وفيه بعد لطول الفصل ويحتمل ان يكون قوله لا تقم فيه بحذف
العائد اي في مسجدهم (قوله مضارة للمؤمنين) اشارة الى ان ضرارا مفعول
له لقوله اتخذوا وان متعلق المصدر محذوف اي اتخذوه لضرر المؤمنين وسائر
الامور المذكورة وهي امور ثلاثة الكفر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به
وان يفرقوا بسببه جماعة المؤمنين وان يترقبوا وينتظروا من حارب الله ورسوله
من قبل بناء مسجد الضرار وهو ابو عامر الراهب والد أبي حنظلة الذي استشهد

يوم احد وغسلته الملائكة وابو عامر الراهب سماه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب ولبس المسوح واخذ عن النصارى
فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسده وعاداه لانه زالت رياسته وقال
له صلى الله تعالى عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان اعدوا
ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني آت من عند قيصر بجند
واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء ابي عامر ليصلي
بهم فيه قال المسجد والارصاد الانتظار مع العداوة قاله الزجاج وقال الاكثرون
الارصاد الاعداد يقال ارصدت له اذا اعددت له (قوله ومات بقنسرين)
بكسر القاف وتشديد النون تكسر وتفتح وهو اسم بلدة بالشام روى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة قال الراهب الفاسق له صلى الله تعالى عليه
وسلم ما هذا الذي جئت به قال صلى الله تعالى عليه وسلم جئت بالحنيفية دين
ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لست عليها فقال
الامين بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا
وحيدا واللام في قوله لمسجد لام الابتداء وقيل انها لام جواب قسم محذوف
تقديره والله لمسجد واسس صفته اي بنى اصله على التقوى وعلى التقديرين قوله
لمسجد مرفوع على الابتداء واسس صفته واحق خبره واقام مقام الفاعل ضمير
المسجد على حذف المضاف اي اسس بناؤه اي وضع اساس بنائه واختلف
في المسجد الذي اسس على التقوى فذهب قوم الى انه قباء وهو الاوفق للقصة
لان الموازنة بين مسجدين كانا في قباء اوفق من الموازنة بين مسجد المدينة ومسجد
الضرار الذي بني في قباء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله
رضي الله تعالى عنه يفعله وزاد نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي فيه ركعتين وقال آخرون هو مسجد المدينة
واختاره سعيد بن المسيب وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما هو مسجد
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو مسجدي هذا وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي
والظاهر ان قوله تعالى لمسجد اسس نكرة موصوفة فلا يجب حملها على واحد
بعينه بل يتناول على سبيل البدل كل مسجد اتصف بالصفة المذكورة (قوله

ومات بقنسرين وحيدا
وقيل كان يجمع الجيوش
يوم الاحزاب فلما انهزموا
خرج الى الشام ومن قبل
متعلق بحارب او باتخذوا اي
اتخذوا مسجدا من قبل ان
ينافق هؤلاء بالتخلف لما
روي انه بنوه قبل غزوة تبوك
فسألوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان يأتيه
فقال انا على جناح سفر
واذا قدمنا ان شاء الله صلينا
فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت
(وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى) ما اردنا ببنائه الا
الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلاة والذكر
والتوسعة على المصلين
(والله يشهد انهم لكاذبون)
في حلفهم (لا تقم فيه ابدا)
للصلاة (لمسجد اسس على
التقوى) يعني مسجد
قباء اسسه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء
من الاثنين الى الجمعة لانه
اوفق للقصة او مسجد
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لقول ابي سعيد
رضي الله تعالى عنه سألت
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عنه فقال هو
مسجدكم هذا مسجد
المدينة (من اول يوم)
من ايام وجوده

ومن أول يوم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر ۞ أقوين من حجج ومن دهر (أحق أن تقوم فيه) أولى بأن تصلي فيه (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون انتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا (أفمن أسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته (أصحاب) بالطاعة (أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها (فانهار به في نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف

(قوله ومن أول يوم من عم الزمان والمكان) اختيار لما ذهب اليه الكوفيون من ان كلمة من تكون لابتداء الغاية في الزمان كما تكون لابتداء الغاية في المكان استدلالا بهذه الآية الكريمة وبقوله

من الصبح حتى تطلع الشمس لا ترى ۞ من القوم الا خارجيا مسوما

وقوله

لمن الديار بقنة الحجر ۞ أقوين من حجج ومن دهر

القنة بالضم اعلى الجبل كالقلة ومعنى أقوى أي خلا يقال أقوت الدار وقويت ايضا أي خلت ونقل عن البصريين ان من لا تدخل على الزمان والذي لابتداء الغاية في الزمان هو منذ يعني ان منذ تجري في الازمان كقولك ما رأيته منذ شهر ومنذ سنة فمنذ في الزمان بمنزلة من في غيره فكل موضع دخلت كلمة من فيه على الزمان يقدرون فيه مضافا غير الزمان فيقدرون المضاف في الآية وفي كل واحد من البيتين فتقدير الآية من تأسيس اول يوم فدخلت على مصدر الفعل الذي هو اسس وتقدير البيتين من طلوع الصبح ومن مر حجج ومن مر شهر والبصريون انما يمنعون كون من لابتداء الغاية في الزمان ولا يقولون انها لا تكون الا لابتداء الغاية في المكان حتى يرد ان يقال المضاف المقدر في هذه المواضع ليس بمكان حتى تكون من فيها لابتداء الغاية في المكان (قوله اولى بأن تصلي فيه) فان قيل كون احد المسجدين اولى بأن يصلى فيه لا يوجب المنع من الصلاة في المسجد الآخر فكيف يكون قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال علة للنهي المذكور بقوله لا تقم فيه ابدا اجيب بأن التعليل وقع بمجموع الامرين اعني كون مسجد الضرار سببا للمفاسد الاربع المذكورة وكون مسجد التقوى مشتملا على الخيرات الكثيرة فان قيل كيف قال تعالى احق ان تقوم فيه مع ان المفاسد المذكورة تمنع من جواز قيامه في الآخر والجواب ان الكلام مبني على التنزل والمعنى انه لو جاز القيام في مسجد الضرار لكان القيام في مسجد التقوى احق للسبب المذكور فكيف والقيام فيه باطل ويمكن ان يقال احق ههنا ليس للتفضيل بل هو بمعنى حقيق اذ لا مفاضلة بين المسجدين (قوله ان يتطهروا من المعاصي) حمل التطهر على الطهارة من الذنوب والمعاصي لان اصحاب هذا المسجد ذكروا في مقابلة

اصحاب مسجد الضرار وانهم لما وصفوا بمضارة المسلمين والكفر والتفريق [illegible]
والارصاد فابى ان يوصف ما لو هم [illegible] الا كونهم [illegible]
من الكفر والمعاصي وحمله على الطهارة من نجاسة [illegible] وعلى
الاستنجاء بالماء بعد [illegible] فيه هذا [illegible]
لما ذكر الذين اتخذوا مسجد الضرار [illegible] على [illegible]
الاربع المذكورة وانهم يخلون بالايمان [illegible] على [illegible]
بنائه الا [illegible] المسلمين والمعونة على العجز عن المصير الى مسجد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
ثم رجح مسجد التقوى [illegible] اصله واسسه على التقوى
وانهما [illegible] فيه رجال يحبون ان يتطهروا شرع في بيان تفاوت ما بين
الفريقين فقال افمن اسس بنيانه الآية والبنيان مصدر كالغفران والمراد
منه هو المبنى واطلاق لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال
ضرب الامير ونسج زيد اى مضروبه ومنسوجه وانما حسن [illegible]
البناء وهو اصله وقوله تعالى على التقوى يجوز ان يتعلق بنفس اسس فهو مفعول
في المعنى وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في اسس
ومحصول المعنى ان المؤسس بنيانه متقيا مخافة الله تعالى ورجاء ثوابه
ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق ويجوز ان يراد بالبنيان بناء المسجد
والمعنى اى الفريقين اولى بالخيرية من اسس بناء المسجد يريد به تقوى الله
وطاعته وهم اهل مسجد قباء او مسجد المدينة ام من اسس بنيانه على النفاق
والكفر وتفريق المسلمين وانتظار الكفار ان يأتوه فيقصدوا كيد المسلمين
ويحتمل التوجيه امر الدين الا ان المصنف اختار ان يكون المراد بالبنيان
بنيان الدين لانه انسب بتوصيف اهل الضرار بمضارة المسلمين والكفر
والتفريق والارصاد وتوصيف مسجد اهل التقوى بانهم يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة ۞ وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر
اصله الماء وتجرفه السيول اى تأكله وتذهب به وجرف هار اى هائر وهو
المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط يقال هار الجرف اذا تصدع
من خلفه وهو ثابت في مكانه فاذا سقط فقد انهار وتهور ومعناه الساقط
الذي يتداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو وفاعل انهار
ضمير الجرف وهو يستلزم انهيار الشفا والبنيان جميعا وانهيارهما او انهيار
احدهما لا يستلزم انهياره والباء في به للتعدية او للمصاحبة اى فانهار
مصاحبا له (قوله وهو ما جرفه الوادي) فيه توسع والمراد ان الجرف

وهو ما جرفه الوادي
الهائر في مقابلة التقوى

تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيهاً على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم ﴿ج٣ ٨٦﴾ الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه وأس بنيانه على الاضافة وأسس وأساس بالفتح والمد وإساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف (والله لايهدي القوم الظالمين) الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم (لايزال بنيانهم الذي بنوا) بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ريبة في قلوبهم) اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل (ونفاقهم) التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول

هو جانب الوادي وقد حفر سيل الوادي اصله وكونه هار اعبارة عن كونه متصدعا مشرفا على السقوط (قوله تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم) وهو النفاق والشقاق فانه شبه النفاق بشفا جرف هار اي بطرف جانب الوادي الذي ذهب اصله بالسيل وانصدع فمال الى السقوط في قلة الثبات وسرعة الانطماس فاستعير شفا الجرف للمشبه وقرينة الاستعارة وضع شفا جرف في مقابلة التقوى فان التقوى حق وصواب فينبغي ان يراد بما ذكر في مقابلتها الباطل المستقبح وقوله فانهار به ترشيح للاستعارة فانه ملائم للمستعار منه وهو المعنى الاصلي لشفا الجرف وهو طرف الوادي الذي حفر اصله بالماء وانصدع (قوله وقرئ أساس) اي بفتح الهمزة واس بضم الهمزة وتشديد السين وهما مفرد ان اضيفا الى البنيان ومعناهما اصل البناء والاسس محركة في الاساس وجمع الاسس آساس مثل سبب واسباب كذا في الصحاح وقول المصنف الاسس بفتحتين والآساس بالمد والاساس بكسر الهمزة جمع اس محل بحث فان الاسس جمع اساس والآساس جمع اسس مقصور أساس وجمع الاس بالضم انما هو الاساس بالكسر الا ان الاس والاساس والاسس لما كانت لغات بمعنى واحد جعلت بمنزلة لفظ واحد (قوله وتقوى) اي وقرئ على تقوى منونة وحكى هذه القراءة سيبويه ولم يرتضها الناس بناء على ان ألفها للتأنيث فلا وجه لتنوينها وقال في توجيهها ان ألفها للالحاق كألف ارطى وفي الصحاح وتقوى فيها لغتان تنون مثل تترى فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو اجود واصلها وترى من الوتر وهو الفرد قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى اي واحدا بعد واحد ومن نونها جعل ألفها ملحقة (قوله جرف بالتخفيف) اي باسكان الراء وهما لغتان كشغل وشغل (قوله تعالى الذي بنوا ريبة) وصف به بنيانهم للدلالة على ان المراد بالبنيان ما هو المبني حقيقة لا ما دبروه من الامور وان البناء قد يطلق على تدبير الامر وتقديره كما في قولهم * وكم ابني وتهدم * وقوله

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

جعل بنيانهم نفس الريبة مبالغة لكونه سببا لها وكان شكهم في الدين

وإنما قيل [illegible] لأنهم على أن يتوبوا هذا المعنى كما قال تعالى [illegible]
بين المؤمنين وإرصادا [illegible] ثم كان [illegible]
فلك على تحقيق مقتضيات النفاق و[illegible] رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاغاظهم ذلك و[illegible]
النفاق [illegible] الإسلام فصار ذلك [illegible]
منه في قوله تعالى إلا أن تقطع قلوبهم [illegible]
والتدبر لا يزال [illegible] ريبة في كل وقت إلا وقت تقطع قلوبهم [illegible] كل حال
الأحوال تقطعها وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء والباقون
تتقطع بتاءين فحذفت إحداهما [illegible] بضم التاء وتسكين [illegible]
وانصب قلوبهم على المفعولية والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم أي إلا أن تفعل في قلوبهم هذا الفعل فتقتلهم وقرأ [illegible] تقطع بضم
التاء على بناء المفعول وهو مضارع قطع بالتشديد وقرئ تقطع بالياء
لكون تأنيث القلوب غير حقيقي (قوله تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة) إذ لا يمكن
حمل الكلام على الحقيقة لأنه لا يجوز أن يشتري الله شيئا في الحقيقة لأنه مالك
الكل فإن الأنفس مخلوقة لله تعالى والأموال من رزقه فأخرج الكلام على صورة
الاستعارة التمثيلية زيادة في الدعاء إلى الطاعة روي أن الأنصار لما بايعوا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا
قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك فقال اشترطت لربي أن تعبدوه
ولا تشركوا به شيأ واشترطت لنفسي أن تمنعوني مما تمنعونه من أنفسكم وأموالكم
قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وقوله تعالى بأن
لهم الجنة متعلق باشترى ودخلت الباء هاهنا على المتروك على ما هو الأصل
فيها وتسمى باء المقابلة وباء العوض اشترى الله تعالى من المؤمنين أنفسهم
التي هي عبارة عن الجوهر الأصلي المركب الذي هو آلة في اكتساب الكمالات
وأموالهم الذي هو وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب بالجنة وجعلها تعالى
بمنزلة الثمن (قوله استئناف ببيان ما لأجله الشرى) أي ببيان الصورة
المشبهة بالشرى فإن المقاتل في سبيل الله سواء قتل أو قتل لا شك أنه ينفق
ماله في تلك السبيل ثم إن اتفق أن يكون مقتولا بذل مع ذلك بدنه أيضا وإنه
تعالى يأخذ ماله وبدنه ويعطي بدلهما الجنة فالمراد بالشرى الذي أخبر الله
تعالى عنه بقوله اشترى من المؤمنين هذه الصورة المخصوصة المعينة فلما كان
المطلوب من المفهوم الكلي الإجمالي صورة مخصوصة معينة صح لنا أن

(والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما أمر بهدم بنائهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان ما لأجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الأمر

وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد (في التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن (ومن اوفى بعهده من الله) مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال ﴿٣٨٨﴾ (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره مابعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له الدين (الحامدون) لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم (الراكعون الساجدون) في الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع

المذكورون حين سمع قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم والمطلوب بهذا الشرى هو بالصورة التي جعل الشرى المذكور عنوانا لاجلها و يجاب عنه بانه قال يقاتلون في سبيل الله اي يبذلون انفسهم واموالهم فيأخذها الله ثمن ... جنة فعلى هذا الوجه يكون يقاتلون في معنى الامر وقيل انه امر في صورة الخبر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم (قوله وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول) اي تقديم كونهم مقتولين على كونهم قاتلين ... بان طائفة كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مع الاعداء قاتلين لهم بقدر الامكان كما قال فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي ما وهن من بقي منهم وقرأ الباقون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول للدلالة على انهم يقتلون ولا يرجعون عنهم الا ان يصيروا مقتولين (قوله مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى) يعني لا حاجة الى ان يقدر فعل من لفظ المصدر لان مضمون الجملة السابقة يصلح ان يكون ناصبا للمصدر لكونها في معنى وعد الله لهم الجنة في مقابلة ما بذلوه من انفسهم واموالهم وحقا نعت للمصدر وعليه حال من حقا لانه لو اخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا (قوله مذكورا فيهما) اشارة الى ان قوله في التوراة متعلق بمحذوف هو صفة للوعد فيكون المعنى ان الوعد بالجنة للقاتلين في سبيل الله من هذه الامة مذكور في كتب الله المنزلة (قوله مبالغة في الانجاز) لان قوله تعالى ومن اوفى بعهده استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله واوفى افعل تفضيل وقوله من صلته وهذه الآية مشتملة على انواع من التأكيدات فاولها ان كون المشتري هو الله المقدس عن الكذب والحيلة ادل دليل على تأكيد هذا الوعد وثانيها انه عبر عن المقصود الذي هو الوعد بالجنة بالبيع والشرى وذلك حق مؤكد وثالثها كلمة عليه التي تفيد الوجوب ورابعها انه تعالى حقق الوعد واكده بقوله حقا وخامسها انه تعالى استشهد على حقية الوعد المذكور بكونه مذكورا في جميع الكتب الالهية وسادسها ومن اوفى الى غير ذلك (قوله والمراد بهم المؤمنون المذكورون) اي في قوله تعالى ان الله اشترى (من المؤمنين)

التسع في ايراده مفصلا للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصدوق عليه [illegible] [illegible] المؤمنين اي بهؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين)

من المؤمنين انفسهم واموالهم [illegible]
الموصوفون بهذه الصفات وروى عن الزجاج انه قال [illegible]
التائبون العابدون رفع بالابتداء وخبره مضمر [illegible]
ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين [illegible]
قال الزجاج وهذا حسن [illegible]
[illegible] في الوجه الاول [illegible]
بما ذكر روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال التائبون من الشرك
وعن الحسن من الشرك والنفاق وعن الاصوليين التائبون من كل معصية وهذا
اولى لان التائب [illegible] كل [illegible]
بالتائب من بعض المعصية [illegible] الرجوع
[illegible] الى الطاعة [illegible] الذين هم
اتوا بالعبادة وهي [illegible]
عند عامة المفسرين السائحون [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل ما ذكر
في القرآن من السياحة فهو الصيام وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سياحة
امتي الصيام [illegible] الصائم سائحا لانه يترك من الشهوات كالسائح في الارض
فانه يمتنع بما يحمله مما يوصله الى مقصده ولا يتوسع في استيفاء اللذات واتباع
الشهوات فان الصائم لما امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه
ابواب الشهوات انفتحت عليه ابواب الحكمة والمعرفة وبانت نفسه الى عالم
المعقولات والتنقل من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة وهذا الانتقال
هو السياحة في عالم الروحانيات فلذلك شبه الصائم بالسائح في الارض وقال علي
كرم الله وجهه المراد بقوله تعالى السائحون الغزاة في سبيل الله يقطعون المنازل
والمراحل الى ان يصلوا الى ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب
العلم يتنقلون من بلد الى بلد في طلب العلم وقوله تعالى الراكعون الساجدون يعني
المصلين فان هيئة القيام والقعود يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع
والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على
سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة فلذلك كني بهما عنها
(قوله للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها) ذكر الله تعالى
على سبيل التفصيل من الفضائل والتكاليف ما لا ينفك المكلف عنها في اغلب
اوقاته وهي التوبة والعبادة والاشتغال بحمد الله تعالى والسياحة لطلب مهمات
الدين كالعلم والجهاد والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما كانت

التكاليف الشرعية غير محصورة فيما ذكر بل انها اصناف واقسام كثيرة لايمكن تفصيلها وتبيينها الافي مجلدات ذكر الله تعالى سائر اقسام التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون لحدود الله تعالى والفقهاء ظنوا ان الذي ذكروه في بيان التكاليف وافٍ وليس كذلك لان اعمال المكلفين قسمان اعمال الجوارح واعمال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح واما التكاليف المتعلقة بأعمال القلوب فليس في كتبهم منها الا القليل النادر وبعض مباحثها مبين في الكتب الكلامية والبعض الآخر فصله الامام الغزالي وامثاله في علم الاخلاق ومجموعها مندرج في قوله تعالى والحافظون لحدود الله وقدمهم بالسابع وهو قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بناء على انهما في حكم خصلة واحدة كما دل عليه توسط الواو الجامعة بينهما والاوصاف المذكورة قبل قوله والحافظون لحدود الله ثمانية اوصاف وهو تاسعها وقيل انما دخلت الواو فيه لانها واو الثمانية كقوله تعالى وثامنهم كلبهم قال بعض النحويين هي لغة فصيحة لبعض العرب يقولون اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة قال القرطبي وهي لغة قريش قال ابو البقاء انما دخلت الواو في الثمانية ايذانا بأن السبعة عندهم عدد تام وانما دلت على ذلك لان الواو تؤذن بان مابعدها مغاير لما قبلها ولذلك عطف بها الذوات المتغايرة والصفات المتغايرة وقيل هذا قول ضعيف لا اصل له (قوله روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي طالب الى آخره) يستبعد ان يكون سبب نزول هذه الآية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمه أبي طالب لاازال استغفر لك مالم انه عنه بناء على ان هذه السورة الكريمة من آخر القرآن نزولا ووفاة ابي طالب كانت بمكة في اوائل الاسلام واجيب بانه لابعد فيه لم لايجوز ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم بقي يستغفر لابي طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية فان التشديد على الكفار انما ظهر في هذه السورة فلعل المؤمنين كان يجوز لهم ان يستغفروا لآبائهم من الكافرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك ثم انه تعالى منعهم من ذلك عند نزول هذه السورة ولابعد في ذلك (قوله خرج الى الابواء) هو بفتح الهمزة وسكون الباء منزل بين مكة والمدينة توفيت فيه آمنة رضي الله عنها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد وأبوه عبد الله لم يكن حيا وكانت امه آمنة لما بلغ ست سنين خرجت الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت بالابواء ماتت هنالك (قوله مستعبرا) اى باكيا من العبرة

روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لاازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين (وما كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر

وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لأبيه الكافر فقال
(وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه) وعدها ابراهيم أباه بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك
بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ويدل ﴿٤٩٦﴾ عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها ابراهيم أبوه وهو الوعد بالإيمان (فلما
تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (إن ابراهيم لأواه) لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وما كان الله ليضل قوما) أي ليسميهم ضلالا أو يؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد إذ هداهم) للإسلام (حتى يبين لهم ما يتقون) حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف (إن الله بكل شيء عليم) فيعلم أمرهم في الحالين (إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ منهم رأسا بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا بشراشرهم إليه ويتبرأوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار)

وهي الدمع (قوله وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم) وجه الدلالة أن امتناع الاستغفار إنما هو بعد أن تبين أنهم أصحاب الجحيم وذلك إنما يتبين بإصرارهم على كفرهم إلى حين الموت فإنه تعالى يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأن من مات على الكفر فأواه جهنم خالدا فيها أبدا فكان طلب المغفرة لمن مات على الكفر بمنزلة طلب أن يخلف الله وعده ووعيده وكان كل واحد من النبوة والإيمان مانعا من الاستغفار للمشرك بعد كونه من أصحاب الجحيم بموته على الكفر لما فيه من تجويز تبديل حكم الله تعالى وقضائه واستغفار ابراهيم لأبيه كان قبل التبين لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أي قطع استغفاره وهذا خلاصة الجواب عن النقض الوارد على قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية فإن ابراهيم إنما استغفر لأبيه حال حياته بأن يوفقه الله تعالى للإيمان بناء على أنه وعده أباه بذلك ولم يستغفر له بعد موته على الكفر (قوله وعدها إياه) يحتمل الوجهين الأول على أن يكون الضمير المرفوع راجعا إلى ابراهيم والمنصوب راجعا إلى أبيه فالوعد من ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه ويؤيد هذا الاحتمال قراءة الحسن وغيره أباه بالباء الموحدة والثاني على أن يكون الضمير المرفوع لأبي ابراهيم والمنصوب لنفس ابراهيم والمعنى أن أباه وعده أن يؤمن فلذلك استغفر له فلما تبين له بالوحي أنه لا يؤمن أو تبين له بإصراره على الكفر وموته عليه أنه عدو لله تبرأ منه (قوله لكثير التأوه) وهو أن يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه من كذا وأصله أوه بسكون الواو وكسر الهاء فقلبوا الواو ألفا وقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا أوه وربما حذفوا الهاء فقالوا أو وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول أوه وبعضهم يقول أواه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وفي الحديث الأواه الخاشع المتضرع وقيل معنى كون ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم أواها أنه كلما ذكر لنفسه تقصيرا أو ذكر له شيئا من شدائد الآخرة كان يتأوه إشفاقا واستعظاما ماله والشكاسة صعوبة الخلق يقال رجل شكس أي صعب الخلق وغليظ القلب (قوله وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر) أي إنه

في بيان عذر قوم استمروا على العمل بالحكم المنسوخ غير عالمين بنسخه كمن استمر على ان يصلي الى بيت المقدس من بعد تحويل القبلة واستمر على شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها بناء على عدم علمه بكل واحد من تحويل القبلة وتحريم الخمر وقيل انه في بيان عذر من ارتكب المحرم قبل نزول آية تحريمه (قوله من اذن المنافقين في التخلف) يعني ان توبة الله تعالى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه معناها انه تجاوز و يعرض عن ذنبهم الذي ارتكبوه من قبيل ترك الاولى وهو اذنهم المنافقين في التخلف عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الاذن وان صدر عنه صلى الله عليه وسلم وحده الا انه اسند الى الكل على طريق قولهم بنو فلان قتلوا زيدا وان كان القاتل واحدا منهم بناء على قبول وقوع القتل بينهم (قوله او برأهم عن علاقة الذنوب) اي مما يعد ذنبا في حقهم من ترك الاولى بعد ذنبا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كما في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فان المغفور له فيه ليس ذنبا معينا بل مطلق ما يعد ذنبا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سواء فرط منه قبل البعثة او بعدها فانه تعالى لما استقصى في شرح غزوة تبوك احوال المتخلفين عنها ذكر في هذه الآية حكما آخر من احكامها وهو انه تعالى تاب اي تجاوز وصفح عما فرط وصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن المؤمنين مما يعذر له في حقهم اي شيء كان لما اصابهم في ترك الغزو من الشدائد قال الامام الانسان طول عمره لا ينفك عن زلات اما من باب الصغائر او من باب ترك الاولى ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر وصبروا على شدائده اخبر الله تعالى ان تحمل تلك الشدائد صار مكفرا لجميع ما فرط منهم من الزلات وصار قائما مقام التوبة المقرونة بالاخلاص فلذلك قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه السورة وفي آياتها بيان معاملات المنافقين على التفصيل ظننا انه لا يبقى احد منا الا نزل فيه قرآن وسميت الفاضحة الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت سميت بينهما سورة التوبة (قوله حتى شربوا الفظ) وهو ماء الكرش عن عمر رضي الله عنه قال خرجنا في قيظ شديد واصابنا فيه عطش شديد حتى ان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه و يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله وعدك بدعائك خيرا فادع الله لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء ثم سكبت فملأنا اوعيتنا ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وفيها حكايات قصة دعائه بتمر قليل وجعله في قصعة

من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علاقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد و الزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول

وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) اى برحبها

ودعائه بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلاثين ألفا ازوادهم واتى عسكره وفيها كانت قصة وضعه كفه في ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه العشر حتى شربوا وسقوا دوابهم (قوله وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم) اى الذى دل عليه ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع بتزيغ والجملة في محل النصب على انها خبر كاد ولا بد في الجملة التي تكون خبرا عن ضمير الشأن من ضمير يعود الى اسمها وهو الضمير في منهم وهذا الاعراب خلاف ما اشتهر في النحو من ان خبر أفعال المقاربة لا يكون الا مضارعا رافعا لضمير اسمها فاذا قدرنا فيها ضمير الشأن او ضمير القوم كانت الجملة التي بعدها خبرا لها ولا يكون المرفوع فيها ضميرا راجعا الى اسم كاد ولم يجعل الكلام من باب تنازع الفعلين لانه لو جعل من باب التنازع لكان ينبغي ان يقال من بعد ما كادت تزيغ قلوب على ما يقتضيه مذهب البصريين فانهم يختارون اعمال الثاني ويضمرون الفاعل على وفق الاظهار وكاد عند بعضهم تفيد مجرد المقاربة مع عدم الوقوع فهذه الزيغة المذكورة بعدها تزيد [?] عن تلك المقاربة والزيغ الميل واختلفوا في ذلك الذى وقع في قلوبهم فقيل هم بعضهم عند تلك الشدة العظيمة ان يفارق الرسول وينصرف الى وطنه لكنه صبر واحتسب فلذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم اى لما صبروا وثبتوا ندموا على ذلك الهم وقال آخرون بل كان ذلك الذى وقع في قلوبهم مجرد حديث النفس الذى يكون متقدما للعزيمة فلما نالتهم الشدة وقع ذلك في قلوبهم ومع ذلك تابوا وتداركوا هذا اليسير خوفا ان يكون ذلك معصية منهم فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم (قوله تكرير للتأكيد) فانه اذا قيل عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه دل على ان ذلك العفو عفو مؤكد بلغ الغاية القصوى في الكمال والقوة وهذه التوبة لما تعلقت بمكابدتهم الشدائد في ساعة العسرة كان التكرير بسببها دالا على المبالغة (قوله او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم) اى ويحتمل ان لا يكون تكرارا بأن يكون الاول مسوقا لبيان انه تعالى تجاوز عما فرط منه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه من المهاجرين والانصار ويكون الثاني مسوقا لبيان انه تعالى تاب على الفريق الذى كاد الشأن ان تزيغ قلوبهم على ان يكون ضمير عليهم للفريق المذكور لاجل ما ذكر (قوله تخلفوا عن الغزو) ذكر لتسميتهم مخلفين وجهين مع انهم لم يؤمروا بالتخلف ولم يرض الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بتخلفهم الاول ان من تخلف عن المسافرين ولم يخرج معهم يقال انه خلفه المسافرون كما تقول لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول بموضع كذا لا يريد انه امره بالتخلف

والثالث ... انه تخلف عنه ... الثانى ان معنى كونهم مخلفين
انهم مؤخرون فى قبول التوبة منه صلى الله تعالى عليه وسلم أخر امرهم
الى ان نزلت آية توبتهم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكعب بن مالك
الشاعر وكان انصاريا شهد بيعة العقبة لم يشهد غزوة بدر حين تخلف
عنه فقال ما تخلفت عن عذر وانما تخلفت لمجرد الكسل وقلة الاهتمام فدعى
حتى يقضى الله فيك وكذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبيه ايضا
وهلال بن امية هو الذى نزلت فيه آية اللعان وهو ومرارة بن الربيع كانا
رجلين صالحين من الانصار (قوله لاعراض الناس عنهم بالكلية) قال
المؤمنون منعوا من كلامهم ومن معاملتهم وامر ازواجهم باعتزالهم وكان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم معرضا عنهم فكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلى
الرسول على جنائزهم او يموت صلى الله تعالى عليه وسلم وهم من الناس بتلك
المنزلة فلا يكلمهم احد منهم ولا يصلى على جنائزهم ولم يفسر التوبة عليهم
بقبولها منهم اذ لا وجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا بل فسرها اولا بالتوفيق
للتوبة لانه الاصل الذى يتفرع عليه توبتهم بمعنى الرجوع عن المعصية ومنه
التوبة يتفرع عليها توبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم فهنا امور ثلاثة
التوفيق للتوبة ونفس توبتهم وقبول الله تعالى اياها ذكر الله الامر الثالث بقوله
وعلى الثلاثة ثم ذكر الامر الاول بقوله ثم تاب عليهم وعطفه بكلمة ثم لكونه
بعيدا عنها بحسب الرتبة ثم ذكر الامر الثانى بقوله ليتوبوا (قوله او انزل
قبول توبتهم) تفسير ثان لقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا فكلمة ثم على هذا على
اصل معناها وقوله او رجع عليهم تفسير ثالث والكل حسن وقوله تعالى وعلى
الثلاثة يجوز ان يكون معطوفا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى تاب على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الثلاثة وان يكون معطوفا على الضمير
المجرور فى عليهم اى ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة ولذلك اعيد حرف الجر وان
فى قوله ان لا ملجأ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مقدر ولا مع ما فى حيزها
خبرها ومن الله خبر لا وان مع ما فى حيزها ساد مسد مفعولى ظنوا بمعنى علموا
ذلك كأنه تعالى ذكر هذا الوصف فى معرض المدح والثناء وقال لا يكون الامع
علمهم بذلك ونظيره قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمعنى وعلموا
ان لا ملجأ ولا نجاة من سخط الله تعالى الى احد الا اليه فقوله الا اليه استثناء
من المحذوف ثم انه تعالى لما قبل توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن
ارتكاب مثل ما ارتكبوا مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله فقال يا ايها الذين آمنوا

لاعراض الناس عنهم
بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة (وضاقت عليهم
انفسهم) قلوبهم
من فرط الوحشة والغم
بحيث لا يسعها انس
وسرور (وظنوا) علموا
(ان لا ملجأ من الله)
من سخطه (الا اليه)
الا الى استغفاره (ثم تاب
عليهم) بالتوفيق للتوبة
(ليتوبوا) او انزل قبول
توبتهم ليعدوا فى جملة
التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد
اخرى ليستقيموا على
توبتهم (ان الله هو التواب)
لمن تاب وعاد فى اليوم
مائة مرة (الرحيم) المتفضل
عليهم بالنعم (يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله) فيما
لا يرضاه (وكونوا مع
الصادقين)

اتقوا الله (وكونوا مع الصادقين) [illegible]

من هو عام الخاص [illegible]

في الدين وعبادة جميع [illegible]

الاحوال [illegible]

صدقوا ما عاهدوا الله عليه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على [illegible] الصدق [illegible]

عن الكذب [illegible]

[illegible]

[illegible]

أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له اريد ان أومن بك ولكني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاقة لي على تركها [illegible] فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اترك الكذب فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عنده صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فسألني رسول صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] كذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي ثم عرضوا عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسدت ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل انتهى (قوله لا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) تفسير [illegible] ان الباء في قوله بانفسهم [illegible] رغبت عنه معناه اعرضت عنه واذا قلت رغبت بنفسي عنه فكأنك قلت جعلت نفسي راغبة عنه [illegible] الآية ولا يجعلوا انفسهم راغبة عن نفسه اى عما رضي به لنفسه [illegible] من شدائد الغزو واهواله [illegible] ونفع للشمس وفي الحديث لا يجتمعن احدكم بين الشح [illegible]

في [illegible]

[illegible]

[illegible] من الصادقين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من الاعراب ان يتخلفوا

عن رسول الله) [illegible]

[illegible]

[illegible]

عن نفسه) [illegible]

انفسهم [illegible]

[illegible]

من الاهوال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ورطب [illegible]

حسنا ورسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم في الضح

والريح ما هذا بخير فقام

فرحل ناقته واخذ سيفه

ورمحه ومر كالريح فمد

رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم طرفه الى الطريق

فاذا راكب يزهاه السراب

فقال كن ابا خيثمة فكان هو

ففرح به رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم واستغفر له

وفي لا يرغبوا الجزم والنصب والجزم (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) شيء من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله ولا يطؤن موطئا) ولا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي ﴿٢٩٦﴾ في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض (الا كتب لهم) اثبت لهم ذلك (ليجزيهم الله) بذلك (احسن ما كانوا يعملون) جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (تعالى) (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر

الضراب الذي يرهقه فارقه (قوله وفي لا يرغبوا يجوز النصب) اي عطفه على ان يتخلفوا بزيادة لا لتأكيد النفي بتقدير ولا ان يرغبوا والجزم ايضا على ان تكون لا للنهي (قوله اثبت لهم ذلك) اشارة الى افراد ضمير كتب مع كونه عبارة عن الانفاق وقطع الوادي اللذين اول عليهما قوله تعالى ولا ينفقون ولا يقطعون اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة وكذلك ايضا افرد ضميره في قوله الا كتب لهم به عمل صالح مع كونه عبارة عن الامور المتعددة المذكورة سابقا وقوله الا كتب في محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اي لا يصيبهم ظمأ ولا كذا الا مكتوبا لهم بذلك عمل صالح (قوله جزاء احسن) يعني انه لا بد من ارتكاب الحذف والمحذوف اما المضاف او المضاف اليه وذلك لان ما في قوله تعالى ما كانوا يعملون مصدرية ونفس العمل لا يكون جزاء فلا بد من تقدير الجزاء ثم الاحسن يجوز ان يكون من صفة اعمالهم وان يكون من صفة ما يكون جزاءه فعلى الاول لا بد من تقدير مضاف اي ليجزيهم جزاء احسن ما كانوا يعملون اي اعمالهم وذلك لان اعمال المجاهدين اما واجب او مندوب او مباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح وعلى الثاني لا بد من تقدير المضاف اليه اي ليجزيهم احسن جزاء اعمالهم (قوله فهلا نفر) يعني ان لولا تحضيضية مثل هلا وقد تقرر ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فيستفاد منه كون الفعل واجبا فظهر ان المراد بقوله تعالى فلولا نفر الامر بالنفير بعد ما بين انه لا يمكن نفير الكافة لاي مطلوب كان من المطالب الدينية اي لاي مطلوب كان من المطالب كالغزو والتفقه في الدين والتفقه معرفة احكام الدين وهو ينقسم الى فرض عين كعلم الطهارة والصوم والصلاة وفرض كفاية مثل ان يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا والمراد من العلم في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ما يكون تعلمه فرض عين (قوله لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة طائفة) لان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الله

تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا
فوجب ان تكون الطائفة اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل
بخبرهم لقوله ولينذروا قومهم فانه عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون
ايجاب على قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضى ان يكون خبر الواحد
والاثنين حجة فى الشرع (قوله وقد قيل للآية معنى آخر) محصول المعنى
الاول انه تعالى بين اولا انه لا يمكن ان ينفر كافة الناس لاقامة مهم من
المهمات الدينية ثم انه امر بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم أن ينفر
منهم جماعة قليلة تحصل تلك الجماعة بسبب نفرهم الفقاهة التى هى
معرفة احكام الدين ويجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم ان يستكملوا
بحسب قوتهم النظرية ويرشدوا قومهم حين ترجع اليهم بالانذار والتذكير
فضمير قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا على هذا المعنى للطائفة النافرة
وتوضيح المعنى الثانى ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج الى الجهاد لم يتخلف عنه
الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى فى عيب المتخلفين عن غزوة
تبوك وانزل الآيات الشداد فى حقهم قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ
من الغزوات مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن سرية قط فلما قدم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وارسل السرايا الى الكفار نفر
المسلمون جميعا الى العدو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية والمعنى
لا يجوز ان ينفر كلهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة تبقى
فى خدمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وطائفة اخرى تنفر الى الجهاد
لينتظم بكل واحدة من الطائفتين مصلحة من مصالح الدين لان انتظام
امر الدين فى ذلك الزمان كما يتوقف على من يقوم بجهاد الكفار يتوقف
على من يقوم ايضا بحضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليتعلم ما نزل
فى زمان نفير المجاهدين من الشرائع والتكاليف ويبلغها الغائبين وبهذا
الطريق تم امر الدين حيث ناب كل طائفة مناب الطائفة الاخرى نابت
الطائفة النافرة للغزو مناب الطائفة المقيمة فى امر الغزو ونابت الطائفة
المقيمة مناب النافرين فى امر التفقه فالطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون
فى الدين لملازمتهم خدمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومشاهدتهم
ما يرد من التنزيل وكما ورد وكيف شرع عرفوه وحفظوه فاذا رجعت
الطائفة من الغزو انذرتهم الطائفة المقيمة ما علموه من الشرائع والتكاليف

[illegible]
وقد ضمت القول به
تقريرا واعتراضا فى كتب
الاصول وقد قيل للآية
معنى آخر وهو انه لما نزل
فى المتخلفين ما نزل سبق
المؤمنون الى النفير
وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد
ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذى
هو الجهاد الاكبر لان
الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فيكون
الضمير ليتفقهوا ولينذروا
لبواقى الفرق بعد
الطوائف النافرة للغزو
[illegible] [illegible] اى
ولينذر البواقى قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم
بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم (يا ايها الذين
آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار)

امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير ﴿٣٩٨﴾ وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذا ما انزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (ايكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (واما الذين في قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (اولا يرون) يعني المنافقين وقرئ بالتاء (انهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع [illegible]

[illegible]

وهذا لا بد فيه من الاضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اخرى ليتفقه المقيمون في الدين وانذار المتصف اليه بقوله فيكون النفير ويتفقهوا ولينذروا [illegible] الفرق بعد ما [illegible] الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا [illegible] الطوائف النافرة والتي يتفقه الفرق الباقية ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم (قوله امروا بقتال الاقرب) يعني انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشدهم في ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبدأ بالاقرب فالاقرب منتقلين الى الابعد فالابعد الا ترى ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات وقع على هذا الترتيب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حارب قومه اولا ثم انتقل الى غزو الشام والصحابة ايضا لما فرغوا من امر الشام دخلوا العراق ثم انه تعالى بعد ما ذكر فضائح اهل النفاق ذكر قبائح احوالهم حيث قالوا اذا ما انزلت سورة الآية وكلمة ما صلة (قوله وقرئ ايكم بالنصب على الاشتغال تقديره ايكم زادت زادته هذه اي انما يقدر الفعل متأخرا عنه من اجل ان له صدر الكلام والجمهور على رفع ايكم على انه مبتدأ وما بعده خبره واجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزائهم بانه تعالى بين واعتقادهم زيادة الايمان بالعلم الحاصل بالوحي والعمل به فقال حصل للمنافقين بسبب نزول هذه السورة امران الاول انها زادتهم رجسا الى رجسهم والثاني انهم يموتون على كفرهم وهذا اقبح من الاول والايمان الذي هو عبارة عن التصديق لا يتصور زيادته الا على وجهين الاول ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد واقوى لانه عند الحصول على كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض لرجح يريد ان معرفته بالله اتم واقوى والوجه الثاني من وجهي زيادة التصديق ان المؤمن من الصحابة يصدق في جميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا شك ان التكاليف والآيات التي كانت تنزل عليهم متتابعة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعند نزول كل آية يتجدد لكل تكليف [illegible] تصديقا واقرارا لانه كلما نزلت آية جديدة لزمهم اقرار جديد وكان ذلك زيادة في تصديقهم واقرارهم (قوله [illegible]) [illegible] المخصوص الدال على المعنى في تلك السورة [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] [illegible]

﴿ فهرست الجلد الرابع ﴾

صحيفه

صحيفه